العدد ٨٤ - صفر ١٤٠٣هـ - ديسمبر ١٩٨٢م

الدوحة

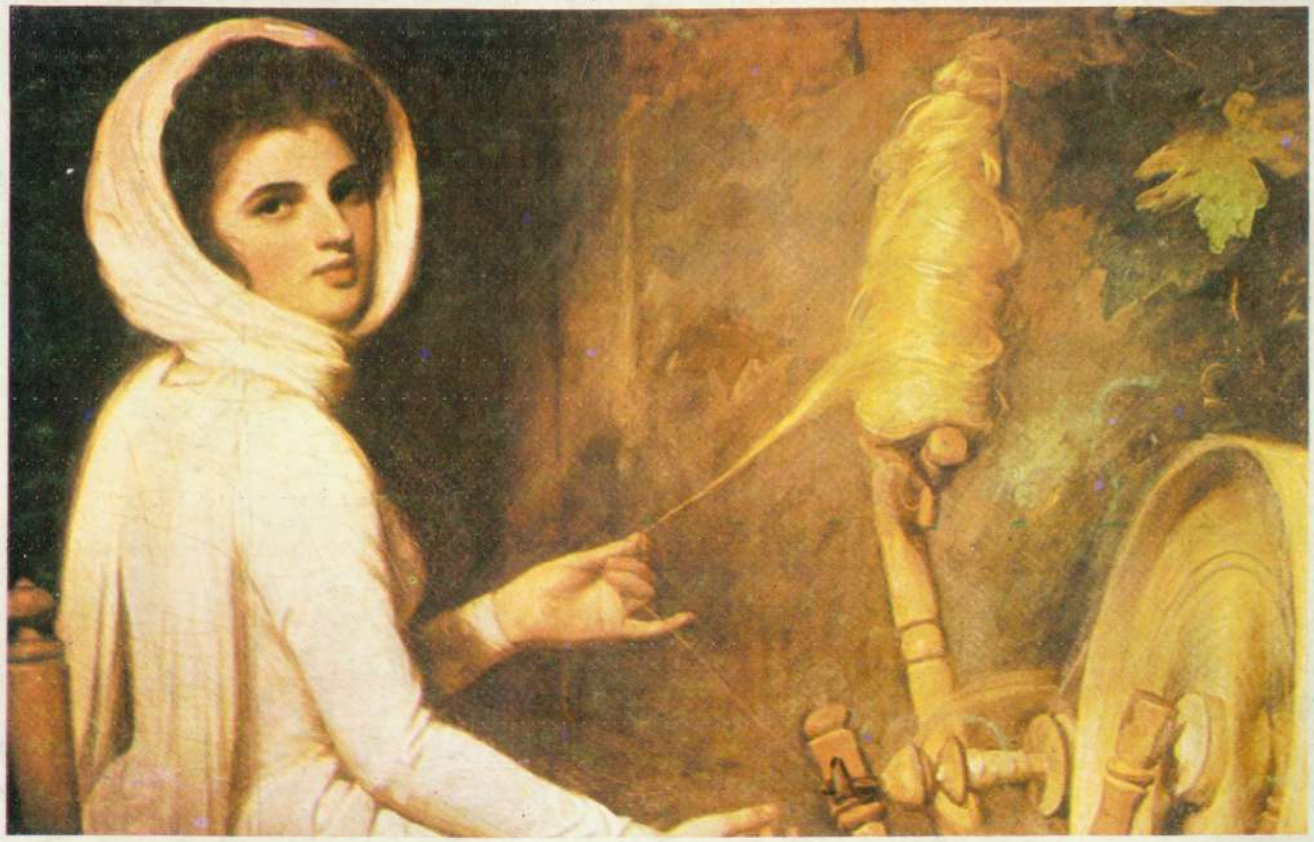
مجلة شهرية ثقافية جامعة
ملتقى الابداع العربي والثقافة الانسانية

المؤسسة العامة للشؤون المطابع الأميرية

● اتصالات فاروق بالألمان

● حوار خاص بالدوحة مع المفكر الفرنسي جارودي
بقلم: الدكتور محمد جابر الأنصاري

● ارفضوا الواقع قبل أن ترفضكم الحياة
بقلم: خالد محمد خالد



قصة الفاتنة التي أسرت بطل البحار



بيبسى

إجعَل نهارك عيد مَع



الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة

تصدر عن وزارة الإعلام بدولة قطر

العدد ٨٤ - صفر ١٤٠٣هـ - ديسمبر ١٩٨٢م

المراسلات :

التحرير والادارة :
ص . ب ٢٣٢٤
الدوحة - قطر .
العنوان البرقي :
المجلة - الدوحة
تلكس :
4521 MAGDO DH
تليفونات :
رئيس التحرير :
مدير التحرير :
التحرير : ٣٢١٢٧٥
المدير المالي والاداري : ٣٢٧٥٣٨
جميع المراسلات :
ترسل باسم رئيس التحرير

الاشتراكات :

داخل قطر ٤٨ ريالا قطريا
بالدول العربية ٥٤ ريالا قطريا
فى باقى دول العالم ٦٠ ريالا قطريا
للدوائر الحكومية والشركات:
داخل قطر ١٠٠ ريال قطرى
بالدول العربية ١٠٦ ريالات قطرية
فى باقى دول العالم ١١٢ ريالا قطريا

الإعلانات :

يتفق بشانها مع مسئول الاعلانات

الأسعار:

قطر ٤ ريالات
البحرين ٢٥٠ فلسا
الامارات العربية ٤ دراهم
عمان ٢٠٠ بيسة
الكويت ٢٥٠ فلسا
السعودية ٤ ريالات
الجمهورية اليمنية ٢٥٠ فلسا
اليمن الديمقراطية ٢٥٠ فلسا
العراق ٢٥٠ فلسا
المملكة الاردنية ٢٠٠ فلس
سوريا ٢٠٠ قرش
لبنان ٢٠٠ قرش
مصر ١٥٠ مليما
ليبيا ٣٠٠ درهم
السودان ٢٠٠ مليم
تونس ٣٠٠ مليم
الجزائر ٣ دنانير
المغرب ٣ دراهم
باقى دول العالم :
ما يعادل دولارين امريكيين

مكاتب توزيع الدوحة

● السودان :
مؤسسة دار التوزيع
ص . ب : ٣٥٨ - الخرطوم

● مصر :
مؤسسة توزيع الاهرام
شارع الجلاء - القاهرة .

● المغرب :
الشركة الشريفية للتوزيع والصحف
ملتقى زنقة ديفان وزنقة سان سافنس .
ص . ب : ٦٨٣ - الدار البيضاء

MOROCCO
SOCHEPRESS
P.O. BOX NO. 683
CASABLANCA

● سوريا :
المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات
برامكه - نجاه ثانوية فايز منصور
ص . ب : ٤٩٠٢ - دمشق .

● العراق :
الدار الوطنية للنشر والتوزيع للاعلان
شارع الرشيد - ساحة الوثبة

● تونس :
الشركة التونسية للصحافة .
٣ نهج المغرب
ص . ب : ٤٤٠ - تونس

TUNIS
SOTUPRESSE
3 RUE DU MOROC
B.P.N. 440 - TUNIS

● السعودية :
مؤسسة الجريس للتوزيع والاعلان
ص . ب : ١٤٠٥ - الرياض
مكتبة جدة :
ص . ب : ٩٥٠ - جدة
مكتبة ومطبعة خباء
المدينة المنورة

● الكويت :
دار الكويت للصحافة .
ص . ب ٢٣٩١٥ صفاة
الكويت

● لبنان :
الشركة العربية للتوزيع .
ص . ب : ٤٢٢٨ - بيروت

● الجزائر :
الشركة الوطنية للنشر والتوزيع
٢٠ نهج الحرية - الجزائر

ALGER
S.N.E.D
20 RUE DU LIBARTE
ALGER

● ليبيا :
المنشاة الشعبية للنشر والتوزيع والاعلان
فرع طرابلس : ص . ب : ٩٥٩ - طرابلس
فرع بنغازى : ص . ب : ٣٢١ - بنغازى

● الأردن :
وكالة التوزيع الاردنية
ص . ب : ٣٧٥ - عمان

● البحرين :
دار الغد :
١ شارع المعارف - بناية الدرازى
ص . ب : ٥٠٥ - المنامة

● سلطنة عمان :
المؤسسة العربية للتوزيع والنشر :
ص . ب : ١٠١١ - مطرح
مسقط

● الجمهورية العربية اليمنية :
مؤسسة سبا العامة للصحافة والانباء .
ص . ب : ١٤٣٠ - صنعاء
الوكالة اليمنية للتوزيع
ص . ب . ٧٣٩٧ صنعاء

● جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية :
مؤسسة ١٤ اكتوبر للطباعة والنشر .
ص . ب : ٤٢٢٧ - المحافظة الاولى
عدن .

● الامارات العربية المتحدة :
مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر والتوزيع
شارع السلام - عمارة ثانى بن محمد
ص . ب : ٧٩١ - ابوظبى .

● جميع المراسلات ترسل باسم رئيس التحرير

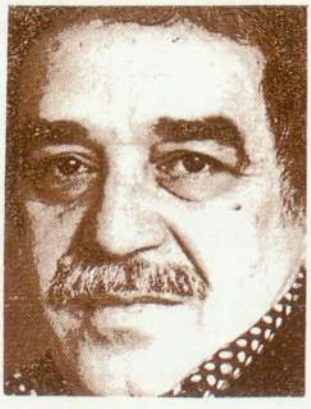
● الآراء المنشورة في المجلة تعبر عن رأي أصحابها ولا تعبر عن رأي وزارة الإعلام

● المواد لا تعاد إلى مرسليها نشرت أو لم تنشر

طبع من هذا العدد ١٠٠,٠٠٠ نسخة .

طبعت بمطابع على بن على Ali Bin Ali Printing Press - Doha

في هـــــذا العـــــدد



الفائز بجائزة نوبل هذا العام
(ص ٣٢)



من هنا تبدأ السينما القطرية
(ص ١٠٠)



اتصـــالات فاروق بالالمـــان
(ص ١١٢٠)

● دراسات ومقالات ●

● ارفضوا الواقع قبل أن ترفضكم الحياة .....
خالد محمد خالد ٦

● سارة برنار لم تفقد ذاكرتها .....
عبد الله الجفري ١٤

● مصر وفلسطين فى العصر العثماني .....
د. عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم ١٦

● العمامة المتمردة تتجه الى الاعتدال ومهادنة الاحتلال ....
فتحي رضوان ١٩

● غراميات سيبويـــه .....
محمود السعدني ٢٩

● تراثنا العربي يفتقر الى التفسير والفهم .....
نعمان عاشور ٣٧

● اهارون ابو حصيرة والأزمة الطائفية في لبنان .....
عصام شريـح ٤٠

● الحصان .. عندما يتحرر من قيود الانسان .....
حسام جميل مدانات ٥٨

● فصول أبي البهاء : حلاقة ارتين .....
د. عبد السلام العجيلي ٧٠

● باول كراوس : صورة علمية مشرقة حاربتها الصهيونية بعنـف .....
د. محمد طه الحاجري ٧٢

● أخلاقيات الطـب .....
د. خليل قطاطـو ٨١

● رسالة لنـدن :
العالم العربي فى متحف لندن .....
المريخ هو الكوكب الوحيد الذي يمكن أن يستقر عليـه الانسان .....
مجدي نصيف ٨٢

● اشباه الانسان : لوسى والولد الغالى .....
د. عبد المحسن صالح ٩١٤

● ليدى هاملتون : الفاتنة التى اسرت بطل البحار .....
جمال الكنانى ١١٠٨

● لماذا طال الحوار حول هجرة يهود اوربا الى فلسطين ....
د. عاصم الدسوقى ١١١٦

● اتصالات فاروق بالالمان .....
د. السيد فهمى الشناوى ١١٢٠

● قلب الطفل (حوار مع طبيبة عالمية) .....
ليلى الحريرى ١١٣٤

● أطلال قلعة الجندى .....
درويش مصطفى الفار ١١٣٨

● اسلاميات ●

● روجيه جارودى ورحلة فكر من المادية الى الاسلام .....
د. محمد جابر الأنصارى ١٠٠

● رسالة فى الاصلاح الدينى .....
حسين احمد امين ٢١٢

● مسلمة امريكية تتحدث عن الاسلام (كتاب الشهر) .....
ترجمة : كروان السكرى ٥٢٢

● دائرة المعارف القرآنية : البخـــل .....
د. محمد البهي ١١١٥

● دراسات فى شئون الخليج ●

● فنان كويتى يلفت انظار نيويورك وباريس .....
حسن الملا ٦١٢

● حدث فنى هام : من هنا تبدأ السينما القطرية .....
مريم آل سعد ١٠٠٠

● ضواء على ادب الخليج : محمد عبد الملك فى مجموعته القصصية الثالثة ..... عبد الله خليفة ١٢٨

● ن احلام اليقظة للشاعر القطرى علي ميرزا محمود ..... سنان المسلمانى ١٣٢

● حلة فى عقل ام ..... د. زهرة المالكى ١٦٢

● أدب وفنون ●

● الجسر (قصيدة) ..... شعر : د. غازى القصيبى ٩

● ن عجائب الطب : العلاج بالموسيقى وهم ام حقيقة ؟ .... د. عز الدين فراج ٢٦

● الفائز بجائزة نوبل هذا العام : جابرييل جرثيه ماركيث ... د. محمد عبد الله الجعيدي ٣٢

● سئلة مـا ... (قصة) ..... علي المك ٤٤

● من روائع الفن العالمى : الابتسامة الغامضة وخلود العبقرية ..... جمال قطب ٦٤

● حوار مع كاتب «خليها على الله» : يحيى حقى ..... مفيد فوزى ٦٦

● هل يمكن الغاء الموسيقى العربية ؟ ..... كمال النجمى ٧٨

● العذراء العانس (قصيدة) ..... شعر : محيي الدين فارس ٩٩

● شهادات على سياج الضمير (قصة) ..... حمدى الكحلوت ١٠٦

● الدم (قصة) ..... فؤاد قنديل ١٣٣

● حكايات من السينما المصرية بمناسبة عيدها الأول ..... رءوف توفيق ١٤٨

● أبواب ●

● حنى لا ننسى : جامع الجزار فى عكا ..... يوسف الخطيب ٥٠

● لقطات من الكون المثير ١٠٤

● قف : هل تعلم ؟ ..... عبد العزيز السيد المصرى ١٤٠

● اوراق خضراء ١٤١

● العلم هو المستقبل ..... لبنى الريدى ١٤٦

● ضحكات الشهر (كاريكاتير) ..... صلاح الليثى ١٥٤

● دوحة القراء ١٥٦

● استراحة الدوحة ..... رءوف ١٦٠

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
تصدر عن وزارة الإعلام بدولة قطر

رئيس التحرير : رجاء النقاش

مدير التحرير : عبدالقادر حميدة

المدير الفني : أحمد فاضل

المحرر العام : كمال سعد

التحرير : النور عثمان أبكر
عبدالله جابر
ليلى الحريري
مريم آل سعد
سنان المسلماني
نادية رزق
ممدوح عبدالرحمن

سكرتير التحرير : نبيل خالد الأغا

الاشراف الفني : نائلة محمد فتحي

سكرتير التحرير الفنيان : أحمد عبدالله
علي دياب

البحوث والمعلومات : مبارك عثمان العشي

التصوير : أمين بدوي الحامدي

ارفضوا الواقع

قبل أن ترفضكم الحياة

بقلم : خالد محمد خالد

هذا المقال ليس مقالا فى الفلسفة ، إنما هو كبقية مقالاتى التى تحدوها « الانسانيات » التى أومن بها وأهش لها .. لقد أتى على الانسان العربى حين من الدهر كان من سادة الأرض ، إن لم يكن سيدها جميعاً !!

وحين نستشرف الأسباب التى جعلت منه ذلك السيد المهيب ، نجدها ماثلة فى «ارادة التقدم» التى كانت تحمله على تخطى الواقع والتطلع بعينين مفتوحتين ، وعزم أيِّدٍ وشديد الى المستقبل .. لقد حل الانسان العربى المسلم فى عصر نهضته الأزمنة القائمة بين «فكرة التقدم» و «فكرة الواقعية» .. حلها قبل أن يحلها الأنسان الأوروبى بزمان .

وأختار الوقوف الى جانب «فكرة التقدم» ورفض علماؤه وفلاسفته وفنانوه ، بل وقواد فتوحاته .. رفضوا جميعاً أن يكبلهم الواقع بقيوده ، ويحتجزهم وراء سدوده . وحين نتذكر من علمائنا المسلمين أمثال ابن مسكويه ، وابن النفيس ، وجابر بن حيان ، والخوارزمى ، وأبى بكر الرازى .. حين نتذكر هؤلاء وأمثالهم معهم نرى صفوة تطلعت الى المستقبل فى شغف ، ومضت ترتاد أرضه المجهولة . وآمنت بفكرة التقدم ، ولم يسلبها الواقع رؤيتها ولا عزمها ولم يصب العرب والمسلمون بما هم فيه من تخلف واستكانة إلا يوم سمحوا للواقع أن يشد اليه ابصارهم وبصائرهم ، ويقعد بعزمهم الذى كان جسوراً وقديراً ، وينسيهم تبعاتهم تجاه المسيرة التى بدأها آباؤهم .. مسيرة التقدم والنهوض .

لقد كان الانسان العربى فى مساعيه العلمية والاجتماعية وفى فتوحاته العسكرية انسانا تخلص نهائياً من هيمنة الواقع عليه ، ورفض أن يخضع له أو أن يخلد اليه ..

وبنى ذلك الانسان عالماً كان قبل قيامه يبدو حلماً من اغرب الاحلام !!

وعلى الرغم من أنه لم يحقق كل أهدافه إلا انه حقق جميع الممكن من هذه الاهداف وبجهوده استطاع الانسان عامة أن يدرك ـ لاول مرة فى التاريخ ـ أن اقتحام المستقبل واخراج خَبئه لم يعد حلماً ، وان السيطرة على دوافع التقدم الانسانى صارت فى قبضة الانسان .

وانه لولا الانسان العربى والمسلم بجسارته وبهمته الماضية كالسيف المرهف لظلت فكرة التقدم وهما على مدى دهر طويل !!

وإن أوروبا لاتنكر أن الحضارة الاسلامية العربية هى التى أمدتها بالقدرة وبالشجاعة للقيام بالاعمال الكبرى التى انجزتها ...

ولقد تعلمت أوروبا من أبائنا وروادنا تخطى الواقع الى الممكن وحمل لواء إرادة التقدم .

كان العقل العربى جبارا فى خطواته التقدمية الهائلة ، وكانت ثقته بنفسه تفوق كل حد .

وكانت «شجاعة المعرفة» سيماه التى ميزته ومنحته الثقة بالعلم وحطمت الشك النامى فى قدرة الانسان الذاتية على أن يكون شيئاً عظيماً ، كما علمته الا يتجنب الوحى من أجل العقل ، والا يهمل العقل من اجل الوحى .

وكان ذلك من أعظم منجزات ذلك الانسان ، ومنجزات الحضارة الاسلامية كلها ..

• • •

ولما كانت القيم والمعايير ضرورية للحياة الانسانية ، فقد استلهم الانسان العربى قيمه ومعاييره من الوحى والعقل معاً .

وأدرك أنه لكى يعرف ما هو الخير للانسان وما هو الشر له ، عليه أن يعرف أولا طبيعة الانسان .

ومن هنا أخضع أخلاقياته لفكرة التقدم ذاتها .. مدركاً أن فضيلة واحدة أو بضع فضائل لاتدلنا على الرجل الفاضل ، وان رذيلة واحدة أو بضع رذائل لاتدلنا على الرجل الشرير .. وسبق الفلاسفة من أبائنا علماء النفس فى عصرنا الحديث ، سبقوهم الى أن الموضوع الحقيقى للبحث الاخلاقى هو الشخصية الفاضلة والشخصية الشريرة ، وليس هو الفضائل المجردة ولا الرذائل المجردة ..

وأعانهم على هذا الفهم الكثير من نصوص القرآن والسنة التى تنظر الى الانسان ككل ، والتى ترفض تبعيضه ، كما ترفض أن تنهدم شخصية باسرها ، لأن لها نقاط ضعف فى سلوكها .

ولعل الفيلسوف «إريك افروم» الالمانى المولد . الامريكى الجنسية كان متأثراً بهذه النظرية لفلاسفتنا وهو يقول :

« إن علم الشخصية الذى يقوم على اساس التحليل النفسى برغم حداثته لاغنى عنه لتطور النظريات الاخلاقية .. ولامناص من أن تبقى جميع الفضائل والرذائل التى يعالجها علم الاخلاق التقليدى غامضة ، لانها كثيراً ما تدل بلفظة واحدة على مواقف إنسانية مختلفة وعلى شىء من التناقض ، وهى لاتفقد غموضها إلا اذا فهمت من حيث علاقتها ببناء شخصية الفرد الذى تعزى اليه الفضيلة أو الرذيلة .. »

« إن الفضيلة المنفصلة عن محيط الشخصية قد تكون عديمة القيمة كالتواضع الذى ينشأ عن الخوف ، أو الذى يعوض به صاحبه عن كبرياء مكبوته .. كما أن الرذيلة قد تدل على شىء آخر اذا فهمت فى محيط الشخصية كلها كالكبرياء التى تعبر عن فقدان الطمانينة أو عن شعور المرء بانحطاط قدره .. »

« وهذا الاعتبار له بالاخلاق علاقة وثيقة .. ومعالجة الفضائل والرذائل منعزلة باعتبارها صفات مستقلة معالجة مضللة ..

إن موضوع الاخلاق هو الشخصية ، ولايمكن أن تقوم صفات منعزلة أو أعمال منفصلة دون الاشارة الى بناء الشخصية باسرها »

إن القيم والمعايير لم تكن قيود كبت وقهر عند فلاسفتنا الاولين لانهم تعلموا من دينهم السمح أن الله حين خلق العقل قال له : أقبل . فبك أحاسب وبك أحاكم .

ولانهم تعلموا أن الاسلام لم يعزل العقل باسم الوحى ، بل ايد الوحى بالعقل .

واذا كانت مشكلة الاخلاق والسلوك لاتزال تمثل مشكلة كبرى للبشرية ، فقد حلها اسلافنا من العلماء والفلاسفة بالتوفيق السديد بين العقل والوحى . وكان سبيلهم لهذا إيمانهم العميق بفكرة التقدم ، وبعدهم عن التنطع فى فهم مرامى دينهم وجوهر أهدافه .

• • •

وبايمان أبائنا بالتقدم واحتضانهم فكرته واتخاذه مبدأ للعقل وللحياة استطاعوا أن يشيدوا حضارة سامقة فى كل المجالات ..

والتحقيقات العلمية الرائعة التى قدمتها العقلية العربية هى التى منحت لاوروبا والغرب نور المعرفة .

وان أعظم المخترعات التى تبهرنا اليوم يرجع الى أبائنا الذين أحيوا فى انفسهم ارادة التقدم ورفضوا الاذعان للواقع .. يرجع اليهم قبل سواهم فضل الارهاص بها وتحقيق بداياتها الناجحة . وحسبنا مثلا واحدا تحكيه لنا مؤلفة كتاب «شمس العرب تشرق على الغرب» فتقول :

« اننا نقف مشدوهين متعجبين أمام تطور فن الصواريخ العظيم دون أن نسأل انفسنا الى من ندين بهذا الاختراع ؟؟ » ثم

ارفضوا الواقع

قبل أن ترفضكم الحياة

تثبت أنهم علماء العرب والاسلام الذين يدين لهم الشرق والغرب بهذا الاختراع ، إذ كانوا أول من وضع نظرية تركيب البارود المندفع فى القرن الثانى عشر ... !!!

والرائد العظيم «البيرونى» هو الذى سبق «كوبرنيكس» وغيره بخمسمائة عام الى اكتشاف أن الأرض تدور حول نفسها ، وأنها وكواكب أخرى تدور حول الشمس .. ومن دورة الأرض هذه ينشأ الليل والنهار .

وأظننى قد سقت فى أحد مقالاتى السالفة الكثير من البراهين ومن الشخصيات التى كان لها فضل كبير فيما تحياه البشرية اليوم من رفاهية وحضارة .

خلاصة الحديث أن انساننا العربى والمسلم قد ناصر فكرة التقدم على فكرة الواقع فاعطى غَدَقاً وأعطى كثيراً ..

وأن هذه المناصرة كانت فخر حياته ومجدها ، وبها استطاع أن يقدم لقومه وللعالم من بعده أذكى أدوات العمل من أجل النهوض والارتقاء

فعل ذلك فى عالم القيم والمعايير ، وفعله فى عالم المخترعات وفعله فى مجال الفتوح .

لم يكن ينظر الى أمسه ، ولايقف عند يومه ، بل كان يرسل بصره وعقله وعزمه عن طريق الغد مؤمناً بأن العمل من أجل تقدم قومه وعالمه جزء من عبادته وتقواه !!

• • •

فماذا دهى الأسلاف حتى أمسوا عبرة ومثلا .. ؟!

دهاهم أنهم لاذوا بالواقع واستسلموا له وخروا سجداً صاغرين تحت أقدامه .

وعلى الرغم من أنه واقع ذليل ومهين ومتهتك ، فانهم عشقوه عشق الجاهلى لأطلال حبيبته ، أو اطلال قبيلته !!

أدر بصرك فى ربوع عالمنا العربى والاسلامى تجد هذه العلة القاتلة .

تجد أقواماً يستكينون للواقع ، ويلوذون بالواقعية ، ويقولون فى تبرير خيبتهم وعجزهم : هذا هو الواقع ولاحيلة لنا فيه ..!! ولاأحد يهزم الواقع أو يتحداه ...

أو لم يعلموا أنه كان لهم آباء وأسلاف هزموا الواقع وتجاوزوه الى الممكن ، بل أحيانا الى المستحيل فى استبسال عظيم ؟!

فى كل أمر من أمورنا نستسلم للأمر الواقع ، ولا نحاول التصدى له ، ومجاوزته الى غد أكرم وحياة أفضل ..

مفكرونا وحكامنا وزعماؤنا .. كلنا أصبحنا أسرى الواقع ، وفقدنا ملكة التمييز وإرادة التقدم .

نصف العالم الاسلامى شعوب تفتك بها المجاعة ، ونصفها الآخر شعوب قتلها الترف .

وكلا الفريقين ـ هؤلاء وأولئك ـ بسطوا ايديهم وأرجلهم للواقع يطوقها بسلاسله وأغلاله .

ثم ماذا .. ؟؟

أقول : لاباس .. أجل لاباس فلا يزال الطريق أمامنا مفتوحاً ، والفرصة مواتية لكي نوقظ قدرتنا وننفق منها على حاضرنا ومستقبلنا .

هناك حكمة قالها فيلسوف أوروبى .. هى ذى :

« إن القدرة على العمل تخلق الحاجة الى استخدام هذه القدرة وإن الفشل فى استخدامها ينتهى بشل العضو عن اداء وظيفته ، كما ينتهى بالبؤس والشقاء .. ويمكن أن نتبين صحة هذا المبدأ بسهولة بالنسبة لوظائف الانسان الفسيولوجية فانسان ـ مثلا ـ لديه القدرة على المشي وعلى الحركة ، فاذا ما حيل بينه وبين استخدام هذه القدرة نشأ عن ذلك المرض والعجز الجسمانى» ..

إن صحة هذا المبدأ تظهر فيما يتعلق بقدرات المرء النفسية والعقلية . كما تظهر فيما يتعلق بقدراته الجسمانية فهل نحن قادرون على العمل من أجل تقدمنا وخلاصنا .. ؟؟

إن أعداءنا لايصنعون بنا أكثر من أن يحولوا بيننا وبين استخدام قدراتنا وذلك عن طريق تخويفنا وإرهابنا وزرع اليأس فى نفوسنا ، وبث الفرقة بين صفوفنا .. !!

إننا قادرون .. وبكل التفسيرات والاحتمالات فنحن قادرون ..

وآفتنا أذن لا تتمثل فى عدم القدرة ، بل فى عدم استخدام هذه القدرة .

وهذه النقطة من الحديث بالغة الأهمية .. فشعورنا بالعجز شعور كاذب ، آت من عدم استخدامنا لقدراتنا ، وليس من افتقادنا هذه القدرات ..

نحن نملك الثروة ، ونملك التاريخ ، ونملك المواقع الاستراتيجية النادرة ، ونملك الأعداد الهائلة من البشر .

نملك العقول المفكرة ، والادارة المهياة ، واليد العاملة .. ومعنا القدرة على التحكم فى جميع الظروف والدول والاشخاص الذين يلهون بمقدراتنا ويحقدون علينا ويسعون لتدميرنا .

فلماذا لانستخدم هذه القدرات جميعاً لأننا واقعيون !!!!

انى لأكاد أجزم بأن اسرائيل قد انتهت من التخطيط لخمسين عاماً مقبلة ..!!!

ولقد داست كل واقع يشل حركتها ، وانها لتستخدم جميع قدراتها وترنو الى المستقبل فى عشق المراهق المـوله واستخدامها قدراتها وعدم استخدامنا قدراتنا هو الفارق الحقيقى بيننا وبينها ..

فيامن صنع أباؤكم التاريخ ..

يامن قهر أباؤكم الواقع وجاوزوه الى المستقبل فى قدرة وشجاعة وذكاء .

أرفضوا الواقع ، قبل أن ترفضكم الحيـــاة ...

خالد محمد خالد

الشاعر الكبير الدكتور غازي القصيبي ألقى هذه القصيدة الجميلة فى مساء الخميس ١١ نوفمبر ١٩٨٢ بمناسبة حفل وضع حجر الأساس للجسر الذي يربط بين السعودية والبحرين :

الجسر

شعر :
الدكتور غازي القصيبي



ضَرْبٌ من العِشْقِ لا دَرْبٌ من الحَجَرِ
هذا الذي طارَ بالواحاتِ للجُزُرِ

ساقَ الخِيامَ إلى الشُّطآنِ فانْزلقَتْ
عَبْرَ المياهِ شِراعًا أبيضَ الخَفَرِ

ماذا أرى ؟.. زورقًا في الموجِ مُنْدَفِعًا
أم أنَّه جَمَلٌ ما مَلَّ من سَفَرِ

وهذه أغنياتُ الغَوْصِ في أذني
أم الحُداةُ شَدَوْا بالشِّعْرِ في السَّحَرِ؟

واستيقظَتْ نَخْلةٌ وَسْنَى تُوَشْوِشُني
مَنْ طَوَّقَ النَّخلَ بالأصْدافِ والدُّرَرِ؟

نَسِيتُ أيْنَ أنا .. إنَّ "الرِّياضَ" هُنا
مَعَ "المنامةِ" مشغولانِ بالسَّمَرِ

أمْ هذه "جدَّةٌ" جاءتْ بأنْجُمِها
أمْ "المُحَرَّقُ" زارتنا مع القَمَرِ

وهذه ضحكاتُ الفجرِ في "الخُبَرِ"
أم الرِّفاعُ رَنَتْ في موسمِ المَطَرِ

أم أنّها "مَسْقَطٌ" السمراء زائرتي
أم أنها "الدَّوْحَةُ" الخضراءُ في قَطَرِ

أمْ "الكويتُ" التي حيَّتْ فَهِمْتُ بها
أم أنها "العَيْنُ" كَمْ في العَيْنِ من حَوَرِ

بَدْوٌ وَبَحّارةٌ ما الفَرْقُ بينهما
والبَرُّ والبَحْرُ ينسابانِ من مُضَرِ

خَليجُ .. إنَّ حِبالَ اللهِ تَرْبِطُنا
فهل يُقَرِّبُنا خَيْطٌ من البَشَرِ؟

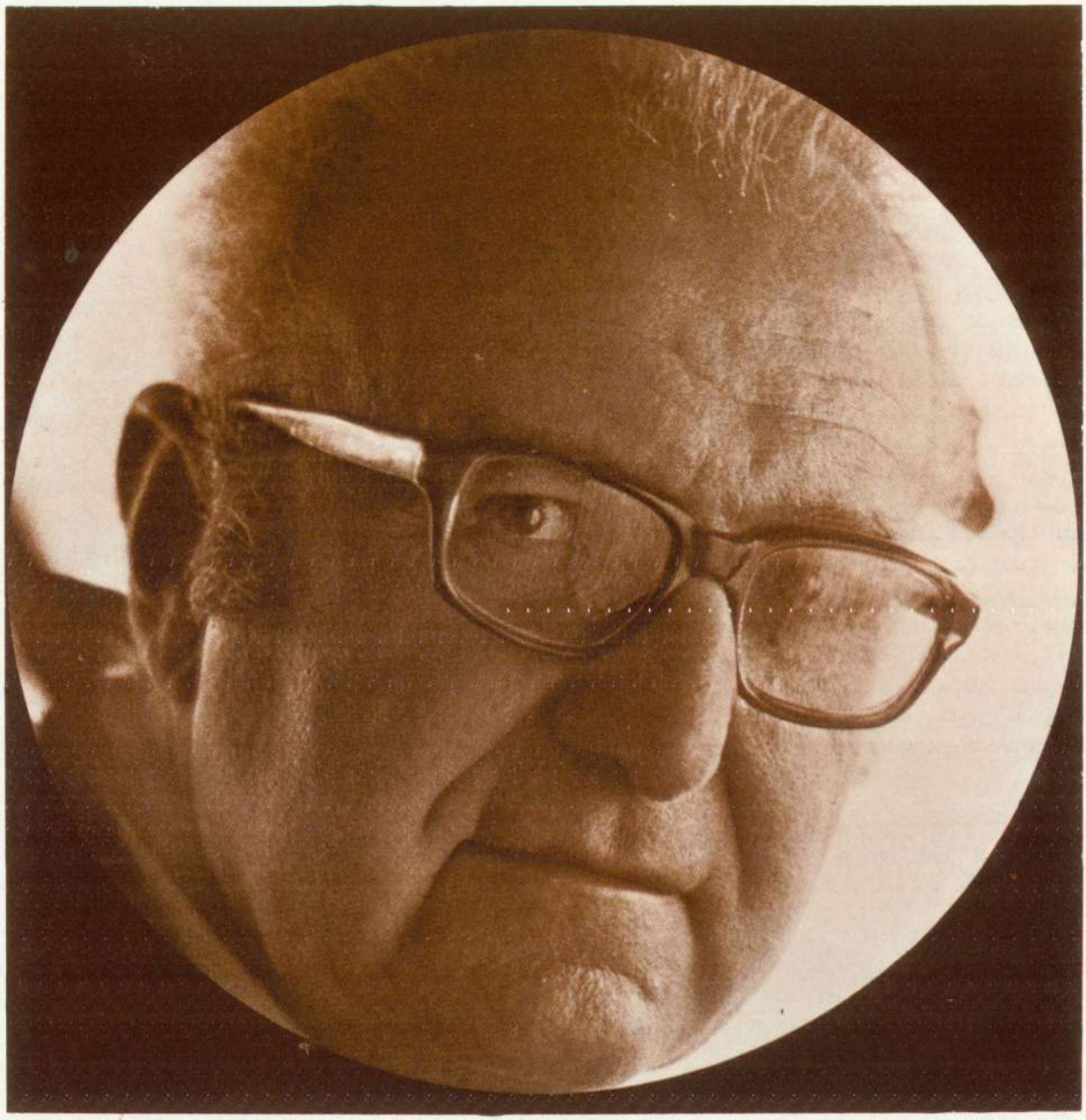
محـــاورة خاصـــة بالدوحـــة

بقـلم : الدكتور محـــمد جابر الأنصـاري

المفكر الفرنسي روجيـه جـارودي ورحـــلة فـــكر

من المادّيـــة إلى الإســـلام

ـ من العمل المسيحى البروتستانتى المتحرر ..
ـ الى ليبرالية يسارية اجتماعية ..
ـ الى التزام ماركسى كامل متقيد بالنظرية وبالحزب ..
ـ الى ثورة ضد الماركسية فى النظرية وفى الممارسة ..
ـ الى عودة للدين فى جوهره الصوفى الكونى الانسانى ، مع ميل خاص الى صوفية ابن عربى فى كونيته وانسانيته .
ـ الى اهتمام متزايد بالاسلام كنظام شامل يجمع بين الايمان والعمل ، وبين الانسانى والالهى ، ويجعل للتقدم الحضارى هدفاً متسامياً يتجاوز النمو المادى الى الآفاق الروحية .. مع رفض الصيغة الراهنة للحضارة الغربية الانمائية المادية ..
ـ الى ... اعتناق كامل وعلنى للاسلام !



المفكر الفرنسى روجيه جارودى

من يقدر على هذه المسيرة المتشعبة الشاقة ؟

من يتحمل هذه التجارب الفكرية والروحية المتباينة والمتناقضة ؟

قليلون ـ حتماً ـ من يستطيعون فتح الروح والقلب والعقل لهذا العدد المتسع من التجارب الكيانية الخطيرة بحثاً عن الحقيقة ...

وأقل من هؤلاء من يجرؤون على التصريح بتحولاتهم مرحلة بعد مرحلة ، والتحدث عنها بصدق وأمانة أمام الآخرين .. وأمام التاريخ .

ولكن هذا ما يفعله اليوم المفكر الفرنسى روجيه غارودى الذى مر بكل هذه التجارب التى أحصيناها واحدة بعد الأخرى الى أن وصل الى محطته الأخيرة .. فأشهر اسلامه رسمياً ـ بعد أن اعتنقه نظرياً وقلبياً لبعض الوقت ـ فدخل بذلك تلك السلسلة الشهيرة من رجالات الفكر الانسانى فى التاريخ الذين مروا بعقائد ومذاهب مختلفة ثم وجدوا فى الاسلام ضالتهم فاعتنقوه عن قناعة ومحبة وأضافوا الى تراثه الانسانى الخصب تجارب جديدة .. فريدة ومتميزة ..

رجل كهذا يثير فى النفس فضول الفكر ، فيود أن يسبر أغواره ليرى سر هذه التحولات المتعاقبة التى لا تهدأ ولا تتوقف

التقيه بباريس فى جلسة خاصة .. أحاول أن أدعه يسترسل فى الكلام دون سؤال محدد .. لأن السؤال يحصر الحضور الانسانى فى بوتقة ضيقة .. أريد أن أكتشف شاغله هو كما يعبر عن نفسه بعفوية دون استثارة الأسئلة فى بداية رحلة التعارف والحوار ..

● أرسطو .. كارثة !

يبدأ بالقول :

«فلسفة أرسطو كارثة ! .. وكذلك فلسفة

المفكر الفرنسي روجيه جارودي ورحلة فكر

من المادّية إلى الإسلام

ابن رشد فى الاسلام .. وفلسفة توما الاكوينى فى المسيحية !»

فهمت ما يعنيه ـ من منطلقه الصوفى الروحى الجديد ـ ولكنى وجدت الآن الفرصة سانحة لعاصفة من الاسئلة ..

ـ كيف ؟ هؤلاء الفلاسفة العظام فلسفاتهم «كارثة» ؟ وقد دخلت فى تاسيس الحضارة العالمية ؟

يرد : «هؤلاء ظنوا أن بالعقل ، وبالعقل وحده ، يعيش الانسان . كم كانوا مخطئين ! .. العقل يدرك فقط الحدود بين الاشياء . لكنه لا ينفذ الى جوهر الاشياء لابد من ملكة اخرى .. غير العقل .. وفوق العقل .. لتجاوز الجزئيات اللامتناهية فى هذا الكون ، والنفاذ الى ما هو كلى فيه .. ولكن الماساة ان الحضارة الحديثة اعتنقت ما قاله ارسطو ، وابن رشد ، والاكوينى عن العقل واهملت الاتجاه الآخر .. فانتهت الى الطريق المسدود ..»

اسال : اى اتجاه آخر تقصد ؟

يجيب : افضل اتجاه ما قبل سقراط ، فى الفلسفة الاغريقية ، ذلك الاتجاه فوق ـ العقلى المتاثر بالفلسفة الروحية الهندية ..

ـ لماذا تذهب بعيداً الى الفلسفة الهندية ولديك الفلسفة الروحية المسيحية؟

يجيب : «آباء المسيحية تاثروا تاثراً عميقا بالفكر الهندى . هذه الحقيقة الراسخة يحاول الغرب التهرب منها تحت تاثير الدعاية اليهودية . لقد رسخت اليهودية فى العقل الغربى الادعاء القائل ان المسيحية كملت اليهودية واتمت رسالتها . هذا خطا تماما . المسيحية نقيض لليهودية وثورة عليها . خذ «موعظة الجبل» وهى اهم واكمل نص فى التراث المسيحى .. انها تناقض التعاليم اليهودية وتقترب كثيراً من الروح الهندوكية ..»

ـ هل تعتمد فى ذلك على التحليل والاستنتاج ام لديك شواهد تاريخية محددة بشان تاثر المسيحية بالروح الهندية ؟

يرد : «التاريخ كله بحاجة الى اعادة كتابة . لقد كانت منطقة الشرق الادنى تعج بالمؤثرات الروحية الهندية زمن المسيح وما قبله . حتى الافلاطونية المحدثة فى التراث الهيلينى متاثرة بالصوفية الهندية . وبواسطتها ، وبالتاثير المباشر ايضا ،



استمدت المسيحية الطابع الروحى العميق من تراث الهند .. »

● كيف طمس اليهود دور مصر ؟

«اليهود لم يرق لهم ذلك ، فعتموا على هذه الحقيقة . وعملوا على الربط المتعسف بين التراثين اليهودي والمسيحي واعتبارهما تراثا واحدا متواصلا لجعل اليهودية نقطة البداية فى تاريخ الغرب ، وفى تاريخ الانسانية . ولماذا نذهب بعيداً .. الا يزعم اليهود بانهم اصحاب فكرة «التوحيد» فى التاريخ الانسانى ؟ وهذا كذب صريح لان المصريين القدماء ـ كما هو ثابت تاريخياً ـ هم اول من طرح فكرة التوحيد كفكرة محورية فى الديانة والحضارة والحياة بعامة . ولكن الدعاية اليهودية اسقطت دور مصر ايضا لتحتكر وحدها شرف اكتشاف هذه الفكرة ..»

يصمت روجيه غارودي قليلا ..

واحدث انا نفسى بصمت : «إذن فعداء اليهود وعداء اسرائيل التاريخي لمصر اقدم من قضية فلسطين .. واقدم من الصراع العربى ـ الاسرائيلى .. إنه عداء عميق الجذور متصل بصميم الوجود الحضارى للطرفين . كما اخذت اسرائيل دور مصر فى التوحيد ونسبته الى ذاتها ، تاخذ اسرائيل اليوم دور مصر فى قيادة المنطقة لتحتكرها لذاتها وتحيط مصر بسياج من العزلة والنسيان والاختناق .. متى ندرك ذلك ؟! .. متى ندرك ان الصراع بيننا وبين اسرائيل ، هو صراع وجود ، لا خلاف حدود ؟!» .

واعود من همنا الى هموم غارودى لاساله :

ـ حدثنا عن تحولاتك وتجاربك الفكرية المتتالية كيف توالدت ؟

يقول :

«كنت فى شبابى مسيحيا مؤمنا بالاختيار لا بالوراثة . وكنت رئيسا للطلبة المسيحيين البروتستانت . وآمنت بالدين على انه عمل وفعل وتحرك والتزام . ثم تحت تاثير قراءاتى تحولت فكريا الى الماركسية . كان تحولا فكريا . اما فى الشعور القلبى فقد بقيت مؤمنا ، وكان همى فى الحزب الربط بين الايمان المسيحى والفكرة الماركسية على اساس ، ان الماركسيين يناضلون فى الأرض ليجد المسيحيون بداية السماء .. ولكنى وجدت بالتجربة ان الواقع فى الحزب الشيوعى شىء اخر مختلف عن تصورى هذا ، فانفصلت عنه . ويقول البعض عنى اليوم باننى اكتشفت الدين متاخرا . ليس هذا صحيحا . الدين كان حاضرا فى وعيى منذ البداية . الدين كايمان جوهرى ، لا كنصوص حرفية وطقوس محددة .. لقد لازمنى هذا الايمان فى اشد مراحل التزامى بالماركسية» .

● خالد محيي الدين تاثر به !

هنا تذكرت تاثير غارودى فى الفكر العربى حينذاك .. وكيف كان هذا الجمع بين الايمان والجدلية المادية يجد صداه ايضا لدى بعض الشباب العربى بالاربعينات والخمسينات ..

اذكر على سبيل المثال ما قاله السيد خالد محي الدين بهذا الصدد : «لقد بدات فى الاخوان المسلمين . فقد كونا تنظيما من الضباط اقمنا عن طريقه صلة بحركة الاخوان .. وفى احدى المرات جاءنى ضابط واعطانى كتابا فى الماركسية ، هو : «الاقتصاد محرك التطور الاجتماعى» لجارودى ، وقد تاثرت بهذا الفكر ، ولم أجد تعارضا بينه وبين الاسلام» .

ايا كان الامر فقد تطور فكر غارودى نفسه ووصل الى حد اعتناق الاسلام . فهل يتطور ، بالمثل ، الفكر العربى الذى تاثر به ايام ماركسيته ؟

هذا سؤال لا يستطيع الاجابة عليه غارودى . وهو متروك للمعنيين به من رجال الفكر والسياسة العرب ..

ولكن غارودى معني جداً بالاجابة على سؤالنا :

– لماذا انقلبت ضد الماركسية .. وضد الحضارة الغربية الراسمالية وصرت تدعو الى نظام جديد ؟

● ماذا بعد «النمو» ؟

يقول : «الخطيئة الكبرى فى الحضارة الغربية انها اعتمدت صيغة النمو المادى التراكمى .. نمو الانتاج ونمو الاستهلاك كمعيار اوحد للتقدم وللسعادة وللعمل الانساني . ولكن ماذا بعد ؟ ماذا بعد المزيد والمزيد من انتاج السيارات والماكنات واجهزة الكومبيوتر ؟ ماذا بعد المزيد والمزيد من البنوك والارباح المالية ..؟ ماذا بعد المزيد والمزيد من المدن والطرق والمصانع؟ إلى اين سنصل بعد ذلك .. واين النمو فى القيم والأخلاق والمعاملات والسعادة الحقيقية ؟

إن النتيجة الوحيدة لنظرية النمو التراكمية الحالية ان العالم اصبح يملك وسائل تدميره وليس مرة واحدة ولكن مئات المرات . دون « نمو » مقابل فى الضوابط والروادع الأخلاقية والروحية التى من شانها كبح قوى الدمار .. وجاءت الماركسية لترتكب نفس الخطا باسلوب آخر . اعتمدت الماركسية نظرية النمو المادي الراسمالية ذاتها مقياساً للتقدم ، ومعياراً للسعادة الانسانية ، بل واتخذت وصف النمو الراسمالي قانوناً دائماً بالنسبة لنمو الاشتراكية ذاتها ، فوقع النظامان فى سباق واحد . سباق الانتاج المادي المتزايد إلى ما لا نهاية وإلى ما لا غاية . والفارق فقط فى الأسلوب بين نظام يعتمد المبادرة الفردية ونظام آخر يعتمد الدكتاتورية الجماعية . ولكن التاريخ لا يعود إلى الوراء ولا يكرر نفسه . ولابد من نظام آخر للنمو . فمن المؤكد فى نظري أن لا إشتراكية حقيقية بنظرية النمو المادي الحالية . فلا إشتراكية بدون تسام وتعال روحي فوق المادة وفوق النمو الاقتصادي المحض . وتحقيق ذلك مستحيل فى النظام الراسمالي وفى النظام الماركسي لأن الاثنين واقعان فى نفس الخطا وهو محاولة اقامة حضارة بدون ايمان وبدون تسام» . »

احدق في وجه غارودي .. يخيل إلي ان قائل هذه العبارات الأخيرة هو سيد قطب . فقد كان هذا المفكر العربي يؤكد على هذه المقولة ، خاصة فى كتبه الاخيرة .. ولاشك ان قطب كان سيتقبل اعتناق غارودي للاسلام كخاتمة طبيعية لا مفر منها ..

يقطع غارودى تاملي الصامت بملاحظة جانبية !

« هل تعلم ان آخر مقالة لليننين في « البرافدا » كانت بشان تطبيق الجماعية فى الريف . ولكن النظام السوفياتي اهمل ذلك وابتعد عنه .. »

يشرد بعيداً ثم يقول : « حتى الفلسفة ماتت فى الغرب لأن التقدم المادي قضى عليها . هيغل كان آخر الفلاسفة العظام . ومن بعده اتجه نيتشه الى الشعر ، واتجه ماركس الى السياسة والاقتصاد ، وانتهت الفلسفة كبحث عقلي حر خاضع لقوانينه الذاتية وتطوره الطبيعي » .

ويضيف : « فى الحضارة الاسلامية لم يحدث هذا الفصل وهذه التجزيئية بين الاشياء . فى الاسلام العلم متصل بالدين والعمل مرتبط بالايمان ، والفلسفة مستوحاة من النبوة ، والنبوة متصلة بالعقل ، والأرض غير بعيدة عن السماء ، والسماء على اتصال بالأرض . والتقدم الحضاري يسير صعداً نحو الله .. هذه الوحدانية فى مفهوم الحضارة ومفهوم الجماعة يحتاج إليها عالم اليوم المجزا فى كل شيء .. وهذا ما جذبني نحو المفهوم الاسلامي للوجود .. »

اتركه بلا اسئلة ، كما فعلت فى البداية ، لأنه بلغ حالة من الصفاء لا تحتاج الى سؤال ..

يواصل : « اريد ان يصبح الابداع الفني الشعري وفعل الايمان ، وفعل العمل السياسى فى كائن واحد .. هكذا يبلغ الانسان الكمال .. وهذا ما يفتقر إليه اليوم ساسة الغرب ومفكروه ، واجده متجسداً لدى المتصوف المسلم محي الدين بن عربي الذى اعتبره اعظم من عبر عن وحدة الحضارة الانسانية فى التاريخ .. كما اعتبر الشاعر جلال الدين الرومي اكبر شاعر فى العالم .. »

– ولكن هل تعتقد ان الشعر قادر على مواجهة العصر ؟ .

– « نعم .. الشعر بمعناه الحدسي .. بمعنى الرؤية النافذة الى جوهر الاشياء واعمقها . الشعر ، كالرؤيا الصادقة ، يستوعب العالم فى كليته وشموله ، اما الفكر العقلاني فيتعامل معه فى جزئياته فلا ينفذ إلى روحه الكلية . الشعر يدرك الحقيقة البعيدة . اما اللاهوتي – على سبيل المثال – فياتي للشرح والتعليق على تفاصيل تلك الرؤيا الكلية . وهناك مثل بوذي يقول : عندما يرى الغبي احداً يؤشر باصبعه الى القمر ، لا يرى إلا الاصبع ! .. هذا ما يفعله اللاهوتي . »

قلت له : نرجو ان نكون ممن يرون القمر ولا يقفون عند رؤية الاصبع !

قال : هذه ماساة حضارتنا اليوم . انها لاترى غير الاصبع ..

قلت : رغم انها وصلت الى القمر ..

ضحك قائلا : « لكنها لم تصل الى قمر الحقيقة الذي تحدث عنه ابن عربي وجلال الدين الرومي .. »

واحسست انه غاب معهما فى مكان ما ثم تهيا لكلمة الختام :

– « هناك رسالة واحدة ابدية خالدة فى هذا الكون .. وقد جاءت النبوات المتعددة فى مراحل مختلفة لتقدم الاشكال المناسبة من تلك الرسالة الواحدة ، كل فى مرحلته وبطريقته واسلوبه . والاسلام يقر بوجود هذه الرسالة الواحدة وينطلق منها ويعمل لاكمالها . وعلى المسلمين اليوم استيحاء روح الاسلام لتطبيقها على المرحلة الجديدة بالشكل المناسب الذى يلائمها . لابد من استنباط هذا الشكل الجديد المتلائم مع روح العصر . تلك هي المهمة التى تنتظرهم .. »

وبلهجة لا تخلو من العتب ذكرنا فى النهاية : « الدراسات الاسلامية فى الغرب لاتنال ما تستحقه من رعاية . بينما الدراسات المعادية للاسلام تنال التشجيع الصهيوني الرسمي مثل كتاب نيبول المسمى « غسق الاسلام » والذى ترجم الى اكثر من لغة .. »

قلت : ولكن رغم تقصيرنا هذا .. فان المفكر روجيه غارودي قد اعتنق الاسلام !

د. محمد جابر الانصاري

"سارة برنار" لم تفقد ذاكرتها

بقلم : عبد الله الجفري

تذكرت أننى تخيلت مرة أن ذاكرتى فقدت ، أو أننى انسان بلا ذاكرة !!

برغم تخيلى .. فانى اتذكر تلك المرة وكان الفصل ربيعاً .

لاباس ـ ثانية ـ انى أجلد ذاكرتى لتنشط ، وتحس ، وتستعيد !

كنا فى زيارة لعاصمة الضباب والبيوت السوداء القديمة الشاهقة ، والمنازل الكوخية المحدودبة الأجورية .

كنا مجموعة شباب يعتنى بذاكرته ، ويحشدها ، ويحاول إثراءها بصور التجارب ، والأفكار ، والمعرفة .

وعبر بنا القطار ـ ذلك اليوم ـ وسط بيوت ريفية على الجانبين ، والحشائش الخضراء تكسو وتغطى الأرض الممتدة المريحة للنظر ، وطرحنا مطلباً لايبدو صعباً على الذين دعونا وتكلفوا باطلاعنا على بلاد الانجليز .

ـ قلنا : نود أن نرى الريف الانجليزى ، وقلت وحدى مستطرداً : وندخل بيتاً من بيوته لمشاهدته من الداخل !!

وجاءت إجابة فى اذنى نادرة : أنتم تعرفوننا أكثر مما نعرف أنفسنا !

ـ واجبت بصوت منخفض يلائم هدوء ذلك الجو : لكننا ايضاً نريد أن « نعرف » نفوسنا !!

ودخلنا بيتاً ريفياً .. كان يلوح من الخارج فقيراً .. متواضعاً جداً ، ورأيناه من الداخل بسيطاً رائعاً ، ومنظماً مغريا ، ومريحا فاتنا .. إنه خلاصة ذوق ، أو كما قال « جاك بيرك : إن الذوق قمة الحضارة !!

ووقفت عند نافذته القريبة من الأرض مبعداً الستائر .. أكاد أخرج ساقى ، واقفز الى خارج البيت لأجرى على هذه الحشائش .. أجرى حتى أضيع ويتأكد أن لايمكن العثور على ، وأهيم بلا حدود .. بلا ظنون !

وعند وقوفى .. اقترب منى زميل يقول : انى اتمنى شيئاً مريحاً ، ورائعاً هذه اللحظة !؟

ـ قلت : ماذا تتمنى بهذه الشجاعة المتناهية ؟!

ـ قال : أتمنى أن افقد ذاكرتى !!

ـ قلت : ساتناول قضيباً من الحديد ، وبضربة « ذات مقاس » أهوى بها على رأسك ، ليس الى درجة الموت ، وسوف لاتموت ، وتخرج من المستشفى فاقداً للذاكرة !

ـ قال : دعنى أكتب لك اقراراً .. أن ماستفعله بى هو برغبتى !

ـ قلت : تريث .. لا أوافق أن اعطيك فرصة للراحة وحدك !

ـ قال : حتى فى الضرب والايذاء ؟! .. صدقنى انها تجربة عظيمة ، وغامرة بالسعادة .. أن تفقد ذاكرتك ، فأنت مولود جديد !!

ـ قلت : ما الذى أوحى اليك بهذه الخواطر

ـ قال هذه الجنة على الأرض !

ـ قلت : وعدنا الله بأحسن منها فى الأخرة !

ـ قال : يبدو أن موعد موتى بعيد .. فدعنى أختلس من هنا الآن !!

ـ قلت : واذا فقدت ذاكرتك ؟!

ـ قال : سأبدأ حياة جديدة ... أنسى فيها كل ما يقرع ذهنى من مشاكل الانسان ، وكل ما يخرم صدرى من معاناة والأم الأرض . سأكون انساناً جديداً أستطيع أن أبنى لنفسى واقعاً يغاير ما هو « شيء » ذاكرتى اليوم !

ـ قلت : ولاتتمنى بعد ذلك أن تفقد ذاكرتك من جديد ؟!

ـ قال : الذين يعيشون فصولا متعددة مابين باردة ، وحارة ، ودافئة ... هم وحدهم الذين يتمنون ذلك الذى تتحدث عنه ، لكنى حينما افقد ذاكرتى فلن تكون حياتى بعد ذلك إلا فصلا واحداً .. إما شتاء مستمراً ، شديد البرودة ، وإما صيفاً ساخناً لايتركنى أستعيد أنفاسى ، وإما دافئاً رغيداً أعيش فيه كهذه العجوز صاحبة هذا البيت الريفى .. تعرف ماذا تفعل عندما تستيقظ ، وماذا يتسلسل ويتعاقب فى ساعات اليوم ، وتعرف متى تنام !

ـ قلت : هذه دعة ، وشيخوخة !

ـ قال : خطأ .. هذه هى السعادة ، اسألها كم مرة أحبت ؟ .. انها لاتذكر سوى انها مرتاحة الآن .. وانها كانت جميلة وعشقها الكثيرون ، وتزوجت الرجل الذى أحبت ، ولم تبك عليه يوم مات .. لأنها مقتنعة أنها استمتعت معه كل أيامه التى عاشها معها ، وانه لم يتبق لها ماتريد .. فهى كالذى فقد ذاكرته ، و .. استلقى على سرير متحرك يريه كل ما فى الجهات الأربع ، وما عليها !

ـ قلت : لكنك شاب ، وخلفك صغار ، وحياة لم تتكامل بعد ، وكفاح مرير من أجل لقمة العيش ، وتحقيق أحلام الحياة الرغدة !

ـ قال : اذا فقدت ذاكرتى شعرت أننى ملك الأرض ، وملك المطر ، والشمس ، والنجمة ، والعشب المنسرح .. أما بهذه الذاكرة فالغرور طاغ ، والرغبات لاتنتهى ،



سارة برنار

والمتابعة من الآخرين تتحول ظلا لكلماتك .. أشعر أن الأرض ملكى ، وأن المطر يجب أن يسقى هذه الأرض ، والشمس تدفئها ، والنجمة تزين ليلها ، والعشب يتحول الى نخلة تطرح جنيا ، أو هكذا أريد !

قلت : وهذه هى الحياة .. الأرض ملك لك اذا ما حافظت عليها ، والمطر يروى كل الأرض ، والنجمة فى السماء الواحدة . انك تتحدث كانك أسطورة ، أو كانك زمن سابق لأوانه !

ـ قال : لم اقصد هذا .. فانا لا أهتم بالتفاصيل . إنى فقط اتخلص من الشواغل ، وأبدو انسانا جديدا .

قلت : تستطيع .. اذا أحسنت تربية نفسك وتأديب خلقك ، واضاءة ذهنك !

ـ قال : ذلك كله ممكن ، وسهل فى دنيا الناس ، المرهق فقط اننا لانقدر أن نتخلص من اخطائنا ، انى اتمنى أن افقد ذاكرتى حتى أئد كل اخطائى ، واغسل سوءاتى ، واتذكر فقط انه ينبغى أن أكون انسانا !

ـ قلت ضاحكا : تريد أن تتعاطف مع الاستطلاع النفسى الذى اجرته على نفسها مرة « سارة برنار » .. فرغم انه قيل : (كان الارجنتينيون يصنعون لها بساطا من مناديلهم الموشاة المطرزة فى بيونس ايرس) .. الا انها كانت دائما تود الهروب من هذا التواجد الملح والعنيف .. حتى انها ذات مرة ، وهى تفكر فى الاختفاء من عيون الناس واعجابهم ، وحقدهم .. قالت لفيكتور هيجو :

« فيكتور أيها الأديب الرائع : انك تكتب المسرحيات التى أمثلها ويصفق الناس لى لنا ، وانت كاتب حوارها ، لكنك لم تقل لى مرة : أحبك ياسارة ! .. لأنك تجامل خجلك ، ولأنك تحب نفسك كثيرا . كم اتمنى يا فيكتور لو افقد ذاكرتى ، وأهيم فى الحقول ، ثم أصادفك عابرا فاتعرف عليك .. انسانين مجهولين يعرفان بعد ذلك كيف يحب كل منهما الآخر » !

وأراد أن يجيب الكاتب الكبير .. لكنها وضعت يدها على فمه برفق ، وقالت له مستطردة :

« دعنى أكمل .. أعرف ما تريد أن تجادلنى به ، وتبرره . أنت تعرف ـ بير لوى ـ أديب فرنسا . لقد كتب الى يقول : اننى مجنون .. لم أعد ادرك ماذا افعل .. اننى أبكى .. أرتجف . سارة .. اننى احبك ! »

كان من الأجمل والأمتع أن أحبه ايضا .. لكنه كان صاحب ذاكرة فظيعة . يا الهى .. لو فقد ذاكرته ، كنت احببته !!

وتطلعت الى وجه زميلى ، وكان صامتا ومغمضا ، ومنصتا ..

وسكت انتظر حواره ، أو جدله ، لكنه لم يتكلم ، فقلت :

ـ ما بالك.؟! .. لم تجب على ما رويته لك .. ما رأيك فى سارة برنار ، وفيكتور ، وبير لوى .. فى هذه الحادثة ؟!

ـ ورفع رأسه وقال : حتى طلب فقدان الذاكرة مشكلة ، لقد كانت « سارة » تبحث عن شىء خيالى .. كانت مجنونة فى حالة عقل تعيس . وكان فيكتور معذبا بين الجنون والعقل . أما بيير لوى فقد كان عاقلا فى حالة جنون !!

ـ قلت : فما الذى تبحث عنه ؟!

ـ قال بذهول : لا أدرى !!

ـ قلت : تبحث عن دفء الربيع فوق خط استواء دائم . اننا نفقد ذخائرنا فى لحظة اشتغالنا ، أو فى شتاء نفوسنا القارس .. اننا لايمكن أن نكون مجانين كليا ، أو عقلاء ، باستمرار ! .. ان فيكتور هيجو لم يفرط فى حب سارة برنار ، وأيضا لم يبل صادية نفسه من الحب ، ويستمتع به ! هؤلاء هم : « نحن » .. هؤلاء هم الناس ..

إننا نحتفل بالربيع فى الصيف ، ونرتعش من البرودة والشمس ساطعة فى كل مكان !

• • •

وسرت قشعريرة خفيفة فى كيانى .. طغت على الدفء ، واكتشفت اننى لم أفعل اكثر من التذكر ، وأن عنقى تصلب من كثرة « نهوضه » بين كتفى .. والليل يحمل فكرة الربيع . والمباشرة في الرؤية أعمق من وجوه البشر .. ينبغي إذن أن أريح رأسي وأنـــام !! .

عبد الله الجفري ـ جدة

مصر وفلسطين في العصر العثماني

من خلال وثائق المحكمة الشرعية المصرية

بقلم: الدكتور عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم
جامعة قطر

علاقات مصر بفلسطين فى العصر العثماني الأول (١٥١٧ ـ ١٧٩٨ م) ، تعتبر امتداداً تاريخياً وطبيعياً ، للعلاقات التى كانت قائمة بينهما ، منذ أقدم العصور ، والذى يعنينا فى هذا البحث ، وضع لمسات على هذه العلاقات ، وبخاصة فى **المجالات** الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، من خلال وثائق المحكمة الشرعية ، والتى يتبين منها للباحث ضخامة الدور الذى كان يقوم به أبناء المدن والقرى الواقعة فى الجزء الجنوبى من بلاد الشام (فلسطين) «١» فى تاريخ مصر الاقتصادى والاجتماعى والثقافى ، بل والسياسى . خلال هذا العصر .

ومن المعروف أن بلاد الشام بأقاليمها المختلفة ، كانت فى العصر المملوكى تكون جزءاً من الدولة المملوكية . وكان حكام أقاليمها نواباً للسلطان المملوكى بالقاهرة ، ولم تكن هناك حدود أو حواجز سياسية تفصل بين الاقليمين ، وبانهيار النظام المملوكى ، دخلت كل من مصر وبلاد الشام فى حوزة دولة واحدة وهى الدولة العثمانية ، وظللت الصلة بين الاقليمين قائمة ، حيث لم يعرفا كذلك الحدود السياسية بالمعنى المعروف لنا اليوم ، والباحث فى مصادر تاريخ العصر ، سواء منها الكتابات المعاصرة أو وثائق المحكمة الشرعية ـ التى تعتبر تسجيلا دقيقاً للحياة اليومية آنذاك ، فانه يجد كماً وافراً من هذه الوثائق التى تتعلق بأبناء المدن والقرى والمناطق الجنوبية من بلاد الشام (فلسطين) ونشاطاتهم المختلفة فى المدن والقرى المصرية ، وهذا ما يعنينا فى هذا البحث وبخاصة فى المجالات السابق الاشارة اليهـــا «٢» .

أما عن الارتباط السياسى بين مصر وفلسطين ، فقد سبقت لنا معالجة هذا الجانب ، فى بحث آخر ضمن علاقات بلاد الشام بمصر فى العصر العثمانى (١٥١٧ ـ ١٧٩٨) . وتكفى الاشارة هنا الى أن ارتباط أحداث البلدين السياسية خلال العصر العثمانى ، وبخاصة فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر ، حيث ازداد نفوذ القوى المحلية ، فى كلا الاقليمين ، وحدث تنسيق فى العمل بين هذه القوى المحلية ضد الحكم العثمانى (٣) ، وارتبطت أحداث البلدين ارتباطاً وثيقاً ، **كما هي مسجلة في كتابات التاريخ السياسي** الذى سبق لنا معالجته ، ولذا فان تركيزنا هنا منصب على المجالات الأخرى من واقع سجلات المحكمة الشرعية .

أولا : العلاقات الاقتصادية :

لعب أبناء المدن والقرى الفلسطينية ، دوراً بارزاً ، فى تاريخ مصر الاقتصادى ، خلال العصر العثمانى ويوجد كم ضخم من وثائق المحكمة الشرعية ، التى تتعلق بنشاط الفلسطينيين الاقتصادى فى مصر خلال هذا العصر . وترسم هذه الوثائق



رأى الأزهر الشريف أعدادا ضخمة من العلماء الفلسطينيين الذين تلقوا تعليمهم داخل أروقته .

صورة تفصيلية وواضحة للعلاقات الاقتصادية التى كانت قائمة بين المنطقة الجنوبية من بلاد الشام (فلسطين) وبين مصر ، كما أن هذه الوثائق توضح دور أبناء فلسطين فى تاريخ مصر الاقتصادى ونوعية **هذا الدور وضخامته ، فقد اتيحت لأبناء المدن والقرى الفلسطينية ـ كما هو واضح من نسبتهم إلى هذه المدن والقرى ـ فرص الاشتغال بالنشاط التجاري في** داخل مصر ، وفى شتى أرجاء شمالها وجنوبها على السواء ، كما عمل بعضهم على ممارسة هذا النشاط ما بين مصر وبلاد الشام ، وقد شمل نشاطهم مختلف السلع التى كانت رائجة فى مصر ، وبلاد الشام فى تلك الفترة ، فمن بين السلع التى يرد ذكرها فى هذه الوثائق ، الأقمشة القطنية والحريرية ، البن ، التبغ ، الصابون ، المشروبات ، الحلوى ، وغير ذلك من السلع الأخرى (٤) . وتمكن بعض الفلسطينيين عن طريق ممارسة النشاط التجارى ، من تكوين رأس مال ضخم استثمره فى تكوين شركات تجارية كبيرة ، أو فى تملك العقارات فى المدن المصرية المختلفة أو فى التزام الأراضى الزراعية ، أو فى بعض الصناعات المحلية . ويكفى أن يقف الباحث من خلال هذه الوثائق على علو نسبة التجار من أبناء فلسطين الذين كانوا يمتلكون محلات تجارية فى سوق الصاغة بالقاهرة . وكذلك فى سوق الحمزاوى ، وهى السوق التى كانت متخصصة فى تجارة الأقمشة المحلية والمستوردة ، وبصورة خاصة الأقمشة الحريرية والقطنية (٥) وفى نفس الوقت فان هذه السلع كانت من بين السلع التى تستورد من بلاد الشام ، كما ذكر ذلك شابرول أحد علماء الحملة الفرنسية ضمن قائمة البضائع المستوردة إلى مصر عام ١٧٧٥ م (٦) وقد كان إقبال الشعب المصرى على السلع الشامية فى تلك العصر كبيراً ، كذلك اشتغل بعض الفلسطينيين بالمتاجرة فى الحلوى وصناعتها وكذلك عمل البقسماط (٧) هذا الى جانب اشتغالهم بالحرف المهنية الأخرى مثلا : الحلاقة والحياكة . وصناعة الأسلحة وبخاصة فى مدينتى القاهرة والأسكندرية (٨) والمتتبع لخريطة القاهرة العمرانية فى العصر العثمانى ، من خلال وثائق المحكمة الشرعية ، يجد كثيراً من الوكالات التجارية التى كانت قائمة آنذاك ، والكثير من أحياء القاهرة ، كانت عامرة بالشوام الذين ينتمون إلى القرى والمدن الفلسطينية ، وامتد نشاط هؤلاء الفلسطينيين الى التجارة الخارجية ، فمارسوا عمليات الاستيراد والتصدير من مصر وإليها وأصبح لهم وكلاء **تجاريون** ، يعملون باسمهم فى موانى البحر الأحمر ، مثل جدة والمخا والسويس كما كان لهم وكلاء ببلاد الشام ، ولم يقتصر نشاطهم على التجارة فى السلع الشامية وإنما امتد الى جميع السلع المستوردة من أوروبا وبلاد الشرق فشمل البن والأقمشة الهندية والأسلحة والحلى وغيرها (٩) .

ومن واقع وثائق محكمة القسمة العسكرية بارشيف المحكمة الشرعية بالقاهرة ، يستطيع الباحث أن يقف على ضخامة التركات والثروات التى خلفها أبناء فلسطين لورثتهم سواء الموجود منهم بمصر أو ببلاد الشام ، حيث أن حجج إعلام الوراثة ، وتحديد الورثة كانت فى كثير من الأحيان تصدر من محاكم بلاد الشام ، ويقرها القضاء فى مصر بعد ثبوت صحتها (١٠) ولما كان المجتمع فى ذلك الوقت يقوم على أساس التنظيم الطائفى ، فابناء كل مهنة يكونون طائفة لها شيخها ووكيلها ، وكذلك المشتغلين بالتجارة ، فتجار كل سلعة يكونون فيما بينهم اتحاداً أو طائفة لها شيخها ووكيلها كذلك بهدف حماية السلعة والتحكم فى أسعارها ، فان كثيراً من الشوام الذين ينتمون الى المناطق الفلسطينية أساساً تمكنوا من الوصول إلى منصب مشيخة الطائفة التى ينتسبون إليها . فقد استطاع الخواجا محمد الشامى الفلسطينى الأصل أن يصبح « شيخ الشرب » « بسوق الشرب » ، واستطاع الحاج أحمد الفلسطيني الشامى أن يصبح « شيخ **طائفة** القطانين » أى المشتغلين بصنع الملابس القطنية فى وكالة القطن ببولاق . وهناك عدد كبير تسجل الوثائق

اسماءهم كشيوخ لطوائف المهن التى يعملون بها ويوصفون بوصف الفلسطينى الشامى (١١) .

وقد كان هؤلاء التجار والحرفيون كما يتضح من الوثائق ينتمون إلى جميع المناطق الفلسطينية ، فنجد من بينهم الغزى **والحيفاوي** والنابلسى والخليلى والصفدى ، والقدسى . والرملى واليافى وغير ذلك من البلدان الفلسطينية التى كانوا ينتسبون إليها (١٢) .

اما عن استثمار هؤلاء الفلسطينيين لرؤوس الأموال التى تكونت لديهم ، فقد استثمروها بحرية كما يتضح من الوثائق فى كل أوجه الاستثمار الممكنة ، مثل شراء العقارات والدور فى القاهرة وغيرها من المدن المصرية ، وفى التزام الأراضى الزراعية فى مختلف انحاء مصر ، وفى عمليات الاستيراد والتصدير ما بين مصر وبلاد الشام واليمن والهند ، حتى انه ليصعب على اى باحث فى تاريخ مصر الاقتصادى فى العصر العثمانى أن يغفل الدور الاقتصادى البارز الذى لعبه التجار الفلسطينيون فى هذا التاريخ ، وبذلك حافظ هؤلاء التجار على استمرار العلاقات الاقتصادية بين مصر وفلسطين فى ذلك العصر (١٣) .

ثانياً: العلاقات الثقافية

يكفى للباحث كى يدرك ضخامة العلاقات الثقافية بين مصر وفلسطين أن يرجع إلى كتب التراجم وسجلات المحاكم الشرعية ، ووثائق العصر ، وبخاصة ما يتعلق منها بالازهر فانه ولاشك سوف يقف على سلسلة كبيرة ومتصلة الحلقات من المثقفين الفلسطينيين الذين تلقوا تعليمهم بالأزهر ، كما أنه سوف يجد من بين علماء الأزهر كثيراً من الفلسطينيين حيث أن بعضهم تصدى للتدريس والافتاء بالجامع

الأزهر بعد ان اجيزوا من علمائه ونعتوا بانهم « من اعيان اهل الافادة والافتاء» بالجامع الأزهر، بل ان هناك علماء فلسطينيين جمعوا بين وظيفتى التدريس والافتاء فى نفس الوقت مثل الشيخ « حسن **المقدسي الحنفي** ، فقد ذكرت الوثائق أنه كان « من أعيان أهل الافادة **والافتاء** والتدريس بالجامع الأزهر » (١٤) .

وقد كان للشوام رواقهم الخاص بهم فى الجامع الأزهر ، عرف باسم رواق السادة الشوام ، وكانت مشيخة هذا الرواق ونظارة اوقافه توكلان الى أحد علماء الشوام باختيارهم ، بشرط أن يكون ممن يشتغلون بالتدريس فى الجامع الأزهر (١٥) ، وتسجل الوثائق ذلك فتذكر أن « الشيخ الامام العلامة الهمام شهاب الملة والدين مولانا الشيخ أحمد الفالوجى ، شيخ رواق السادة الشوام المجاورين بالجامع الأزهر – الشافعى عين أعيان أهل الافادة والتدريس بالجامع الأزهر (١٦) و « الشيخ شهاب الدين أحمد بن المرحوم الشيخ عنبر الشامى شيخ رواق السادة الشوام بالجامع الأزهر (١٧) » ، هكذا نرى أن الذى يتولى مشيخة رواق السادة الشوام ، كان ولابد أن يكون شامياً ، ومشتغلا بالتدريس فى الأزهر ، حتى يستطيع أن يشرف على المجاورين (طلاب) الشوام إشرافاً دقيقاً وصادقاً ، وقد كان رواق الشوام من أكبر اروقة الأزهر جميعها وقد اوقف عليه بعض الأمراء المماليك ، منذ عصر السلطان قايتباى كثيراً من الأوقاف وقد كان العلماء الشوام فريقين ، أحدهما : ولد ونشأ وتعلم فى مصر ولكنه ظل يحتفظ بنسبه إلى بلاد الشام ، مثل إبراهيم بن ابى بكر بن اسماعيل العوفى .

كان من اعيان الأفاضل له اليد الطولى فى الفرائض والحساب ، مع التبحر فى الفقه وغيره من العلوم الدينية ، وهو حنبلى المذهب ، نشأ بمصر وأخذ الفقه عن العلامة منصور البهوتى ، والحديث عن جمع من شيوخ الأزهر ، وأجازه غالب شيوخه وألف مؤلفات منها شرح على منتهى الارادات فى فقه مذهبه فى مجلدات ، ومناسك الحج فى مجلدين ، ورسائل كثيرة فى الفرائض والحساب ، وكان لطيف المذاكرة، حسن المحاضرة ، قوى الفكرة ، واسع العقل ، وكان فيه رياسة وحشمة موفورة (١٨) ، ومروءة .

والفريق الثانى من هؤلاء العلماء ، كان يأتى الى مصر للالتقاء بعلماء أزهرها ، والأخذ عنهم فى بعض العلوم وإجازتهم ، وكانت مدة اقامتهم فيها لفترات قد تطول وقد تقصر ، حسب قدراتهم التى تمكنهم من الحصول على الاجازة المطلوبة مثل غرس **الدين محمد بن احمد الأزدي الخليلي** ١٦٤٧ **و ياسين بن محمد الخليلي كذلك المتوفي** ١٦٧٥ م ، والعلامة شمس الدين حامد الصفدى الشافعى المتوفى ١٥٨٢» وغيرهم كثير ، وأحياناً كان نفر من هذا الفريق يشتغل الى جانب طلبة العلم ببعض الأمور التى تمكنه من كسب عيشه مثل ابراهيم بن علي بن أحمد بن علي السعدى الذى كان « ياكل من كسب يمينه ، ويتردد الى القاهرة للتجارة ولقي بها الجلة من العلماء مثل النجم الغيطى صاحب المعراج والاستاذ محمد البكرى والشمس الرملى والبنوفرى وأخذ عنهم » (١٩) بل ان البعض من هذا الفريق اثر الاستقرار بمصر والاشتغال ببعض الأمور التى تدر عليهم بعض الرزق الذى يكفى لمعاشهم ، مثل كتابة الحجج فى المحكمة الشرعية وغير ذلك حتى أن بعضهم استطاع التدرج فى السلك القضائى حتى تولوا نيابة القضاء فى مصر مثل القاضى السيد نجم الدين بن صالح بن أحمد بن محمد بن صالح بن عبد الله التمرتاشى الغزى الحنفى الذى ذكر عنه الجبرتى أنه تولى « نيابة أبيار بالمنوفية ، ومرسومات بنظارات أوقاف ، فاقام بأبيار قاضياً نيفا وعشرين سنة ، وهو يشترى نيابتها كل دور ، وابتدع فيها الكشف على الاوقاف القديمة والمساجد الخربة التى بالولاية وحساب الواضعين ايديهم على أرزاقها ، واطيانها حتى جمع من ذلك أموالا ، ثم رجع الى مصر (القاهرة) واشترى داراً عظيمة بدرب قرمز بين القصرين ، واشترى المماليك والجوارى ، وترونق حاله ، واشتهر أمره وركب الخيول المسومة وصار من عداد الوجهاء ، ثم تولى **نيابة القضاء بمصر فى سنة (١١٨٦هـ / ١٧٧٢م) ، فازدادت وجاهته وانتشر صيته وابتكر أموراً منها تحليف الشهود ، وغير ذلك ووصل به الأمر إلى حد انه جعل مملوكه على أفندي يتولى نيابات القضاء في المحلة ومنوف وغيرها .** (٢٠) **اما الفريق**

الذى عاد الى بلاده بعد اجازته فى علوم الفقه والحديث والعربية ، فقد حمل رسالته فى نشر ما تعلمه بين ابناء وطنه او تولى مناصب الافتاء والتدريس او نيابة القضاء فى احدى محاكم بلاد الشام واذا ما واصلنا تتبع هؤلاء العلماء من كتب وتراجم العصر **ووثائقه منذ القرن السادس عشر ، وحتى نهاية القرن الثامن عشر ، لخرجنا بالملاحظات التالية :**

أولا ـ نجد أن معظم العلماء الذين برزوا على المسرح الثقافى فى بلاد الشام عامة ، وفلسطين بخاصة تلقوا علومهم اساسا فى مصر فى ازهرها الشريف ، واجيزوا على يد علماء مصريين فى مختلف علوم الدين واللغة ، وظل هؤلاء العلماء كما تذكر المصادر على صلة باساتذتهم فى الأزهر ، يرسلون اليهم طلابهم احيانا ، ويناقشونهم ويستفتونهم عن طريق المراسلة فى بعض المسائل الأخرى .

ثانيا : أن بعض هؤلاء العلماء حسنت لهم المعيشة فى مصر ، فاستقروا بها ، وتصدوا للتدريس فى الأزهر وحازوا على مكانة عالية بين علماء عصرهم مثل مرعى ابن يوسف الحنبلى ، الذى ينتمى الى قرية طولكرم من قرى نابلس ، وكذا ابن اخيه الشيخ احمد بن يحيى بن يوسف الحنبلى وقد استطاع بعض هؤلاء العلماء خلال القرن الثامن أن يصل الى منصبى مشيخة الأزهر ورياسة القضاء فى مصر .

ثالثا : تذكر المصادر ووثائق المحكمة الشرعية فى صدر ترجمتها لهؤلاء العلماء كثيراً من الالقاب التى تدل على النباهة والذكاء مثل القاب « الامام ، الفقيه ، العلامة ، المحدث ، الباحث ، الأديب ، اللبيب ، النجيب ، المفوه ، الفهامة ، شهاب الدين والملة » وغير ذلك من الالقاب التى تدل على مكانة هؤلاء العلماء العلمية كما تدل فى نفس الوقت على اعجاب علماء عصرهم بهم (٢١) وهكذا نجد انه عن **طريق هذا الوجود الثقافي الفلسطيني** الشامى فى مصر ، أصبحت علاقة مصر ببلاد الشام عامة وفلسطين خاصة فى هذا المجال علاقة تاثر وتاثير ، أخذ وعطاء ، أى وجود تكامل ثقافى بين الاقليمين .

ثالثاً : العلاقة الاجتماعية

يتميز دور الفلسطينيين الشوام فى الحياة الاجتماعية فى مصر فى العصر العثمانى بانه ذا شقين : شق ايجابى ، وشق سلبى .

أما عن الشق الايجابى : فيبرز واضحاً حيث استقرت غالبية فلسطينية شاملة شامية فى القاهرة والمدن المصرية الأخرى والعديد من القرى المصرية ، وتتضح ايجابية هذا الدور مما تسجله لنا وثائق المحكمة الشرعية ، فان اشتغال الفلسطينيين الشوام بالتجارة وبالحرف المهنية جعلهم على علاقة قوية بطوائف المجتمع المصرى الأخرى والاندماج مع هذه الطوائف والتاثر بها والتاثير فيها ، والامتزاج معها دما ومعاملة ، فنعثر بين هذه الوثائق على كم ضخم من عقود الزواج التى تمت بين فلسطينيين شوام ومصريات ومغربيات والعكس بالعكس . ومن السمات البارزة فى هذه العقود ان شهودها معظمهم إن لم يكونوا كلهم من الفلسطينيين . كذلك نجد فى دفاتر محكمة القسمة العسكرية التى كانت تسجل فيها تركات المتوفين من رجال الأوجاقات كثيراً من الفلسطينيين الشوام الذين اندمجوا فى الأوجاقات العسكرية التى تتكون منها الحامية العثمانية فى مصر ، وتمتعوا بامتيازات رجال هذه الفرق ، واندمجوا فيها وصاهروا بعض اسرها إدراكا منهم لاهمية الاندماج الاجتماعى مع الفرق العسكرية (٢٢) .

وتذكر المصادر المعاصرة لبعض الشوام الذين طابت لهم المعيشة فى مصر فاستقروا فيها وتخلقوا باخلاق أهلها وتزيوا بزيهم ، وترك هذا الوجود الفلسطيني فى مصر بصماته الواضحة على المجتمع المصرى وذوقه ، حتى وصل اعجاب المجتمع المصرى ببعض الأطعمة والملبوسات الشامية الى درجة تفوق مجرد الاعجاب العادى ، فالشاشات الشامية والملابس الحريرية كانت لها شهرة واسعة فى مختلف أوساط المجتمع المصرى ، ومن جانب آخر ان الفلسطينيين الشوام الذين استقروا فى مصر علماء وتجاراً ، أعجبوا بالشخصية المصرية واندمجوا وتخلقوا باخلاقها وأصبحوا مصريين فى سلوكهم شاميين فى أصولهم ، وحمل بعضهم صفة المصرى الى نسبة الشامى « مصرى الاقامة » شامى الأصل . » هكذا كان دور الفلسطينيين الشوام الايجابى فى حياة المجتمع المصرى تاثيرا وتاثرا أخذا وعطاء (٢٣) » أما عن الشق السلبى : من دور الفلسطينيين الشوام فى المجتمع المصرى ، فيتمثل فى دور العربان البدو ، الذين كثيرا ما أغاروا على ريف مصر وقراها يسلبون وينهبون وبخاصة فى ريف الوجه البحرى ومصر الوسطى ، واعتدائهم المتكرر على قافلة الحج المصرى وسلب ما تحمله ، حتى اضطرت سلطات القاهرة الى تعيين قائد من الأمراء المماليك لحماية قافلة الحج أصبح يحمل لقب « أمير الحج » وصار هذا المنصب من أكبر المناصب التى يتنافس عليها الأمراء المماليك ، ويصدر به فرمان من السلطان العثمانى ، ومع ذلك استمرت عمليات هؤلاء العربان العدوانية حتى دخول الحملة الفرنسية الاراضى المصرية ، وقد قام علماء هذه الحملة بتسجيل هؤلاء العربان والمناطق التى كانت تتعرض لعدوانهم والمناطق الجنوبية من بلاد الشام التى ينتمون إليها ومحاولة استقرارهم ، ذلك هو الجانب السلبى المتمثل فى عمليات العربان الفلسطينيين العدوانية ضد المجتمع المصرى ، خلال فترة الحكم العثمانى (٢٤) .

● ●

تقـــويم :

هكذا نرى ان الفلسطينيين ، قد قاموا بدور كبير فى تاريخ مصر فى العصر العثمانى ، واذا كان الاقليمان يكونان فى ظل الحكم المملوكى جناحين لجسم واحد هو الامبراطورية المملوكية ، ولا توجد قيود تحد من العلاقة بينهما ، ورغم انهيار هذه الامبراطورية ، والتغيير الذى حدث فى السلطة الادارية والسياسية فان العلاقة بينهما فى ظل الحكم العثمانى بقيت قائمة ،

مصر وفلسطين
في العصر العثماني

ولذا بقيت الصلة بين الاقليمين مستمرة ، وظلت أحداث كل منهما وأحواله تتأثر بأحداث الاقليم الآخر وتؤثر به ، فالعلاقات الاقتصادية استمرت على حالها ، وظلت السلع الشامية توزع فى المدن والقرى المصرية على يد أبناء فلسطين . وقد سجل علماء الحملة الفرنسية ذلك كما سبقت الاشارة ، وكذلك فعلت وثائق المحكمة الشرعية مدللة على ضخامة حجم السلع التى كانت تستوردها مصر من بلاد الشام ، من دمشق وحلب وطرابلس وبيروت وصفد والقدس وغزة على يد هؤلاء التجار الفلسطينيين كما تسجل لنا هذه المصادر أن بعض التجار الفلسطينيين استطاع أن يكون رأس مال ضخم ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فان الروابط الثقافية بين الاقليمين رغم ما يقال عن التخلف الذى أصاب الحياة الثقافية فى ظل الحكم العثمانى فان التراجم التى سجلتها المصادر المعاصرة ووثائق العصر للعلماء الفلسطينيين الشوام الذين أتوا الى مصر وتعلموا فيها وعلموا ودرسوا ، ثم ارتحلوا الى بلادهم وتصدوا للتدريس فيها لتثبت قوة هذه العلاقة ونشاطها بل وازدهارها ، فكثير من المصادر ، والتراجم والمصنفات من مختلف فنون العلوم النقلية والعقلية وضعت على يد هؤلاء العلماء .

أما العلاقات الاجتماعية بين الاقليمين فكانت نتاجاً طبيعياً للعلاقات الاقتصادية والثقافية ، فلاشك ان إقامة بعض طوائف **الفلسطينيين فى مصر وارتحالهم منها وإليها أدى إلى امتزاجهم وتاثيرهم في المجتمع** المصرى وتأثرهم به ، وتأثر عادات وتقاليد وذوق كل من الاقليمين بعادات وتقاليد وذوق مجتمع الاقليم الآخر ، وظل هذا التأثير قائماً حتى يومنا هذا ولم يعد قصراً على العصر العثمانى كما سبقت الاشارة .

خلاصة القول ان العلاقة بين الاقليمين كانت علاقات تأثر وتأثير ، أخذ وعطاء بين إقليمين من أمة واحدة مهما اختلفت صورة الحكم والهيئة الحاكمة .

د. عبد الرحيم عبد الرحمن

مصادر البحث

أولا : وثائق المحكمة الشرعية المصرية (غير منشورة) :

توجد هذه الوثائق بأرشيف المحكمة الشرعية ، المحفوظ بمقر الشهر العقارى المصرى بشارع رمسيس بالقاهرة ، والسجلات التى استعملت فى البحث هى :

١ ـ سجلات محكمة القسمة العسكرية .
٢ ـ سجلات محكمة الصالحية النجمية
٣ ـ سجلات اسقاط القرى .

ثانياً : المخطوطات غير المنشورة :

١ ـ البكرى (محمد بن أبى السرور) . اللطائف الربانية على المنح الرحمانية فى الدولة العثمانية ، محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم (٨٠) تاريخ .

٢ ـ يوسف الملوانى .
تحفة الأحباب بمن ملك مصر من الملوك والنواب ، ونسخة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٦٢٣ تاريخ ، مصورة عن النسخة الاصلية المكتوبة بخط المؤلف والمحفوظة بمكتبة رفاعة رافع الطهطاوى بسوهاج تحت رقم (٨٠) تاريخ .

ثالثاً : المصادر المطبوعة :

١ ـ البكرى (محمد بن أبى السرور) كشف الكربة فى رفع الطلبة تحقيق دكتور عبد الرحيم عبد الرحمن المجلة التاريخية المصرية « مجلد ٢٣ » سنة ١٩٧٦ م .

٢ ـ الجبرتى : (عبد الرحمن بن حسن) عجائب الآثار فى التراجم والأخبار ، ٤ اجزاء طبع القاهرة ١٩٠٤ م .

٣ ـ خفاجى (محمد عبد المنعم) الأزهر فى ألف عام ، الجزء الثانى ـ القاهرة .

٤ ـ شابرول (ج . دى) دراسة فى عادات وتقاليد سكان مصر المحدثين ، وصف مصر ، الترجمة الكاملة ، ترجمة زهير الشايب ، الطبعة الثانية ، مكتبة الخانجى ـ القاهرة ١٩٧٩ م .

٥ ـ رافق ، عبد الكريم (دكتور) بلاد الشام ومصر ، من الفتح العثمانى الى حملة نابليون بونابرت ١٥١٦ ـ ١٧٩٨ م ، الطبعة الثانية ، دمشق سنة ١٩٦٨ م .

٦ ـ عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم (دكتور) ، الريف المصري في القرن الثامن عشر ، طبع جامعة عين شمس القاهرة ١٩٧٤م

٧ ـ عبد الغنى (أحمد شلبى) أوضح الاشارات فيمن تولى مصر القاهرة من الوزراء والباشسيات تحقيق وتقديم دكتور عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم ، مكتبة الخانجى القاهرة ١٩٧٩ م .

٨ ـ عوض (عبد العزيز محمد) ، دكتور الادارة العثمانية فى ولاية سورية ١٨٦٤ ـ ١٩١٤ م ، دار المعارف القاهرة ١٩٦٩ م .

٩ ـ المحبى ، خلاصة الأثر فى أعيان القرن الحادى عشر ، طبع بيروت بدون تاريخ .

١٠ ـ المرادى (محمد خليل) سلك الدرر فى أعيان القرن الثانى عشر ، طبع بغداد ، مكتبة المتنبى .

هـــــوامـــــش

(١) بخصوص التقسيمات الادارية في بلاد الشام في العصر العثماني ، انظر : عوض ، عبد العزيز محمد ، الادارة العثمانية في ولاية سورية ١٨٦٤ ـ ١٩١٤ ص ٦١ ـ ٦٣ .

(٢) على سبيل المثال لا الحصر ، نعثر فى سجل واحد من سجلات محكمة القسمة العسكرية ، وهو السجل رقم (١٧٥) ، الخاص بالفترة من ٢٢ ربيع الأول ١١٧٧هـ ـ ٢٠ ذي الحجة ١١٧٧هـ/٣٠ سبتمبر ١٧٦٣م/٢٠ يونية ١٧٦٤م ، على الوثائق التالية المتعلقة بالتجار الشوام من ابناء فلسطين ، وثيقة رقم ٣٤٦ ص٢٤٢ ، رقم ٤٢٧ ص٣٠٦ ، رقم ٤٣٤ ، رقم ٥٨٢ ص٤٣١ ، رقم ٥٨٣ ص٤٣١ ، رقم ٥٨٤ ص٤٣٥ ، رقم ٦١٨ ص٤٥٩ . وهكذا دواليك في كل سجلات المحاكم الشرعية المصرية ، والتي قمنا بحصرها وحصر سجلاتها فى كتاب « الريف المصري فى القرن الثامن عشر » ، ص٣٩ ، وعددها (١٦) محكمة وعدد سجلاتها (٢٠٦٦) سجلا .

(٣) لمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع انظر :رافق ، عبد الكريم ، بلاد الشام ومصر من الفتح العثماني الى حملة نابليون بونابرت (١٥١٦ ـ ١٧٩٨م) ص٣٤٥ ـ ٤١٨

(٤) ارشيف المحكمة الشرعية ، سجلات محكمة الصالحية النجمية سجل (٥١٩) ص٢٧٠ ، وثيقة ٥٣٦، سجلات القسمة العسكرية ، سجل (١٧٥) ، ص ٣٠٦ مادة ٤٢٧ سجل ٦٨٤ ، ص٦ ، وثيقة ١٥ ، ص ٨٢ وثيقة ١٧٩ ، ص ١٠٦ ، وثيقة ٣٢٧

(٥) ارشيف المحكمة الشرعية ، محكمة القسمة العسكرية ، سجل ١٧٥ ، مادة ٣٨٣ ، ص ٢٧٠ ، المجلة التاريخية المغربية ، عدد ١٠ ، ١١ ص ٩٨ ـ ١٠٠ ، سجل ١٦٥ قسمة عسكرية ، ص ٢٠٢ ، مادة ٧

(٦) ج . دى . شابرول دراسة فى عادات وتقاليد سكان مصر المحدثين ضمن ابحاث وصف مصر ، ترجمة : زهير الشايب ، الطبعة الثانية ، طبع القاهرة ١٩٧٩ م ص ٢٣٨ ـ ٢٤٣ .

(٧) ارشيف المحكمة الشرعية ، محكمة القسمة العسكرية سجل ٦٨٤ ، ص ١٠٦ ، وثيقة ٢٢٧ .

(٨) ارشيف المحكمة الشرعية ، محكمة القسمة العسكرية سجل ٦٨٤ ، ص ٦ ، وثيقة ١٥ ، ص ٨٢ ، وثيقة ١٧٩ .

(٩) ارشيف المحكمة الشرعية ، محكمة القسمة العسكرية ، سجل ١٦٥ ، ص٢٠٢ ، وثيقة ٣٠٧ ، سجل ١١٤ ص٤٨ ، وثيقة ٣٨ ص ٥٣ ، وثيقة ٤١ ، سجل ١٤٥ ، ص ٤١ وثيقة ٣٨ ، سجل ٦٨٤ ص ٨٢ ، وثيقة ١٧٩ ، ص ١٠٦ وثيقة ٢٢٧ ، سجل ١٧٥ ، ص ٣٠٦ وثيقة ٤٢٧ ، ومحكمة الصالحية النجمية سجل ٥١٩ ، ص ٢٧٠ ، وثيقة ٥٣٦ ، انظر كذلك بخصوص التجار الشوام من ابناء فلسطين ومناطق انتشارهم فى القاهرة ، المصدر القيم الذى كتبه البروفسور اندريه ريمون عن الحرفيين والتجار فى القاهرة فى القرن الثامن عشر .

(١٠) ارشيف المحكمة الشرعية ، محكمة القسمة العسكرية ، سجل ٧ ص ١٧٩ ، وثيقة ١٨١ ، سجل ١٦٥ ص ٤٨ وثيقة ١٠٣٨ سجل ١٧٥ ص ٤٣١ ، وثيقة ٥٨٢ سجل ١٤٥ ، ص ٧١ وثيقة ٩٥ وسجلات اسقاط القرى ، سجل ٧ ، ص ٧٩ ، وثيقة ١١٨ ، وسجل ١٨ ، ص ١١ بدون رقم للوثيقة ، سجلات الديوان العالى ، سجل رقم ١ ، ص ٨٥ ، وثيقة ١٧٦ ، ص ٣٠ ، وثيقة ٥٧ .

(١١) ارشيف المحكمة العسكرية ، محكمة القسمة العسكرية ، سجل ٧ ص ١٧٩ وثيقة ١٨١ . سجلات الديوان العالى ، سجل ١ ص ٨٥ ، وثيقة ١٧٦ ، قسمة عسكرية سجل ١٧٥ ص ٣٠٦ ، وثيقة ٤٢٧ .

(١٢) ارشيف المحكمة الشرعية ، قسمة عسكرية ، سجل ١٧٥ وثائق رقم ٣٤٦ ، ٤٢٧ ، ٤٣٤ ، ٤٦٦ ، ٤٧٧ ، ٥٨٢ ، ٥٨٣ ، ٥٨٤ ، سجل ١٦٥ وثيقة ٣٨ ، سجل ١٤٥ ، وثائق ٣٨ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٩ ، هذا على سبيل المثال لا الحصر .

(١٣) ارشيف المحكمة الشرعية ، سجل اسقاط القرى ، رقم ٧ ، ص ٧٩ وثيقة ١٨١ سجل ١٨ ، ص ١١ قسمة عسكرية ، سجل ١٧٥ ، ص ٤٣١ ، وثيقة ٥٨٣ ، سجل ١٦٥ ، ص ٤٨ ، وثيقة ٣٨ الصالحية النجمية ، سجل ٥١٩ ، ص ٢٧٠ مادة ٥٥٦ ، قسمة عسكرية ١٤٥ ، ص ٧١ وثيقة ٩٥ ، ص ٧٤ ، وثيقة ٩٩ .

(١٤) ارشيف المحكمة الشرعية ، محكمة القسمة العسكرية ، سجل ١٧٥ ص ٢٤٢ ، وثيقة ٣٤٦ .

(١٥) انشا هذا الرواق السلطان قايتباى (١٤٦٨ ـ ١٤٩٦ م) وزاد فيه الامير عثمان كتخدا ، وعبد الرحمن كتخدا فى القرن الثامن عشر حتى صار اكبر من رواق الصعايدة ، وكان باعلاه حوالى الثلاثين حجرة لمجاورى الشوام ، وبه خزانة كتب ، وقد اوقف عليه كل من الامير عثمان والامير عبد الرحمن كتخدا اوقافا ظلت جارية حتى حل هذه الاوقاف ، وكانت فيه بئر وحنفية ، انظر ، محمد عبد المنعم خفاجى «الازهر فى الف عام ، الجزء الثانى ، ص ٩٩ ـ ١٠٠» .

(١٦) ارشيف المحكمة الشرعية ، محكمة القسمة العسكرية ، سجل ١٧٥ ، ص ٣٣٥ ، وثيقة ٤٦٦ .

(١٧) ارشيف المحكمة الشرعية ، محكمة القسمة العسكرية ، سجل ١٧٢ ، ص ٣ وثيقة (٥) .

(١٨) المحبى ، خلاصة الاثر فى اعيان القرن الحادى عشر ، جـ ١ ، ص ٩ .

(١٩) المحبى ، المصدر السابق ، جـ ١ ص ٣١ .

(٢٠) عبد الرحمن الجبرتي ، عجائب الآثار فى التراجم والاخبار ، جـ ٢ (حوادث ١٢٠٠ هـ / ١٧٨٥ م) ، ص ١٢٧ .

(٢١) ارشيف المحكمة الشرعية ، محكمة القسمة العسكرية ، سجل ١٧٥ ، ص ٢٤٢ ، وثيقة ٣٤٦ ، ص ٣١١ ، وثيقة ٤٣٤ ، ص ٣٣٥ ، وثيقة ٤٦٦ ، سجل ١٧٢ ، ص ٣ ، وثيقة ٥ ، ص ٨٣ ، وثيقة ١٢١ . وكذلك كل الوثائق التى وردت بسجلات المحاكم المشار اليها سابقا

وبخصوص كتب التراجم انظر ، المحبى ، خلاصة الأثر ، جـ١ ، ص٩ ، ٣١ ، ٤٦ ، ٦٨ ، ص١٥٤ ـ ١٥٥ ـ ٢٩٧ ـ ٢٩٨ ـ ٣٦٧ ـ ٤٠٨ ـ ٤٨٩ جـ٢ ، ص ٢١ ، ٧٩ ، ٩٤ ، ١١٦ ، ١٤٠ ، ١٧٢ ، ٢٠٢ ، ٢٢١ ، ٢٣٨ ، ٢٨٥ ، ٣٤٤ ، ٤٣٤ ، جـ٣ ، ص١٤ ، ١٢٢ ، ٣٩٠ ، ٤٧٥ ، جـ٤ ، ص ٣٤ ، ٤٣٣ . السيد محمد خليل المرادي ، سلك الدرر في اعيان القرن الثاني عشر ، جـ١ ص ١٩ ، ٣٠ ، جـ٢ ، ص٨٣ ، ٣٥٤ ، ٢٩١ ، جـ٣ ، ص ٣ ، ٨٣ ، جـ٤ ، ص ٥٩ ، وكذلك فعل الجبرتي في تراجمه .

(٢٢) انظر الوثائق المشار إليها ، حتى ان معظم الوثائق المتعلقة بالتجار الشوام سجلت بسجلات محكمة القسمة العسكرية ، التى كانت تختص بتركات ومخلفات كل المنتمين الى الفرق العسكرية .

(٢٣) انظر تراجم الشوام السابق الاشارة إليها في المحبى ، والمرادي ، واحمد شلبى ، وابن ابي السرور ، والجبرتي ، وتحفة الاحباب ، (مخطوطة) ليوسف الملواني .

(٢٤) المصادر المعاصرة المشار إليها وكذلك دكتور عبد الرحيم عبد الرحمن ـ الريف المصري فى القرن الثامن عشر ، ص١٥٧ ـ ١٦٧ .

بسم الله الرحمن الرحيم

اعـــــلان

مسابقة وضع النشيد الوطنى لدولة قطر

تتوجه وزارة الاعلام بدعوة جميع الشعراء المبدعين من ابناء قطر للمشاركة فى مسابقة عامة لوضع كلمات النشيد الوطنى لدولة قطر ، مع مراعاة الاسس التالية :

١ ـ ان يعبر النشيد عن الروح العربية للشعب القطرى واعتزازه بالقيم الاسلامية وتفانيه فى حب الوطن وسعيه لمجده ورفعته .

٢ ـ ان يكون النشيد دالا على اصالة الانسان القطرى ومستوحى من تجربته التاريخية وبيئته المحلية عاكسا لاوجه التحولات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للبلاد .

٣ ـ ان تكون كلمات النشيد بسيطة ومركزة قوية وعميقة حتى يسهل تلحينه وغناؤه وترديده .

٤ ـ ان تكون فكرته جديدة ومبتكرة لم يسبق طرحها او تداولها من قبل باى وسيلة من وسائل النشر على اختلاف انواعها .

٥ ـ ان يكون النشيد باللغة العربية الفصحى وان يستوفى جميع الاصول الفنية المتعارف عليها لكتابة الشعر .

٦ ـ يحق لاى مشارك تقديم اكثر من نص واحد .

٧ ـ يمنح النص الفائز جائزة مالية قدرها ٢٠ ألف (عشرون الف ريال قطرى) .

٨ ـ النصوص الجديدة التى لايقع عليها الاختيار سيتم نشرها فى كتاب تصدره وزارة الاعلام (ادارة الثقافة والفنون) بعنوان « فى حب قطر » .

٩ ـ النص الفائز سيلحن وستعتمده الجهات الرسمية نشيدا وطنيا للدولة .

١٠ ـ اخر موعد لقبول النصوص هو يوم ٣١ ديسمبر ١٩٨٢م .

١١ ـ ترسل النصوص المشاركة بالبريد المسجل باسم السيد وكيل وزارة الاعلام الى العنوان التالى :

وزارة الاعلام

الدوحة ص . ب ١٨٣٦

ويكتب على المظروف من الخارج [مسابقة النشيد الوطنى] ■

العمامة المتمرّدة: تتجه إلى الاعتدال ومهادنة الاحتلال!

بقلم: فتحي رضوان

يقول الأستاذ أحمد أمين فى كتابه (زعماء الاصلاح) عن الشيخ محمد عبده ، ماسبق أن نقلناه فى الفصل الأول من صفحة ٣٠٩ :

« لو حكمنا منطق الواقع فيما سيحدث لقلنا إن الشيخ محمد عبده لا ينغمس فى هذه الثورة العرابية مطلقاً لا فى أولها ولا في آخرها لأنه لا يؤمن بالحكم النيابي السريع ، ولأنه يشايع رياض ، ولأنه لا يرضى أن تكون الثورة بيد العسكريين ، ولأنه يكره عرابي ... » .

فالشيخ محمد عبده ، وجد موانع تحول بينه وبين الانضمام إلى الثورة ومشايعتها ، ومع ذلك فان الشيخ انضم إلى الثورة ، وتحمس لها ، وشارك في كثير من مواقفها ، بحرارة تكاد تكون حرارة الايمان بها وبمبادئها وأهدافها ، بل وبوجوبها وباستحالة البعد عنها ، أو التخلف عن موكبها . ثم مالبث أن عاد إلى منطق لأنه ولأنه ولأنه ، اي منطق الموانع الأربعة ، فأصبح من خصومها ، خرج عليها ، ولعنها ، واستبرأ من تحمل نتائجها .

فما هو تعليلذلك الانتقال من اليسار إلى اليمين ، أو من النقيض إلى النقيض ؟ .

هل يكون الشيخ ممن تجرفهم الاحداث ، وتدفعهم فى طريقها اندفاعات الجماهير ؟ أم يكون حسب الأمر ، عندما اندلعت الثورة ، فهداه حسابه إلى انه أمر حتمي ، قضت به ظروف شرف الأمة والدفاع عن وجودها ، ومال إلى الامل في نجاحها ، فلما انكشف غبار الثورة ، عن زعماء ضعفاء ، لا يحسنون التدبير ، وعن عمل طائش لا يؤدي إلى الخير ، أسف على ماكان منه ، وأعلن موقفه من الثورة فى غير تحفظ أو احتياط .

يعني أن الشيخ لم يكن وصولياً انتهازياً ، بدت له الثورة ناجحة فانضم إليها ، ثم فشلت ، فاعلن بكل وسيلة انه ليس بسبيلها ، التماساً للنجاة من عقاب الفاشلين الذين كانوا جديرين بان يرفعوا إلى منصات الحكم فوق رءوس الجماهير ، لو كتب لهم النجاح . لانه بالطبيعة لا يثور، فاسلوبه يعتمد على التفكير ، وحسن التدبير والاناة وطول التامل ، وعمله هو التطور الهادىء ، وإن كان تطوراً حاسماً وحازماً ، يعرف غايته ويذهب إليها بلا تردد .

ويقول أحمد أمين في تعليل هذا الانتقال من جانب الشيخ : فالشيخ محمد عبده رأى كل الأمه فى ناحية الثورة ، واشترك فيها المسلمون والاقباط واليهود ، ولم يشذ عنها إلا احد رجلين .. رجل لا في العير ولا النفير ، وهو لابد ان يكون في العير والنفير ، ورجل انضم إلى الخديوي توفيق يشايعه . وتوفيق باشا فى نظر الشيخ محمد عبده لا يصح ان يكون احد بجانبه بعد أن استعان بالدول الاجنبية لاخماد الثورة ، ومالأ الاجانب على قومه . اضف إلى ذلك أن الامر آخراً لم يصبح امر حزب أمام حزب ، بل امر مصر أمام الانجليز ، فلابد أن يكون مع قومه .

والرأي عندي ، أن الثورة هي تيار جارف ، لايدع لأصحاب الراي ان يتروا ، ولا للمفكرين أن يفكروا ، بل حتى ولا للجبناء ان يجبنوا ، ولا لاصحاب المصالح أن يتفقوا على أن تتعرض مصالحهم للبوار . وليس سر شدة دفع الثورة للناس ، انها تيار عنيف ، لا يدري احد من اين يصدر ، بل لانها تيار ينبعث من نفوس الناس ، اي من اعماق لا شعورهم ، ومن باطن المضمر المكبوت من امانيهم ، ومخاوفهم ، فهم إذ تتدفق جموع الناس ، يتقدمهم ـ كما يقول جوستاف لوبون في كتابه (روح الثورات) ـ ذواتهم ، فهم يهتفون وكانهم منومون ، ويحطمون الابواب ، ويتسلقون الاسوار ، وقد يستبيحون حرمات البيوت ، ودماء النساء وارواح الاطفال ، وهم مسيرون بقوى مجهولة ، فاذا هدأت الثورة ، وتباطأ دفعها عاد كل انسان إلى أصله ، وثاب كل فرد إلى طبيعته . فاذا قيل للذين شاركوا في التحطيم والاجتياح ، أنهم فعلوا كذا وكيت ، أنكروا

صادقين أن شيئاً مما ينسب إليهم ، قد صدر عنهم .

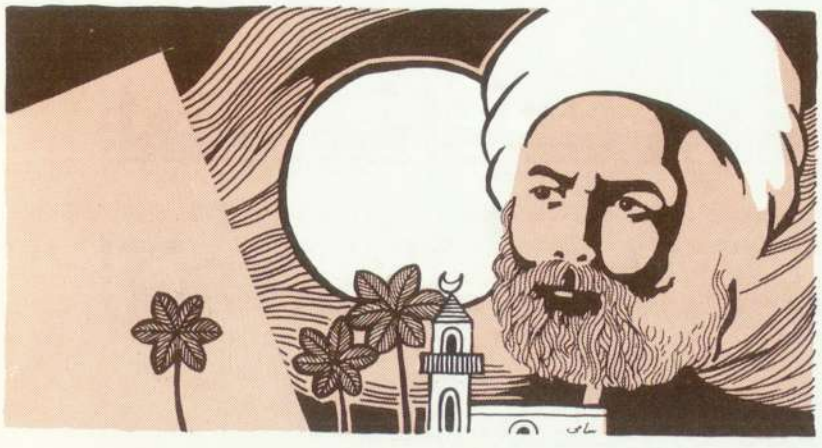
ولو قرأت قوائم زعماء ثورة ١٩١٩ ، لوجدت ضمنها عدداً كبيراً جداً من باشوات مصر الخليقين بأن يتجنبوا تيار الثورة ، وأن يقفوا على جانب طريقها ـ يشاهدون اندفاعاتها ، ويرون تدفق أمواجها وارتفاعها وهم هادئون ، يسخرون ممن قادوها ، ومما فعلته .

ولاشك في أن الشيخ محمد عبده ككل المصريين من العامة والخاصة كان في أطواء نفسه شيء من الميل إلى الثورة ، والفرح بمقدمها ، والسرور بالجري في مضمارها ، والهتاف بشعارها ، والمبالغة في رفع لوائها ، فهو ولا شك يكره زحف الأجانب وتدخلهم في شئون مصـــر ، واقامتهم صندوق الدين الدولي . وهو يكره وزارة نوبار التي ضمت اثنين من الوزراء : ريفـرز ولسون الانجليزي ، والمسيو دي بلينيير الفرنسي .

وكان العنف يرضيه ويريح أعصابه ، فلما هدأت حماسة الجماهير ، تحت وطأة الهزيمة ، عاد كالاف غيره من الناس ، إلى مراجعة كل ما قيل وفعل ، وانتابه من الحسرة والكآبة ، ما سجله وهو في السجن في قصيدة طويلة .

ولكن ماذا كان دور (الشيخ) في هذه الفترة ؟

لقد كان له دور التحضير للثورة ككل المفكرين ، الذين يقيض الله لهم الوجود قبل عصور الهياج والانقلاب . يحضرون الوقود لنارها ويهيئون الثقاب لاشتعالها ، بما يكتبون ويقولون . وقد تحدث الشيخ في الصحف ، ومع الذين يرتادون داره ، ويسمعون كلامه ، فملأهم سخطاً على الحال السيىء الذي كان قائماً قبل سنة ١٨٨٢ ، وزاد من إحساسهم بوجود الاصلاح الشامل ، وكان الناس يرونه في مجلس رياض باشا رئيس الوزراء ، وفي مجلس على مبارك ، ومحمد سلطان الذي اختير رئيساً لأول مجلس نيابي في الثورة ، وفي مجلس عرابي نفسه بل وفي سراي الخديو حيث كان يتـــردد على هـــذا المجـلس . وكـان في كـــل هـــذه الأمـاكن يتظلم ، ويندد ، ويقترح ، ويجادل الذين يخالفونه ، وهو حسن الحديث ، حلو العبارة ، مؤثر جذاب وإن لم يكن خطيباً ، ولاشك أنه دعا إلى الثورة ، صراحة من حيث لا يدري ، ولا يحتسب ، ولعلنا لو حذفنا ما قال ، وما كتب في فترة الحمل الثوري ، لفقدت الثورة



العرابية أحد أكبر دوافعها .

يشبه زميله في التحضير والاعداد ، ونعني به البطل الملهب والملهم (عبد الله النديم) .. مع فارق في الطبيعتين ، وخلاف في المنهجين ، محمد عبده ، يتسلل إلى النفوس ، ويعرف كيف تكون مداخل القلوب ، أما عبد الله النديم ، فيهجم على ماهو مستقر ومعترف بشرعيته ، فما يزال يضرب في أسسه بالفأس والبلطة حتى يتفتت وينهار ويتهاوى .

وفشلت الثورة ، وقبض على محمد عبده وزج به إلى السجن ، ليقضي فيه ثلاثة أشهر ، وتعتبر في حساب المجاهدين والثوار شيئاً كثيراً . وهي إذا قيست بما كابده النديم من السجن والهرب والتشرد ، والجوع والخوف ، لكانت جزاء خفيفاً ، ولكن الشيخ ، اهتز كثيراً للسجن ، وشكا طويلا من محنته ، وهو موقف بلا شبهة ، يكشف عن حقيقة معدنه ، فليس بالخوار ، ولا الفرار ، ولكنه أيضاً ليس بالجلد الذي يقوى للشدائد ، ويصبر عليها . وليس السجن ، واحتمال العذاب ديدنه ، مثله في ذلك مثل تلميذه سعد زغلول الذي لم يكن له دور يذكر في ثورة عرابي ، وحين زج به الى السجن ، كان ذلك من قبيل اختلاف الخصوم ، ودس الكائدين ، لا لنشـــاط مارسه ، ولا لعمل يغضب السلطات قارفه .

وحكم على (الشيخ) بالنفي ثلاث سنوات ، وكان هذا النفي خليقاً بأن يكون شيئاً من قبيل تغيير الجو ، وانتجاع الصحة ، فقد قصد إلى بيروت وأقام فيها ، لا ثلاث سنوات النفي المحكوم بها بل ست سنوات ، بدا فيها الشيخ على حقيقته ـ عالم يدرس ـ وهو في الرابعة والثلاثين من عمره . وفي سنة ١٨٨٣ ، أي وهو في عنفوان شبابه حين تبلغ رغبة الشاب في الحركة وميله إليها ، وحرصه على المصادمة والاثارة أقصى الحد .

ولكنه لو ترك لشأنه ، لما أثار ، ولا حرض ولا كتب شيئاً يغضب أصحاب النفوذ ، وقد فعل ذلك ، بعد أن عاد من باريس عقب دعوة من أستاذه جمال الدين الأفغاني .

الشيخ في باريس

دعاه جمال الدين الأفغاني إلى باريس ، فلبى وهو يكاد يطير ، فهو في بيروت ، مهما كانت الطمأنينة والراحة ، مشوق إلى أستاذه من جهة ، وبه ميل ـ وإن كان ضعيفاً ـ إلى استئناف الحركة خضوعاً لأحكام السن . وإرضاء لطموح الشباب .

سافر الشيخ إلى باريس ، فوجد هناك أعز ما يحرص عليه ، وأجمل ما يهواه . فهو كاتب ، وهو شديد الشغف بالصحافة ، وهو لا يمل الدعوة إلى إصلاح حال المسلمين والعرب ، وهو داعية إلى النقد . وقد وجد أستاذه يحدثه عن إصدار مجلة ، اسمهـا (العروة الوثقى) ، وطلب منه أن يحررها . ولا بأس فيما إذا كانت الجريدة ، لا تجد مقراً لها إلا حجرة في سطح منزل .

وأثرت عليه باريس تأثيراً عظيماً ، بل أن تأثيرها عليه كان أشد من تأثيرها على مصطفى كامل الذي قصدها وأقام فيها واتخذها مقراً لحملاته ضد الاستعمـــار ابتداء من سنة ١٨٩٣ حتى سنة وفاتـه ١٩٠٨ . وقد ظهر هذا الأثر ماديـــاً على (الشيخ) فقد تخفف من العمامة ، ولبـس الطربوش ، وأطال شعره كما كان يفعل السيد جمال الدين الأفغاني ، وكما رأى كتاب باريس ، وفنانيها ، الأمر الذي قلده

فيما بعد محمود مختار اول مثال مصري فاصح له شعر يسدل على ظهره وزاد من سرور (الشيخ) ان (جمال الدين) كان يمده بالافكار ، ويرسم له الخطط فكان يتلقفها ، فيصوغها بقلمه ، على وجه يزيدها جمالا وبهاء وتاثيراً ، فذاعت المجلة فى العالم العربى ، والعالم الاسلامى ، ودخلت الى مصر ، متسللة بعد ان منع (نوبار) رئيس الوزراء دخولها الى البلاد ، وكان منعها واضطهادها سبباً فى زيادة تاثيرها ، وشدة انجذاب الرأى العام اليها ، وحرصهم على اقتنائها وتداولها سراً .

وحس محمد عبده انه يخاطب العالم الاسلامى كله . حقيقة كان اسم مصر ، وطيفها فى قلبه وخياله ، وهو يكتب ، ولكنه كان يرى العالم الاسلامى كله فى مصر هذه . ويرى ان إقالة عثرتها وتحرير تربتها وتطيير سمعتها، تحرير للهند والسند ، ولايران والافغان ، ولكن الاضطهاد الذى سلطته دوائر الاستعمار وفى مقدمتها بريطانيا ، قصف قلم الشيخ محمد وعقد لسان (السيد) جمال الدين ،وتوقفت مجلة (العروة الوثقى) بعد ثمانية اشهر ، صدر خلالها ثمانية عشر عدداً ، ولكنها بقيت الى اليوم ، رصيداً للثورة العربية الاسلامية ، وتراثاً لادب النضال والمقاومة وعلما للساخطين المتمردين .

وعاد الشيخ الى بيروت ، وبعد عن جمال الدين ، فبدا فى صورته الحقيقية اشتغل بالتاليف ، فشرح (نهج البلاغة) ، ومقامات بديع الزمان ، وراح يشرح القرآن ويفسره فى مسجدين من مساجد بيروت ثم درس فى المدرسة السلطانية ، فارتقت المدرسة ، وارتفع مستوى التعليم فيها ، واصبح واسطة العقد فى حركة ادبية وفكرية شملت بيروت كلها ، وتجاوزتها الى الشام ، وبلغت آثارها مصر ، ونواحى عديدة فى العالم الاسلامى ، وانتهز فرصة صدور قانون من سلطان تركيا ، قصد الى اصلاح التعليم فى المدارس الدينية ، فوضع تقريرين عن اصلاح هذا التعليم رفع احدهما الى شيخ الاسلام فى تركيا ، كما كتب تقريراً لوالى سوريا بين فيه سبيل اصلاح الامور ، وكانت قد تردت الى اسوا حال ، من جراء ضعف الحكومة ، وكثرة المدارس التبشيرية التى قسمت البلاد ، ووزعتها على الطوائف والمذاهب التى تسندها وتعززها اوروبا .

وعاد الى مصر ، بفضل وساطة الاميرة نازلى ، وكانت على صلة طيبة باللورد كرومر معتمد الاحتلال البريطانى . وقد كانت عودته الى وطنه بغير هذا السبيل ، مستحيلة ، إذ ان الخديو وصله سوء راى الشيخ فيه ، فنقم عليه واصر على استبعاده عن مصر ، ولكن كرومر ، ضغط على الخديو ، فارغمه على ان ياذن بعودة (الشيخ) الى مصر فكان ذلك عربون مودة وحسن علاقة بين الشيخ وبين اللورد كرومر ، وقد بقيت هذه العلاقة ثابتة ومستقرة حتى توفى الشيخ الى رحمة الله فى ١١ من يوليه سنة ١٩٠٥ .

ولقد افسدت هذه العلاقة ، صلة محمد عبده ، بالسيد جمال حتى ارسل اليه يعنفه فى شدة . كما افسدت علاقة محمد عبده بمصطفى كامل ، وبالوطنيين كافة ، ويروى الشيخ مصطفى عبد الرازق انه لاحظ فى أحد الاجتماعات الكبيرة ، انه حينما ذكر اسمه ، امسك الحاضرون عن التصفيق وكانوا يصفقون لدى ذكر كل زعيم من زعماء الوطنية او الثقافة .

ولا شك أن من اسباب سوء ظن المصريين بالشيخ محمد عبده في عهدي الخديو عباس والزعيم مصطفى كامل ، حسن صلته باللورد كرومر الذي كان رمزاً للاحتلال ، والذي كان شديد الوطاة في مطاردة الحركة الوطنية ومخاصمة زعمائها وكان الخديو عباس قادراً على ان يغذي الحملة ضد محمد عبده ، ولا سيما حينما كان الخديوي خصماً لكرومر ، وعدواً للاحتلال مما

قربه الى قلب الشعب ، ونفره من كل من يعاديه او يخالفه . فقد خاصم الشيخ فى ذلك الوقت شيوخ الازهر المحافظين ، لما ذاع من آرائه فى إصلاح الازهر والمحاكم الشرعية والدراسة الدينية فى المدارس المدنية وإدارة الاوقاف ، وقد اسرف خصوم الشيخ فى مهاجمته والحملة عليه واستغلوا بعض فتاويه منها فتوى لاحد المسلمين فى جنوب افريقيا بعث يسال ، هل يجوز للمسلمين المقيمين فى السنغال ان ياكلوا من لحم بقرة تضرب بالبلطة حتى تضعف ثم تذبح ، وقد افتى الشيخ بحل أكل هذا اللحم ، فهاج خصومه ، والبوا عليه الشعب ، واتهموه بالمروق من الدين ، ولفقوا صوراً له تضم جماعة من الافرنج يلبسون القبعات ومعهم سيدات اجنبيات سافرات .

ولاشك فى ان الحملة على (محمد عبده) كانت مغرضة ، وان اكثر ما دعا اليه فى شان الدين او الازهر او اللغة العربية او العلاقة بين الحاكم والمحكوم فى دنيا المسلمين ، صلاح لا فساد فيه ، ولا عيب . ولكن العيب الذى تورط فيه الشيخ ، واسرف ، والذى يؤاخذ عليه ، بلا تحامل ولا إدعاء ، هو حسن ثقته بالانجليز ، وعلى راسهم كرومر ، واحتماؤه بنفوذ هذا الاخير فى حربه مع الخديو عباس . ثم استدراجه بعد ذلك الى محاربة الحركة الوطنية ، وعلى راسها مصطفى كامل ، والسخرية من مبادىء هذه الحركة ، والهزء بها ، الامر الذى اصبح ديدن جماعة من اغنياء واعيان ووزراء المصريين الذين الفوا حزب الامة ، ومالوا ميلا واضحاً لسياسة بريطانيا ، ودافعوا عن منهج عميدها فى إدارة البلاد ، واشادوا بما اشاعه من عدل ، وما حققه من خير . وقد كان كل ذلك ، خطا فى خطا ، فكرومر لم يصلح شيئا فقد حارب مجانية التعليم ، بعد ان كانت هذه المجانية فى عهد الخديو اسماعيل بفضل جهود علي مبارك ووطنيته ، شاملة لدرجات التعليم كلها ، وقد افاد منها ابناء الفلاحين وخرج من صفوفهم امثال علي مبارك وعبد الله فكرى وصالح مجدى وابراهيم اللقانى ..

اما السياسة المالية التى كانت جوهر فخر السياسة البريطانية فكانت وبالا على مصر ، افقرت الخزانة المصرية لاعتمادها على سندات الخزانة البريطانية وكوبوناتها التى كانت تتعرض للهبوط ، ولا تدر دخلا كبيراً ، مع مطاردة كل مشروع مصري ولاسيما إذا كان ذا صلة بانشاء الصناعة فيها . فوقوف محمد عبده مع عميد البريطانيين ، كان يخالف كل ما دعا اليه فى مجال الدين او الوطنية ، وكان انصاره يعلنون عندما اشيع عزل الشيخ محمد عبده من منصب الافتاء ان كرومر اعلن ان الشيخ باق فى منصبه ما بقي الاحتلال البريطانى ، وكان تلاميذ الشيخ واعوانه يغيظون الوطنيين بترديد هذه المقولة المرذولة ولا يدركون ما فيها من جرح للشعور الوطنى وإهانة للعاطفة القومية .

ولقد خرج الشيخ من كل محاولاته معفر اليدين ، لم يحقق للازهر ولا للفكرة الاسلامية ، ولا للغة العربية ، شيئا مما تاق اليه ، وتمناه ، ولم تنفعه ممالاته لكرومر ، وحسب عليه طعنه فى الحركة الوطنية ، وبعده عن جمال الدين ، وكرهه لمصطفى كامل .

فتحى رضوان

« ما ناظرت أحداً قط فأحببت أن يخطىء ، وما كلمت أحداً
وأنا أبالي أن يبين الله الحق على لساني أو على لسانه »

الامام الشافعي

رسالة في الإصلاح الديني

بقلم : حسين أحمد أمين

بسم الله الرحمن الرحيم

أعاننى الله على شكرك إذ كتبت إلي ما كتبت ، وأصلحك وأصلح على يديك ، وجعلك وإيانا ممن يحتمل ثقل العلم ، وممن يقول بالحق ويعمل به وينقطع اليه ، ثم يسعى بعد ذلك الى إيصاله الى أهله دون سواهم ، مؤثراً إياه على ما عداه ، ومحتملا فى سبيله ما شاء الله أن يمتحن عبده به .

أما بعد :

فانى قد عرفتك منذ أيام الحداثة ، تصفحت أخلاقك وتاملت شيمك ، ووزنتك فعرفت مقدارك ، وقومتك فعلمت قيمتك . وقد زادتنى المؤانسة فيك رغبة ، وطول العشرة لك محبة ، وامتحانى أفاعيلك تفضيلا . فلا غرو ان اجزع إذ أشتم فى رسالتك الاخيرة غضباً وموجدة أثارتهما فيك مقالاتى فى الدين ، أو بالأحري منهاجى فى هذه المقالات . غير أنى زعيم لك بأن هذا الغضب منك ليس فى طبقة ذنبى ، ولا هذه المطالبة من شكل الجريمة . واعلم بعد هذا كله أنك إمرؤ متى رأى الزلل غفره وسعى الى تقويم صاحبه ، ومتى رأى صواباً وعاه ، وأعلنه ورعاه . وقد سمعتك مراراً تردد قول الشافعى رضى الله عنه «ما ناظرت أحداً قط فأحببت أن يخطىء ، وما كلمت أحداً وأنا أبالى أن يبين الله الحق على لسانى او على لسانه» . فلتأذن لي إذن أن أسطر هنا ردى ودفاعى ، وأن أبسط أمام ناظريك حقيقة عرفتها بالتجربة والابتلاء ، لا بالدرس والنظر فى الكتب . ولتعلم يقيناً أن دفاعى ليس عن أنفة من أن أقر بالخطأ . فقد يعترينى فى كتاباتى من الغلط ما يعترى الأب فى ابنه . ولست كمناظرى زماننا هذا ممن تسود وجوههم إذا أفحموا واتضح الحق على لسان

خصومهم . فان أحسنت فى إيراد حجتى فإن احسانى صغير فى جنب إحسانك ، إذ كنت المثير له من مراقبه ، والباعث له من مراقده . فلذلك صار أوفر النصيبين لك ، وأمتن السببين مضافاً إليك .

قماط المومياء

تقول ـ تولاك الله وحفظك وجعلك من الفائزين برحمته ـ إنك قد لمست فى مقالاتى تهيباً ووجلا من المكاشفة بالحق الصراح ، ومداراة وتحايلا إن كانا يخدمان اغراض رجال السياسة والعهادة (١) ، فهما يقيناً ليسا مما يتحلى به امرؤ قد اختار الاصلاح الدينى له هدفاً . ثم همست فى اذنى انك قد أحطت بالكثير من مواقفى وآرائى من خلال أحاديث دارت على انفراد بينك وبينى فى الدين ، فاذا هذه المواقف تبدو عند تسطيرها للنشر وقد تقنعت بالف قناع ، وإذا هذه الآراء وقد أقدمت على إيصالها الى جمهور المؤمنين تظهر مقمطة فى قماط المومياء ، تقدم رجلا وتؤخر اخرى ، وكانما هى تسعى فى آن واحد الى أن تكشف عن نفسها وتستتر ، وتسفر عن وجهها وتحتجب . وذكرت ـ أبقاك الله ـ أن عرضى لهذه الآراء وإن لم يرق الى مرتبة الكذب والخديعة ، تعوزه الاستقامة الصريحة التى يتوخاها صاحب الدعوة ، ويفتقر الى اللهب الذى يتوهج فى كتابات المصلح الثائر .

وقد أذنت لنفسى هنا أن اجعل من همستك صيحة ، وأن أعلن ما أسررت به إلىّ على رؤوس الأشهاد . فعساى ألا أكون قد أخطأت فى تفسيرى للهمس على أنه مراعاة منك لدواعى المودة ووشائج الاخاء ، وحفاظاً من جانبك على سمعتى من أن يتطرق اليها ما أكره . وهو تفسير يضع أمر الاعلان أو الكتمان فى يدى ، ويجعل منى صاحب الخيار . وإنى لأحمد لك إشفاقك وشدة عنايتك وفرط اكتراثك . غير أنى اخترت الاعلان سبيلا ثقة منى فى طيب نواياى ، وعن اعتقاد راسخ باننى لست ممن يقولون الزور ويتقربون بالباطل . أعاذنا الله وإياك من الأمرين ، وأسعدنا جميعاً بطاعته ورضاه .

ثم إنك قلت فى كتابك : إن الهدم أحياناً يفوق البناء فى القيمة ، وإن التشكك له ما للايمان من أهمية ونفع . إذ كيف يمكن للمرء أن يقبل الحق عقيدة إن كان عقله وقلبه لايزالان قانعين بالكثير من البهتان والزور ؟ وقلت إنه لا سبيل الى تطهير الأنام ، إلا بتطهير دين العامة مما علق به من أوهام ، وبتنقية العقيدة مما شابها وخالطها من أدران . فالحكمة كالعروس ، تريد البيت خالياً . والقلب إذا فرغ من المذموم امتلأ بالمحمود ، والأرض إذا نقيت من الحشائش نبت فيها صنوف الزرع والرياحين ، وإن هى لم تفرغ من ذلك لم تنبت ذاك .

وقلت إنه إن شاء امرؤ أن يضطلع بمهمة إرشاد الناس الى الحق ، كان عليه بادىء ذى بدء أن يتصدى لهذه الشوائب فى عقيدتهم بالسحق والمحق ، وإزالة ما فى الأرض التى ينوى البناء عليها من قمام . فان صاح صائح بأن من القسوة اجتثاث عقائد كاذبة تعلقت بها قلوب العامة وأحبتها ، وأراحت نفوسهم وأسعدتها ، قلنا بل هى قسوة نبعها المحبة ، وشدة باطنها الرحمة ، وعسى الله أن يغفر لنا بعد هذا ما تسببنا فيه من إيلام . وتساءلت عن أى الأمرين إذن أولى بأن نبادره بالعناية : إثارة الشك أم غرس اليقين ، وتطهير الموقع أم إشادة الصرح ؟

أوهام العامة

ومضيت فسردت فى رسالتك حشداً من الأمثلة على أوهام العامة : كتقديس الأولياء الذى يناقض عقيدة التوحيد ، والاسترشاد بأحاديث قد نسبت كذباً الى الرسول الكريم ، وتسمية كل تطوير يهدف الى مسايرة احتياجات العصر بدعة ، وخلعهم سمت الاسلام على التصوف وغير التصوف من مذاهب وفرق ، وإقدام البعض فى جرأة عظيمة على تفسير القرآن تفسيراً لا نخرج منه بغير حقيقة واحدة : انهم قوم يرون أن القرآن لا يعنى ما يقول ، وإنما هو كتاب يقول ما يعنون ! وذهبت الى أن هذه الترهات وغيرها فى حاجة الى معاول لا تهدأ ، وتكاتف من صفوة المفكرين المؤمنين وجهد من جانبهم لا يعرف الكلالة أو الملل ، وصراحة لا يتطرق اليها الوجل ، وصرامة لا يعتورها إشفاق أو مداراة .

وقد عرضت كل هذا فى بلاغة لا بأنف بليغ أن يقصر دونها ، وضمنت رسالتك علماً لا يخشع عالم أن ينهل منه . فان كانت الحدة هى طابع رسالتك فهى حدة لا تشين مادام الدافع إليها هو الاخلاص للدين . وهى بعد هذا حدة وراءها ما يفسرها ، ألا وهو الغضب إذ كانت تلك الأوهام والخرافات التى تحدثت عنها من أضخم العراقيل التى عاقت ولاتزال تعوق أمة المسلمين عن التقدم وعن فهمها لحاضرها ، وتشلها عن اللحاق بسائر الأمم فى مجالات التمدين وميادين العمران . ثم اتسع نطاق هذه الحدة حتى مسنى لهيبها ومس من وصفتهم بأمثالى من المفضوحين فى الدنيا والآخرة ، وأسميتنا باصحاب الحلول الوسط ، والنازلين منزلة بين منزلتين ، ووصفتنا بصفات أخرى كثيرة ، أخفها المتوانين المتوقفين المترقبين المتخوفين . وقلت إننا نريد أن نجهر بما نعلم ، ثم يضطرنا الخوف الى أن نسره ، وأننا فى مقالاتنا إنما نحاور الحمقى ، وأن العاقل يضل عقله يقيناً عند محاورة الأحمق . وتمثلت ببيت البحترى :

عَلَيَّ نَحْتُ القوافى من مقاطِعِها
وَمَا عليَّ إذا لَمْ تَفْهَمِ البَقَـــرُ

ثم ختمت رسالتك بقولك إن العلم ينهى أهله أن يمنعوه أهله . وكما أنه لا ينبغى للجاهل أن يسكت على جهله ، فانه لا ينبغى للعالم أن يسكت على علمه . واستشهدت بحديث نبينا عليه الصلاة والسلام : «ما أتى الله عالماً علماً إلا وأخذ عليه من الميثاق ما أخذ على النبيين أن يبينوه للناس ولا يكتموه» . فان كان هناك من العلماء من قنع بأن يسخر سراً من أوهام العامة ، فعليه جانب من تبعة انتشارها إذا لزم إزاءها الصمت . وكيف

رسالة في الإصلاح الديني

يكون الصمت انفع ونفعه لا يكاد يجاوز رأس صاحبه ، وبالكلام أرسل الله أنبياءه لا بالصمت ؟ وتساءلت : إذا سكت العالم طلباً للسلامة والجاهل يجهل ، فمتى يتبين الحق ؟

سبيل تقويم المعوج

وقد هزتنى رسالتك التى أوجزت هنا أغراضها هزاً عنيفاً تساقط له من قلمى هذا الرد . فان رأيت فى إيجازى لقوى حججك إخلالا بمعانيك فمغفرة وصفحاً . وإن تبينت فى ردى تقصيراً عن الغاية ، فانا المضيع دونك . وعلى أى الحالين فان فضلك أظهر ، وحظك أوفر ، لأنى لم أنشط لهذا الحديث إلا بك ، ولا كان اعتمادى فيه إلا عليك .

وأبدأ ـ جعلت فداك ـ فاقول إننى وإن لم أبلغ بعد مبلغ العلماء فلست ممن يسكت على ما يعلم ، ولا كنت يوماً من طالبى السلامة . ولو كنت ممن يداهن ويطلب السلامة لما كانت حالى على ما هى عليه وعلى ما تعرف من العوز والفاقة ، ولما كنت القى فى سبيل نشر مقالاتى ما القى من عنت ورهق ، مع ما أوتيت من قوة بيان . فليطمئن إذن قلبك الى أن الحقيقة لاتزال قبلة قلبى . بيد أن التجارب التى شاء الله لي أن أخوضها قد أزالت غشاوة قاتمة كانت تجثم فوق عينى ، فاذا حيرة المراهق وعجب الأبله ينقلبان الى فهم الراشد ونفاذ نظر الأريب . وإذا بى أدرك أن الحق فى قلب العالم إذ هو قابع يفكر فى داره ، قد يستحيل الى باطل متى رأى واجباً عليه أن يخرج به إلى السوق وأن ينشره بين العامة حتى يقوم المعوج من عقيدتها ، ويقوض السخيف من أوهامها .

ولأحاول الآن أن أبدد ما يعتور هذه العبارة الأخيرة من غموض ، فهو قول ليس من اليسير أن يفهم القصد منه غير من نصب نفسه لتحقيق هذه الغاية :

تقول فى رسالتك إننى أشد احتفالا بالتعليم منى بالحق . غير أنى زعيم لك بأن الترفق والتدرج فى تعليم العامة هما السبيل الأوحد الى إصلاح عقائدهم ، والاقتراب بهم من الهدف المنشود ، وأن مجابهتهم دفعة واحدة بحقيقة منزهة مطهرة ، قد أزيلت منها الشوائب كافة من شأنها أن تجعل الحق غير قابل لأن يعلم ، وأن تجعل التعليم غير صالح لأن يكون طريقاً الى بلوغ الحق . حينئذ يحق لنا مساءلة الداعى عن منـاهجه ، وعن إغفاله أن يسأل نفسه قبل أن يبرى لنشر رسالته: أكان من الأوفق أن أقبع فى دارى محتفظاً لنفسى بما هدانى إليه عقلى وحكمتى من حق مجرد ، تاركاً العامة غارقة فى أوهامها أم أنه كان لزاماً علي أن أسعى الى تقريبها منه خطوة خطوة ، آخذاً سذاجتها وعمايتها فى الحسبان ، مقدراً تعقها بالمحسوسات ، ومدركاً لصعوبة استيعابها لكل ما هو منزه عن الأدران .

قال الله تعالى يخاطب نبيه : «ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك» كما يروى عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال : «إن هذا الدين متين ، فأوغل فيه برفق ، فان المنبت لا أرضا قطع ولا ظهراً أبقى» . وقد كان الرسول نفسه أروع وأرفع وأنصع مثال للتأنى والسبر ، وأعلم الخلق بطبائع الخلق ، وأرفقهم أخذاً بأيديهم إذ ينتقل بهم من طور الى طور ، وأدراهم بمقتضيات الحكمة والسياسة ، مع التزامه دوماً بالهدف الأسمى الذى يتوخاه . وقد كان يدرك على نحو لم يدركه أحد قبله أو بعده ، أن السياسة والكياسة لازمان لنشر الدين ، وأن غرس العقدة الجديدة لابد له من درجة فائقة من الترفق واللين . فهو لم يصدم بالحقيقة كاملة شاعر الجاهليين ، ولا نزل الله القرآن عليه دفعة واحدة ليبلغه القوم المشركين ، ولا تحرج من أن يؤلف بالبذل والعطاء قلوب ضعيفى الايمان والمنافقين . وكان يعلم حق العلم أنه ليس ثمة تناقض بين المعرفة الخالصة وبين مراعاة طبائع البشر حوله وأحوال عيشتهم ، وأن التدرج والمداراة فى سبيل الهداية ليسا بالضرورة قيدين على الحق أو حاجبين له ، وأنه فى هذا العالم المجبول على الجهل والنقص والخطيئة وسائر أوجه القصور فى النفس البشرية ، لابد من وسط عدل بين نشدان الحق واحتمال النقائص ، ومن مزج المعرفة بالحكمة . كذلك فقد سمعنا المسيح عليه السلام يوصى حواريه بأن يكونوا حككماء كالحيات ، وبالا يلقوا بالدر فى أفواه الخنازير . ولاشك عندى فى أن التاريخ لم يعرف قط نبياً واحداً كاشف العامة منذ بداية دعوته بجميع ما يعرف ، أو أطلع جموع الناس على كل ما أحاط به خبراً .

الخاصة والعامة

إنما كان الأنبياء يعلمون قومهم ما فى وسعهم تقبله واستساغته والعمل به ممتى بذلوا بعض الجهد ، واعملوا ما أوتوا من قدرة على التفكير ، ومارسوا قدراً من ككبح جماح النفس والشهوات . أما ما عدا هذا من أمور لا تدركها سوى عقول الخاصة وأصفياء الله ، فقد أحيطت بالرموز وغلفت بالأسرار ، وأسدل بينها وبين العامة أكثف ستار . فهى أمور ليس فى وسع هؤلاء الانتفاع بها أو الانقياد لها ، بل وقد يجرهم الخوض فيها وتناولهم إياها بغليظ أناملهم إلى ما لا يحمد عقباه أو ما يعرف منتهاه . فاعلم إذن ـ هداك الله ـ أن ثمة من المعارف ما لا ينبغى لجمهور المؤمنين أن يرغبوا فيه ، وقد يرغب عن بعض العلم كما يرغب عن بعض الحلال .

قال الله تعالى فى كتابه العزيز : «ولا تؤتوا السفهاء أموالكم» ، تنبيهاً الى أن حفظ العلم ممن قد يفسده ويضره أولى ، والى أن الظلم فى إعطاء غير المستحق ليس بأقل من الظلم فى منع المستحق . وقال النبى عليه السلام : «نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن ننزل الناس منازلهم ونكلمهم على قدر عقولهم» . وقال : «ما أحد يحدث قوماً بحديث لا تبلغه عقولهم إلا كان فتنة على بعضهم» . وقال علي بن أبى طالب مشيراً الى صدره : «إن ههنا لعلوماً

جمة لو وجدت لها حَمَلَة . فقلوب الابرار قبور الأسرار . ولا ينبغى أن يفشى العالم كل ما يعلم الى كل أحد» . وروى أن الشافعى سئل مرة عن مسألة فسكت ، فقيل له : «ألا تجيب رحمك الله ؟» قال : «حتى أدرى الفضل فى سكوتى أو فى جوابى» .

ثم أمضى فأذكرك بأن من لان عوده كثفت أغصانه ، وأن النبات إنما يسلم من الريح العاصفة بلينه وانثنائه معها . وقد نعلم أنك امرؤ تنكسر ولا تنحنى ، تابى أن ترى فى الغاية تبريراً للوسيلة ، وتحسب كل مداراة موجبة للشجب ولو أدت الى صلاح.

أما عنى فان شعارى أنه متى أضرت النوافل بالفرائض لزم رفضها ، وأن المرء متى أراد العدل الأكبر فلا بأس ببعض الظلم . ألا ترى الى الذهب لا يصلح لأن يستخدمه الناس حتى يخلط بما دونه من المعادن ؟ نعم إن الدين هو الحقيقة ذاتها ، غير أن الجموع العريضة فى زعمى ليس بمقدورها تقبله حتى يتخذ صورة مبسطة هى فى متناول أذهانها ، بل وحتى تقحم فيه بعض أوهامها وضلالاتها . وقد تقرنى على تشبيهى للحقيقة فى الدين ببعض العناصر الكيميائية التى هى فى صورة غازية متى انفردت واستقلت عما سواها .

حتى إذا رمنا الاحتفاظ بها أو استخدامها فى أغراض الطب ، لزم أن نخلطها بغيرها لنحولها الى أقراص صلبة ونحول دون تشتتها فى الهواء . أو قل إن هذه الحقيقة فى الدين هى كالماء ، لا يحمل إلا فى إناء . وما أنت وغيرك ممن يحرص على إهداء الحقيقة وحدها صافية لا مزاج لها إلا كمثل من يكسر الاناء ليصيب الماء وحده .

إن المرء قد يفرط فى الحكمة كما يفرط فى الحماقة . وفى الفضيلة كما فى الرذيلة. وما أكثر من رُدّ صالحُ دعوته بسبب تجاهله الواقع الحي . والواقع الحي الذي لن يكون فى وسعك انكاره هو أن الله قد خلق الناس أطواراً ، ورفع بعضهم فوق بعض درجات ، وأن الشطر الأكبر من البشر هو من أولئك الذين» يكدرون الماء ويُغلون السعر ويضيقون الطريق» ، قد خبا ذكاؤهم ، وضاق أفقهم ، واقتصرت أغراضهم على ما هو مادى بحت . وقديماً قال الحسن البصرى : «لو كان للناس كلهم عقول هربت الدنيا» . فعملهم المضنى فى الصناعة وفى فلاحة الأرض سيظل دوماً لا غنى عنه من أجل إشباع حاجات الناس . وهذا العمل الجثمانى المضنى لا يحرمهم من فرص الدراسة والتامل والنظر فى الحقيقة فحسب ، وإنما هو أيضاً مدعاة الى تبلد الذهن ، وسبب للانتقاص من ذكاء الروح بالنظر الى ما نعلم عن العداء الراسخ بين العقل والجسد . وسيظل مع ذلك لدى هؤلاء – أو لدى شطرهم الأعظم – حاجة ملحة الى التفسير الدينى لهذه الحياة ، والى حل مقبول ميسر للغز الكون ، وقواعد مبسطة هادية للسلوك ، وعقيدة تجلب لهم الراحة فى لجة الشقاء ، والقوة فى خضم الصراع والعزاء فى مواجهة الموت .

الساق الخشبية

ولابد لهذا التفسير من أن يكون من السهولة بحيث تستوعبه الأذهان المكدودة والآفاق المحدودة . ولابد لهذه الأذهان المكدودة من أن تقحم فى هذا التفسير بعض ما توارثته وتعلقت به جيلا بعد جيل من الأوهام الكاذبة . ولابد لهذه الأوهام الكاذبة من أن تبوئها العامة فى كثير من الأحيان منزلة تعلو منزلة صالح الأعمال ونبيل المشاعر ، حتى ترى التوسل الى الأولياء أيسر عليها من مساعدة الجار ، والدعاء على الظالم أسهل من التصدى بالمقاومة الظالم جبار . ومع هذا فان الحقيقة التى لا مراء فيها أن هذا كله شر لابد منه ، وكذبة بيضاء لا غنى عنها . فمادامت حال البشر على ما هى عليه ، فان المتيقن أنهم لن يقبلوا على الدين ما لم يقحموا فيه ما شاءوا إقحامه من باطل . والويل الويل للبشر إن اطرح هذا الشطر الأعظم الدين بأسره وراء ظهره متى نجحت محاولتك ومحاولة نظرائك أن تبددوا أوهامه ، وتسلبوه خرافاته .

ولعل الرجل الذى لا ساق له واجد منفعة عظيمة فى ساق خشبية يدب عليها ويسعى بها الى رزقه . غير أنى أبادر فانفى عن نفسي ما قد ترميني به من تهمة التشاؤم فلست باليائس من أن يصل البشر فى زمان قريب أو بعيد – بفضل نشر التعليم والدعوة المستنيرة المتانية ، وبفضل ما قد ينجم عن التوسع من استخدام الآلة من تخفيف أعباء العمل الزراعى والصناعى – الى قدر من النضج يصبحون معه قادرين على تقبل الحقيقة مجردة من الخرافة والترهات ، بل وحتى من الرموز والأسرار . يومئذ نرى تلك الأوهام التى لا تناسب البشرية إلا فى طفولتها ، وهى تودع الخلق وداع المربية لطفل فى رعايتها متى شب عن الطوق ، ودعت الحاجة الى أن يتجه الى معاهد العلم .

• •

هذا مبلغ ما رأيت من وعظك وحضرنى من نصحك ، آملا أن يوافق ما توخيته لك ورجوته فيك من القبول والفهم . أعانك الله على درك الحق وشرح صدرك له ، وألهمك كلمة العدل لتؤثرها فى أمورك وأحوالك ، وتقف عندها فى أقوالك وأفعالك ، وزين فى عينك الانصاف ، وكره إليك المراء فى الباطل ، وأعاذك من أن تكون كمثل ذلك الذى عناه الحكيم القديم إذ يقول : ما خاض امرؤ فى جدل دون أن تحدوه الرغبة فى إدراك الحق ، إلا خرج منه على سالف رأيه !

(وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون) .

صدق الله العظيم

حسين أحمد أمين

هامش

(١) العهادة : الديبلوماسية



العلاج بالموسيقى وهم أم حقيقة؟

بقلم : الدكتور عز الدين فراج

الانسان لا يعيش بالطعام وحده ، بل لابد من غذاء روحي ينقله من ميدان الحياة العادية الى آفاق السعادة والهدوء النفسى . لاشيء يحقق ذلك غير الفنون الجميلة ، وفي طليعتها الموسيقى .

وبالموسيقى تلين الطباع الجامدة ، وتهدأ الاعصاب الثائرة ، وترق وتتالف النفوس الشاردة ، وتعتدل الامزجة الغاضبة ، فتطيب الحياة وتصفو .

وبالموسيقى أيضاً تثور النفوس الهادئة الخاملة المتبلدة وتتحرك العقول النائمة ، وتغلي الصدور الساكنة ، فتحطم قيودها ، وتحرر نفسها ، وتخلص وطنها .

ولهذا وجدنا بعض رجال السياسة فى ايطاليا فى منتصف القرن التاسع عشر ، يلحون على « فردي » أحد أعلام الموسيقى بايطاليا ، ليستغل انغامه وموسيقاه فى تحريك مشاعر الشعب ، لتحرير سهول لمبارديا واجلاء الجيوش النمساوية عنها .

لقد لحن لهم « فردي » أغنية وطنية حربية تنشد فى الميدان ، وفى أثناء القتال ، لا بمصاحبة الأوتار والأنغام ، بل بمصاحبة طلقات المدافع .

وأصبحت الموسيقى الآن ركناً أساسياً لتنظيم الجيوش ، فما من جيش إلا وله فرقة موسيقية تلازمه فى الحرب والسلم ، تقف بجانبه ، تثير فيه الحمية والشجاعة ، وتعزف له نشيد الفداء والنصر .

وإذا كانت الموسيقى تحرك النفوس الثائرة ، وتشجع الجنود المقاتلة ، فانها أيضاً تهديء هذه النفوس ، وتخمد شعلة الغضب الكامنة فى طيات صدرها ، وفيما يلي قصة شتراوس وكيف استطاع أن يخمد ثورة بنغماته الهادئة الحلوة العذبة :

بينما كان شتراوس يسير بجوار أحد أصدقائه همس قائلا :

يخيل إلي اني ساضع نغماً جديداً الليلة .

فقال له صديقه :

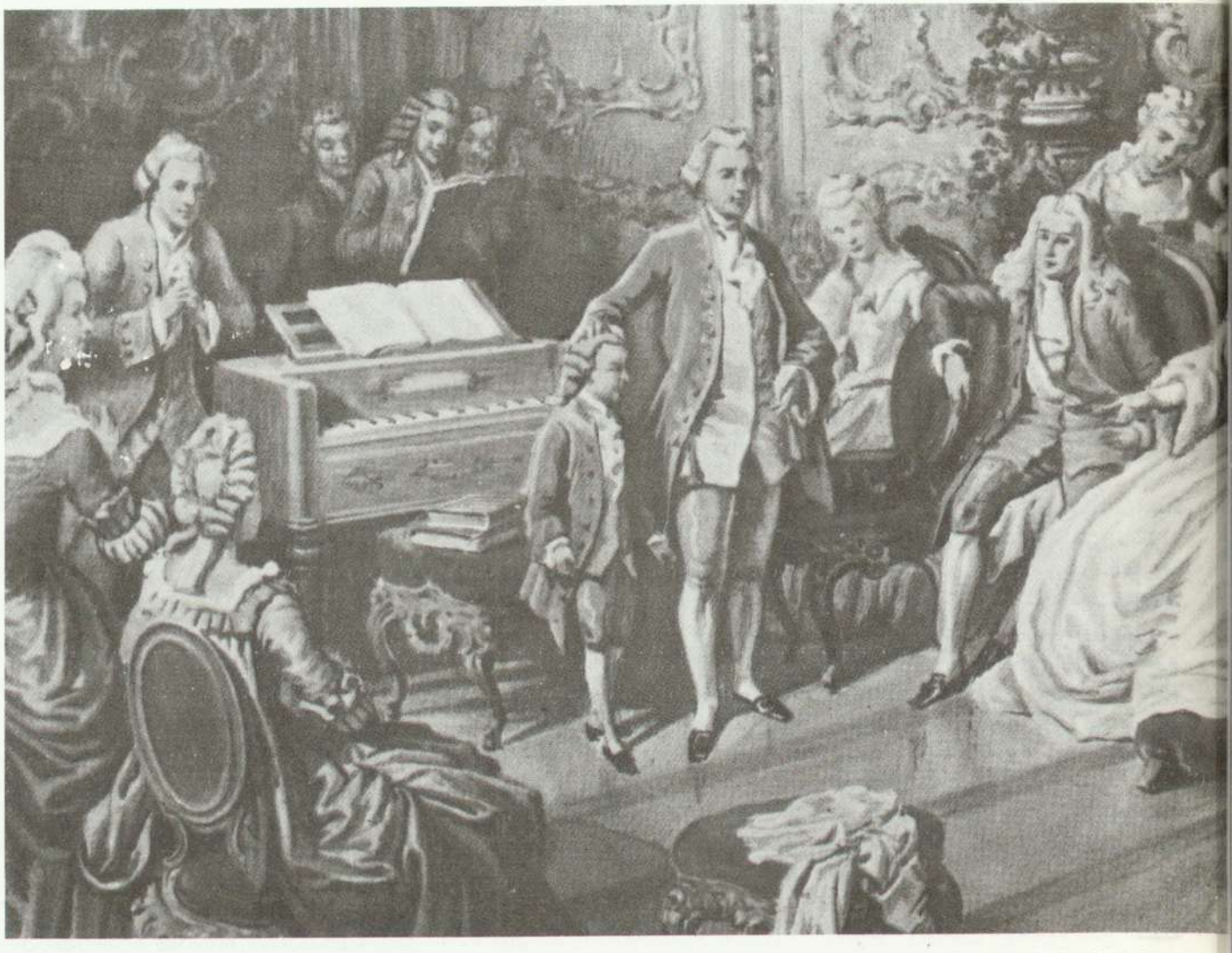
من دواعي الغبطة أن تكون من الفنانين فى هذا الزمان ، فحياة الفن اليوم أهدأ من حياة السياسة .

ولكن « شتراوس » لم يكن ينصت إلى مايقوله صديقه إذ كان ذهنه مشغولا بنغم هبط عليه فى هذه اللحظة .

وفى دقائق معدودات ترك شتراوس صديقه وعاد الى بيته ، فوجده هادئاً ، وقد نام أهله ، فدخله على أطراف أصابعه ، وسار إلى غرفته فى أعلى البيت ، وأشعل المصباح ، وفتح النافذة .

وأخذ «شتراوس» يروح في الغرفة ويجيء ، حتى إذا اطمأن إلى النغم الذي يخاطره ، جلس الى المعزف « البيانو » وأخذ يوقعه عليه بصوت واطىء حتى لا يزعج النائمين .

وقد مكث يوقع لحظة ، ويكتب أخرى ،



«موزارت» الموسيقي الصغير يسحر بانغامه كبار القوم فى المانيا والنمسا

ويغير ما لا يعجبه حتى طلع الفجر ، وطلع معه اللحن الجديد .

وفى الصباح ذهب الى غرفة الموسيقى فى القصر الامبراطوري وراح يوقع اللحن مرة بعد مرة .

وفى نفس اليوم قامت في فيينا ثورة كبيرة ، وذهب الثوار الى القصر الامبراطوري ، ليعلنوا مطالبهم فى قسوة وعنف . واقبل أحد رجال القصر الى شتراوس ليستنجد به وهو يصيح قائلا :

النجدة !.. النجدة !!. الجماهير تحطم زجاج النوافذ ... ولم يعد الحرس قادراً على صدهم .

فما كان من شتراوس إلا أن خرج مع فرقته الموسيقية ، وبدأوا يعزفون أمام الثوار هذا اللحن الجديد ، فخمدت حماستهم ، ونسي بعضهم ما جاؤوا من أجله ، فتفرق شملهم ، والتفوا بشتراوس وفرقته .

ولما رأى « شتراوس » هذا النصر ، سار بفرقته والجموع خلفه ، من شارع الى شارع ، بعيداً عن القصر الامبراطوري .

وهكذا أخمدت الثورة بلا سلاح ، وبلا ضحايا غير سلاح الموسيقى .

الموسيقى وتحريك النفس

ودرس الكندي الفيلسوف العربي – يعقوب بن اسحاق – الصلة بين الموسيقى وانغامها المختلفة وبين تحريك النفس وما يناسب أحوالها ، فهناك موسيقى تبعث السرور وثانية تحرك المرح والطرب ، وثالثة تشعرك بالحنين والمحبة وغير ذلك .

فاذا عرفنا ذلك في مقدورنا أن نعالج بعض الأمراض النفسية بنغمات الموسيقى المناسبة ، التى تهيجه وتهدئه والتى تثيره وتسكنه .

ويبدو أن يعقوب بن اسحاق الكندي كان من أوائل فلاسفة العرب الذين عالجوا بعض مرضاهم بالموسيقى ، ولكن العبرة بوضع طريقة يطبقها الطبيب ، لا على كل مريض ، بل العبرة بتطبيق علاج الموسيقى على المرضى الذين لا ينفعهم غير هذا العلاج ، والعبرة أيضا بتحديد النغمات الموسيقية الخاصة والمناسبة للمريض .

والقصة التى نرويها الآن تدل على براعة الكندي فى الطب ، كما تدل على براعته فى اختيار العلاج بالموسيقى المناسبة لبعض الأمراض ، فقد روى «القفطي» فى أخبار الحكماء :

« ومن عجيب ما يحكى عن يعقوب بن إسحق الكندى هذا ، انه كان فى جواره رجل من كبار التجار موسع عليه فى تجارته وكان له ابن قد كفاه أمر بيعه وشرائه ،

العلاج بالموسيقى

وهم أم حقيقة؟

فعرض لابنه سكتة فجاة ، فورد عليه من ذلك ما أذهله ، وبقى لا يدرى ما الذى له فى ايدي الناس ، وما لهم عليه ، مع ما دخله من الجزع على ابنه ، فلم يدع بمدينة السلام طبيباً الا ركب اليه واستركبه لفحص ولده ، ويشير عليه من أمره بعلاج فلم يجبه كثير من الأطباء لكبر العلة وخطرها الى الحضور معه ، ومن أجابه قال له : أنت فى جوار فيلسوف زمانه وأعلم الناس بعلاج هذه العلة ، فلو قصدته لوجدت عنده ما تحب ، فدعته الضرورة إلى أن يرسل الى الكندى باحد اخواته ، فالح عليه بالحضور ، فاجاب وسار إلى منزل التاجر .

فلما رأى ابنه ، وأخذ يجسه ، أمر بان يحضر اليه من تلامذته فى علم الموسيقى من أتقن العزف على العود ، وعزف الطرائق المحزنة والمزعجة والمقوية للقلوب والنفوس ، فحضر اليه منهم أربعة ، فأمرهم أن يضربوا بالعود عند راسه ووضع لهم موقع النغم من أصابعهم ، فراح كل منهم يضرب عوده ويعزف عليه و « الكندى » آخذ مجس الغلام ، وهو فى ذلك يقوى نبضه ، ويرجع اليه نفسه شيئاً فشيئاً الى ان تحرك ، ثم جلس وتكلم ، والعازفون يعزفون بالطريقة التى اتفقوا عليها .

عندئذ قال الكندى للأب :

سل ابنك عن علم ما تحتاج الى علمه وما لك وما عليك ، فجعل الرجل يسأله وهو يخبره .

فلما أجابه عن كل شيء غفل عن تلك الطريقة التى كانوا يضربونها ، فعاد الصبى إلى حالته الأولى وغشيه السكات ، فطلب الوالد معاودة الكرة ، فقال الكندى :

كان فى العمر بقية فاستطعنا أن نقوى روحه ونحرك نفسه ، أما الآن فقد استوفى أجله .

الموسيقى تصطاد الأسماك

وحكى أبو نصر الفارابى فى كتابه « السماع » ما معناه أن أحد ملوك اليونان قد رأى أن ناحية من نواحى بلاده دخل نفوس أهلها الكسل والجبن فبعث إليهم بفريق من الموسيقيين ، أسمعوهم الحاناً معينة فأيقظوا بها ما كان عندهم من كسل .

وقال افلاطون : من حزن فليسمع الموسيقى .

وقال صاحب العقد الفريد : النغم الحسن يسرى فى الجسم ويجرى فى العروق فيصفو له الدم ، ويرتاح له القلب ، وتهتز له الجوارح .

لقد سايرت الانغام الجميلة القرآن والأذان ومزامير داود ، واعترف بها المفكرون بآثارها ونتائجها ، واستعملها الأطباء علاجاً للحزن والكآبة والخوف ، واستخدمها الفلاسفة لتهدئة النفوس الثائرة .

والحيوانات أيضاً تطرب بنغمات الموسيقى ، وقد بحث بعض علماء اليابان تأثير الموسيقى والأغانى على الأسماك ، وانتهت أبحاثهم بأن هناك انغاماً خاصة تجتذب الأسماك وانغاماً أخرى تنفر منها وتبتعد عنها ، وأنه فى الامكان استغلال هذه الانغام فى اجتذاب الأسماك وصيدها على أوسع نطاق ، وبأكبر قدر مستطاع ، والأمر الذى يدعو إلى العجب ان العرب عرفوا ذلك واستخدموه منذ مائتين وألف سنة ، وقد ذكر الجاحظ هذه الناحية تحت موضوع « تأثير الصوت » فقال :

بالأصوات والانغام يتوّهمون الأطفال ، والدواب تصر آذانها اذا غنى المكارى ، والابل تصر آذانها إذا حدا فى أثرها الحادى وتزداد نشاطاً ، وتسرع فى مشيها ويجمع بها الصيادون السمك فى حظائرهم التى يتخذونها له ، وذلك انهم يضربون بعصى معهم ، ويعطعطون ، فتقبل أجناس السمك شاخصة الأبصار مصغية الى تلك الأصوات والأنغام حتى تدخل الحظيرة التى أعدت لها فيتم صيدها .

هل يمكن علاج السمنة بالموسيقى ؟

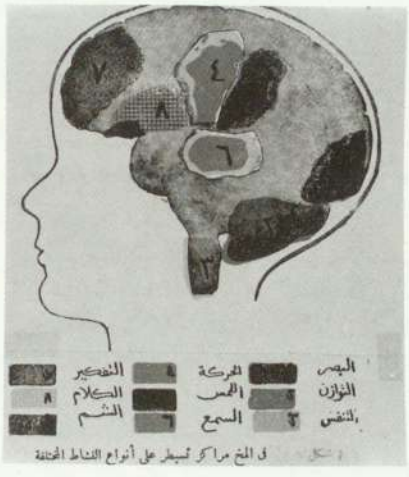
يتناقش الآن أطباء الجسم وأطباء النفس .. سبب هذه المناقشات ، نظرية حديثة لأحد العلماء النمساويين ، تعلن أن سماع الموسيقى الكلاسيك ثلاث ساعات يومياً يؤدى الى التخلص من الوزن الزائد ، وتحقيق الرشاقة المنشودة ... بلا خضوع لآلام الرجيم وذلك بعد أن أثبت العالم النمساوى البروفسور برامر : ان التجارب على مئات السيدات والرجال ، اثبتت أن الموسيقى تساعد على علاج السمنة ، وان جميع الذين أجريت عليهم التجارب استجابو للعلاج ونقص وزنهم الى الحد المطلوب .

وعلماء النفس يقدمون تفسيراً لأسباب السمنة ، ويوافقون مع نظرية علاج السمنة بالموسيقى .

والمجلة الطبية البريطانية نشرت دراسة هامة ، تؤكد العلاقة بين السمنة والقلق النفسى . وتشير التجارب لأصحاب هذه الدراسة الى أن معظم المترهلين والمكتنزين وأصحاب الكروش البارزة ، مصابون بحالة من القلق النفسى ، وأن نسبة انتشار الأمراض بين السمان تفوق بكثير نسبة انتشارها بين النحاف .

ويعتمد أنصار التفسير النفسى لظاهرة السمنة الى حقائق يصعب الخلاف عليها ، وهى ان النفس والجسم وحدة لا تتجزأ يتحكم فيها المخ .

ولأن المخ يتحكم فى مختلف النشاطات العضوية والنفسية والفكرية ، فمن الطبيعى ان تنطوى أقسامه على عشرات المراكز المتخصصة .. تشرف على مختلف الظواهر والحالات ، مثل الانفصام والنوم واليقظة والجوع والشبع والحركة وغيرها من النشاطات النفسية والعضوية .



في المخ مراكز تسيطر على أنواع النشاط المختلفة

عز الدين فراج

مسافر على الرصيف



بقلم : محمود السعدني

غرامياتي سيبويه

عاش الشيخ قطامش ومات ، لا يصدق شيئاً ، ولا يؤمن بشيء ، فالحياة أكذوبة ، والناس مجرد أكاذيب ، والنجاح صدفة ، والفشل قدر ، والأعمار بيد الله صحيح ، ولكن في أمر الحياة والانسان سر ما لا يفهمه قطامش .

وكان شديد الايمان بالله ، ولكنه كان مؤمناً متعاظماً في الوقت نفسه ويعتقد أنه قريب جداً من الله ، الى الحد الذى ليس محتاجاً بعده لتقديم الدليل على صدق ايمانه .

وكان أحياناً ، عندما يخلو لنفسه ، أو إلى صديق حبيب .. كان يبكي بكاء شديداً وكنت أشعر في تلك اللحظات ، بعمق جراح الشيخ عبد الحميد ، وغزارة نزفه .

وكان في ساعات صفوه يردد حكمة اثيرة لديه : (لن يغفر الله لأمثالنا) . وعندما أساله عن السبب يقول : (لأننا خالفنا ما جاء في اللوح المحفوظ !) ، وأساله : ماذا في اللوح المحفوظ بالنسبة لنا ، فيجيب : (ناكل مرة واحدة في اليوم . ولكننا خالفنا الأمر ، واصبحنا ناكل ثلاث مرات ، ونبقى أميين ، ولكننا تعلمنا ، ونظل فقراء ، ولكننا اصبحنا اثرياء) ! واقول له ساخراً : اثرياء !! فيجيب : نعم ، إنك تملك سيارة فولكس فاجن ، وترتدى بدلة ، وتدخن ، وتسافر للخارج في مهمات صحفية ، وهذا بالنسبة لما هو مكتوب لك ثراء فاحش . وأساله : وعلى ذلك سنخلد في النار ؟ .. فيجيب ساخراً : لا اظن ، لان المحسنين سيدخلون الجنة ، والمخطئين سيدخلون النار ، ولكن أمثالنا ـ انا وانت وزكريا الحجاوى ـ فلا مكان لهم في الدنيا ولا في الآخرة باذن الله .

وكان يؤمن إيماناً عميقاً بان ضربة حظ

غراميات سيبويه

اصابت اصدقاءه ، فاصبح زكريا الحجاوى فنانا شعبيا ، واصبح نعمان عاشور كاتبا مسرحيا ، ومحمود الشريف ملحنا مشهورا وان هذا الذى حدث ، كان من باب سخرية الاقدار ! . ولذلك لم يقرا قطامش حرفا واحدا من انتاج اصدقائه . لم يشاهد مسرحية لنعمان ، ولم يقرا حرفا لزكريا ، وبالرغم من احترامه الشديد لانور المعداوى ، إلا انه لم يكلف نفسه عناء قراءة مقال واحد له .

ويبدو ان طريقة التعليم فى الازهر – على زمانه – طغت على اى رغبة عنده للقراءة، فقد كان عليه ان يحفظ عن ظهر قلب كتبا تزن عدة اطنان ، وكان عبد الحميد يعلق على ما حدث قائلا : «لقد قضيت زهرة العمر فى حفظها ثم اكتشفت فى النهاية اننى لم استفد شيئا» . وساعده على عدم القراءة ، إصراره على الهروب من الوحدة وتجنبها ، وإلقاء نفسه فى بحر الناس ، فلم اشاهده وحيدا قط ، ولم يكن يلزم داره إلا إذا كان عاجزا عن الحركة ، وعندئذ كان يقوم باستدعاء الاصدقاء ، ليقضوا الليل حول فراشه .

ولكن اخطر نقطة فى حياة عبد الحميد هى علاقته بالجنس الآخر ، فقد عاش اعزب بالرغم من انه كان متزوجا ، ولكن زواجه تحطم فى اولى مراحله ، وبقيت الزوجة فى الريف على ذمته ، وعاش هو وحيدا مع اولاده فى القاهرة . وكان يكره المراة كراهية شديدة ، والاكيد ان هذا الموقف كان راجعا الى فترة شبابه ، حيث كان شيخا معمما ولم يكن طلاب الازهر فى قائمة فتيان الاحلام لبنات ذلك العصر ، ولذلك لم يجرؤ مرة واحدة فى حياته على مغازلة امراة ، ولم يكن لديه الشجاعة للافصاح عن شعوره للطرف الآخر ، وكان يحلم دائما بامراة تغازله ، وتطارده ، وتقع فى هواه . وكان إحساسه بالحب احساسا سينمائيا ، فهو يبحث دائما عن حب من هذا النوع الذى يظهر فى افلام السينما ، وينتهى غالبا بمأساة !

وكان يكتب خطابات غرامية احيانا ويرسلها لنفسه ، وكان حريصا على قراءة هذه الخطابات لي ، وعندما كان يبدو علي احيانا اننى غير مصدق ، وعندما يغلب علي الضحك ، يقوم الشيخ قطامش وينهال علي شتما . وكنت احاول تهدئته ، واقول له مداعبا ، إن الخطاب يا عبد الحميد مكتوب باسلوب لا يمكن ان يكون لامراة ، فهو مستوف لكل الشروط التى وصفها الفراهيدى وابن منظور ، وصاحبة الخطاب لابد وان تكون خريجة كلية اللغة العربية بالازهر (لم يكن فى الازهر طالبات فى ذلك الحين) .

وكان يضحك بعمق عندما اساله : هل وقع سيبويه فى غرامك ؟ ولكنه بالرغم من هذا الموقف الحاد من الجنس الآخر ، كان يبدو سعيدا للغاية إذا ضمه مجلس به سيدات . وكان على استعداد للزحف على ركبتيه ليلبى إشارة من امراة تعامله بشىء من الحنان او تبدى نحوه شيئا من الود ! وبالرغم من حرصه الشديد ، كان على استعداد لان ينفق آخر قرش فى جيبه لتلبية اى طلب ياتى من جانب امراة .

وهذه النفس المعقدة الحساسة الى درجة شديدة ، كانت هى حجر الزاوية فى ظاهرة قطامش ، فقد كان لا يفتح فمه بكلمة إذا ضم مجلسه فردا واحدا لا يعرفه معرفة وثيقة ، وكان لا يسب إلا من يحبهم من اصدقائه . وكان يخشى الحكومة ، ولكنه لا يستطيع الكف عن نقدها . وكان مثاليا ، ولكن تصرفاته الشخصية اكثر من واقعية . وكان يتجنب رؤية الدماء والاشلاء ، فى الوقت الذى كان فيه شديد القسوة لا يرحم.

صندوق المتناقضات الذى فى داخله ، هو الذى انتج فى النهاية هذا الرجل الساحر الساخر ، الذى لم يكن له مثيل فى زمانه على الاطلاق .

وكان دائم المزاح مع اصدقائه ، ويلجا احيانا الى مزاح من نوع ثقيل ، يؤلم ويجرح ، إذا عاتبه صديق اجاب بانه لا يقصد شيئا إلا المزاح ، وان النكتة «حبكت» وان الفرق بين الصديق والعدو ، هو ان الصديق يبلع لصديقه اخطاءه المقصودة فما بالك بالخطا غير المقصود . ولكن الويل لمن تسول له نفسه المزاح مع عبد الحميد بنفس الطريقة ، لقد قاطع صديق عمره زكريا الحجاوى ثلاث سنوات متصلة بسبب مزاح بداه عبد الحميد فرد عليه زكريا بنفس الاسلوب ، فكانت القطيعة !

واصل الحكاية ان زكريا الحجاوى كان جالسا فى مقهى عبد الله مع مجموعة من اصدقائه وتلاميذه ، ولم يكن من بينهم أحد من اصدقاء عبد الحميد ، وفجاة دخل عبد الحميد المقهى ، والقى نظرة على الجالسين ، فهب زكريا فى احترام مبالغ فيه ، وهى عادته عندما يكون فى جلسة مع بعض معارفه الجدد ، ورحب زكريا بعبد الحميد بكلمات تحمل كل الاحترام والتقديس . ووقف قطامش بعيدا عن زكريا وهو فى غاية الجد وقال : (لسه قاعد بتنصب يا زكريا ، يا حقير بنى اميه ، يا ابن الـ ...) ، ثم بصق على زكريا وانصرف !

موقف لاشك عانى منه زكريا بعض الوقت ، وبالتاكيد لم يجد تبريرا لهذا الموقف ، وخصوصا وان الذين كانوا يجلسون معه كانوا يعرفون زكريا قليلا ، ولا يعرفون قطامش على الاطلاق .

ومرت شهور طويلة بعد ذلك ، ثم سنحت فرصة لزكريا الحجاوى لينتقم ، فقد صعد زكريا الى « الباص » عند محطة الباشا فى منيل الروضة ، وكان « الباص » مزدحما والجو خانقا ، وشديد الحرارة . ولمح زكريا وسط الركاب الشيخ قطامش يقف مع مجموعة من المحامين الشرعيين . واقترب زكريا من احدهم وساله « هوه الاستاذ اللى واقف هناك ده يبقى عبد الحميد قطامش المحامى الشرعى ؟ » فاجاب الشيخ بالايجاب ، وصرخ زكريا صرخة شديدة « يالص ، ياكذاب ، يامنافق يا قطامش . تذهب اليك زوجتى بتوكيل خاص ، لترفع لها قضية طلاق منى فتغازلها غزلا معيبا يا منافق ياشيطان » . وبهت المشايخ جميعا ، فقد كانت هذه التهمة هى أم الكبائر فى مهنة تقوم اساسا على احترام اعراض واسرار الناس ولم يكن للقصة أصل من الحقيقة طبعا ولكن زكريا اندفع فى تمثيل الدور وعبثا يحاول المشايخ تهدئته دون جدوى وثار الركاب الآخرون على الشيخ قطامش وكادت تحدث كارثة ، وانتهز زكريا فرصة

الهرج الشديد الذى حدث فقفز من «الباص» واختفى .

وعبثاً حاولت الصلح بينهما دون نتيجة كان قطامش شديد الغيظ مما حدث ، وكان يقسم كلما فاتحته فى الموضوع انه لن يخاطب زكريا حتى الموت ، ولكنى انتهزت فرصة مواتية ، وتعمدت استفزاز قطامش عندما قلت له : يخيل الى أن هناك سبباً لا ندريه فى موقفك المتشدد والغريب من زكريا وقال قطامش عندك حق . فانا وجدتها فرصة لاقاطع زكريا الحجاوى الى الأبد ولما سالته عن السبب الحقيقى ، تنهد فى أسى وقال : إن زكريا يحقد على حقداً شديداً وارتسم شبح ابتسامة على شفتى ، ولكنه واصل حديثة فى جد شديد : لاتظن أنى أمزح أو أعبث يا محمود ، الحقيقة ان زكريا يحقد على حقداً شديداً ، والسبب انه عديم الأصل وفقير ، وهو لم يتعلم شيئاً ولم يستفد شيئاً ، كما انه ضائع وصائع ... ثم هدأ انفعاله قليلا ، وصمت لحظة ، ثم قال فى هدوء : «وأنا كمان كده ياأخويا ، وهو عاوز يبقى كده لوحده ! عشان كده بيحقد على . » وضحك قطامش ضحكة عميقة وصافية نابغة من القلب ، ونهض معى الى بيت زكريا الحجاوي ، وكانت سهرة لا تنسى .

ولقد ظللت خلال رحلة ضياعي بعيداً عن مصر ، أشعر بحنين شديد الى أربعة من الأصدقاء ، زكريا الحجاوى ، وعبد الرحمن الخميسى ، ومحمد عودة ، وعبد الحميد



عبد الحميد قطامش

قطامش . وقد رأيت « الخميسى » كثيراً فى المنفى ، وسعدت برؤية محمد عودة مرات ، وسافرت الى الدوحة خصيصا لرؤية عمنا زكريا الحجاوى ، ومن غرائب الصدف أنه مات بعد زيارتى له بالدوحة باشهر قليلة ، غير أن الفرصة لم تتح لى أبداً ، لرؤية عبد الحميد قطامش ، فهو لم يخرج من مصر قط وأنا لم أذهب الى مصر طوال مائة شهر وشهر . ولذلك كنت أحيانا أتذكر قطامش فى غربتى ، وأشعر بخوف شديد أن يموت قطامش دون أن أراه .

ومنذ أشهر قليلة التقيت المستشار الثقافى الكويتى بالقاهرة ، واكتشفت انه كان يبحث عنى بشدة ، فقد كان يحمل خطاباً من قطامش الى العبدلله ، وقرأت سطوره وبكيت : « يا محمود عد بسرعة ، فانا فى حاجة اليك . لقد مات كل الاصدقاء ولم يبق إلا أنا وانت . لقد رحل أنور المعداوي . ورحل محمود حسن اسماعيل ، ورحل زكريا الحجاوى ورحل عبد العظيم بدوى ، وهاجر محمد على ماهر والخميسى واختفى نعمان عاشور لا أدرى أين ؟ ... عد حتى أراك ، فأنا أشعر فى داخلى أن العمر قد ولى ، فاخشى أن أموت دون أن أراك ! » .

وأمسكت بالقلم وكتبت كلمات قليلة لعبد الحميد : « اثبت أيها الرجل ، فسيكون فى استطاعتى أن أراك قريباً عندما يأتى الفرج من عند الله ، وانت تعرف الظروف التى تمنعنى من العودة ، ولكنى واثق أنها ستزول قريباً باذن الله الواحد القهار اثبت ياعبد الحميد ولاتكن نذلا كعهدى بك فترحل قبل أن أراك !! »

وبعد شهور قليلة من تحريرى هذا الخطاب ، عثرت على ورقة من صفحة قديمة من جريدة الجمهورية المصرية تحولت فى النهاية الى قرطاس يحوى بعض الفاكهة . ولا أدرى ما الذى جعلنى اتفحصها وأقرأ سطورها ، وخفق قلبى بشدة على نعى الشيخ عبد الحميد قطامش منشوراً على استحياء .

يالها من لحظة خاطفة تجسدت وتبلورت فيها ذكريات عشرات الأعوام والغريب أننى انفجرت باكياً بشدة عند سماعى نبأ وفاة زكريا الحجاوى ، ولكن مع قطامش كان الأمر يختلف ، لم ابك ، ولم تختلج عضلة واحدة فى جسمى ، كأنما أصابنى شلل مفاجىء وبقيت هكذا فى حالة انعدام وزن عدة أيام

لقد انطوت بوفاة الرجل ، صفحة كاملة خطيرة ومثيرة وحافلة ، فما كان أعرض حياته وأعمق صلاته ، وكم شهدت ليالى القاهرة سهراته التى كانت تجلجل فيها ضحكاته ، وتطيش خلالها تعليقاته ولذعاته ، وقفشاته ، ونكاته التى تجرح وتسيل الدم . ولا أعتقد أن ركناً فى مدينة القاهرة لم يشهد سهرة لقطامش ، ولا أعتقد أن أحداً من الذين عاشوا فى القاهرة خلال **هذا النصف قرن الأخير لم يتعرف على قطامش أو لم يسمع به .**

وبالرغم من ذلك مات فى هدوء وانسحب من الحياة فى صمت ، ونعيه نشر فى جريدة الجمهورية فى عدة سطور لا تلحظها العين .

مسكين عبد الحميد قطامش .. عاش كالمهراجا ومات كالصعلوك ، لأن الزمن الذى مات فيه ، هو أردأ زمن مر على مصر ، زمن لمع فيه الطين ، واختفت فيه النجوم . لم يكن هذا زمان قطامش ، ولكنه كان زمن توفيق عبد الحي ، ورشاد عثمان . ولعل الموت كان أعظم هدية لقطامش الذى لم يستطع احتمال الحياة فى مصر ، ولم يستطع أن يغادرها ، وقنع اخيراً بعدة أشبار فى تراب مصر .

محمود السعدنى

الفائز بجائزة نوبل هذا العام

جابرييل جرثيه ماركيث

بقلم : الدكتور محمد عبد الله الجعيدي
الأستاذ بكلية الآداب والفلسفة/جامعة مدريد

شاع اسم « ماركيث » بين الكتاب العرب على أنه « جابرييل جارثيا ماركيز » . ولكن النطق الصحيح للاسم بالأسبانية هو كما ورد فى هذا المقال : « جابرييل جرثيه ماركيث » .

فى قرية أراكاتاكا التابعة لدائرة ماجدالينا (كولومبيا) ولد جابرييل جرثيه ماركيث سنة ١٩٢٨ ، وعاش فى مسقط رأسه حتى التاسعة من عمره فى كنف جديه لأمه ، وهناك أنهى السنوات الأولى من تعليمه الابتدائي ، وبعد ذلك أخذه والداه لكي يعيش معهما فى مدينة بارانكية الواقعة على الساحل الأطلسي حيث درس سنتين من المرحلة الثانوية ، وهي مرحلة شرع خلالها فى كتابة بعض القصائد والأقاصيص ، وبحصوله على منحة دراسية خرج ليواصل تعليمه فى مدينة ثيباكيرة القريبة من بوجوتا ، فأنهى تعليمه الثانوي ومنها انتقل الى بوجوتا ليواصل دراساته الجامعية فى الحقوق ، وهي دراسات راح يواصلها فى مدينة كارتاخينا الأطلسية أيضاً . ولكنه لم يكمل هذه الدراسات لأن الأدب قد ملك عليه كل كيانه وعرضه إلى نقد جارح من أقرب الناس إليه .

في يوم أحد من سنة ١٩٤٧ كتب الروائي إدواردو ثلاميا بوردا ، المحرر الأدبي لصحيفة الاسبيكتادور « المتفرج » البوجوتية فى الزاوية الأدبية التى يحررها تعليقاً يصر فيه على أن الجيل الأوربي الجديد فى كولومبيا يتسم فى مجموعه بالعقم وأنه لا يلوح في الأفق ما يبشر بظهور نتاج أدبي كولومبي ذي بال ، بالمقارنة مع أقطار أمريكية لاتينية أخرى . قرأ جابرييل هذا التعليق الرؤيوي ، وللتو استيقظ فى نفسه شعور بالتضامن مع جيله الأدبي . وفي الأحد التالي كنوع من التحدي لذلك التعليق الجارح جلس ماركيث وكتب أول أقصوصة له بعنوان « للمرة الثلثة خضوعاً للقدر » وأرسلها لادواردو الذي نشرها فى عدد الأحد التالي بصورة مبرزة فى الصفحة الأولى من الملحق الأدبي الاسبوعي للاسبيكتادور مذيلا ذلك باعتذار عما قد سلف منه فى التعليق سالف الذكر ويتكهن بمستقبل وضاء لكاتب الأقصوصة .

إثر هذه اللفتة التشجيعية واصل ماركيث الكتابة حتى جمع نتاجه سنة ١٩٥٢ فى مجموعته « عيون الكلب الأزرق » التى اعطته شيئاً من الشهرة داخل بلاده ، الأمر الذي جعل « الاسبيكتادور » تتخذه معاوناً من معاونيها . وفى خضم ضجة المطابع يكتب روايته الأولى « الأوراق الذابلة » التى يظهر فيها تأثير الكاتب الأمريكي وليم فوكنر ـ وبخاصة فى « عندما الفظ أنفاسي الأخيرة » ـ وتتحدد فيها معالم أسلوب ماركيث وأصالته .

فى سنة ١٩٥٥ وبعد أن تمرس فى حقل الصحافة أرسلته « الاسبيكتادور » مراسلا لها فى أوربا فاتخذ من باريس مقراً لاقامته . وفى هذه الفترة يقوم الدكتاتور جوسابو روخاس بينييا باغلاق الصحيفة ، فينقطع مورد ماركيث وينتقل إلى إيطاليا فيدرس فن السينما ويعود إلى باريس سنة ١٩٥٧ وحرب التحرير الجزائرية على أشدها فيتعرض ـ لشبهه بالجزائريين ـ لمضايقات الشرطة . ووسط هذه المصاعب السياسية والاقتصادية كتب روايته « ليس لدى العقيد من يكاتبه » ، عمل قصير لكنه ذو قيمة فنية حقيقية .

ومن فرنسا ينتقل الى فنزويلا فيعمل مراسلا للعديد من الصحف ، وفى نفس الوقت يكتب مجموعته القصصية الثانية

« ماتم الأم الكبرى » التى تتخذ من عنوان إحدى قصصها التى تعتبر من حيث الشكل والطبيعة استلهاماً لروايته « مائة عام من العزلة » .

وبعد إقامة ملأها النشاط الصحفي والأدبي والاعلامي فى بلاده ينتقل ماركيث سنة ١٩٦١ الى المكسيك ليعمل بصورة رئيسية فى حقل السينما والاعلان دون أن يبتعد عن عالم الابداع الأدبي فينشر روايته الثالثة « ساعة النحس » الحاصلة على الجائزة الوطنية الكولومبية للرواية .

خدمة إنسان العالم الثالث

وبين العامين ١٩٦١ ـ ١٩٦٥ مرت حياة ماركيث الأدبية بفترة جذب ، حيث خلا خلواً تاماً لتقييم أعماله السابقة تقييماً ظهر أثره سنة ١٩٦٥ فى قيمة أعماله وإحدى قمم الرواية العالمية المعاصرة : « مائة عام من العزلة » وهي رواية اراد كتابتها فى الثامنة عشرة من عمره ، إلا أن افتقاده للنضج الأدبي حينئذ حال دون ذلك ، ويبدو لي أن ماركيث قد تطرف فى الحكم على أعماله السابقة لهذه الرواية عندما اعتبرها تمريناً للوصول إلى كتابة « مائة عام من العزلة » ولو أن تواصل أعماله وانسجامها الذي يوحي للقاريء بأنه يقرأ عملا واحداً فى مجلدات متعددة يجعلنا أميل ـ فى بعض الأحيان ـ للبحث عن مبرر لذلك الحكم .

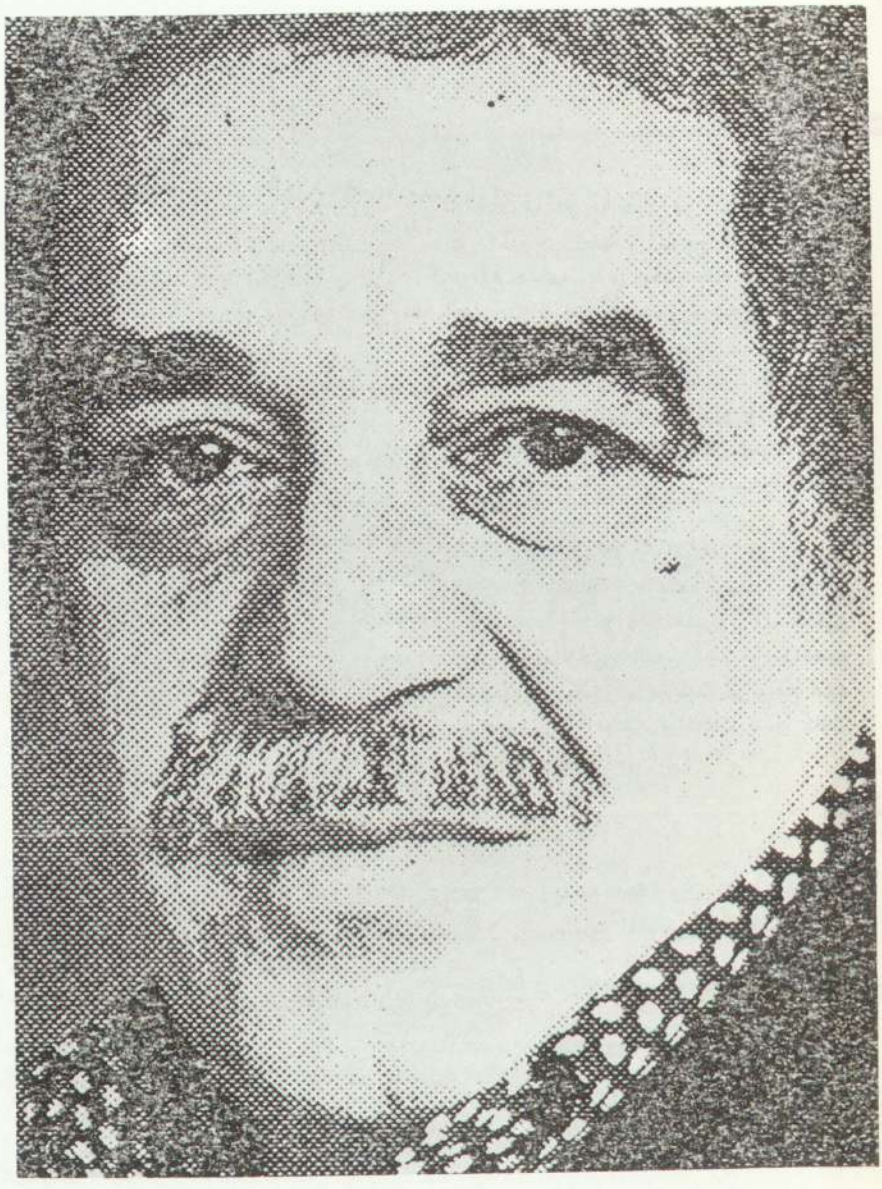
فبينما كان ماركيث متوجهاً من مدينة أكابولكو إلى المكسيك العاصمة اتخذ قراره بكتابة الرواية التى ظل يؤجل كتابتها طوال ثمانية عشر عاماً ، فيوكل شؤون بيته إلى زوجته « مرثيدس برتشة » ويتفرغ هو نهائياً لكتابة الرواية ، ست ساعات يومياً ، من التاسعة صباحاً حتى الثالثة مساء ولمدة عام ونصف العام ، خرج منها محاطاً بكل أنواع العوز . ولكن الرواية ذاع صيتها عالمياً واعتبرت من القمم الأدبية ، فدرت على كاتبها سعة مالية مكنته من تحقيق حلم غال على نفسه هو العيش فى مدينة برشلونة الأسبانية ليكرس نفسه تماماً للابداع الأدبي .

وفى ظل الشهرة وسعة العيش ، وبعد ست سنوات من الكتابة وتمزيق ما يكتب ، ينشر سنة ١٩٦٨ روايته « خريف البطريرك » التى تحاول باسلوب الشعر الغنائي أن تقدم للقاريء صورة حية لظاهرة الدكتاتورية العسكرية فى أمريكا اللاتينية ، وهي ظاهرة دأب الروائي على درسها بعمق وروية .

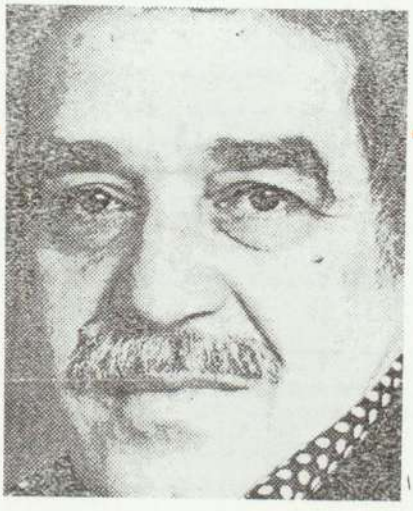
وكانت حياة ماركيث وواقع بلاده واطلاعه الواسع على الأدب العالمي معيناً لا ينضب لأعماله الأدبية . فالحديث عن قريته وجديه يحدد طابع أعماله ، فجدته « ترانكيلينا جواران » قصت على مسامعه كثيراً من الأساطير والخرافات القديمة ، فارته الحياة من وجهها الخرافي . أما جده « نيكولاس ماركيث » الكولونيل الليبرالي الذي شارك فى « حرب الألف يوم » الأهلية (١٨٩٩ ـ ١٩٠٢) فقد روى له كل ملابسات هذه الحرب وأضرارها وهو لا يزال فى الثامنة من العمر ، فاراه الواقع الذى حدث بالفعل . فقد كان جابرييل مشدوداً إلى بيت جديه وعالمه « بخيط رفيع غير مرئي » حتى تجسد جده فى صورة الكولونيل بدون اسم فى « الأوراق الذابلة »

وقد أدى إنحدار أجداد ماركيث من أصل جاليقي وانتمائه لساحل كولومبيا الكاريبي ذي الأثر الأفريقي إلى استيحاء هذا الاقليم الأسباني وتلك القارة السمراء فى أعماله .

ويمكننا القول بأن تكوين ماركيث الأدبي قد قام على عنصرين : السياسي الاجتماعي الذي عاشته بلاده من اضطهاد وقهر . والعنصر الأدبي من خلال قراءاته وممارسته ميدانياً للعمل الصحفي حيث تكشف أقصوصة « الغريق » عن علاقة نظام الحكم الكولومبي بحركة التهريب . وقد أدى نشرها في « الاسبيكتادور » إلى إغلاق الصحيفة ونفي كاتبها فى أوروبا سنة ١٩٥٧ . وإن كانت القصة فناً لاستقراء الواقع ، فان ماركيث يرى أن مصير الانسانية سوف



جابرييل جرثيه ماركيث .. الروائي الذي دافع عن الانسان كقيمة اخلاقية



جابرييل جرثيه ماركيث

يؤول إلى العدالة والحرية . ومن هـذا المنطلق كتب روائع مثل « مائة عام من العزلة » و « خريف البطريرك » . وجند موهبته الصحفية لخدمة الانسان في العالم الثالث وقضاياه التحررية .

تأثره بالأدب العربي

اما تاثير قراءات ماركيث في اعماله الادبية تاثيراً عميقاً جعله « يعدل تصورات معينة لديه عن العالم » فيمكن استيعابه لاعمالهم مثل « كافكا » و « وليم فوكنر » و « كونراد » و سينت اكسوبيري » و « سوفوكليس » و « دانييل ديفوي » و « بروس » و « فرجينيا وولف » و « بابلو نيرودا » .

فعندما كان ماركيث في التاسعة عشرة من عمره قرأ قصة « المسخ » لكافكا فتاثر بواقع بطلها الذي يفكر بفكر إنسان في حين انه ممسوخ في صورة جعران ضخم . وربط بين واقع جريجوريو سامسا بطل القصة وبين ما روته له جدته فاهتدى إلى المادة الاولية التي تستخدمها جدته خامة ويستخدمها « كافكا » في قالب فني . وبهذا كان كافكا ملهماً لماركيث في قصته « الاقامة الثالثة » وفاتحاً الطريق امامه .

اما « وليم فوكنر » المنحدر من جنوب الولايات المتحدة الأمريكية ، منطقة تغص بالراسماليين والاقطاعيين المستغلين للفقراء والفلاحين الذين أخذ من واقعهم مادة لأدبه ، فقد رأى ماركيث في واقع أدبه ما يشبه واقع قريته أراكاتاكا التي كانت

● من أقوال ماركيث ●

من كتاب عزلة جابرييل جارسيا ماركيث

ترجمة : نادية ظافر شعبان

«كل رواية جيدة ، سبر لاغوار العالم . وقد اخذ النقاد على عاتقهم مسؤولية حل رموز روايتي ، وإني لمنتظر ان يفعلوا ! ... لا ألمح بالطبع إلى الايماءات اللاشعورية الخاصة في «مائة عام من العزلة» ، التي يستطيع أصدقائي الحميمون ان يكتشفوها فحسب : فكل تاريخ يوافق عيد ميلاد احدهم ، وإحدى الشخصيات تفكر مثل زوجتي . ويرغب احد زملائي في ان يسمي ابناءه باسماء ابنائي . ثمة امور اخرى كثيرة لا سبيل الى اكتشافها بمطالعة الكتاب السطحية .

«يؤلمني ان احداً من النقاد لم يشر الى واحدة من التناقضات الاثنتين والأربعين التي اكتشفتها شخصياً بعد ان نشرت الكتاب . لم يذكر ناقد خطأ واحداً من الأخطاء الكبيرة التي ذكرها لي مترجمي الايطالي ، والتي يجب ألا أصححها في الطبعات الجديدة او الترجمات ، لان ذلك عمل غير نزيه» .

● ●

«أصر النقاد على أثر فوكنر في كتبي ، حتى لقد اقنعوني بذلك . الواقع أني كنت نشرت قصتي الأولى «ما يتساقط من الأوراق» قبل ان اشرع في قراءة فوكنر وبمحض الصدفة أردت أن أعرف ما يستند اليه النقاد في نسبة تاثري بفوكنر سافرت بعد سنوات الى جنوب الولايات المتحدة . ظننتني ساعثر على الجواب الذي لم أجده في الكتب . تأثرت بتلك الدروب المليئة بالغبار ، والقرى المحترقة البائسة .. كان ناسها يعيشون دون أمل . وكانوا يشبهون الناس الذين وصفتهم في اقاصيصي . واعتقد أن التشابه بين الطرفين لم يكن صدفة . لقد ساهمت شركة الموز الأمريكية الشمالية في بناء القرية التي ولدت فيها . «لا يزعجني أن اتاثر بفوكنر . بل اعتبر ذلك مديحاً لأن فوكنر من أعظم روائيي كل العصور . لكني لا أفهم سبيل النقاد الى إثبات هذا التاثير . فالكاتب الذي يجيد ما يعمل ، يحاول ألا يشبه أحداً وان يلغي تاثره بكتابه المفضلين فلا يقلدهم».

● ●

« ليس لدي كتاب مفضلون على أن ثمة كتباً تعجبني أكثر من غيرها . مع أنها لا تعجبني كل يوم . ثم إن اعجابي بها لا يعني انني افضلها على غيرها ، فاسباب الاعجاب مختلفة ، ويصعب على تحديدها دائماً . خذ ، هذا المساء ، هذه اللائحة : أو ديب الملك لسوفوكل . أماديس دي جاولا . البرص الصغير لتوريس . مذكرات سنة الطاعون لدانييل ديفو . رحلة أولى حول الكرة لبيجافيتا ، طرزان القرود لبوروز . وقد أتذكر كتابين آخرين أو أكثر . لا أدري ما تعني هذه الكتب في نظر النقاد . لكنها قيمة هذا المساء ، وقد لا تكون كذلك مساء الغد . منذ سنوات لم

تستغلها ويستغل موزها شركة «يونايتد فروت كامبني » الامريكية ، فكانت قصص فوكنر هادياً لماركيث فى اعماله .

أما « فرجينيا وولف » فقد تعلم من روايتها « مسس دالوي » كيفية استخدام الزمن ، وصرح ذات مرة بانه لو لم يقرأ هذه الرواية لما أصبح على ماهو عليه اليوم من عظم الشان فى عالم الأدب .

أما « رامون بيا » القطلوني الاسباني الجمهوري الذي كان منفياً فى الخمسينات فى كولومبيا فقد يسر للشاب ماركيث فى تلك الفترة الحصول والاطلاع على الكتب المتعلقة بالأدب اليوناني القديم والأدباء اللاتين والانجلوسكسونيين مثل « جويس» و «بروس» ، ولهذا نجد ماركيث فى نهاية «مائة عام من العزلة» يشير إلى « رامون » بلقب « العلامة القطلوني » اعترافاً بفضله.

هذا بالاضافة الى تاثير التراث العربي متمثلا في أمهات اعماله الأدبية ذات الشهرة العالمية مثل الف ليلة وليلة التى أعلن الكاتب بنفسه عن اعجابه بها وتاثره بسحرها .

ومع هذا كله يكون من الصعب تحديد مؤثر بعينه فى ادب ماركيث لان هذا الاخير ياخذ من كل بستان زهرة ليشكل بـــاقة رواياته التى تقوم على صياغة الواقع فى ثوب فني .

ماركيث كاتباً ناشئاً

وكان على ماركيث ككاتب ناشيء ان يشق طريقه الصعب عبر عالم النشر . فعندما أرسل مخطوط « الأوراق الذابلة » لـــدار « لوسادا » للطباعة والنشر بالارجنتين اعادوا إليه المخطوط مع ملاحظة بقلـــم « جييرمو دي توري » الناقد الأسباني ينصحه فيها بترك الكتابة والتفرغ لأي عمل « حتى ولو كان بيع البطاطا » . أما روايته « ليس لدى العقيد من يكاتبه » فقد نشرتها مجلة ادبية دون الحصول على إذن منه أو أن تبعث له بالمكافاة ظانة بانها قد قدمت له معروفاً بنشرها لعمل استصغرته دور النشر ! .

وتتغير الأحوال بظهور « مائة عام من العزلة » التى نفذت طبعتها الأولى الصادرة عن دار امريكا الجنوبية للطباعة والنشر . وفي مدينة بيونس ايريس وحدها

احتمل فوكنر وتضجـــرني الروايات عموماً . أعْنِي منذ سنـــوات باخبـــار البحّـــارة فحسب . »

●●

« أكتب في غرفة هادئة مدفأة جيداً ، فالأصـــوات والبرد هي الأمر الوحيد الذي يزعجني . أدخن أربعيـــن سيجارة سوداء خلال ساعات العمل . وأقضي بقية النهار محاولا شفاء نفسي من التسمم . يعتقد الأطباء أنني أنتحر ، وأؤمن أن كل عمل يشغفنا ، انتحار بطريقة ما .

« قلما يجهد الكاتب في عمله . فبمقدار ما يبطىء ، تاتي النتيجة أفضل . لذلك كان تاليف الرواية أحب من كتابة القصة . فانت تستريح منها دفعة واحدة . بينما عليك ، كلما شرعت فى كتابة قصة ، أن تبذل الجهد نفسه الذى تبذله لكتابة رواية . ثمة مناسبات استطيع فيها أن انكب على عملي فترات طويلة . مع ذلك أعرف أني أقدر على كتابة الأشياء فى اليوم التالي ، بعد أن أستريح وقتاً كافياً ، لا أفكر ، خلال الليل والنهار ، إلا بما أكتب . أحدث به أصدقائي الحميمين ، من يتفهمون نفسيتي ، ولكني لا أقرأ عليهم سطراً واحداً منه ، ولا أسمح لهم بقراءة أو بلمس مسوداتي ، لأنني أعتقد ، تطيراً . ان نتاجي ، عندئذ ، يضيع إلى الابد .

لا ! لا أدون الملاحظات إطلاقاً ، إلا من إشارة إلى برنامج العمل اليومي . فقد علمتني التجربة أننا إن قضينا الوقت نفكـــر فى الملاحظات المدونة نسينا الكتاب ، ومسار الكتابة .

حين استفيق ، أبدأ أول ما أبدأ ، بتصحيح نتاج اليوم السابق ، بحبر أسود . ثم أنسخ ما كتبت ، ثم أصحح النسخة الأصلية كاملة ، وأعطيها لسكرتيرتي لتطبعها على الالة الكاتبة ، لاني لا أحتفظ بنسخة مما أكتب ، فاذا فقدت ورقة ، خلال تنقلاتي ، أعدت كتابتها فى يوم واحد .

« أقرأ المسودات احتياطاً . سمح لي الناشر أن أغير ما أشاء فى (مائة عام من العزلة) ولكني لم ابدل إلا كلمتين . والحق أن الكتاب يفقد إلى الابد أهميته لدى منذ أن أنتهى من مراجعة النسخة الأصلية التى رضيت عنها » .

●●

« مايريده احدنا أن يكون كاتباً ، لذلك ينكد عيشه أن يقوم بعمل ثانوي . أرفض ما كان يقال عني سابقاً من أن على الكاتب أن يعاني الضيق المادي والبؤس ، حتى يغدو كاتباً ناجحاً . واعتقد أن الأديب أقدر على الكتابـــة والابداع إذا كانت مشاكله البيتية والاقتصادية محلولة وأولاده وزوجته بصحة وعافية ، ووازت متطلبـــات العيش دخله المتواضع ! لا ليس صحيحاً أن سوء وضعه الاقتصادي مساعـــد على الابداع ! لانه لا يريـــد أن يقوم بعمل غير الكتابة . وأفضل ما يساعده على الكتابة أن تكون مشـــاكلـــه محلولة .

« أذكر أمراً آخر . كـــان ممكناً أن أحل مشاكلي لو قبلت المنح والمساعدات المادية ، أو إحدى تلك الصيغ التى اخترعت لمساعدة الأديب . رفضت كـــل ذلـــك رفضاً قاطعاً . واعرف أن كل الكتـــاب الأمريكييـــن ـ اللاتينيين يؤيدون موقفي . فنحن نؤمن ـ وخوليـــو كورتازار مثل لنا ـ إن كرامة الأديب تمنعه أن يقبـــل الاعانات ليكتب . فكل إعانة مادية ، مهما كانت وسيلتها ، تسيء إلى سمعته » .

جابرييل جرثيه ماركيث



خلال خمسة عشر يوماً . أما روايته الأخيرة « وقائع موت معلن عنه » فقد صدر من طبعتها الأولى فى ٢٨ ابريل ١٩٨١ مليونان ومئة وخمسون الف نسخة . وبعد أسابيع صدرت طبعتها الثانية . وما كاد عام ١٩٨١ يشرف على نهايته حتى ترجمت الى اثنين وثلاثين لغة ، من بينها العربية التى نشرتها مجلة الدستور اللندنية فى خمس حلقات خلال شهر اغسطس من نفس العام وهي ترجمة مباشرة عن الأسبانية .

العزلة .. دائماً

وإن كان ماركيث قد كتب ـ كما صرح ـ كتاباً واحداً مفرقاً في عدة أعمال ، فان العزلة بمختلف أشكالها هي موضوع هذا الكتاب . فالعزلة فى أعمال « ماركيث » كالضياع فى أعمال « كافكا » والماساة فى أعمال « جويس » والألـم فى أعمـال « دستويفسكي » . إنها عزلة أمريكا اللاتينية داخل أسوار سياسات القهر والاضطهاد والاستغلال والهيمنة الاجنبية وهي ليست بعزلة الانسان الشخصية وإنما هي عزلة فرضتها الظروف الحائرة على الانسان مانعة إياه من التطور ، ومن تأكيد هويته ووجوده بحرية ، وهي عزلة الشخصية المركزية فى « الأوراق الذابلة » حيث تموت فى عزلة مطبقة . وهي عزلة الحياة اليومية فى « مائة عام من العزلة » وفي « خريف البطريرك» يحاول ماركيث النفاذ الى عزلة السلطة الطاغية التى تفرط فى حقوق شعبها إنسياقاً وراء النفوذ الأجنبي . وفي « ساعة النحس » تتمثل العزلة فى عزلة المحافظ الذي انصرف عنه الناس ولم تبق بجانبه إلا عرافة تكشف له المستقبل . وبغي يتحادث معها على أمل الخروج من هذه العزلة . وفي « ليس لدى العقيد من يكاتبه » نجد العقيد وزوجته وديكه ينتظرون كل يوم جمعة مكافاة تقاعد أبداً لن تصل .

وهكذا تمثل العزلة بمختلف صورها ورموزها وبطابعها السياسي الاجتماعي العمود الفقري لأعمال ماركيث . فالعزلة عند ماركيث مضادة للتضامن المفقود بين البشر ، وتكاد تشبه تلك العزلة التى اتسم بها شعر ثيسار باييخو (١٨٩٢ ـ ١٩٣٨) ، إذ أن الانسان فى عزلة لا لأنه أراد ذلك وإنما لأن الظروف التاريخية قد قهرته ووضعته فى هذا المحك . فالطاغية يفقد طريقه فى غيبة التضامن البشري التى فرضتها القوى الاستعمارية الغازية المحتكرة التى عاملت الطاغية كعميل وليس كصديق .. وبهذا ارتضت له كل ما من شانه أن يفيدها حتى ولو أضر بمصالح شعبه ووطنه ، حتى إذا ما لفظه شعبه تخلت عنه هذه القوى الاستعمارية وعندها يقع فى براثن هذه العزلة المفروضة عليه من الخارج .

ومن المؤكد أن شهرة جابرييل جرثيه ماركيث قد قادته الى مواقع أكثر تقدماً على خط النضال السياسي انطلاقاً من إيمانه المبدئي فى الدفاع عن الانسان كقيمة أخلاقية وقد عبر عن ذلك النضال حسب قناعاته السياسية بتاسيـس مجـلة « التيرناتيبا » التى ظلت تصدر فى بوغوتا طوال سنوات خمس .

وحالياً بعد أن فر بنفسه واسرته من شر السلطة العسكرية فى بلاده ، ومن مقر إقامته بكيرناباكا بالمكسيك ، وبعد أن نشر روايته الأخيرة « وقائع موت معلن عنه » يكرس الروائي الكولومبي جهوده لكتابة التقارير السياسية التى تنم عن فهم عميق لظروف العالم المعاصر أساسه علاقات صداقة قوية ربطته بمشاهير الساسة مثل فيدل كاسترو، فرانسوا ميتران ، وعمـر توريخوس (رئيس بنما) . وفى نفس الوقت لا يتوقف عن تطوير عمله الأدبى الذى سيتبلور هذه المرة فى مجموعة قصصية تتخذ من الظروف القاهرة والمصائب التى تعيشها قارته إثر تصادم الثقافات والعقليات المختلفة فيها موضوعاً لها . وسيكون عنوان المجموعة : «أيام متعاقبة هى الحياة» .

محمد عبد الله الجعيدى

ماركيز يرفض مليون دولار !

● من أنباء الفائز بجائزة نوبل جابرييل جارسيا ماركيز أنه رفض مليون دولار تقدم بها إليه الممثل العالمى أنطونى كوين ، وذلك مقابل تحويل روايته الشهيرة «مائة عام من العزلة» الى فيلم سينمائى !!

تراثنا العربي
يفتقر إلى التفسير والفهم!

بقلم : نعمان عاشور

وانا جالس أرصد بخيالي المشهد العام لحياتنا الثقافية وأمامي عشرات الكتب التى يستعصى علي قراءتها لأنها لا تستحق القراءة .. ومن حولي البرامج التليفزيونية التى تحاصرني بمسلسلاتها المتشابهة المكررة وأفلامها المتلاحقة المضنية المزهقة للأفكار والتى أصبحت تطمس كافة القيم .. تلمع فى خاطري حيرة مباغتة حول أهمية الفكرة وقيمتها .. ما الفرق بين الفكرة الجيدة ذات القيمة والفكرة الرديئة التافهة التى لا قيمة لها .. وما الذي يميز فكرة ما عن فكرة أخرى ؟ وكيف يمكننا أن نوازن بين حقائق الأفكار ونفعها أمام هذا الكم المتلاحق من الترهات التى ترجم بها عقولنا وأفهامنا صباح مساء . وطال بي التأمل كالمعتاد فرحت أمنطق القضية بتفاصيل أرهقت عقلي المكدود إلى أن وصلت الى بديهية كان يجب أن أصل لها من البداية .. الفكرة ذات القيمة هي تلك التى تصمد على مدار أجيال وآجال فلا تضعف ولا تنمحي مع تلاحق الزمن بل تثبت وترسخ حتى تتحول من مجرد كونها فكرة لها دلالتها المعنوية الى حقيقة مادية لها أثرها الملموس وبحيث لا يبلى تأثيرها اليوم عما كان عليه تأثيرها بالأمس !! .

كنت أقرأ من أيام طرفا من كتاب يتضمن واقعة يرويها صاحبها صاحب الكتاب .. عن مفكرنا الاسلامى الكبير وقائد نهضة الشرق فى منتصف القرن التاسع عشر .. السيد جمال الدين الافغانى .. يقول المؤلف .. « حدث أن ارتحل الأفغاني الى الاسكندرية بدعوة من تلميذه أديب اسحاق لمشاهدة مسرحية «شارلمان» التى ترجمها عن الفرنسية وكانت تقدمها فرقة سليم النقاش فى أوائل السبعينات من القرن الماضى .. وشاهد الأفغانى المسرحية وأعجب بها واهتز لهذا اللون من الوان الفن الذى كان لايزال فى باكورة وجوده عندنا .. وهو فن المسرح فلما عاد الأفغانى الى القاهرة بعدها بأيام .. بعث برسالة شكر الى أديب اسحاق وسليم النقاش جاء فيها بالحرف الواحد .. «الحذر كل الحذر من الانسياق وراء التفاهات لأن من طبع الجهالة أن تدفع الناس الى التكالب على



جمال الدين الأفغانى

التفاهات .. والمكسب الحقيقى فى التشخيص هو توعية الجمهور باحوال معيشته وحقيقة حياته وذلك يكون بضرب الامثال وليس بالنصيحة الفارغة والعظة الجوفاء»

هذه الفقرة كتبها الافغانى منذ مائة عام .. وفى رسالة من رسائله الخاصة .. وربما تأثر بها من كتبت لهم ..ولكن الغريب العجيب اننا لو حللنا هذه الفقرة تحليلا دقيقا .. ثم حاولنا أن نطبقها على ظروف المسرح وتطوراته خاصة مسرحنا الراهن هو وبقية ألوان التعبير الدرامى السائدة مثل السينما والاذاعة والتليفزيون لوجدناها مطابقة كل الانطباق فى تشخيصها لواقع الحال وفى تبينها لما آلت إليه من نتائج وابرازها لحقيقة الحل الواجب الذى يردده الأفغانى على صورة تحذير !!!!

كلمة يكتبها صاحبها منذ أكثر من مائة عام تظل حية بمضمونها ومدلولها ومغزاها لتعبر الأجيال حتى تصلنا ناضجة نقية طازجة وكأنها وليدة اللحظة وبنت الساعة .. أكيد كان الأفغانى يرى بثاقب نظره وبفكره الفاحص المدقق ما يجرى أمام عينيه وليس له سابقة عهد ولا معرفة بالمسرح ولا بفنون الدراما وذلك منذ أكثر

تراثنا العربي
يفتقر إلى التفسير والفهم!

من قرن كامل .. ما أصبحنا نراه اليوم ولا نستطيع أن ندرأ شره وخطره ومغبته على حياتنا الثقافية وعلى فنوننا المعاصرة فكيف تأتى له ذلك ؟!!

حقيقة المسرح

ليس أجدى أن نبدأ بتحليل تلك الفكرة التى جادت بها عبقرية الرجل بالقياس الى ظروفها ودواعيها حتى يمكننا أن نصل الى قيمتها وحقيقتها .. شيخ معمم يقارب الستين من العمر أخذ على عاتقه مهمة الدعوة إلى إنهاض الأمم الشرقية الاسلامية ودفعها فى مسار التطور الحضارى على أساس من ماضيها الشامخ التليد .. يدعوه بعض تلاميذه من الذين تأثروا بمنطلقات الثقافة الحديثة فى فنونها الذائعة وربما يكون قد شاهد المسرح من قبل أو سمع به أو قرأ عنه .. ولكنه أكيد لم يره ويشاهده ويلمسه على هذه الصورة المباشرة المجسدة إلا بعد زيارته للاسكندرية وحضوره لعرض مسرحية «شارلمان» .. كيف يمكنه بعد هذه المشاهدة التى لايمكن أن تكون قد زادت عن مدة العرض أى ثلاث أو أربع ساعات على أكثر تقدير .. كيف أمكنه أن يلم كل هذا الالمام بحقيقة المسرح لا فقط فى ايجابياته كفن مباشر لاصق التجاوب بجمهور مشاهديه .. ولكن كفن يرتبط اساساً وبخلاف كافة الفنون الأخرى ويعتمد اعتماداً كلياً وحتمياً على الجمهور المشاهد .. فالجمهور فى المسرح ليس مجرد عنصر متفرج وانما هو يدخل فى مكونات العرض المسرحى كعنصر رئيسى .. قيمته وأثره من قيمة النص وقيمة الممثل وقيمة المخرج .. ناهيكم عن بقية وسائل العرض الأخرى من الموسيقى الى الأضاءة الى الديكور ..

لاعجب أن يبدأ الأفغانى بالتحذير من الانسياق وراء التفاهات لأنها من طبع الجهالة التى تدفع الناس الى التكالب عليها .. أى أن مستوى الجمهور نفسه ومدى تذوقه للعرض واحساسه به هو الذى يحدد قيمة العرض .. وهذا صحيح .. ثم أو ليس هو التبرير السائد اليوم والذى يقدمه أصحاب مسارح التسلية والاضحاك للمستويات الهابطة التى يقدمون بها عروضهم ؟؟ أليست هذه نفس المزاعم التى تدفعهم الى تكرار الجهر بان «الجمهور عاوز كده» .. إنها الدعوة المرفوعة كشعار لأكثر من عشر سنوات لتبرير كل ما يقدم على خشبات مسارحنا من إسفاف واستهتار



برناردشو



تشيكوف

بكافة القيم متخفية وراء نزوات الجمهور وهو نفس ما رصده الأفغانى من أول مشاهدة «الانسياق وراء التفاهات التى تولدها الجهالة» .. هذا ما نهى عنه الافغانى فى أول عباراته وكأنه كان يقرأ فى كتاب مفتوح الصفحات بارز الحروف لا على المسرح السكندرى منذ أكثر من قرن .. ولكن على المسرح المصرى والمسرح العربى عامة بعد أكثر من قرن كامل من الزمان وهو يكرر نفس البديهية الأولى التى نهى عنها ...

فهم حقائق الحياة

لكن الأفغانى لا يقف بفكرته الثاقبة عند هذا الحد .. بل إنه ليعدوها الى ما هو أجل وأقيم منها فى التعريف بحقيقة فن المسرح وقيمته ونفعه .. فنراه يتبع ما حذر منه كعامل سلبى أساسى كامن فى طبيعة المسرح كعرض جماهيرى مباشر التجاوب مع مشاهديه الى الجانب الايجابى الذى يمثل ويشكل جوهر رسالة المسرح بالنسبة لجميع المشاركين فيه وعلى رأسهم الجمهور نفسه فيقول «والمكسب الحقيقى فى التشخيص هو توعية الجمهور بأحوال معيشته وحقيقة حيّاته» .. فقرة مبهرة يركز فيها الأفغانى تركيزاً نفاذاً على المفهوم الصحيح للمسرح وهو المفهوم الذى يميزه كفن تشخيص والذى اهتدت به كافة الحضارات التى عرفت المسرح عصوراً عديدة قبلنا من عصر اليونان حتى عصرنا الحاضر .. انه المفهوم الذى بنى عليه أرسطو نظريته وهو نفس المفهوم الذى قام عليه المسرح عند شكسبير الانجليزى ، وموليير الفرنسى ، وإبسن النرويجى ، وتشيكوف الروسى وبرنارد شو الايرلندى ، وبيراندييللو الايطالى ..

فماذا يقول الأفغاني عن هذا المفهوم ؟!

إنه يستبق ويهضم ويحتوى التعريف الصحيح للمسرح فهو فن لابد أن يحمل رسالة قوامها تمكين الناس من فهم حقائق حياتهم والوعي بأحوال معيشتهم وعلى حسب آخر وأدق وأشمل تعريف للمسرح «فن الفنون والمؤسسة الثقافية التى تنصب فيها الرؤية الحقيقية للكون والحياة الى جانب انه منبر توعية ومنار مشع للمثل والقيم والتطلعات الانسانية جميعاً ..» وهذا ما نفذ اليه الأفغانى بفكره الثاقب عن المسرح ، لكن كيف يمكن للمسرح أن يحقق رسالته ؟!

هنا أيضاً تتكشف المعية مفكرنا الكبير .. فوسيلة المسرح تعتمد جوهراً وأساساً على ضرب الأمثال .. أى على التشخيص والتصوير الموضوعى الذى يستوفى كافة الشرائط الفنية المحكمة الأكيدة .. وليس مجرد اطلاق النصائح الفارغة أو الألفاظ الجوفاء .. وهو ما يعنى اتقان الفن بحيث تتوافر من خلاله المتعة العقلية الى جانب المتعة الحسية التى تحمل للمشاهدين ما يساعدهم ويعينهم ويقنعهم على تبين الخير من الشر والحق من الضلال وتمييز الصالح من الطالح ..

وهكذا تتأكد حقيقة النظرة الثاقبة من خلال الفكرة ذات القيمة . الفكرة التى لا تقف بقائلها عند حدود الجهر بها لتضيع فى الهواء .. وإنما يمتد بها الزمن لتكون أثبت على الزمن من حياة صاحبها نفسه ولو كان ما قاله الأفغانى وحاولنا تحصيله وتفسيره ومقارنته بواقعنا الراهن .. لو كان مجرد رأى عابر أو فكرة طارئة لما كانت حفاوتنا بها الى هذه الدرجة التى تجعلنا نقدمها لكم كدليل واضح أكيد .. على أن الفكرة .. كما أسلفنا من قبل أثبت على الزمن من أن تظل مجرد فكرة سيما إذا كانت فكرة جيدة ناضجة ثاقبة لأنها بالفعل وبهذه المواصفات تتحول الى حقيقة مادية ملموسة من الحقائق الباقية الحية التى تقاس بها قيمة الأشياء . فما بالكم إذا كانت فى مجال الفن وهو مجال نادراً ما تثبت فيه التعريفات ؟!

الافادة من التراث

وقد تسألونى عن الهدف من وراء عنايتى واهتمامى بمثل هذا التحليل الذى قد يعتبره البعض فرعياً أو ثانوى الدلالة .. فأجيبكم بأن هذا النهج الذى اختطه



ابن خلدون



ارسطو



شكسبير



موليير



إبسن

معكم إنما يمثل أقوم ما يجب أن نحتفى به فى الافادة من تراثنا الغامر الضخم .. لا بنشره مفصلا فى عشرات الكتب والمجلدات بل بمحاولة التنقيب عما يحويه فى تفاصيله فضلا عن مجمله من الأفكار الحية النابضة الناضجة التى سجلت ورصدت وكان يمكن أن تكون عبر الأجيال أبرز ما نهتدى به فى دعم تقدمنا لولا ما غام على حياتنا قرونا وقرونا من الجهالة والغفلة التى حجبت عنا تراثنا الحى فى غياهب الظل .. إن الدعوة للارتكان على التراث يجب أن تنبعث .. لا على أساس مجرد إعادة طبعه ونشره وإنما بهدف دراسته وتفسيره التفسير المنهجى الصحيح الذى يجلو ما علاه من صدأ فيما يحويه من أفكار وآراء هي بمثابة اللؤلؤة المخبوءة داخل الأصداف .. وليس فى مقدورى أن أضرب الأمثلة أو أستدعى الشواهد فتراثنا العربى تراث ضخم مليء بما لم يدركه التفسير أو الفهم .. لكن أى تفسير ؟!

الاحياء كيف يكون ؟

إن هذا هو السؤال الذى تتحتم الاجابة عليه بموضوعية خالصة ، لأن الذى يحدث عادة .. أن يقع قارىء أو باحث متحمس للتراث على فكرة أو تصور حول فقرة فى كتاب أو حتى عن موضوع بكامله تناوله أحد الشعراء القدامى أو جرى به قلم أحد المفكرين فاذا به ينطلق على الملأ كافة .. أن هاكم تراثنا الذى سبقنا به العالم كله .. وتكون النتيجة أن يتبلد تقييمنا للمكتشف من التراث بحيث نقف به عن حد الفخر بالسبق .. بدون أدنى محاولة لمتابعته فيما استجد فيه أو تطور منه فى سجل تراثنا المتلاحق بعده .. وتكون الصدمة الكبرى حين نتبين أنه تراث مبتور أو بالاحرى .. سابق لم يدركه لاحق .. وبدلا من أن نتابع تحليله والتعرف على قيمته وأهميته ناهيكم عن بعده وامتداد مداه .. نقفز الى مقارنته بما يشابهه فى التراث أو الفكر أو الابداع الحضارى القائم ..

أى نعم .. كان لنا فضل السبق .. ولكن هل نكتفى بهذا الفضل ونحيله الى تراكمات متوارثة ليتجمد فى داخل أرصدة الكتب كتراث ثابت راسخ .. وأخشى أن أقول كتراث مختزن .. أم أن من واجبنا معاودة استكشافه واستلهامه ومقارنته وبحثه وتحليله على ضوء ما استجد عليه أو أضيف اليه من منجزات الحضارات الأخرى التى ازدهرت بعدنا فطورته الى ما تطور اليه ليصبح لاصقاً بها متلاحماً معها مجاوباً لحاجاتها منه . بينما نظل نحن نردد أنه من الأصل تراثنا الذى سبقناهم فيه وأوجدناه قبلهم .. إنما تكون العبرة بما يمكن أن نفيده من هذا التراث .. لا بربط ماضينا بحاضرنا .. بل فى تقويم حاضرنا على ضوء ما أدخل عليه واستجد فيه من جانب الحضارات التى تلت حضارتنا المنبثق منها .. وهنا تكون الأصالة هى العنصر الفعال فى ارتباطنا بتراثنا الخابى الذى توقفت حضارتنا به ولم تتابع تطويره

إحياء التراث إذن لا يكون باعادة نشره فقط ولا باثبات أحقيته فى السبق وإشهار أقدميته فى التواجد .. ولنأخذ مثلا تراث ابن خلدون وما استبق به كافة المفكرين بعده فى اكتشافه علم الاجتماع وقواعده وأصوله ومعالمه وقوانينه الخ ... أكيد أنه صاحب أثر نفاذ على كافة وجوه المعرفة الاجتماعية التى تلته وسواء كان هذا الأثر مباشراً أو غير مباشر فان له امتداداته القيمة فى التعرف على الكثير من حقائق المعرفة الاجتماعية التى أتى بها أو توصل اليها بقية المفكرين الاجتماعيين الغربيين . وقد طوروه وضاعفوه واضافوا اليه الكثير الكثير مما لم يصل اليه صاحبه .. فاذا نحن أردنا أن نعود الى هذا التراث .. وهو فى الأصل تراثنا .. فما هو السبيل لأن نرتد له ؟! بالتدليل على أننا سبقناهم فيه وأوجدناه قبلهم .. أم بمعاودة استكشافه بحثا وتحليلا وتفسيراً للافادة مما حواه وأوجده ولم يأخذوا هم به .. وتبين ما لايزال راسباً فيه وصالحاً لنا منه .. بدون تجاهل منجزاتهم بل مع الاهتداء بها وبما طوروه منها فى الربط بيننا وبينه .. وكيف يمكن أن ندرك حقيقة تراثنا ونقنع بقيمته إلا إذا اهتدينا فى تبنينا له وتعرفنا عليه وعودتنا اليه بما لحقه ولحق حقائقه من منجزات وتطورات يستحيل إدراكها إلا على ضوء العصر الذى نعيشه ..

من أسابيع وأنا غارق فى قراءة « الف ليلة وليلة » .. هذه هي المرة الرابعة التى أرتاد فيها سجلنا القصصي العامر .. وأكتشف بعد ما انقضى من العمر والتجارب والمعارف شيئاً لم ادركه من قبل في هذه الملحمة الشعبية الضخمة ! أنها باسلوبها وحكاياتها ومضامينها وما حوته من أفانين وأخيلة تسبق كافة فنوننا الابداعية المعاصرة بكل مدارسها واتجاهاتها الواقعية والرومانتيكية والانطباعية والسريالية الخ .. الخ من ألوان الابداع .. لكن هل معنى هذا وفى رجوعنا إليها وارتدادنا لها .. أن نتجاهل أو ننكر أو ننحي جانباً .. الافادة مما درسناه وأدركناه ومارسناه من فنون ابداعية حديثة هي نبت لاصق متطور بمنجزات الابداع الفني والفكري للحضارة المعاصرة القائمة .. وهل يعيبنا ذلك في محاولة الارتباط بتراثنا بعد أن انقطعت صلتنا به ؟!!

ونرجع الى ما بدأنا به وهي مقولة الأفغاني عن المسرح وتعريفه له حال تعرفه عليه ونفاذه إلى حقيقته وغور ابعاده كفن .. مثل هذا هو ما يجب أن ننقب عنه فى التراث .. أن يكون هناك من بين رواسبه مايرسخ على الزمن فنفيد منه فى حاضرنا .. ربما أكثر مما كانت فائدته هو نفسه قبل أن يصبح تراثاً .. وأخشى الا أكون واضحاً .. ولكن مجمل القول .. أننا فى حاجة وأشد حاجة الى منهج واقعي صحيح لاحياء التراث .. يتجاوز بنا مراحل الاكتفاء بتصحيحه وتسجيله ويجعلنا نخطو بما فيه إلى أبعد من أننا سبقنا به غيرنـــا .

نعمان عاشـــور

بقلم : عصام شريح

أهارون أبو حصيرة والأزمة الطائفية في لبنان



اهارون ابو حصيرة

تجتاح الكيان الصهيونى منذ فترة عاصفة طائفية عاتية تهدد بانقسام بين الاسرائيليين ، قد يكون قاتلا بالنسبة لكيانهم ، وكان أبرز رموز هذه العاصفة ، وزير الأديان السابق ، ووزير الشؤون الاجتماعية الحالى ، أهارون ابو حصيرة ، الذى تحولت محاكمته بدعوى السرقة وتوزيع الرشاوى الى قضية بل الى أزمة طائفية حقيقية . والشىء الملفت للنظر أن العرب لم يفعلوا شيئاً لاستثمار هذه الأزمة عن طريق تعميقها بين اليهود الشرقيين واليهود الغربيين فى نضالهم ضد الصهيونية .. لكن لعل فى فتح ملف أبو حصيرة ، والأزمة الطائفية فى اسرائيل ، ما يساعد على أن يتنبه العرب لما ينبغى عليهم أن يفعلوه فى هذا المجال .

ولد اهرون ابو حصيرة فى المغرب فى عام ١٩٣٨، وهاجر الى فلسطين فى عام ١٩٤٩ ، وتابع دراسته فى مدرسة دينية ثم فى دار للمعلمين ، ثم التحق بعد ذلك بجامعة «بار إيلان» الدينية .

وقد بدأ ابو حصيرة حياته السياسية بالعمل رئيساً لبلدية مدينة الرملة فى عام ١٩٧١ ، وفى عام ١٩٧٣ انتخب عضواً فى الكنيست للمرة الأولى على قائمة مرشحى حزب المفدال (الحزب الوطنى الدينى) ، الذى يرأسه الدكتور يوسف بورغ ، وقد لمع اسم أهارون ابو حصيرة كزعيم لكتلة الشباب داخل هذا الحزب فى مطلع عام ١٩٧٧ ، مما جعله يفوز بعضوية الكنيست التاسع فى نفس العام ، وقد أصبح ابو حصيرة ممثلا لليهود الشرقيين داخل حزب المفدال ، حيث تتمتع عائلته بمكانة دينية مرموقة ، مما أهله لتولى منصب وزير الأديان فى حكومة مناحيم بيغن الأولى ، لكن فى أواخر عام ١٩٨٠ ، وجهت اليه تهمة التلاعب بالأموال العامة وتلقى رشوة مما أثار عاصفة فى الكيان الصهيونى حول اختلاسات كبيرة من أموال وزارة الأديان ، إلا أن أبو حصيرة دفع هذه التهمة جانباً ، وقدم استقالته من منصب وزير الأديان ، قائلا إنه مجرد ضحية لأنه يهودى شرقى ليس إلا ، وأضاف أن رئيس حزب المفدال يوسف بورغ يقف وراء هذه التهمة مع أنصاره ، بسبب حقده على اليهود الشرقيين .

وإزاء هذه التهمة وإحالة قضيته على المحكمة ، انشق ابو حصيرة عن الحزب الوطنى الدينى (المفدال) ، وأقدم قبل شهر تقريباً من موعد انتخابات الكنيست العاشر (٣٠ ـ ٦ ـ ١٩٨١) على تأسيس حزب سياسى جديد باسم «حزب تامى» .

ويقول ابو حصيرة عن حزبه : «نحن حركة تراث ، فجميعنا رجال محافظون ، يهود متدينون ومحافظون ، نريد خلق جسر بين اليهود المتدينين واليهود المحافظين » ، وقد احتل حزب تامى ثلاثة مقاعد فى الكنيست العاشر (الأخير) ، وأهرون ابو حصيرة هو أحد النواب الثلاثة عن هذا الحزب .

أبو حصيرة .. سارقاً

بتاريخ ١٩ ـ ٤ ـ ١٩٨٢ أدانت «المحكمة الاسرائيلية العليا» وزير العمل والشؤون الاجتماعية واستيعاب المهاجرين أهارون أبو حصيرة بتهمة الاحتيال والسرقة وإساءة استخدام منصبه ، وصدرت عن المحكمة أحكام بالسجن مع وقف التنفيذ بحق ابو حصيرة ، تصل فى مدتها الى واحد وخمسين شهراً . وقالت رئيسة المحكمة فكتوريا اوستروفسكى كوهين ، أنها قررت خفض عقوبة المتهم ، لأن هذه هى المرة الأولى التى يحاكم فيها رجل سياسى فى اسرائيل بسبب مخالفات مالية ، وأضافت أن «ابو حصيرة» أدين بتهمة خداع المجلس البلدى فى مدينة الرملة عن سابق تصور وتصميم ، عندما كان رئيساً لهذا المجلس ، ووصفت كوهين إدارة خزينة البلدية من قبل ابو حصيرة ، ومساعده موشى غاباى الذى أصبح فيما بعد مديراً عاماً لوزارة الشؤون الدينية ، بانها كانت اشبه ما تكون بادارة عقار خاص حيث لم تحفظ اى سجلات محاسبة ، كما أن الحوالات المصرفية كانت تؤخذ من

الخزينة للاستخدام الشخصي ، وغالباً ما كانت هذه الحوالات توضع تحت تصرف أصدقاء أبو حصيرة والمقربين اليه . وكان أهرون أبو حصيرة قد قدم للمحاكمة أمام القضاء للمرة الأولى في عام ١٩٨٠ ، وصدر ببراءته آنذاك لعدم كفاية الأدلة .

ونعود الى أصل الاتهامات التي وجهت ضد أبو حصيرة عندما كان يشغل منصب وزير الأديان في الفترة ما بين ١٩٧٧ ـ ١٩٨١ ، فبتاريخ ٧ ـ ٩ ـ ١٩٨٠ ، نسبت صحيفتا «هارتس» و «جيروزاليم بوست» الى مصادر في الشرطة الاسرائيلية قولها إن مئات الملايين من الليرات الاسرائيلية اختلست من وزارة الأديان وأودعت في حسابات مرقمة في البنوك السويسرية ، وأضافت الصحيفتان أن شخصيات دينية وسياسية كبيرة ضالعة في عملية الاختلاس هذه ، وبتاريخ ١٣ ـ ٧ ـ ١٩٨٠ أشارت صحيفة «هارتس» الى أن أزمة داخل حزب المفدال ، قد نشبت ، إثر إقدام وزير الأديان أهرون أبو حصيرة على إقصاء مدير عام الوزارة يسرائيل ليبل عن منصبه ، وقد اتهم ليبل الوزير أبو حصيرة باستخدام أقاربه في الوزارة ، واستغلال منصبه كوزير لتعزيز نفوذه داخل حزب المفدال ، وغض النظر عن فضائح واختلاسات مالية كبيرة ، وقدم مدير عام الوزارة وموظفون كبار متضامنون معه أدلة تثبت أن وزارة الأديان تدفع مخصصات مالية تقدر بمئات الآلاف من الليرات الاسرائيلية لمدارس دينية وهمية ، ولتلاميذ غير موجودين إلا في جداول مزورة .

وبتاريخ ٢٢ و ١٩٨٠/٨/٢٨ ، كشفت صحيفة «يديعوت أحرونوت» النقاب عن قيام الشرطة الاسرائيلية باقتحام مكاتب وزارة الأديان ثلاث مرات وعلى مدى ثمانية أيام ، حيث صادرت خلال ذلك العديد من الملفات والوثائق ، في محاولة للتحقق من الشبهات المتعلقة بارتكاب بعض موظفي الوزارة مخالفات وعمليات رشوة بمبالغ مالية كبيرة .

ومن خلال التحقيقات التي اجرتها الشرطة ، أخذت الشبهات تحوم حول تورط وزير الأديان نفسه ، وحصوله على مبالغ مالية كبيرة كرشوة لنفسه ، ثم حول مصادقته على رصد مخصصات ومنح مالية للمقربين منه ، لغرض دفع رشاوى في الانتخابات للمجالس المحلية .

ولخصت «يديعوت احرونوت» الاتهامات المنسوبة الى أهرون أبو حصيرة وثلاثة من كبار معاونيه بما يلي :

- وصول بعض الاموال المخصصة للمدارس الدينية الى جيوب بعض الأفراد .
- ان بعض الأموال المخصصة للمؤسسات الدينية استخدمت لشراء الأصوات في المعارك الانتخابية في بعض السلطات المحلية (مجالس محلية أو ما شابهها) .
- هناك شبهات تفيد بان احد اقرباء العاملين في الوزارة قد حصل على عدد كبير من الأصوات في انتخابات احد المجالس المحلية بوسط «اسرائيل» ، وفاز بنيابة رئاسة المجلس ، بعد ان قدم تعهدات ووعود للناخبين المتدينين ، بتقديم دعم مالي من وزارة الأديان وحزب المفدال لعدد من الكنس (المعابد الدينية اليهودية) ، في تلك المدينة .

كما أشارت «يديعوت احرونوت» الى ان الشبهات على صعيد وزارة الأديان ، تحوم حول ارتكاب المخالفات التالية :

- حصول بعض المدارس الدينية وغيرها (علمية وأدبية ومهنية) ـ والتي لا وجود لها أساساً ـ على مخصصات مالية من الوزارة على امتداد عدة سنوات ، ثم وصول تلك الأموال الى جيوب بعض الأفراد .
- تحويل المعونات المالية المخصصة للمدارس الدينية ، والمدارس الاخرى ، الى حسابات بنكية خاصة .
- تقديم لوائح الى وزارة الأديان ، هي في الواقع من نسج الخيال وتتضمن تلك اللوائح قوائم باسماء طلاب وهميين في تلك المدارس ، بهدف زيادة مخصصات الدعم المالي لهذه المدارس .
- قبول أحد موظفي الوزارة رشوة مالية .

ردود فعل

أثارت ادانة وزير الأديان السابق أهرون أبو حصيرة (حالياً وزير العمل والشؤون الاجتماعية واستيعاب المهاجرين) ، أثارت ردود فعل عنيفة بين اليهود الشرقيين ، فقد اتهم أنصار الوزير المدان «العدالة» في اسرائيل ، باتخاذ موقف متحيز ضد «ابو حصيرة» الذي ينتمي الى أسرة من الحاخامات أصلها من المغرب . وقال أقاربه انه مستهدف لأنه شخصية سياسية يهودية شرقية .

وأضافوا أن «العدالة» تتغاضى عن مخالفات أكثر خطورة يرتكبها يهود من أصل أوروبي غربي . وعقبت أوساط اليهود الشرقيين على محاكمة «أبو حصيرة» وادانته ، بالقول انها كانت جزءاً من محاولة للنيل من اليهود الشرقيين من قبل اليهود الأوروبيين . ونقلت صحيفة «عال همشمار» (١٩٨٠/٨/٢٩) عن بعض أعضاء الكتلة البرلمانية في حزب المفدال قولهم : ان الحملة التي تشنها وسائط الاعلام الاسرائيلية ضد «أبو حصيرة» ، هي جزء من مسلسل قديم له طابع طائفي بحت ، واعتبر هؤلاء هذه الحملة موجهة بقصد الاساءة الى زعماء الطوائف الشرقية بغض النظر عن انتماءاتهم الحزبية ، واستشهدوا على ذلك بمحاولات التشهير التي شنت في السابق ضد بعض هؤلاء ، من أمثال رئيس بلدية ديمونا جاك عيد ، ورئيس العمال في ميناء اشدود يهوشع بيرتس وغيرهما .

أزمة طائفية

في الواقع بدأت أزمة طائفية تبرز في الكيان الصهيوني منذ السنوات الأولى لاقامة هذا الكيان على أرض فلسطين المغتصبة ، وكانت هذه الأزمة تكبر وتتضخم سنة بعد اخرى ، وقد عبرت عن نفسها بظواهر مختلفة ، كظاهرة التذمر الواسعة التي اجتاحت صفوف اليهود المغاربة (١٩٥٩) ثم ظاهرة الفهود السود في اسرائيل (١٩٧١) ، لكن ظاهرة الوزير أهرون أبو حصيرة ، كانت القشة التي قصمت ظهر البعير ، وكشفت عن عمق الهوة الطائفية في الكيان الصهيوني ، وصعوبة ـ إن لم يكن استحالة ـ ردم هذه الهوة . وقد جاءت الانتخابات العامة الاسرائيلية للكنيست العاشر (الكنيست «البرلمان» الحالي) لتفضح ـ أكثر من أي انتخابات سابقة ـ عملية الاستقطاب الطائفي بين الأحزاب الاسرائيلية المتنافسة في هذه الانتخابات ، حيث اثبتت عملية الانتخاب أن الناخبين اليهود من أصل أوروبي وأميركي ، اندفعوا في غالبيتهم للتصويت للمعراخ (التجمع) ـ أي حزب العمل وحلفائه ، فيما اندفع الناخبون من أصل آسيوي وأفريقي في

أهارون أبو حصيرة
والأزمة الطائفية في لبنان

غالبيتهم للتصويت لليكود (التكتل) ـ اى حزب حيروت وحلفائه .

وقد كتب إيلى تابور فى «يديعوت احرونوت» ١٧ ـ ٧ ـ ١٩٨١ ، كتب معلقاً على نتائج الانتخابات العامة التى جرت فى الثلاثين من حزيران (يونيو) ١٩٨١ ، فقال : «.. ففى هذه الانتخابات وصل الى أوجه ، مسار بدأ فى معارك انتخابية سابقة وبرز بوضوح لأول مرة فى أيار (مايو) ١٩٧٧ ، فى انتخابات الكنيست التاسع ، فالأكثرية الساحقة من ناخبى الليكود فى هذه الانتخابات ، كانت من ابناء الطوائف الشرقية ، فيما كان معظم ناخبى المعراخ من ابناء الطائفة الاشكنازية (اليهود البيض من اصل اوروبي وامريكي) . »

واضاف تابور قائلا : «ان توزع الناخبين وفقاً لأصولهم الطائفية ، كان بمثابة صفعة لجميع أولئك الذين حاولوا فى الماضى الادعاء ، أن التصويت الطائفى ـ السياسى هو أمر عرضى وعابر ، ففى هذه المرة ، اتضح بما لا يدع مجالا للشك ، أن العكس هو الصحيح ، فالتصويت الطائفى هو ظاهرة آخذة بالتفاقم ، بل إن هذه الظاهرة قد تحولت الى تيار جارف ، مما يستدعى إشعال اضواء التحذير الحمراء ، وقرع اجراس الانذار ، لأن ما ظهر فى المواجهة السياسية ، هو شاهد على أن مرضا مزمنا وقديما فى المجتمع الاسرائيلى قد أخذ يتطور بوتيرة متسارعة» .

مظاهر من الأزمة

إن الهوة الطائفية التى عبرت عنها انتخابات الكنيست العاشر ، وقضية الوزير أبو حصيرة ، ولو بشكل جزئي ومحدود ، تتجلى فى الكيان الصهيوني منذ مدة فى عدة مظاهر أهمها :

الوضع الثقافي : ويعبر عن هذا المظهر بصورة رئيسية ما يسمى بثقافة «المعبروت» بالنسبة لليهود الشرقيين ، وفي الواقع فان عملية الاستقطاب الطائفي بدأت مع ظهور « المعبروت » هذا فى عام ١٩٥٠ ، اي بعد قيام اسرائيل بسنتين فقط ، والمعبروت هو فى العربية « المعبر » او مكان الاقامة المؤقت ، وقد اقيم لمواجهة تيار المهاجرين اليهود الوافدين على فلسطين المحتلة ، ووصل عدد « المعبروتات » فى أوجه الى ١٤٠ ، وكان فى البداية مخصصاً للمهاجرين البيض القادمين من أوروبا وامريكا وللسمر والسود القادمين من آسيا وأفريقيا على حد سواء ، لكن سرعان ماأخذ تواجد البيض فى المعبروت يتقلص رويداً رويداً ، لكي يقتصر فى أواخر الخمسينيات ومطلع الستينيات على اليهود الشرقيين فقط ، الذين أخذت اقامتهم فيه تمتد إلى سنوات طويلة ، لعدم توفر المساكن او المستوطنات الجديدة ، او العمل ، وهكذا ولد جيل كامل وترعرع فى المعبروت الذي لم يكن في الواقع أكثر من معسكر من الخيام والمساكن المصنوعة من التنك ... وعندما كانت تتوفر الظروف لمغادرة المعبروت الى المستوطنات او المساكن فيما أطلق عليه اسم « مدن الأعمار » ، كانت جميع التشويهات الثقافية والاقتصادية والاجتماعية ، او ما يمكن تسميته « بثقافة المعبروت » ، تنتقل مع المهاجرين الجدد إلى اماكن سكنهم الجديدة ، وكان من الملفت للنظر فى عملية الانتقال هذه ، أن غالبية المهاجرين من اليهود الشرقيين قد تم اسكانهم فى « مدن الأعمار » وفي الموشافيم (المزارع التعاونية) في حين تدفق اليهود الغربيون على مراكز السكان القديمة في المدن الرئيسية (تل ابيب ـ حيفا ـ القدس ـ يافا ـ ... الخ) ، اي أن عملية تمييز عنصري قد بدأت تأخذ مجراها فى اسرائيل من المعبروت الى المدن والمستوطنات ، فقد كان هناك فرز حقيقي بين الشرقيين والغربيين فى المعبروت ، وقد انتقل هذا الفرز إلى اماكن السكنى الجديدة ، وكانت هذه العملية الخطيرة تنفذ احياناً كثيرة بصورة منهجية ورسمية . يقول « اشر عيدان » ـ محاضر فى الفلسفة بجامعة تل ابيب ـ « ... عندما أخرج والداي من « المعبراه » قالوا لهما إنهما سياخذونهما إلى مدينة « بئر السبع » ، لكنهم أخذوهما الى الصحراء ، وعندما رفضا النزول من الشاحنة ، ارغموهما على النزول فى الموشاف بعد جولة قصيرة حيث كانا يتعيشان من ثلاث بقرات ... وفي الموشاف المحاذية ، هناك اشخاص مازالوا حتى اليوم يروون كيف جلبوهم الى اماكن سكناهم الحالية ، وعندما رفضوا النزول ، رفعوا رافعة السيارة ورموهم على الأرض » .

ويقول « اشر عيدان » : « إن هذا جزءاً من الاحباط النفسي الدي يعاني منه اليهود الشرقيون » .

ولم يتوقف التمييز العنصري عند هذا الحد ، بل ان اليهود الشرقيين اخذوا يتحدثون صراحة عن وجود حضارتين وثقافتين فى اسرائيل ، وبتعبير آخر أصبح الحديث عالياً فى الكيان الصهيوني عن « هم ـ ونحن » .

ومن مظاهر صيغة « هم ـ ونحن » ما يقوله حاييم ، وهو أديب وكاتب مسرحي من مواليد المغرب : « انت تشعر (كيهودي شرقي) بانك تافه وعاقر ويتيم ومعزول وذليل ومضطهد ، انت انسان غير مرغوب فيه ، ولا أحد يهتم بثقافتك ، فموسيقاك ليست موسيقاهم ، وقصائدك ليست قصائدهم ، وبالطبع فقيمك ليست قيمهم ... فكل ابطال التليفزيون هم اشكناز ، اصحاب الأفكار والمنتجين كلهم اشكناز ، وانا كلي اصغاء ، وابحث لأرى متى يبدأون ببلورة بطل مغربي على سبيل المثال ، او تونسي او جزائري ... واحياناً تكون مصغياً ويبدو لك ان كل ماهنالك ، هو انهم يبثون إليك عبر هوائيات موجودة فى بلاد اخرى ، وانت تستقبل بجهاز لدولة اخرى .. الاتصال مفقود .. »

ويقول دافيد حمو : « عندما أرى على شاشة التلفزيون برنامجاً لنعومي شيمر ، أنادي على زوجتي الاشكنازية : هناك برنامج للاشكناز . إن اي قصيدة لنعومي شيمر لا أجد فيها نفسي ، وبالنسبة إلى ، فعشية كل عيد وفى مساء كل يوم جمعة اجلس امام تليفزيون الاشكناز ، فاشكنازي هو الذي يتحدث عن مشاكلي ، وبمضمون اشكانزي وليس اسرائيليا .. »

ويقول « يوحنان بيرس » ـ عالم اجتماع ـ إنه لا توجد في اسرائيل حضارتان متساويتان فى القيمة ، وتثري كل منهما الأخرى ، بل ان هناك حضارة سائدة ، وإلى جانبها حضارة مسودة » .

ويضيف إنه « بينما اقتربت الطوائف الاشكنازية من بعضها البعض الى حد ذوبان الحواجز فى الجيلين الثاني والثالث ، فان الطوائف الشرقية بقيت فى الأساس فى إحساسها بالغبن ، فالتشابه فى انماط حياة هذه الطوائف يلاحظ عندما تقارن ببعضها ، ولكنه لا يشكل اساسا للمشاركة فى مضامين الحضارة » .

اما عالمة الاجتماع « دفورا بيرنشتاين »

فتقول : « إن الزعماء وعلماء الاجتماع والمفكرين والموظفون ، قد نظروا الى ابناء الطوائف الشرقية كاشخاص بحاجة الى عملية تحويل حضاري حاسمة ، وكمتخلفين تعوزهم القدرة على التحكم بالذات ، ويفتقرون الى النضج » . وتضيف « إن الاحصائيات الرسمية في اسرائيل تؤكد قاهرياً الزعم بان ابناء الطوائف الشرقية ليسوا من مستهلكي الثقافة ، ومن هنا يستدل على تدنيهم الحضاري » .

سيطرة اقتصادية

وإلى جانب التمييز الثقافي والحضاري ضد اليهود الشرقيين ، هناك ايضاً تمييز اقتصادي ، ولكن على اساس طائفي ، حيث يوجد في اسرائيل توزيع طائفي للموارد الى جانب التوزيع الطائفي للعمل ، على حد تعبير عالم الاجتماع الدكتور شلومو سبيرسكي في كتابه « ليسوا ضعفاء بل مستضعفين » .

وقد توصل الدكتور سبيرسكي الى استنتاج مؤداه ، انه من الواضح انه تكون في اسرائيل توزيع عمل طائفي ، يحتل فيه الشرقيون قوة العمل ، بينما يحتل الاشكناز مواقع السيطرة والادارة في كافة المرافق ، ويشير هذا التوزيع الى ان توزيع العمل الطائفي اخذ في التازم ، فكلما مرت السنوات يتضح ان نسبة التقدم والترقية في اوساط الاشكناز (البيض) من المراتب الدنيا في سلم العمالة الى المراتب العليا منه ، أكبر بكثير من نسبة التقدم والترقية في اوساط الشرقيين ، ويشير « سبيرسكي » إلى أن توزيع العمل بين الغربيين والشرقيين بهذا الشكل غير المتكافىء « قد يتجذر مع مرور الوقت » .

« فالشرقيون في غالبيتهم ، يفتقرون الى راس المال ، ويقدمون العمل في المراتب الدنيا لسلم العمالة ، وهم ممثلون بصورة ضئيلة نسبياً في اروقة القوة السياسية ، ويمكن القول ان جوانب اساسية في تطورهم مرتبطة بالقرارات التي تتخذ في منظمات ومؤسسات ، يمثل الاشكناز فيها المواقع العالية والمناصب الرفيعة ، فتطورهم تبعي ، وهو مرتبط بمشاريع الانماء للمجتمع باسره ـ مجتمع تتجسد فيه قيم وطموحات وانماط عمل اشكنازية في اساسها » .

سيطرة الاشكناز

إن الانقسام الطائفي في اسرائيل ، يلقي بالاضافة الى اصوله الضاربة في عمق تاريخ اليهود ، يلقى تشجيعاً ومتابعة دؤوبة ومنهجية لتكريس سيطرة اليهود الغربيين على اليهود الشرقيين . ويستشهد الدكتور « سبيرسكي » على هذه السيطرة المنهجية بفقرة من اقوال يهودي شرقي من اصل عراقي اسمه « عزرا » ، وهو عضو في لجنة العمال باحد المشاريع الحكومية ، وفيها يقول : « هناك طائفة في البلاد مسيطرة تماماً على كافة نواحي الحياة في هذه الدولة ، وانا لا اخجل من قول ذلك ، وهذه الطائفة هي الطائفة البولندية ـ رجال الهجرة الأولى او الهجرة الثانية ، فلو تمعنت في مكاتب الحكومة ، فستجد انهم جميعاً من اصل بولندي ، وكل واحد منهم ياتي بالآخر الى هذه المناصب البارزة ، اما الطوائف الشرقية التي انتمي إليها ، فلا ترى وجوداً لها هناك ، انهم رجال العمل الأسود » .

ويضيف عزرا : إن الهستدروت (اتحاد نقابات العمال) هي للبولنديين ، وان الجامعات للاشكناز ، وان البيض يسدون جميع الطرق والمنافذ امام اليهود الشرقيين

هل تقوم حرب طائفية ؟

وإزاء تفاقم المشكلة الطائفية في اسرائيل ، فان البعض بدا يطرح اسئلة محرجة حول امكانية قيام حرب طائفية بين الشرقيين والغربيين ، خاصة وان عملية الدمج او الاندماج التي سعت إليها حكومات اسرائيل المتعاقبة ، قد فشلت خلال اكثر من ثلاثين سنة . وهاهي ذي انتخابات الكنيست العاشر ، وقضية الوزير ابو حصيرة ، تكشف عن التهاب المشكلة الطائفية وليس ضمورها .

ويقول « حنان انوش » في مجلة « عراخيم » ـ كانون الاول (يناير) ١٩٨٠ ـ العدد السادس ـ إن ابناء « اسرائيل الثانية » يقصد اليهود الشرقيين ـ قد نقلوا دعمهم السياسي من المعراخ (التجمع) إلى الليكود (التكتل) ، حيث تجمع الاحزاب المندمجة في الليكود التطرف القومي بالديماغوجية الاجتماعية الواسعة .

ويقول إيلي تابور (يديعوت احرونوت ـ ٣ ـ ٧ ـ ١٩٨١) : إن حزب الليكود الذي يقوده مناحم بيغن حالياً ، بقي في نظر المنحدرين من اصل افريقي وآسيوي ، وفي نظر الأجيال الطالعة بالذات ، حزباً معارضاً يستطيعون بواسطته التعبير عن احتجاجهم ضد الحزب الذي كان في نظرهم الحزب الحاكم الذي اساء إليهم وإلى آبائهم ...

وبالفعل ، فان اليهود الشرقيين قاموا بعمل قاطع هو التصويت في انتخابات الكنيست التاسع (١٩٧٦) ثم الكنيست العاشر (١٩٨١) ، الى جانب حزب الليكود ، لا حباً في الليكود وإنما انتقاماً من المعراخ الذي حكم اسرائيل منذ عام ١٩٤٨ وحتى عام ١٩٧٦ ، وقد ادى الاستقطاب الشرقي حول الليكود الى استقطاب غربي مضاد حول المعراخ في هذه الانتخابات ، مما جعل البعض في اسرائيل (الدكتور سبيرسكي مثلا) يحذر من مواجهة طائفية مكشوفة عن طريق الأطر السياسية الكبرى في اسرائيل ، ومما دفع عالم الاجتماع حنان بيرس إلى القول « .. فاذا لم نقلص الهوة الطائفية ، فان الاحساس المتعاظم بالغبن قد يقود إلى انفجار مدمر . » ، خاصة ، وان البعض من الأشكناز يحذر من خطر تحول اسرائيل الى دولة شرقية ، ويستشهد هؤلاء على ذلك بتنامي التوجه الطائفي ، لدى اليهود الشرقيين ، وانصرافهم بشكل مكثف الى السلفية الدينية ، حيث يشكلون اكثر من ٧٥ بالمائة في المدارس الابتدائية الدينية الرسمية ، و ٨٢ بالمائة في المراحل الاعدادية الخاضعة للاشراف الرسمي الديني ، و٩٧ بالمائة في المدارس الاعدادية التابعة لنظام « التعليم المستقل » التابع بدوره للحزب الديني المتطرف والمعروف باسم « أغودات اسرائيل » .

واخيراً .. وليس آخراً .. هل يعي العرب حقيقة الهوة الطائفية والنزاع الطائفي المغلف حالياً في اسرائيل ، والمرشح لان يتحول الى صراع قاتل ومدمر للكيان الصهيوني ، وان يعملوا على تغذيته واستثماره من اجل وضع حد للمهزلة الصهيونية على أرضهم ؟!! .

عصام شريح

رسالة ما



قصة بقلم : علي الملك
بريشة الفنان : تاج السر أحمد

عزيزى .....
تحياتى ... وبعد ..

يا معشر الرجال . سلمنا من قبل ، ذاك الذى سلم واستسلم من النساء جيل ، ونحن جيل . هن قد صدقن ان هذه البلاد الفسيحة لكم وحدكم . تسيحون فيها ما شئتم . تجتمعون تسمرون ، تتفرقون . شانكم المرح الفياض . ثم قنعن مرغمات بالحجرات : مضيئات ، مظلمات ، لاشىء يهم .

والدنيا كلها انباء رجال . فان رفعت امراة راسها قالوا وقالوا وقالوا . وإن اتت امراً يستحق الاحتفاء ، او ربما الانتباه ، تحرك فيهم ذلك التسلط الذي يعربد داخل ذواتهم ، عللهم كله ، وانه لا له ذكر .

ليلى خالد : اتذكر خبرها ؟ اختطفت طائرة لاجل فلسطين . ونبحت كل وكالات الانباء : هَوْ.. هَوْ.. هَوْ.. وتنبغ امراة اخرى . وتنبح وكالات الانباء : هَوْ.. هَوْ.. هَوْ .

ومنكم قد جاء علماء ، وطفقوا يتحدثون عن الفرق بين الرجل والمراة .. يندر أن تصاب امراة بقرحة المعدة ، قالوا . الا ترى انهم يحسدونها ؟ جاء العلماء كلهم : علماء التشريح وعلماء وظائف الأعضاء ، وأطباء الباطن والظاهر ، واهلات علم النفس والطب الوقائى ، والحشرات . واهل المسالك البولية اجتمعوا فى مكان ما بكندا واعلنوا ان تجاربهم على نبات (اليوهمبين) الافريقى اثمرت ، وبفضله ـ ذاك النبات ـ سيزداد الرجال قوة فوق قوة ، وبعد هذا الاكتشاف المذهل قال المعلقون انه لن تخون امراة خلها لضعف ما ! وناس التوليد والعقم ، وعلماء الغابات والحيوان والعلوم السياسية ، والكيمياء ، والنحو والعروض ، والاحصاء ، وتعليم الكبار ! وسائر الجراحين من غير اهل المسالك .

وقالوا إن انثى الجراد تقتل الذكر بعد قضاء الوطر ، وانثى البعوض تقتل الملاريا وانثى البشر تنقل الكلام من بيت لبيت ! وزعموا أن الحصان اجمل من الفرسة . وأن المراة تبكى لضعفها . اما اهل الوقار فقد لاذوا بمعامل الوقار ، وخرجوا بكلمات ثلاث : (إن كيدكن عظيم) ! الا ترى أن هذا زمان الانباء ؟

إذن فكيف تمضى امراة مثلى ـ هذا ما علمت ـ الوقت حين تحاول أن تقطع صلة متينة مع من كانت تود أشد ود ؟ احدثك عن تجربة يوم واحد ، شهدت فيه طرفاً من الشروق . ما ادركت غرته ، بصرت بالشمس من خلف المداخن والسقوف الزنك المائلة آن تنهار بفعل المطر ، والعمال أن يثورون . ثم رقبت الغروب جله ، والشمس تسقط فى مستقر لها ، ربما هو امدرمان . كرة ابدية النار الى موطنها ، تظن هادئة وشبه خامدة تؤوب . انجزت عمل يومها . يا شعراء المدينة انكم تنفقون بمثل هذا التامل زمان الوجود . مضت ايام لا اراك فيها ، اأقول يا لحسرة الفؤاد ؟ أم ماذا اقول ؟ كل مدمن يعيش أوان شدة وباساء .. يرجو بعدها ان يصفو دمه ، ان كان هو ذا عزيمة . ومن يدرى ؟ لعل .. عسى .. ربما ..

● ● ●

هل اشكر لك ، أم هل اشكر لنفسى ؟ ساوفيك من الثناء حقك كاملا . لا تخف . اقل شىء : ما هو من ذلك قريب . كانى اشهد عينيك تتسعان . مزيداً من الضوء يا رب ! فيهن شبكة من عروق الدم لا تخفى : عارية . مثلما انت تتوقع ان يتفجر الكلام من فمى فيهد حصونك هداً . انت دائماً كذلك .. اليس كذلك ؟

انت لاريب تستغرب الآن انى صرت اكتب . اليك الفضل يعود ، كلتا القراءة والكتابة من صنع نصحك الدءوب ، ألم اقل إنى اشكر لك ؟

إنى اشكر لك ؟ أم هل اشكر لنفسى كونى مادة تتشكل ، تصير ، تتنفس تحيا بك ، قالوا ، ثم قالوا وقالوا . هذه المرونة في ومني ، وما علم القائلون ذلك . إذن فانى اشكر لنفسى ايضاً .

وأبصر بانفاسك المبهورة ، صدرك



الرحيب بهن يرتفع ويهبط .. حين اضع وجهي عليه : ذلك الصدر ، احس انى بقلعة حصينة الشان الوذ . هذا حق لا مراء فيه .

اردت أن اقول هذا ، فمازلت احس اننى لا احسن الكلام المنمق ، وهذا الكلام صناعتك وبضاعتك ، تقول انك صرت تفقد منابر عزتك واحداً إثر واحد ، إلا هذا الواحد الباقى : الكلام ، تركته لك . حين تقرأ هذه القطعة من حديثى ابتسم أو فلتضحك .. قصدت الى ملحة طريفة ، لماذا استرضيك ؟ اقول لك : أو فاعبس .

استطردت : معذرة ، صدرك قلعة حصينة الشان لهذا الحديث اعود من جديد . اتضحك من نسيب امراة عاشقة ؟ يشفع له ـ هذا الكلام ـ أنى قائلته ، ليس كالشعر الذى كنت تنشده لي : بعضه لعشاق شعراء الصحراء ، وبعضه من انشاء شعراء الحضر ، وبعضه لعشاق ماتوا وما تركوا ولا يعرف التاريخ لمحبوباتهم أسماء .. غرام شعرائك الأثيرين مثل الطعام المعلب لا يرام إلا حذلقة مدنية ، وحديثى طعام طازج .. احر وانقى ، فيه خشونة ملمس الدمور ، والحيطان حين يكون طلاؤها الرمل ، وعبيرها عبير الأرض أن تستقبل العهدة . هذا كلامى .. هل تطاولت يا امير الفنون ؟ معذرة !

حقا انى احسن مخاطبتك حين أكون بعيدة عنك . طفل وشب عن الطوق . اعرف انك حين تبلغ هذا الموضع من خطابى ستغضب . ولن تستطيع الاتصال بى .. التليفون فى بيتنا لا يعمل ، اصم ، ابكم ، (بلا حرارة) يقول الناس ، آه يا لجلال التعبير .. ولذلك ولامحو عن روحك الغضب ساحكى لك نكتة :

جاء خادم ليعمل فى بيت ساله صاحب البيت :

ـ هل تعرف الغسيل والمكوة ؟

ـ أيوه .

ـ تنظف البيت ، وتحضر الرغيف ، الصف طويل طبعاً !

ـ جداً .

ـ عارف البيت كبير جداً ومواجه غبار العالم كله ، ياتى به من قرونه .. ولازم تنظف كل يوم ؟ .

ـ حاضر ..

ـ كان لازم أكلمك لانه الصراحة راحة .. فعلا بيت كبير .. حدادى مدادى ..

ـ طيب مفهوم ..

ـ بالمناسبة عندك دفتر ؟

ـ نعم يا سيد فى بطاقة شخصية ، الدفاتر انتهى زمانها .

ـ عال . طيب تعرف تشفط بنزين ؟!

ـ لا يا افندى إلا دى ..

ـ طيب ما فى فايدة مع السلامة !

هل ضحكت ؟ كل صديقاتى اهتززن ضحكاً حين سمعنها .. هذه واحدة لتريح اعصابك من بعد ان كنت ـ لاريب ـ غضبان ، ولكنى اعرف فيك طمعاً انت فلان (البريد روحه) ، لو ان الناس تضحكها نكتة واحدة ، انت تريد نكتتين .. انت كبار كبار .. كتار كتار .. ، حتى الادوية تتضاعف عندك ، قال لك الطبيب تناول قرص (فنرقان) يومياً اتذكر ؟ انت تريد قرصين ، حبوب وجع الراس عندك مثل التسالى . تلتهمها التهاماً . طماع يا محمد الطماع صاحب الجبب . فى كتاب المطالعة القديم ، كان من اساتذتنا من يحكى قصة محمد الطماع هذه ، وحكاية فرعون وقلة عقله .

على كل فانى صرت عاشقة للراديو ، هل اسرد عليك اخر الانباء ؟ الدنيا كلها مهمومة ببولندا . ستقول لي وما الغريب فى هذا ؟ افغانستان كانت اغنية العام الماضى سازحم اذنيك وعينيك بالاخبار ايها الطماع كان الدنيا كلها زعيم تضامن ، امس قالوا رزق زعيم التضامن طفلا . يا عينى وابوه فى الحبس . كم امراة ولدت فى العالم الثالث وزوجها يرى الضوء متصلا بالقضبان ، وبعض الازواج فى التراب .. قبل هذا سمعت ان التضامن انشات مكتبا فى نيويورك ، يا سلام ، قلب العالم



السامق . موضع القلب هناك معلق على قمة ناطحة سحاب ، لأن نيويورك هى قلب العالم السامق ، لا النابض . فهمت ؟ هذه نكتة ثانية . لا تعبس .

هل مازلت تروم النوم والراديو عند اذنيك ؟ سميع درجة اولى ، كما يقولون ، هل مازال الأرق يفضى بك الى القاهرة : الاذاعة تنتقل الى مسجد الحسين أن صلاة الفجر ؟ وتسمع القرآن والتواشيح ؟ وهل ترضى بصوت لا يعدل صوت الشيخ مصطفى اسماعيل ؟

نيويورك ؟ قال الخواجات الكبار فى الاخبار انهم يهددون ، وانهم فاعلون كذا وكذا ، بعض خواجات اوروبا ذهبوا لامريكا مما تسميه انت النزهة السياسية ، الا ترى انى احفظ جل ما تقول عن ظهر قلب ؟ .. وحين حلوا امريكا قالوا نقاطع ونحارب ، لابد لوكالات الانباء من عمل ، فان لم تكن هناك انباء ، صارت الوكالات الى بوار ، اغرس الصواريخ بعيدة المدى ، قصيرة المدى ، مدى المدى ، ليس عندكم قمح ها ها ولا تكنولوجيا متقدمة ، ليس مهما ، عندنا غاز طبيعى ، وكافيار ، التضامن اتركوها لتفجر بولندا ، رحمة الله على فريدريك شوبان ، انه الحرية ، والله لو عاش فى هذا العصر لصار زعيم (التضامن) وربما هرب الى باريس على كل حال ، والله لو انه ادرك هذا الزمان لما كان فريدريك شوبان ، ما هى الحرية يا اولاد ؟ وربما مات على ثلاث سنين وليس على تسع وثلاثين ، لانهم يعالجون السل اليوم ! هذا زعيم غضبان ، وذلك زعيم اسوان ، ليس عندكم قمح ، امنعوا عنهم العقول الالكترونية ، ليس مهما عندنا عقول ومواهب ، (لازاربيرمان) (اميل قيللز) .. وكان عندنا (اويستراخ) .. اصنعوا كل ما استطعتم من موهبة ونحن نسرق منكم ، سرقنا (اشكانازى) و (روستروبوفتش) .. البيانو اهم من اشكانازى فلاديمير ، والشيللو اهم من روستروبوفتش .. هربا سرقناهما وما الشيللو وما البيانو ! مصانع ، مصانع ، مصانع بشر ، ومصانع آلات .. مصانع ..

هل تستمع للراديو فى الليل ، موجته المتوسطة والاخريات القصار ، لتزعج روحك ام لتريحها ؟ ام لاحساسك ان العالم كله يغنى ويعزف ، ويتكلم . ليهدهدك فتنام ؟

• • •

اضبط ! اجزخانة فى امبدة ام هى امدرمان الجديدة ؟ وجدوا عندها كل دواء يبعث على النوم ، آه يا لبهاء النوم اللذيذ .. كل المدينة سهرانة .. آه يا لبهاء النوم اللذيذ ، كل المدينة سهرانة ، واللصوص ناموا حين غنموا ، والذين يغشاهم الأرق ، ارقوا لانهم لم يغنموا .

استيقظ هذه الايام مبكرة . من يستيقظ لابد ان يكون قد نام ، حكمة بالغة ! ثم قلت اتسلى بالاذاعة ايضاً .. امى تجعل المؤشر دائماً على امدرمان ، ولسبب وجيه . فهى تقول ان بعدها عن اهلها فى الشمال يجعلها تستمع لنشرات الاخبار لتعلم امر من عاش ، وامر من مات ، هذا هو مغزى الأخبار فيما تظن . كانت اليوم الى جوارى حين بدا المذيع باعلان الموتى . حصيلة اليوم سبع نساء متن ، اربع منهن زوجات وامهات لزيد وعمرو ، وثلاث عرفن بانهن شقيقات فلان وعلان ، وسلم الرجال هذا الصباح . اذكر انك تقول ان النساء يعمرن ويدرك الموت الرجال لانهم يعملون ، وينصبون ، ويتعاركون ويعشقون بلا امل ، ويتعرضون بسبب هذا للاذى والمرض . تذكرنى بهذا حين يحتدم بنا صراع ما ، فابكى واقول (دعنى .. اعصابى تلفت واحس بهبوط عام .. وانى اشرف على الهلاك) . ثم يهجم عليك غيظ اراه ، وتكبح جماحه . ثم تهتف بى (وكيف عرفت ما بك من علة ؟) . واتاوه اهمس بدمعى اقول (لأن راسى فيه فوران وان قدمي لاتستطيعان الوقـــوف ، فـــذاك ما اعـــنى) لا تصدقنى . ثم تصمت ، تنظر إلي ، لا اعرف ما يقول القوم اهل الفن عن صفة النظرات ، كان يقال نظر اليها ملياً ، تعجب منها ، إيه وإيه وإيه ، ولكنك تنظر إلي على كل حال ، متبعاً نظراتك بالقول :

ـ بل سياتى يوم تعلمين فيه انى لست كاذباً وانى احبك حقاً .. هذا يكون يوم اموت ، ويذاع خبر موتى فى الناس نشرة الصباح ، إذ احدس انى اموت فى الليل ..

واقول لك دائماً (سلامتك) وتكون هذه نهاية الشجار . لهذا ـ تصور ـ استمعت الى نشرة الصباح ، وقلبى يجرى خافقاً دق .. دق .. دق .. دا .. دق .. دا . وفى سرى اخشى ان يتحقق كلامك ، ويصدق كلا الحب والنبوءة ! لحظات ضعف وقصار .

• • •

وما انا ؟ ان لك وطناً وداراً تلجىء نفسك اليها .. لديك ما تقطع به الليل فى مركبة اصدقاء فماذا لدى كلما لقيتك زادت حاجتى اليك .. حين نفترق امامى وحشة ، والليل العتمور ..لهذا قر عزمى ان ابتعد عنك .. ساحترق نهائياً : حسناً ، هذا خير من ان يتبدل جلدى مرات ..

رسالة ما

إن في الحياة بعيداً عنك تتجسد معانى الوحدة ، لقد صرت أعرف الآن مثلا ان فى جدار حجرتى شرخاً دفيناً .. وان سقفها قد عبد لبعض عنيف المطر سبيلا فسال على الجدران دموع طين . ما كنت لأراها لولا هذه الوحشة المطلقة . آه كيف لا يعرف السجين سجنه ؟ ولاريب انهم نقلوا اليك أمر حسان .. وخبر حسان ، كما ترويه مدينة الآذان والعيون ..

حسناً حتى حسان المتفائل الذي لايسكن قلبه خوف لم يكن بقادر ان ينزع عن نفسى هذا الاحساس بالسجن ، لعلها لعنة زواجى الأول قصير العمر ، طويل المآسى . أخذنى حسان مرات الى حفلات ، ورقصنا ، وجففت الأضواء الباهرة عرق الخوف الذى غرسته أنت بجوفى .. خوفك أنت لا خوفى. وبقى فى وجدانى هذا السجن . هل أنا مشروع ثائرة تدافع عن حقوق النساء كلهن ؟ ربما ..

ومم أخاف ؟ وما الذى تخشاه امراة تريد أن تستقر وتحيا ؟ تظن أننى استعجل .. نعم لدرجة أننى ذهبت لرجل صالح ومبروك ليفتح لي الكتاب . كانى بهذا أريد أن أطوى صفحات الأيام طيا لأصل الى ما هو من الغيب مجهول . سرى فى المدينة ان بركة ذلك الرجل تجعل الماء لبناً ، هكذا بالحرف .. وقد تقول لي بسخريتك اللاذعة .. أن الماء نفسه غير موجود فى اكثر انحاء المدينة ! لن اهتم بهذا الكلام .. قلت رجل ومبروك وصالح ، يحدس بما يشبه اليقين . يتقاطر عليه طلاب الحاجة من كل مكان .. موظفون قالوا ببركته أصبحوا وكلاء وزارات . ورؤساء مؤسسات ، وتفجرت لديهم عيون الرزق ينابيع وشيدوا البيوت . ونساء عقر انجبن ، بما زاد اهل المدينة عدداً . وطالبات زواج أدركن المنى . وإن كانت نسبة هؤلاء اقل !

جعلت اقتراح خالتى نفيسة موضع تنفيذ ، وافقت أن تأخذنى للشيخ الصالح دون تردد . أولا لأننى بحاجة للاستقرار وثانى الأمور أننى احبها حقا : خالتى نفيسة ، ألا ترانى بعد التضامن البولندية والصواريخ . وصلت الى الأنباء المحلية !

كانت خالتى نفيسة تقول لي دائما (هناك شىء ما يجعل من سهلك أمراً عسيراً .. لأنك سمحة ، هناك لابد عمل دفن لك فى مكان ما ، أنت أجمل البنات . وتستاهلين السعد والخير والبركات والأحواش الفسيحة والفلوس والانجاب ..) .

تحسست صدرى هذا الذى كنت أبذله لك . لأنى اكتشفت ان خالتى كانت تطيل اليه النظر .. امراة غريبة الشان .. ذهبت معها طائعة الى الشيخ ذى البركات . كان أمام داره سيارات ، وداخل الدار قوم ينتظرون . جلهم من النساء . تذكرت حديثك عن مستشفى الخرطوم . حين ذهبت لأخذ صورة للمرارة ، وسقوك اللبن الساخن والبيض النيء .. حتى إذا اشرفت على الموقع لقيت بضعاً وعشرين امراة . ورجلا واحداً هو أنت .. تحكى هذه القصة كثيراً وتنسى انها دليل على نقيض ما تذكر عن مرض النساء !

فى فناء دار الشيخ طلاب الحاجات والبركات ينتظرون ، نساء كثيرات ورجال اقل عدداً . بصر القوم بجمالى .. حاولت اخفاء وجهى بالثوب ، افلحت إلا قليلا .. ليس مهما ، سينشغلون وانا معهم بالقادم الجديد ، يطلب البركة : سنة الحياة .

صبرت . جاء دورى .. كان وجه الشيخ الصالح ريان ، مثلما ينطق بجودة الغذاء .. خالتى معى ، وجهها كله يذكر بكلماتها : تستاهلين السعد ، والخير ، والأحواش الفسيحة والانجاب ... تستاهلين ..السعد .. الأحواش .. الانجاب .. وحجرته .. آه فجاة غشيتنى حمى الجدران ، جدار الشيخ ، الذى يتجه إلي ببصره ، به شرخ .. لست وحدى إذن . والى السقف ارتفعت عيناى ، صمد للمطر والشمس . الحمد لله. اننا نبحث عن من يعين فان لم يكن ذا صمود ، ضاعت الآمال . اغفر لهذا الشرخ تطاوله على الجدار . كان الشرخ فى جدار حجرة الشيخ إلي ينظر . شرخ ظاهر ينظر الى شرخ باطن . احس ان شرخ جدار الشيخ هو مجموع شروخ أرواح من يختلفون اليه . مد الجدار لسانه ـ أراه ـ لاريب إلي يقصد ، وربما الى الشيخ الذى أولاه ظهره . واليه بوجهى اتجهت ، اما روحى فقد كانت تتلمس الحجرة والمكان . أيبقى الشرخ بعد ان ينفض الناس يحدق ؟ فيم يحدق افى الشيخ ، ام فى الفراغ ؟ ام فى الرمل الندى على ارض الحجرة ؟ بسطت خالتى للشيخ قضيتى ، كتابه بين يديه ، غمغم ، همهم ، بسمل ، حوقل .. اختصر الزمان المقبل .. قال (ستزوجين من هو خير منه) . انتهت المقابلة ، عدت بالبصر الى الشرخ على الجدار ، خيل إلي انه لم يعد مكانه ، ذاب ، انمحى ، لعله كان مشكلتى مس عليها الشيخ ببركته فزالت . مكانه قام وجهك كبيراً ، اسمر .. وغير بعيد منه وجه حسان يزاحم ، يدفع ، يصر ، صباح ، صباح ، صباح .. عيناك شبه حمراوين ، عيناه عسل ، روحى سياحة بين العسل والدم . (ستزوجين خيراً منه .. ستزوجين خيراً منه) قال الصالح الرجل صاحب البركات . خرجنا الى فناء الدار ، فالشارع ، ماذا يريد أصحاب هذه السيارات المترفة ؟ فى عيون خالتى اقرا : يريدون مزيداً من السيارات المترفة ! (ستزوجين من هو خير منه) ، قال الرجل الصالح ، ما الذى يريده أصحاب هذه السيارات المترفة ؟ أمزيداً من السيارات المترفة ؟ من هم الذين اقطعوا الأرض ؟ هل أعود للنكات ؟ هل حان وقت الحديث عن العسكر والحرامية .. يحكى أن صرافاً ، عصرته الحياة عصراً ، امتدت يده واختلس ، أسموا الدريهمات مالا عاماً ، ولم يكن عصرئذ يسمى ما يماثلها المال العام ، الصراف ومعه حق .. هل سمعت فى القانون الجنائى بقضية (ابو علي) الذى اقتبس المعزة ولم يسرقها ؟ اسأل فقهاء القانون ! على كل فان الذي اخذه الصراف لم يكن اسمه المال العام . كانت تفاصيله كما يلى : مرتب ثلاثة مراسلات وايرادات متنوعة ، وأمانات ، وهو بند للنهب مشاع ، ولهذه الصفة فانه لا يكون إلا مالا خاصاً ، لانه مخصص لفلان وفلان وعلان ، ولكن المحكمة لم تأخذ بهذا الدفاع المقنع ، فانزل الرجل السجن . واحزنه ذلك حقا ، ومرة لقيه من يعرفه ، ولم يكن عالماً بامر سجنه كبير شىء ، وكان السجين ساعتها فى فرقة مساجين يحفرون جداول المطر : طورية ، أزمة ، عتلة ، وبونيفورم ابيض صاح صاحبنا وقد افزعه المشهد :

ـ المسالة شنو يا فلان لا حول ولا قوة إلا بالله مالك ؟

ـ والله السياسة ما خلت زول !!

هذه نكتة اضحكت صديقاتي ، واضحكتهن ايضا قصة خالتي نفيسة .. زمانها ـ خالتى قالت ـ كان زمان عرافين وعرافات وستات ودع . كان وقتا تنظر فيه الى نفيسة الأنوثة من قريب وتنظر هي إليها من قريب ، وتميز رائحة الرجال ، قريبين ، بعيدين .. وتحلم بل تنام لتحلم .

قالت لها ست الودع (يانفيسة سيتعلق بك رجل طويل وليس عريضاً ، اخضر اللون وله انف هو اخص معالم وجهه ، ليس لأنفه صفة ، لا افطس هو ولا طويل ، ولكنه انف متفرد بشكل لا يوصف ، كفاه عريضتان ، لكان الواحدة منهما تحمل هينا من التمر .. ارى رزقه سيكون قدر كفيه) .

زمان يطل تميز نفيسة فيه رائحة الرجال قريبين ، بعيدين ، وتحلم وقت تنام باید تعبث بشعرها ولا ترى وجه احد ، ولكنها ترى الكفين دائما دائما ..

(هذا حامد ابن عمتك ..) تقول فى نفسها (حامد ، حامد ، هو حامد . الحلم



الحقيقة ، البعيد واضحى قريباً . وا حلالي وا حلالي .. الرزق ان كان قدر كفيه او لم يكن فهو ليس مهماً .. ليس مهماً .. ما لهذا خلقت كفاه !) . يسرح بها الخيال ، اقالت اخضر ؟ نعم اخضر . اقالت طويل وليس عريضاً ؟ وا حلالي ، وا حلالي . هو نفسه ، هو نفسه ، هو نفسه !

الكفان والفتهما زائرين في المنام ، وخشونة الملمس فيها تعرفها ، تنظر الى قطع الودع على الرمل امام المراة ، حين وصفت رجل الاحلام ، كانت هناك قطعة ودع وقد وثبت على الاخرى واستقرت عليها . واستحقت ست الودع (البياض) ، وكان عصرئذ ملاليم ..

• • •

ومن عجـــب ان المدينة ههنا حين نشات لم تكن كسائر المدن ، كان يقال هذه قامت على تلال سبعة ، او شيدها الخليفة العباسي على ضفاف دجلة ، او ان تحت ارضها كنوز معادن لا تنضب ، او ان هواءها منعش .. لا لا .. مدينتنا نشات على شائعة هنا ، وشائعة هناك . مثلما ان تلالها وسهولها والنهر الذى تشرب منه ، اذان ، وانها لعيون . ولا ريب انهم نقلوا اليك خبر حسان ، كان ذاك خبر الموسم تقتات به المدينة .. احدثك عن حسان .

حسان وانا : ركبنا سيارته ، وقفنا فى صف البنزين ، مد الشارع لسانه لنا ، تلفتت الاشجار مكتئبة الارواح ، عطشي .

ترقب تنتظر ، لم اعرف وسامة حسان إلا حين وقفنا للبنزين ، اخبرني انه سيجازف ، ليس عنده بطاقة . وعمال محطات التموين اصبحوا سلطة ، وهناك شرطي . جاء دورنا ولم اكن اعلم انه على هذا القدر العظيم من وسامة مقنعة . ثوان وتخال دهوراً .. جعلت انظر لشعر حسان حين كان عامل الطلمبة يدس راسه ينظر لشعر حسان ، خرطوم فى يده ، يمنع الحركة عن السيارات ويهبها .

« ليس عندي بطاقة » ، قال حسان فيما يقارب همساً . جعل العامل يعاين وجه حسان ، قسماً قسماً .. اتبع بنظري عيون العامل تعاين وجه حسان .. سياحة متاملة اعجاب وفريد . كنت ولاشك انظر الى اصرار حسان : عنيداً كان اصرار حسان .

ولربما كان اصراره يبدو للعامل ، مثلما اراه انا مقيماً ، مائلا ، وربما ذا لجاجة . صرفت هذه الفكرة من عيني وذهني لحين .

انسكب بصري على قميصه . لقيت بصر العامل سبقني الى هناك ، اقام . (بالجراة على باطل صراح) . اقول لنفسي ، والعامل حائر . وقت لزج . لا يمر . احس به الشرطي . جاء . قميص كاكي متعب . حزام غليظ . نظر الى . ما استوقف عيناه تسعيان لحسان ، شيء . بصره وصل لحسان والمشكلة والجدال . كرة روليت واستقرت على رقم بعينه . عرفت طريقه لا تخطىء . اعجاب وفريد . قلت فى نفسي (لقد صرت على هامش الامور ، انظري ما اهتم بجمال ثوبك احد ، ولا شعرك الذى اكلت جل ساعات اليوم تسويه عند الكوافير .. لا فائدة فترجى) .

عيون ست واتحدت ، واحاسيس لا تقاس بالارقام . هي الآن تسبح ، كلها تطوف حول حسان ، وجه حسان ، بعض حسان ، جل حسان ، اي جانب منه تراه . لا يهم .

قميص كلكي طفقت اتامله ويتاملني ، بث لي عذابه : القميص ، وكل عين انصرفت عني ، رايت القميص الكاكي يريد يتنازل عن صفته رمزاً للعمل ، وان ينهي نوبة العمل ، ليكون قميصاً كاكياً حراً ، كانه رصيفه النبيذ ، حر ، لاعرق ، عليه ولا ملح ، لكانه يريد يطير لقميص حسان ، تبدا نزهتهما اي بقعه ، اي مكان . والحزام العريض يبغى الحرية لنفسه ، يبدا اولى خطواتها فينفي عن نفسه صفة الغلظة ، او انه رمز لعمل ما ، ونوبة عمل ما .. يريد يصير حراً . كل شيء بدا لي انه يعشق نظيره ويشتهيه .. يالجمال الجمال .. اصرار مذهل . ذاك حسان :

ـ ممكن ؟

اخرجها الكلمة ، وقد تبين لي تماماً انها لن ترد ، وانه عرف تماماً طريقه لينال ما يروم ، عرفت لحظتها اصراره العنيد كل امر من اموره ..

ولكن اهل المحطة ارادوا للمشهد ان يطول رغم ان عيونهم كانت قد اذنت لصديقي بما اراد . كان الصف طويلا ، وامضينا فيه ساعة وتزيد ، والصف يطوق عدداً من البيوت ، وكانه فى بصر الشارع ثابت ولا حراك . وانه لهذا ثقيل وطاة على الشارع وبه ينوء . ولعل الشارع قد بثنى لوعة عذابه المقيم سنين . ولعل الشقوق التى عليه والحفر البثور على وجهه بعض اثار الزمان . وانه ايضاً مغلوب .. يصيح ولا صوت (اني مغلوب مغلوب .. اني مغلوب .. اني مغلوب) .. فرج مدرار قادم ؟ لا لا ! فما هو كمثل نوح : الشارع اثم .

حين احس الرجال فى السيارات طول وقوفنا انطلقت اشارات التنبيه واحدة بعد واحدة ، يطول صوتهن ، يقصر ، هي ، صاحبها مطلقها ، (اني مغلوب) كلهن يصحن .. غليظات صوت ، ورخيمات وبعضهن صوت مخنوق . ابواب تخرج السائقين ، اصوات : (اتحرك .. إيه المسالة ؟ خيار وفقوس ؟ هالله ،

رسالة ما

هالله ، لينا الله وعيشة السوق !) واصرار حسان العنيد يكون ، ينال ما يريد .

• • •

وتعلم ، ياهول ما علمت أن فى البيوت نساء ينتظرن بقايا الرجال يعودون من البنزين والرغيف والكونكان . معهن ينتظر البخور العبق والدخان ، الصندل والطلح والشاف .. اجساد تكتسب النداوة والبريق المتئد .. والجمال . ينتظرن اوبة الرجال من الكونكان أو البنزين أو المخابز الآلية ، والأخرى التى تغتذي بالحطب ريان وعطشان ، اكلت كل غابة حتى الابنوس .

وهل اتاك حديث (ابو ماهر الكونكاني) ؟ ليلة بعد ليلة يعود الى داره واهلها نيام . بالمناسبة : يقال إنه كان جعليا ، ثم راى انها نسبة لا تقوى على مصارعة الزمان ، فارتاح لقولهم (ابو ماهر الكونكاني) ، وهي كما ترى قد صارت الى اكبر قبائل السودان .. قبيلة الكونكان .. واهلها ينتشرون القطر كله ، المهم أب أبو ماهر ليلة ، نصال من اوراق اللعب استقرت بروحه ، وتعب مهلك .. ورائحة الحياة افسدت حاسة شمه ، فرغب عن الصندل لا يميزه . تلك ليلة امسى فيها راسه وسادة من الكرى . فاعجب لوسادة فوق اخرى آه يريد ان ينام . لقيته (الحاجة) ام الأولاد فى البيت يقظى ، نظر اليها بعض نظر ، وفهم . قالت نفسه (تلقيها عند الغافل) ، عياله السبعة ناموا ، قالت نفسه (تلقيها عند الغافل) ، هناك ما يشبه الحصار . كان ابو ماهر ليلتها مثخنا بجراح هزيمته باسياف حظه العاثر : وبانتظار بصفوف تاكل ملح الأجساد . الماكينة تصلبت ما بها من زيت ، والأجساد تصلبت ، جفتها الأملاح . ياأولاد !

ابو ماهر يا ابو ماهر ، العشاء يا ابو ماهر قالت . (يالبهاء النوم اللذيذ ، من بعد العناء) تقول وسادة الكرى فى راسه . (تتعشى) ؟ الحت ، ردت عيونه .. (عارف ، عارف ، يطلع الرغيف أول خبزة مع صلاة الصبح .. ان شاء الله نصلى الصبح حاضر ، ونحضر الرغيف) !! يالبهاء النوم اللذيذ .

• • •

عجيب أمر هذه الدنيا ، بل عجيب أمر التاريخ ينسى ويتذكر . لم أكن أتصور أن يوما يجيء أصدق فيه ما كنت تقص على بصراحتك المعهودة ، أذ أن فى الأرض رجالا كمثل الفقيه الأصفهانى ، وصاحبه جميل بغداد ، محمد ابن جامع الصيدلانى . ذلك الذى كان يبيع العطر ، وكان من أجمل أهل زمانه ، تقول قال الشيخ داؤد الأنطاكى !

وكم من مرة حدثت عن أشواق بيتر ايلتش تشايكوفسكى ، أشواق هى وفى باب المحرم ادخل . وما ذكر ذلك عنه شقيقه (موديست) حين ترجم له فصوره ملاكا نبوى الخلق ، وما حدثت عن (تنسى ويليامز) الذى سجل في نكرياته يقول : يا دنيا أنا كذلك فاعلمى ! وما ترك لكتاب السير والأخبار شيئا يحدسون يعلقون ، ينالون به الدرجات العلمية .

وجاء (كين رسل) فى روايته السينمائية وجعل بيتر ايلتش شاذا .. بيتر ايلتش شاذ .. شاذ .. لا ليس شاذا .. هو ليس كما ذكرتم .. تتنسون له الست السيمفونيات ؟ وكونشيرتو الكمان ؟ وروميو وجولييت ؟ لا .. لا .. لقد اسرفتم أهل الغرب .. لا ياأهل الشرق بل نحن منصفون .. أسألوا قلندا جاكسون . يقول أهلات الغرب .. اتدري ماذا افعل (فيسكونتي) برواية (الموت فى فينيسيا) ؟ لتوماس مان ؟ جعل بطلها فون اشنباخ الأديب الكاتب الى ما يشبه الموسيقى (قوستاف مالر) .. الفن واحد .. الفن واحد موسيقى ، أديب ، لايهم .. وكان فون أشنباخ علق فتى بولندا لقيه فى فينيسيا واسمه (تادزيو) . بولندا أيضا .. الا ترى ؟ حسنا للعدالة صورنا مالر شاذا .. يعنى واحدا بواحد .. مفهوم مالر وبيتر ايلتش ، هذه هى الديمقراطية .. عاشت .. تعيش ، عاشت ! حسان ، الفقيه البغدادى ، تادزيو ، بيتر ايلتش . مالر . رجال منتصرون وضحيتان : امراة مالر ، وامراة بيتر ايلتش .

على ذكر تادزيو توماس مان ، قالوا رزق زعيم التضامن فى بولندا طفلا وابوه فى الحبس ، إني شديدة ولع بالأطفال . (حذار !) ستقول أنت . فانت تراه دأب كثير من ساسة العالم ، يحبون أن تلتقط لهم الصور يحيط بهم الأطفال كل جانب ، ليقوى فى بصر الدنيا انهم أهل عطف وعدل . وانهم وانهم .. الا ترى انى أعرف ما تنوى أن تقول قبل أن تقول ؟

لفترة ما ، رأيت أطفالى حلما فى عينى حسان ، وكنت أظن أصراره العنيد سينبسط على سعادة واستقرار روح ، واطفالا لهم عيونه .. وماذا قلت عن شعر الغناء زمان الثلاثين والأربعين والخمسين ، وكم من الشعر ونظم فى صفة العيون ؟ خبر حسان كان مما لاتبث الموجة المتوسطة ، ولا الموجات القصار ..

اليك أخر الأمر : النشرة الجوية ..

أذاعوا فى الناس أن دنقلا نالت درجات عشر . برد وزمهرير ، ويزحف الشتاء كما أحسه الى حجرتى فتزيد ضيقا ، وما كانت بذات سعة أصلا ، حجرتى ذات الشرخ ، جاء الشتاء الينا ههنا . هذا أوان يرتدى المثقفون ، الذين نعموا بعهد من بعثات الدراسة السترات الصوف ، وربطات العنق عليها رنوك جامعات بيرمنجهام ؟ شارلس ؟ ستاتفورد ؟ ويجتمعون يتحدثون عن زمان الصديقات والبيرة ، صنوفها والوانها اليس التشيك أبرع أهل الأرض ، وانهم أسرار صناعتها .. والروس ملوك الفودكا والآيس كريم ؟ بل أهل الغرب أبرع : الطليان فى الآيس كريم ، والألمان سادة البيرة . بالمناسبة اين موقع أولاد جون من المجد ، لماذا تحب الروس كل هذا الحب ؟ التشيك لا لا الألمان ، اي شق من المانيا ! هناك المانيا واحدة بالطبع لايمكن .. لايمكن .. : الطليان .. كذاب . بل الأغريق .. لا لا .. الله الله . وهل شهدت باريس فى الليل ؟ سلام ياسلام .. ياسلام .. زمان والله ياازمان . ما الذى أرجعنا الى هذه (الحفرة) ؟ ضحكوا كبير ضحك ، وشربوا كثير شراب .. الحفرة .. الحفرة .. ما أجبركم على العودة ؟ اذهبوا الى العمرة .. فى واقع الأمر كان الأجدر بكم أن تبرموا العقود وانتم فى البعثات تمتص دماء دافع الضرائب !! تصور فصلت من الخدمة فى الوزارة واعلنوا اسمى بالجريدة فى قائمة فيها سائق جرار وأربعة مراسلات !! يالمهانة العلم ! الم يبرع التشيك فى صنع البيرة ؟ هل هاجر صناعها الى المانيا ؟ لماذا تحب الروس كل هذا الحب ! حليل زمن الصديقات والبيرة ..

• • •

انى أرقب الشروق بعضه ، والغروب جله . لكأن الطبيعة ذات الجلال تحابيكم بما تهب من ذاك الأملال السرمدى ، وقد يفضي هذا التأمل ، ان هو قد طال ، الى ما هو قريب من أمر أهل الفن الرجال : ينفقون فى هذا كل زمان الوجود .

وقد أكتب من يدرى ؟ وقد انتظر اوبة بقايا رجل فى الذهن ، ليس كمن رأت خالتى نفيسة فى الأحلام يزور ، ولا هو أبو ماهر الكونكانى وهو ليس عبداً للظروف مثلك . وما عدت أرى « حسان » . وما ينبغى لى . أن عالمه باهر فى غرته ولكن .. هناك شيء ما يحدث فى نفسى ، مثلما الشرخ في جدار حجرتى دليل بليغ على ما يمكن لها أن تحتمل دون رياء ، وهل تعيب الشروخ النفوس دائما ؟

ثم هاك موجز النشرة : التضامن البولندية وضعت طفلا ، أبوه فى الحبس ، الصيدلانى والفقيه ظهرا فى بغداد ، بيتر ايلتش : جلسة مطمئنة أمام الكونسيرفاتوار ، توماس مان مات ، يستحق أن يترجم له فى (وفيات الأعيان) . شرطى يؤدى نوبة عمل في موقع لاينبغى أن تحرسه بندقية ، قميصه الكاكى من سيمفونية مالر الالفية . عامل الطلمبة فون اشنباخ .

علي المـــك

جامع الجزار في عكا..

بقلم : يوسف الخطيب
إعداد الفنان : عزيز إسماعيل

تعتبر مدينة عكا من أقدم الموانىء العربية الكنعانية التي انشاها اسلافنا القدامى على ساحل « أرض كنعان » ، أي فلسطين ، فهي تستمد اسمها الحالي من اصله الكنعاني السحيق « عكو » بمعنى الأرض الرملية الحارة ، الرمضاء . ولعل اول ما يطالعنا اسم عكا ، في نصوص التاريخ المدون ، في أواسط القرن الخامس عشر قبل الميلاد ، وذلك في عداد المدن الفلسطينية التي افتتحها تحتمس الثالث ، اثر انتصاره في معركة « مجدو » الشهيرة في الشمال الغربي من مرج بن عامر . ولربما كانت مدينة عكا ـ جنباً الى جنب مع القدس نفسها ـ من أحفل المدن الفلسطينية اطلاقاً بأحداث التاريخ ، وأمجاده ، وأهواله ، على حد سواء . وفي الحديث النبوي الشريف : « طوبى لمن رأى عكا » .

في هذه اللقطة الجزئية للمدينة ، وهي مأخوذة من الشمال الغربي باتجاه الجنوب الشرقي ، يبدو لنا بصفة اساسية جامع الجزار الذي يعتبر بحق ثاني ابرز معالم المدينة بعد سورها التاريخي العملاق . ثم اننا نشاهد خلف الجامع جانباً من الخليج متصلا بذلك الشريط الساحلي الضيق الذي يفضي إلى مدينة حيفا جنوباً ، على بعد ١٥ كيلومتراً بواسطة السكة الحديدية أو على مبعدة ٢١ كيلومتراً عن طريق الأسفلت . وفيما وراء هذا الشريط الساحلي نشاهد أخيراً (باللون الأزرق الفاتح على خط الأفق) العتبات القريبة الواطئة لجبال الجليل ، وهي التي تتذارى صعداً باتجاه الشرق ، فيما وراء المنظور ، حتى تبلغ أعلى قمة لها في جبل الجرمق الذي يرتفع ١٢٠٨ أمتار الى الشمال الغربي من صفد ، وهو في الوقت نفسه أعلى جبال فلسطين .

كان الثائر الفلسطيني الكبير الشيخ ظاهر العمر (وهو من سلالة زيد بن الحسن ابن علي بن أبي طالب) قد أفلح في النصف الثاني من القرن الثامن عشر في أن يحقق بعضاً من أحلامه القومية العريضة ، بالاستقلال ببلاد الشام عن حكم العثمانيين . فلقد خاض سلسلة من المعارك الظافرة ، وبسط نفوذه بعض الوقت على رقعة مابين طبرية ، ونابلس ، وحيفا ، وبيروت ، ودمشق ، متخذاً من مدينة عكا عاصمة له ، مما دفع بهذه المدينة المتواضعة فجأة إلى مقدمة المدن الشامية في ذلك الحين . ذلك إلى أن اغتيل الشيخ العمر بيد الغدر في سنة ١٧٩٥ ، وعين السلطان والياً جديداً مكانه على عكا هو أحمد باشا الجزار .

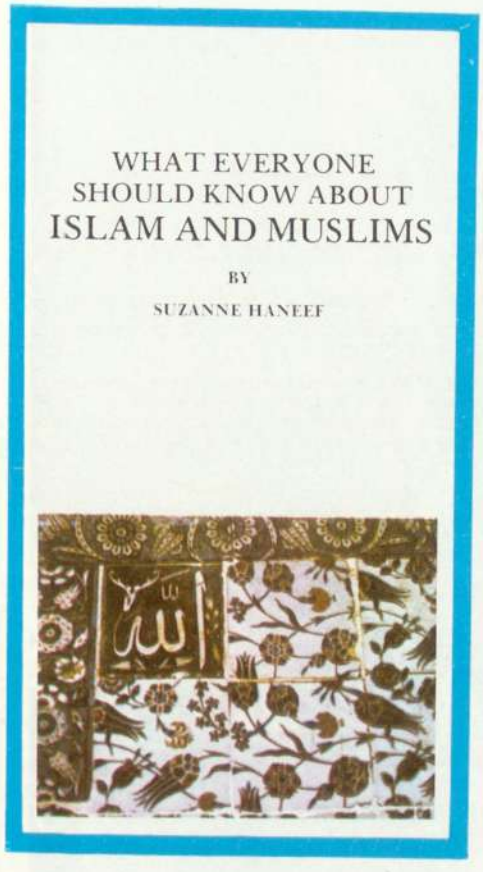
اكتسب أحمد الجزار لقبه هذا عن استحقاق ، من شدة جبروته وبطشه بالناس ، ولكن ، كما هو حال معظم الطغاة ، فلقد كان يتقمص في داخله روح مهندس معماري دؤوب ، حيث بني في مدينة عكا وحدها ـ اضافة الى هذا الجامع الذي يحمل اسمه ـ العديد من الأبنية والحدائق العامة ، وسوراً هائلا من ناحيتيها الشمالية والشرقية ، وهو السور الذي ارتد عنه نابليون خائباً ، من بعد أن حاصر الجزار في داخله سنة كاملة ، من ١٩ أيار ١٧٩٨ حتى ٢٠ أيار ١٧٩٩ .

وأخيراً ، إذا ما استمتعنا يوماً بقراءة قصة للأديبة الراحلة سميرة عزام ، أو للروائي الشهيد غسان كنفاني ، فلنتذكر أن مسقط رأسيهما هنا في عكا ، على هذا الخليج الفلسطيني الرائق كصفحة زرقاء ، الجياش في أعماقه بأعنف ذكريات التاريخ .

يوسف الخطيب

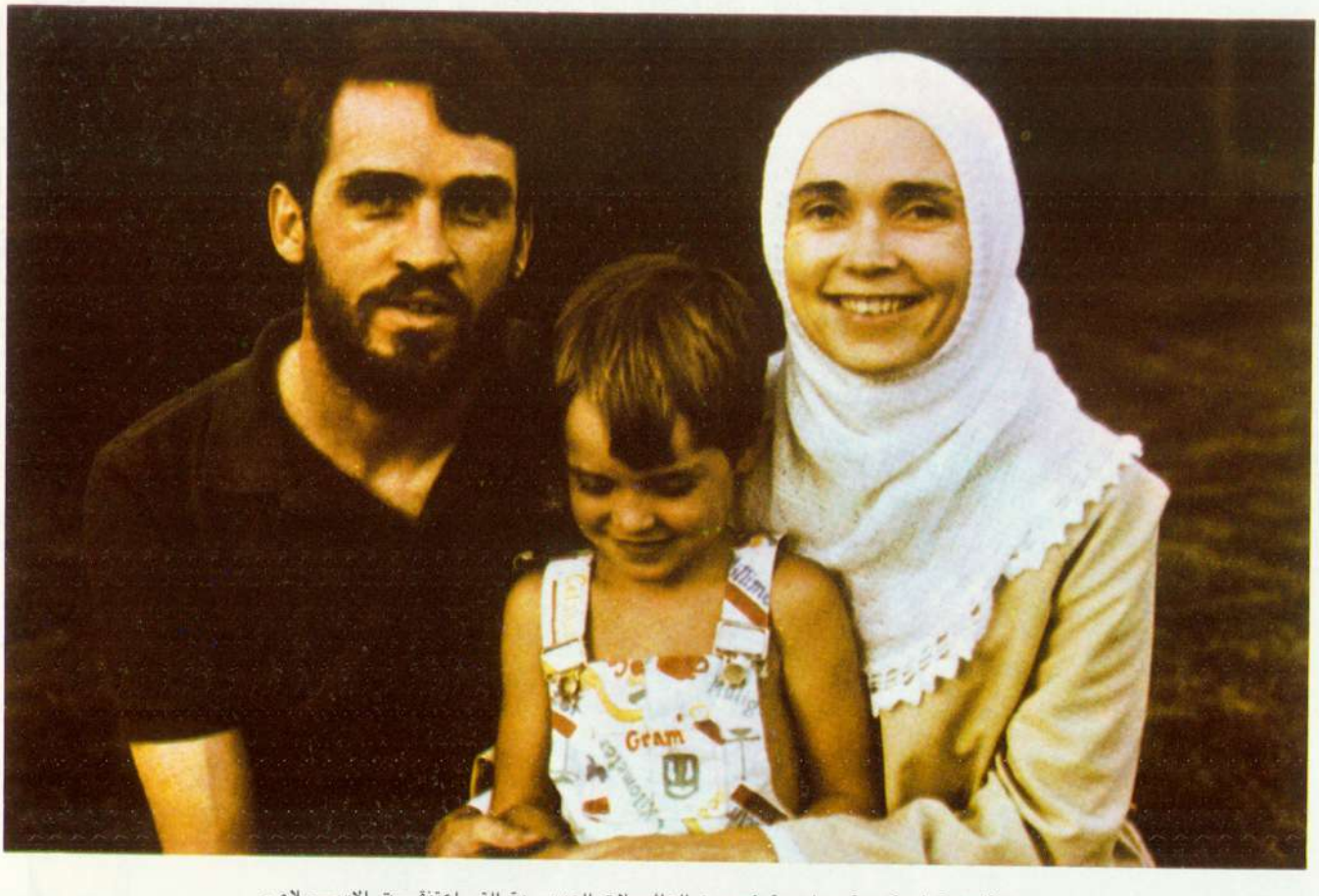


جامع الجزار الذي يعتبر ثاني أبرز معالم مدينة عكا ...

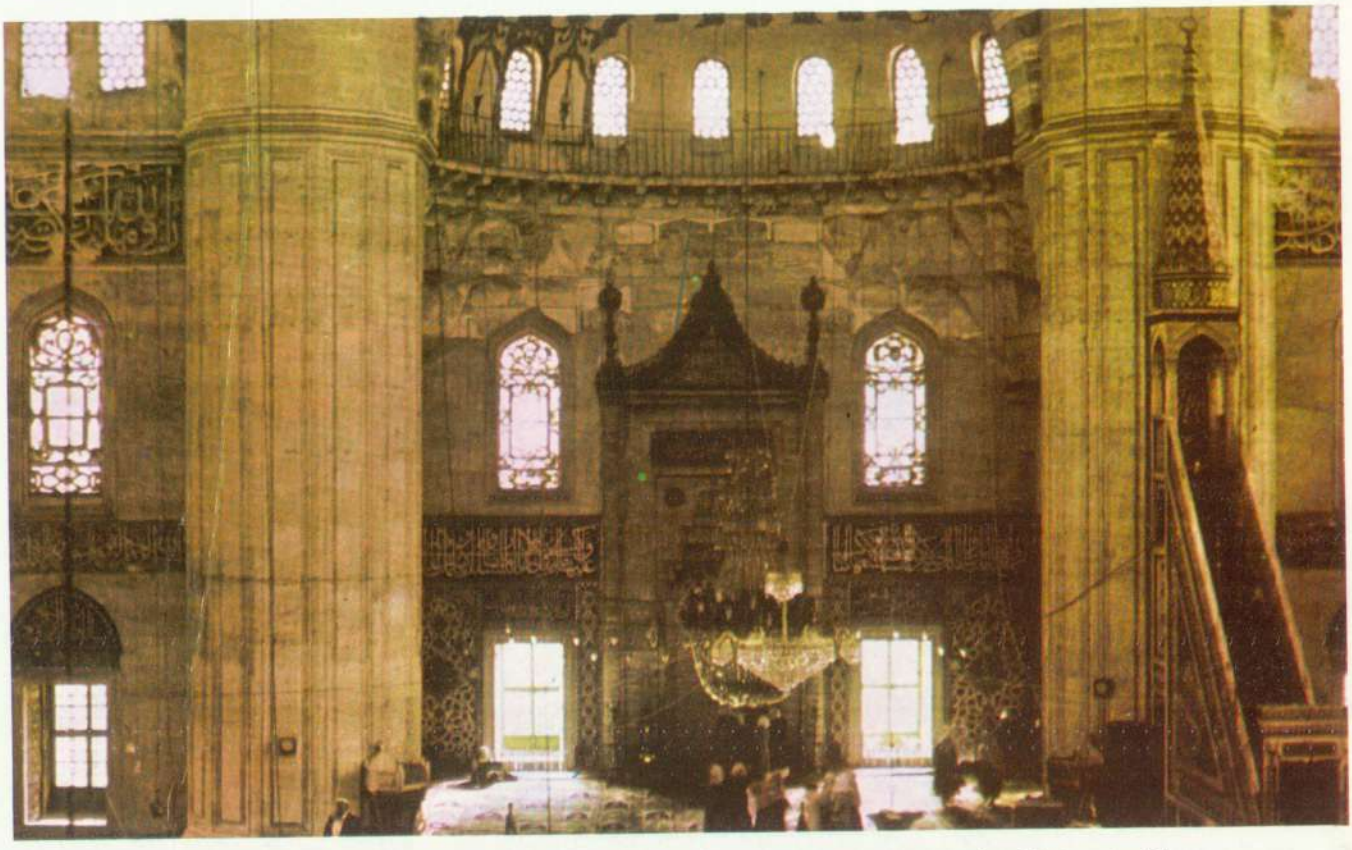


ترجمة وإعداد: كروان السكري

مسلمة أمريكية تتحدث عن الإسلام



عائلة امريكية مسلمة ضمن العائلات العديدة التى اعتنقت الاسلام .



لقطة من داخل مسجد السلطان سليم فى تركيا حيث نرى روعة المعمار الاسلامي .



مجموعة من الفتيات الصغار يتدربن داخل فصول المدارس العربية على الآداب الاسلامية .

اسمها الحالى « سوزان حنيف » ، وقد كانت حائرة متـردة فى صباها ، قبل ان تكتشف الاسلام عن طريق الاحتكاك بالمسلمين ، والقراءة المستمرة .

تجولت كثيرا فى العالم الاسلامي ، فكانت حصيلة تجاربها وسنوات دراستها ومعاشتها للدين الاسلامي الحنيف .. تاليف كتاب وضعت عنوانا له : « ماذا يجب أن نعرف عن الاسلام والمسلمين »



منظر عام تضمنه كتاب المسلمة الامريكية للاخيام المنصوبة في « منى » اثناء الحج .

وبعد قراءتي لهذا الكتاب القيم .. والاطلاع على شدة التعلق الفكري والروحي الذى اظهرته المؤلفة الأمريكية « سوزان حنيف » بتعاليم ديننا .. وجدت ضرورة نقل مقاطع منه ، أرى أنها تكفي لتلقى الضوء على حقيقة أن هذا الدين الاسلامي العظيم إنما جاء ليكون نبراساً للانسان أينما كان ، وفي كل زمان .

الاسلام والعالم الاسلامي : لابد أن نطلع على ما يجري فى العالم الاسلامي اليوم ، إذا أردنا أن ندرك ما يحدث للمسلمين . فمنذ بداية القرن التاسع عشر أصبح العالم باسره يشهد اضطرابات ضخمة وخاصة فى ميادين الدين والقيم . وقد عانت أوربا ، كما عانت أمريكا ، ضياعاً عميقاً مس إيمان الانسان بدينه . وكان ذلك عائداً الى الصراع القاسي مابين العلم ، والكلمة التى انزلها الله .

ومن جهة اخرى ، طرات تحولات جذرية على القيم السائدة وفى اساليب التفكير عند الناس ، نتيجة للتغيرات الضخمة التى احدثتها الثورة التكنولوجية ، واثر ذلك على نماذج المعيشة . في ذلك الوقت ايضا ، كان العالم الاسلامي يعاني من ازمات حرجة فى عالم الدين والقيم .

خلال تلك الفترة ، وبسبب التفاعل المعقد للقوى ، في الوقت الذي كان التمسك بالمسيحية يضعف الغرب ، والاسلام فى الشرق كذلك ، فقد حرم بعض المسلمين من الرؤية الحقيقية الصادقة لايمانهم .. حتى ان بعضاً منهم راح يفكر بالتقاليد السائدة فى المجتمع آنذاك ، على أنها الاسلام نفسه وكان بعض تلك التقاليد مستقى من الاسلام ، والبعض الآخر من مصادر أخرى .. اما استيعابهم للاسلام كنظام حي شامل للحياة ، فقد تقلص حتى بقي منه مجموعة من الاعراف الشبه إسلامية الملتبسة .. وبقايا اخرى من الاخلاق والقيم الاسلامية الذابلة .. بحيث لم يتجاوز ذلك في أحسن الاحوال : الصلاة والصيام ، وقراءة القرآن الكريم على شخص ميت ، والاحتفالات فى الاعياد . كما ذهب البعض الآخر في الاتجاه المعاكس تماماً .. مشدداً على مظاهر العبادة فى الاسلام ، متجاهلا كل ماعداها من تعاليمه ، وخاصة تلك المتعلقة بالجهاد ، وطلب المعرفة وتطوير الثروات ، والمسؤوليات السياسية ، والنظافة .. الى ماهنالك .

اما الاطفال المسلمون الذين يعيشون خارج العالم العربي ، فقد تلقوا العلم على يد تقاة ـ ولكنهم جهلة ـ ، فتدربوا على لفظ كلمات قرآنية دون أن يفهموا معانيها التى هم بعيدون عنها . وفى اماكن اخرى ، شب الصغار اكثر جهلا بالاسلام ، ظناً منهم أن هذا الدين يخص الجيل الاكبر ... دين على الصغار ان يحترموه ، ليس إلا ! إذ ليس له صلة او مكان فى الحياة المعاصرة .

الحضارة الأصيلة

وفى الوقت ذاته ، اخذت رياح الغرب ومؤثراته تبرز في العالم الاسلامي شيئاً فشيئاً ، ثم تنمو بقوة متزايدة . في الماضى ، كان هذا المد يغذيه الاستعمار الغربي وانتشار المسئولين الاجانب والمبشرين المسيحيين الذين كانت غالبيتهم من السكان انفسهم ممن تشبعوا بالثقافة الغربية بعد أن مكثوا فى أوربا وأمريكا ردحاً من الزمن . حينذاك ، وجدت المصالح الصناعية والتجارية سوقاً جاهزة وعجل خبراء العالم الاسلامي المتحمسون فى تقدم تلك العملية . وأصبح المسلمون إذ ذاك يساورهم إدراك مشوب بالقلق وهم يلحظون تاخرهم المادي وغياب العصرية فى مجتمعاتهم عند مقارنتها بالتقدم الملموس فى الغرب . ومما ساعد وهيا لذلك الادراك ، احتكاكهم وتعاملهم مع البضائع الغربية واسلوب الحياة هناك مع كل ما يكتنفه من إغراء تنقله وتبثه وسائل الاعلام والدعاية والأفلام الغربية فى جميع انحاء المعمورة . ولهذا بات الغرب فى نظر تلك المجتمعات صورة ساحرة وتجسيداً للمدينة الفاضلة ، فدرجت على تقليده وشاع تبني بعض من زخارف ثقافته والظهور بها على أنها احدث ما توصل إليه التقدم وادوات العصر . وإذ بالعديد من المسلمين



جانب من مدينة استنبول التى تحتفظ بعدد ضخم من المساجد الاسلامية العريقة .

يتقبلون ، بفعل ذلك التاثير الغربي ، راي ذلك المجتمع فى أن الدين والقيم الاخلاقية والسعي وراء المعاني ليست بالاهمية التى تستاهل إصرار الناس ، واصبح ميزان الغرب يتجلى في ان الحضارة هي تقدم مادي واهمال للقيم التقليدية ، قبلوا بها كمقياس حقيقي لعظمة المجتمع دون ان يمسكوا بالحقيقة الجوهرية القائلة بان الحضارة الاصيلة يجب ان تقوم على أساس متين من المباديء الروحية والاخلاقية السليمة .. وبدونها يصبح التقدم المادي ، ببساطة ، شيئاً من اللاحضارة واللاإنسانية بل والدمار .

ثلاثة نماذج للمسلم

وهكذا شهدت الحقبة الحالية ظهور ثلاثة نماذج للمسلم ، لهم مايشابههم فى المعتقدات الاخرى . اما الاول ، فهو ذلك الفرد الذي يرى فى الاسلام مجرد تقليد غامض ، يفضل التنصل منه فى اغلب الاحيان . وهو الذي يسمى مسلماً على جواز سفره فقط ، لانه ببساطة ليس مسيحياً ولا بوذياً ولا اي شيء آخر . فربما يوحي علناً باحترامه للاسلام ، وربما يرفضه نهائياً . وفي جميع الاحوال ، فانه لا يحاول ان يجعل الاسلام سبيلا ومنهجاً لحياته فيمارسه باخلاص .. إنه ينظر إلى من يفعلون ذلك على انهم حمقى متخلفون !

فى ضوء هذه الحقيقة ، ينكشف بشكل ثابت ان افراداً كهؤلاء تنقصهم معرفة الاسلام وفهمه كرؤية عالمية شاملة ونظام متكامل للحياة .. واكثر من ذلك . ربما لم يتسن لهم احتكاك او معرفة باي شخص مسلم يضرب لهم المثل على الفهم والالتزام الحقيقيين للاسلام . فهذا المسلم ربما لم يُصَلِّ مرة واحدة فى حياته كلها ، او حتى يجهل شعائر الصلاة لانه لم يتعلمها . فالاسلام بالنسبة له اثر قدسي من التاريخ الغابر ، وربما خالجه شعور بالفخار بتراثه الاسلامي إذا ذكر احياناً او دافع عنه إذا هوجم . وقد يفكر مرة بالدين وهو امام حادث وفاة ، فيقول لنفسه : « إلى اين سأذهب إذا حدث لي هذا ؟ لا باس . إن الله غفور رحيم » . وقد اخذته مشاغل الحياة اليومية : عائلته ، ممتلكاته .

مسراته إلى درجة لم يعد يستطيع الاستمرار فى التفكير بهذه الطريقة . كما اصبح العديد من المشاكل اليومية سمة لحياة العديد من هؤلاء المسلمين ، منها ارتفاع فى نسبة حوادث الطلاق ، والحرية الجنسية ، وتناول المشروبات الروحية ، وضياع كامل للقيم والاتجاهات .

هؤلاء هم مسلمون بالاسم وليس بالجوهر ، لانهم لا يختلفون بمبادئهم وتصرفاتهم عن الناس الذين ليس لهم دين او قيم ، لانهم فى الحقيقة ، لا يملكون اياً منها . واكثر من ذلك ، هم معادون للاسلام وللمسلمين الذين يخلصون لدينهم حق الاخلاص .

والنموذج الثاني للمسلم ، هو الذي ينتمي لجماعة المسلمين التقليديين ، الذين ربما تفهموا المباديء الاساسية للاسلام ، وربما حصلوا ايضاً على درجة من المعرفة الاسلامية تمكنهم من اتباع تعاليم الاسلام الى حد ما ، ومع ذلك كله ، لا يفهمونه كنظام حي كامل متكامل لجميع مظاهر حياة الانسان . وهم فى الوقت نفسه لا يخلصون للتعاليم الاسلامية باستمرار ، وفي جميع نواحي حياتهم باعتبار ذلك مسالة مبدأ والتزام . الاسلام فى عقول هؤلاء هو على الاغلب مختلط بالعديد من الممارسات الاسلامية الزائفة التى اعتادها مجتمعهم ، والتى هي معاكسة تماماً للتعاليم الاسلامية الصرفة ، وذلك بالرغم من حصولهم على نوع من التطبع الاسلامي المشوب بالكثير من الطرق الغربية فى التفكير والحياة ايضاً . إنهم ، لاشك ، يؤمنون بالله والاسلام ، ولكن بطريقة نظرية تخلو من القناعة الكافية .. تلك القناعة التى تحركهم بثبات واستمرارية نحو تاهيل إسلامي واسلوب معيشة متكاملين ، فهم لا يتصورون الاسلام كنظام كامل لجميع اتجاهات الحياة .. انهم فى الغالب ناقدون او مقللون من قيمة اولئك الذين ذهبوا بعيداً فى قضية الدين .

اما النموذج الثالث ، فهم الفئة التى



مجموعة من المسلمات في امريكا يؤدين الصلاة داخل المسجد .

تتالف من اولئك المسلمين الذين يفهمون الدين الذى يؤمنون به كنظام كامل ، وقد صمموا بوعي ان يسيروا حياتهم وفقا له .. فالاسلام مرجعهم ورؤيتهم العالمية .. طاعتهم وولاؤهم وتقواهم هي لله وحده .. هدفهم هو الآخرة .. وجماعتهم هي جماعة المؤمنين . من بين هذه الفئة ، كثيرون يتمتعون بثقافة عالية ، حصلوا عليها نتيجة تامل عميق فيما يجري حولهم فى هذا العالم . انهم صحبة فريدة وجزء من جماعة صغيرة ولكن قوية تؤمن بالله وتعيش فى طاعته منذ ان سار آدم نبياً على هذه الارض .. مطيعاً لارشاده عز وجل .

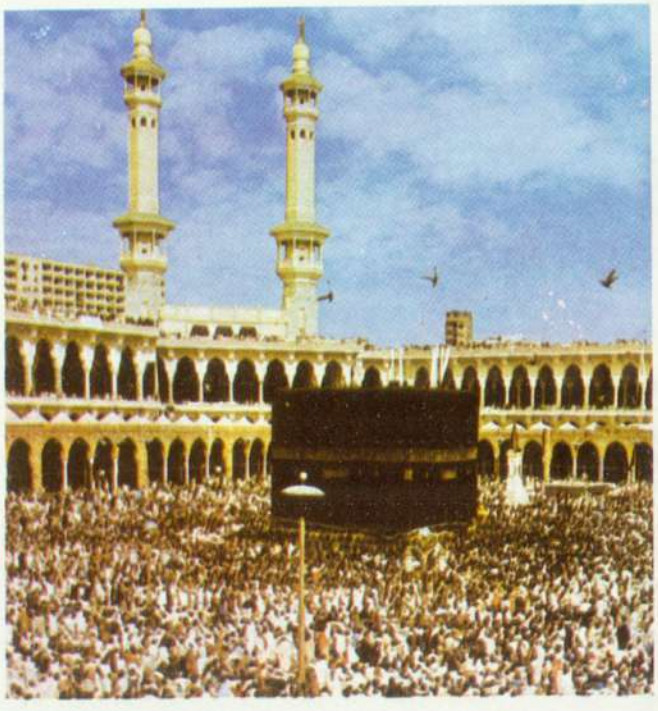
ومع ذلك ، فالنزوع نحو الغربية والعصرية قوي جداً ، لدرجة ان قليلا من الناس فى العالم الاسلامي ادركوا الحقيقة الجوهرية وهي ان التقدم المادي لا يؤدي بالضرورة إلى احترام الذات والقناعة الحقيقيتين ، وانه لم يجلب السعادة الحقة ولا الصبغة الانسانية الى عالم الغرب ، بل ، على العكس من ذلك ، دل التقدم المادي على انه نظام مربك وغير محكم يسبب مشاكل اجتماعية وبيئية واضحة ، كونه بعيداً عن الآفاق الروحية والخلقية التى هي ، كالناحية المادية تماماً، جزء مكمل لطبيعة الانسان .

وبينما المسلمون من النموذج الأول يعيشون حياتهم اليومية منشغلين بما يملكون ، وبمسراتهم وعلاقاتهم الاجتماعية وتضخيم رؤوس اموالهم ، نجد المسلمين من الطراز الثاني فى منتصف الطريق مابين الضياع التام للقيم الاسلامية ومابين التقيد بها ، مبررين ومدافعين عن تقصيرهم في الالتزام بها بمختلف الطرق . أما المسلمون من الفئة الثالثة فهم متمسكون بثبات بالمباديء والقيم الاسلامية مساعدين في ذلك على إيجاد قوة متوازنة ضد التقدم العشوائي والتبني غير المتجانس للاخلاق والممارسات التي لا تناسب المسلمين والتي تصيب مجتمعاتهم باضرار بالغة . وبسبب قناعتهم الأكيدة بحقيقة الاسلام ، نرى ان هؤلاء الأفراد لا يمكن ان يتارجحوا فى اتجاه نظام مثل الشيوعية كما يفعل غيرهم من المسلمين الذين فقدوا القناعة الاساسية واصبحوا غير قادرين على مواجهة المشاكل الاقتصادية والسياسية والاجتماعية فى بلدانهم فى الوقت الحاضر .

الاسلام هو الحل

واليوم ، وعلى الرغم من تلك الظروف الصعبة ، بدأنا نشعر بموجة من الوعي والاعتزاز الاسلاميين ضمن العالم الاسلامي . فلعديد من السنوات ، كان يوحي لشعوب هذه المنطقة ، بطريقة صريحة او بتحفظ ، بانها متخلفة ومتدنية، وبان الطريق الوحيد للنهوض بها من هذا الوضع هو بترك الدين والتقاليد وتبني الاسلوب الغربي . ولقد صدق هذا كثير من الناس .. وهاهم يسيرون الآن باتجاه المادية .

أما الآخرون ، فقد القوا على المجتمع الغربي نظرة جيدة فاحصة ، وادركوا شركه ، ومن ثم ادركوا الحقيقة الاساسية وهي ان التقدم المادي والرفاهية لا يحققان كامل طبيعة الانسان ، ولا يعدانه بالجنة الموعودة على الارض . وبعد ان يحصل الانسان على كل هذا ، هاهو يسال : « وماذا بعد ؟ » إن الرفاهية ـ مثل الفقر تماماً ـ يمكن ان تترك الفرد فارغاً من الداخل . ولقد ايقن هؤلاء ان بني الانسان ـ بحكم طبيعتهم الانسانية ـ يجب ان يهتموا بما هو اكثر عمقاً واكبر مغزى من المحسوسات .. بالمعاني وليس بمجرد الماديات . وبسبب كل هذا ، توصلوا إلى قناعة عميقة وثابتة ، وهي ان فى التراث الاسلامي ما هو اكثر قيمة بالنسبة لوجود الانسان ، وان دينهم يتفوق بثرائه واسلوبه على اي نظام او معتقد آخر . وقد برز ذلك مرافقاً لليقين الواضح بان المشاكل التى يواجهها العالم الاسلامي اليوم ، هي النتيجة المنطقية والمباشرة لسقوط المسلمين بعد ان ابتعدوا عن دينهم . ولا يمكن لهذه المشاكل ان تحل إلا بالرجوع المخلص إلى الاسلام والمباديء الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التى يقوم عليها ، والتى لا تنسجم مطلقاً مع الاخلاق الهمجية الانتهازية السائدة ، القائمة على استغلال الانسان لاخيه من اجل غايات انانية صرفة .





الكعبة المكرمة .. يطوف حولهـا الحجـاج من كل جنـس ولـون .. ولقطـة اخـرى داخـل مسجـد الرسـول الكريم فى المدينـة المنـورة .

لكن مباديء هذا الدين العظيم تنسجم مع أعظم وأنبل مباديء الحضارة الانسانية ، تلك الحضارة التى مافتئت تسعى لايجاد حلول لامراضها المعقدة .

وبين جميع الاتجاهات الواضحة فى العالم الاسلامي اليوم ، الرأسمالية منها أو الوطنية ، الاشتراكية أو الشيوعية ، يقف الاسلام ممسكاً بالوعد الاكيد ، لان يحمل لشعوب هذه المنطقة ـ فيما لو طبق باخلاص وتعقل ـ حالة الاستقرار والسلام التى تنشدها تلك الشعوب بعد أن عاشت السنوات الاخيرة فى خضم اضطرابات ضخمة .. داخلية وخارجية . وبدون ادنى شك ، فالاسلام وحده هو الذي يستطيع أن يكبح تهديد الشيوعية الزاحف ، والمتمثل بمحاولاتها الخطرة والمتزايدة لاقتطاع أجزاء من العالم الاسلامي لحسابها .

فالالتزام غير الجدلي بالمعتقدات والقيم الاسلامية يشكل الدفاع الوحيد والاكيد ضد الأطماع المختلفة فى البلدان المسلمة ، وخاصة فى أوضاعها الراهنة غير المستقرة وعلى نحو أوسع ، ربما نلاحظ أن الشيوعية والامبريالية ، وكل النظم الاخرى التى تنكر أو تقلل من قيمة طبيعة الانسان الروحية أو تركز على أحد الجوانب فى طبيعة الانسان على حساب الجوانب الاخرى ، يجب أن ينظر لها اخيراً على انها محاولة يائسة قام بها الانسان بغية أن يفهم ذاته ويجد الاتجاه الصحيح معتمداً على قدراته المنظورة والمحدودة .

ومنذ مسيرة الانسان المبكرة على هذا الكوكب ، صعدت أديان وفلسفات ونظم وأفكار عديدة ـ بما فيها تلك التى تسيطر علينا اليوم ـ صعدت مسرح التاريخ ولعبت دورها . وعندما نمعن النظر فى هذا التاريخ والتراث والاتجاهات السائدة فى العالم اليوم ، يبدو واضحاً أن أياً منها لم يفلح في حل الصراعات والمعضلات الجوهرية التى تنخر فى الشخصية البشرية ، لانها إجمالا ، بشكل او باخر ، غفلت النواحي الاساسية فى علاقة الانسان مع الحقيقة الالهية ، او انها أعطت أولوية لواحد من مظاهر الحياة الانسانية على حساب المظاهر الاخرى . وبذلك عملت على خلق اختلاف مخيف وغير متجانس داخل الأفراد والمجتمعات التى يعيشون فيها ، مما جعلها قاب قوسين او أدنى من تدمير المجتمع الانساني برمته.

وفى كل ذلك الخضم ، برز الاسلام نظاماً وحيداً فى العالم ، ينظر إلى الانسان من الزاوية الأشمل ، ضمن إحاطة كاملة بالحقيقة الالهية ، وفهم صادق لطبيعة الانسان الخالصة ، مزوداً إياه بتوازن تام مابين جانبيه المادي والروحي على حد سواء .. وما بين آمال وحاجات الانسان الدنيوية وهدفه الأبدي فى الآخرة ... إنه النظام الوحيد الذى يخضع الانسان وحياته كلية إلى الله ... الله الذى منحه هذه الحياة ، والذي لا يستحق خضوعه إلاه . إنه النظام الذي حرر هذا الانسان من ظلمات عبوديته .. ومن قيم ونظم ورغبات من صنع البشر .. ليكتشف أن الله وحده هو مولاه الحقيقي ولا احد سواه ..

لم تعد عظمة الاسلام خافية ، ولم يعد نبل هذا الدين من الأشياء التى يجهلها البشر .. إلا أن قلة الاحتكاك ، والتحامل ، والاختلافات الثقافية كلها اوجدت صعوبات اعترضت إلمام الغرب به وبمعرفته عن كثب .

كثيرون ، وكثيرون جداً ، ينضمون إلى جماعة المسلمين اليوم .. مؤمنين بأن هذا الدين يكشف لهم عن الحقيقة ويدلهم على طريق الحياة المثلى التى دأبوا يبحثون عنها ـ ربما لسنوات ـ دون جدوى ، لان بحثهم كان ، على الاغلب ، فى الاتجاه المعاكس تماماً .

ويعتقد كثيرون بأن الاسلام سيكون موجة المستقبل . إنه تراث الانسانية جمعاء وإن لم يوضع فى مكانه الصحيح منذ أمد بعيد . أرسله الله للبشر جميعاً وليس لمجموعة واحدة على الأرض التى نزل فيها . إن الهنا ، إله السموات والأرض، يعد البشرية ـ فيما لو اتجهت إليه باخلاص ووفاء ـ أن يدلها ويثبت أقدامها على الطريق الصحيحة التي توصلهم الى الاستقرار والتوازن ، ويعدها بأن يمنحها ـ أفراداً وجماعات ـ التحول نحو الأفضل ، فالنظم التى اوجدها الانسان بعيداً عن طاعة الله ، لن تنجح أبداً .

كروان محمد السكري



الحصان..

عندما يتحرّر من قيود الإنسان!

بقلم: حسام جميل مدانات

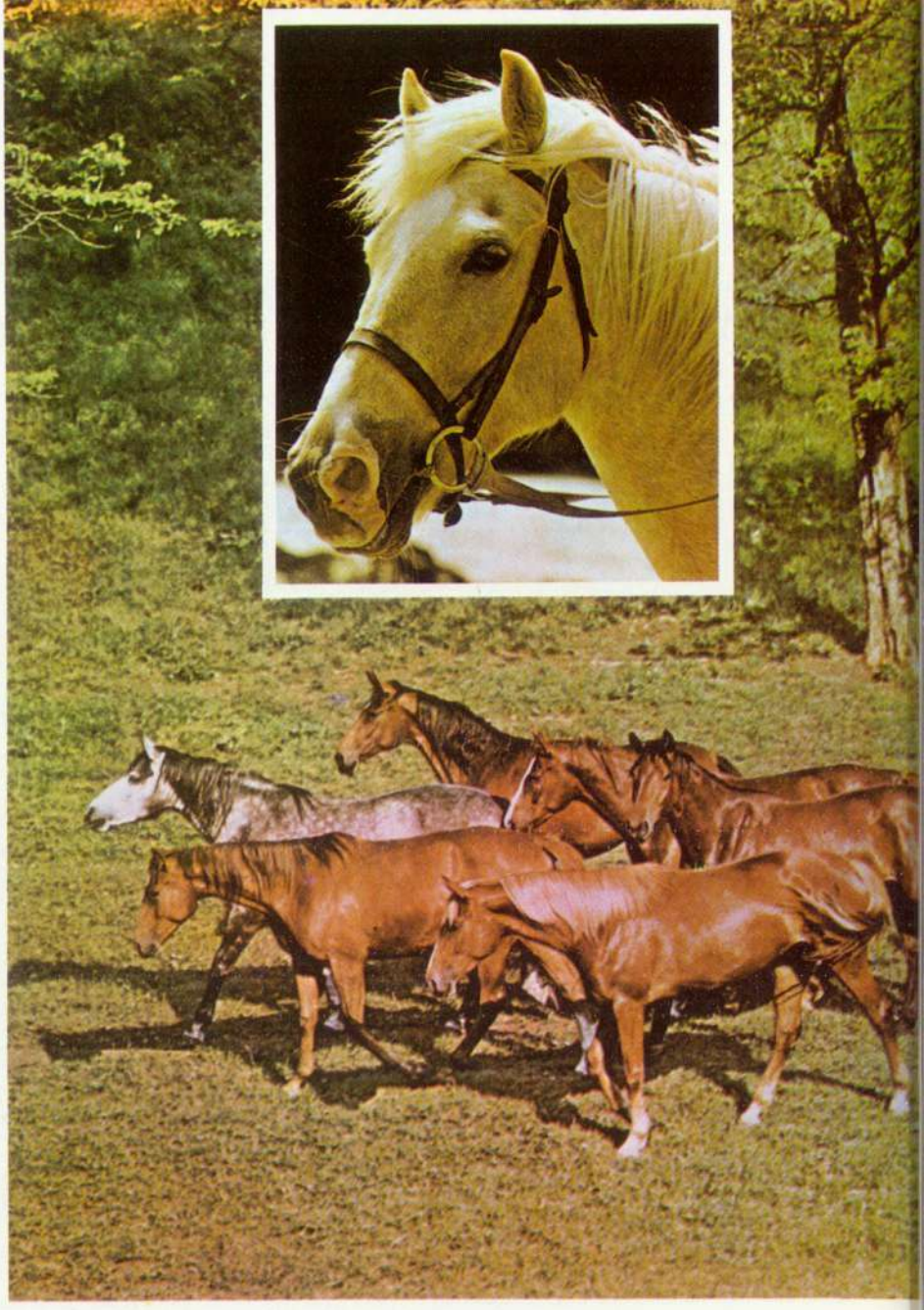
رذاذ الماء يتطاير خلف حوافر «فحل الخيل» الذى نفر مبتعداً ، جاذباً خلفه قطيعه من إناث ومهور ، وفى مكان آخر يشب حصانان صغيران فى صراع لا يخلو من عنف ، وحوافرهما الأمامية تعلو وتهبط بسرعة ...

إنها لوحة رائعة للخيول البرية فى ضباب الصباح الذى يعلو المستنقعات .

يتكرر هذا المنظر فى عدة مناطق معزولة تتوزع فى عدة أماكن من العالم : فى بعض الجزر المجاورة للشاطىء الشرقى للولايات المتحدة ، وفى هضاب وأودية الغرب الأمريكى ، وفى سهوب منغوليا ، فى الأراضى البعيدة القاحلة فى استراليا وفى المكسيك ، وحتى فى أوربا .

خلال العقود الماضية ، قام العديد من العلماء بالذهاب الى هذه الأماكن ، التى لا يسكنها بشر . وقاموا بمراقبة الخيول ، فى محاولة لفهم بيولوجية وسلوك الحصان ، هذا الحيوان الذى ساهم بشكل كبير فى تطور الحضارة الانسانية خلال خمسة آلاف عام من تهجين الانسان له . وخاصة دوره فى المعارك التى كانت تجرى بين الشعوب والقبائل منذ القدم ، ومن ذلك دوره فى الفتوحات العربية الاسلامية على إمتداد مناطق واسعة .

لقد اكتشف علماء الحياة ، أن سلوك الحصان يتغير سريعاً ليناسب الظروف الجديدة . ويبدو أن الأجيال الطويلة المروضة سيختفى تأثيرها وبسرعة ، عندما يطلق العنان لحصان ، ليعيش حراً فى البرية . إنه يظهر تكيفاً سريعاً وبشكل مذهل لظروف حياته الجديدة المتحررة من



على هذه الصفحة والصفحة المقابلة اربع لقطات للخيول المنتشرة في مناطق عديدة فى العالم .. والتي سعى إليها خلال العقود الماضية مجموعة من العلماء فى محاولة لفهم سلوكها خارج حضارة الانسان .. اي قبل ان تستانس !

قيود الانسان .

وتظهر فى جميع قطعان الخيول البرية ، علاقات ذات طبيعة معقدة ، سواء العلاقات بين الذكور فى نفس القطيع ، او طرق تودد الذكور للاناث ، او وسائل واشكال القتال بين الذكور .. إنها تظهر جميعاً متشابهة فى جميع مناطق المعيشة الحرة للخيول . وقد دفع هذا الأمر علماء الحياة للاعتقاد بأن هذه التصرفات تحكمها غرائز كامنة ، تتغطى ظاهرياً فى الخيول المروضة فى عالم الانسان .

وقد كان تكيف الخيول سريعاً لظروف صعبة جديدة ، مثل : ندرة مفاجئة للطعام بالمقارنة مع الظروف الغذائية السابقة والسهلة تماماً ، حيث لم يكن على الحصان أن يشغل نفسه مطلقاً بأمر البحث عن الطعام . وهذا التكيف يجعل العلماء يميلون الى وضع الحدود واضحة بين الغريزة والقدرة على التكيف . إن الخيل تبدى مرونة عالية فى مواجهة الظروف المتغيرة ، وهذا ما يجعلها ذات ميزات هامة كحيوانات مدجنة .

ومعظم ، إن لم يكن كل الخيول البرية المتواجدة فى العالم اليوم ، ذات اصل مدجن اليف ، حيث كانت اجدادها مروضة وعاشت مع الانسان لقرون طويلة . والصنف الوحيد الذى لم يروض ابداً هو الحصان المنغولى . ونجده اليوم ، فى حدائق الحيوان فقط ، حيث يعتقد انه ابيد تماماً فى موطنه الأصلى فى سهوب آسيا .

الدراسات الحديثة

«رولف هوفمان» ، عالم حيوان من جامعة ديوك الامريكية ، وهو يدرس الآن الخيول البرية فى جزر «بيردشول» ، و «شاكل فورد» ، بالقرب من سواحل كارولينا الشمالية . وتثير دراسته الاهتمام ، من حيث أن الخيول فى هاتين الجزيرتين ، تختلف عن بعضها فى الوقت الحاضر ، رغم انها تنتمى لنفس الأصول التى وضعت هناك عام ١٩٤٠ م .

لقد تكيفت هذه الحيوانات فى الجزيرتين مع ظروف البيئة الجافة ، وتعلمت حفر الأرض بحوافرها للحصول على الماء الموحل الغائض فى الرمال من بقايا المستنقعات الجافة . إنها تكتفى بكمية من الماء اقل بكثير مما تحتاجه الخيول المستانسة . وحتى انها حققت تكيفاً مذهلا لا تقدر عليه الثدييات عادة ، الا وهو انها تشرب احياناً الماء المالح إذا لم تجد غيره .

ويقوم «هوفمان» ، بدراسة التغيرات الفسيولوجية التى يتطلبها مثل هذا التكيف . ويظهر تنوع التكيف المتحقق لملائمة البيئة الجديدة فى جزيرة «بيردشول» ، حيث يظهر نظام الحريم كنظام وحيد تقريباً . فهذه الخيول البرية تعيش فى قطعان تحوى إناثاً يتراوح عددها بين إثنين وثمان ، ولكن العدد قد يصل الى الخمسين . ويسيطر عليها كلها فحل خيل واحد . وتتمتع فحول الخيل الاكثر عدوانية بالعدد الأكبر من الاناث . وتسيطر على مساحة أكبر من ارض الرعى لحريمها وصغارها .

ورغم سيطرة حصان ذكر واحد على القطيع ، فان نظام معيشة القطيع لا يتصف باستبداد هذا الذكر ، بل توجد علاقات اجتماعية معقدة تلتزم بها الاناث . فمثلا إذا تفرق قطيع لسبب ما ، او إذا مات الفحل القائد ، فان الاناث تعمل على المحافظة على ترابط القطيع وبقائه . وإذا





هـذا « المهـر » إذا فصلنـا بينـه وبيـن امـه فـان النتيجـة التى ستواجهنـا هـي عديـد مـن المشـاكل عندمـا يكبـر !

بعـض سـلالات الخيـول القديمـة المستأنسـة وهـي موجـودة اليـوم فـي المانيـا

خطفت فرس من قبل أحد الفحول المنافسة ، فانها عادة ما تعود الى قطيعها فيما بعد . ولكن الاناث لا تعارض إذا تركت صغارها الاناث ، عند بلوغها القطيع لتنضم الى قطعان أخرى . ولهذا ميزة تحقيق التهجين بين القطعان المختلفة .

ولكن يمكن القول ان القوة المحركة لقطعان الخيل هى صراع جنسى عنيف . ففى جزيرة «بيردشول» ، نجد ستة مجموعات من الحريم التى يتبع كل منها فحلا . وتعيش هذه القطعان فى أماكن متجاورة ، ولا مفر من إحتكاكها ببعضها اثناء بحثها عن الطعام أو الماء . ويحصل بين الوقت والآخر ، صراع بين فحل وحصان صغير بالغ غريب ، يحاول الحصول على أنثى من القطيع .

محاربة الخيول

إن هذا النظام الاجتماعى يتميز بالمرونة وهو ليس بقاعدة ثابتة رغم الظروف . ففى جبل «مكدونلد» فى استراليا ، نجد الخيل تتجول منفردة او فى أزواج . والسر فى هذا النظام الاجتماعى الذى انعدمت فيه حياة الحريم والقطعان الكبيرة ، أن المزارعين هناك ينظرون للخيول باعتبارها آفات زراعية تهاجم حقولهم وتاكل محاصيلهم . ولهذا فانهم يطلقون عليها النار اينما وجدوها . وهكذا كان الأسلم للخيول أن تتخلى عن حياة القطعان والعيش مفردة أو أزواجاً ، حيث تصبح أهدافاً أصعب للمزارعين . وتشبه الخيول فى معيشتها غير الاجتماعية هذه ، أقارب لها آخرين ، مثل : حمار الوحش جريفى فى كينيا والحمير البرية .

ونتيجة لارتفاع نسبة المواليد الذكور فى «بيردشول» ، نجد حصول تعديل فى طبيعة تكوين وتنظيم القطعان ، تعديل يدل على مرونة النظام الاجتماعى . إذ نجد فحولا أخرى تابعة فى القطيع ، غير الفحل المسيطر . ويحصل أحياناً أن يقوم الصراع بين الفحل المسيطر وفحل آخر تابع ، تكون نتيجته أحياناً ، تخلى الزعيم عن مكانه للفحل المتحدى . ولكن الذكور عند بلوغها تترك قطيعها وتتجول فى مجموعات . وتبلغ الذكور جنسياً فى سن الثالثة . وقد تضطر أن تمضى فترة تطول الى خمس سنوات فى





في هاتين اللقطتين تعبير صادق عن
أسمى لحظات الأمومة عند الخيول

«المنفى» فى أطراف الجزيرة ، حيث يقل الظل والماء الصالح للشرب ، قبل أن تتمكن من الحصول على إناث خاصة بها وتاسيس قطعان جديدة .

ملاحظة علمية

وقد لاحظ «هوفمان» يوماً رد فعل زعيم القطيع على تسلل حصانين مغتربين لقطيعه فى محاولة منهما للحصول على إناث .. كانا يقتربان بحذر ، وكان رد الفعل عند الفحل فورياً ، فقد إتخذ وضعاً مهدداً ، إذ أخفض رأسه قليلا ، ووجه أذنيه للخلف وفى تلك اللحظة قامت إحدى الاناث بالتبرز فأخذ الفحل يشم مخلفاتها على الأرض ، ثم رفع رأسه عالياً ، وثنى شفته العليا للخلف محركاً خياشيمه تمدداً وتقلصاً . ويبدو أن هذه العملية تمكن الحصان من استنشاق الرائحة بقوة لتصل الى مركز شم ثان حساس فى نهاية مجرى الأنف . والهدف من هذه العملية أن يتمكن الحصان من تمييز روائح معينة . ثم يبول الحصان على مخلفات الأنثى فيما يبدو أنه تاكيد لحقه فى إمتلاك هذه الأنثى ضمن حريمه . ثم قام الفحل بقيادة حريمه بعيداً ، بينما الحصانان المتطفلان يراقبان المنظر بهدوء ، ثم أخذا يشمان مخلفات الأنثى ، ولكنهما لم يقوما بوضع مخلفاتهما عليها .. إنها لا تتبع لأى منهما . وعندما أخذا يتبعان القطيع وصل الصبر حده بالفحل الذى هاجمهما فجاة ، ودفعهما باتجاه البحر . فى هذه المرة انسحب المتطفل ، ولكن فى مرات أخرى يحصل قتال قد يكون عنيفاً .

الصراع بين الخيول

وتقوم فحول الخيل المتصارعة بالتحديق فى بعضها ، وتضرب الأرض باحد حوافرها ثم تشب للأمام فجاة وقدميها ترفس مهددة . وعندما تصبح وجهاً لوجه ، تاخذ بشم بعضها ، ثم تحمحم وتاخذ بالعض والرفس باقدامها الأمامية ، وتتجنب أن تتعرض لرفسة من الحافر الخلفى القوى . وبعد صراع لا يستمر طويلا ، ينفصل الخصمان ، ويتبرز كل منهما فيما يمكن أن يدل على محاولة لتحديد ملكيته فى الأرض وعادة يعودان بعد ذلك ليتابعا القتال .

ولكن يبدو أن الخيول تمضى وقتاً أطول فى انشاء علاقات الصداقة أكثر مما تمضى فى إنشاء علاقات العداوة . فداخل القطيع نجد روابط الاناث مع بعضها قوية وحميمة وقد يكون السر فى هذه العلاقات ، حفلات الغزل والتزاوج الجماعى التى يقوم بها الفحل المسيطر فى القطيع . وتمضى الفرس وقتاً طويلا فى لعق مهرها حديث الولادة ، مما يقوى علاقة بينهما تقوم أساساً على حاسة الشم . ونجد نفس الظاهرة فى الخيول المستانسة . ويبدو أن الفصل بين الفرس ووليدها ، أو منعها من لعقه ، يؤدى الى مشاكل فى سلوك المهر المروض عندما يكبر .

وفى الغرب الأمريكى ، يعتبر الحصان البرى رمزاً للحرية ، حتى أنه أصبح رمزاً وطنياً لها فى أمريكا كلها . ويبلغ عدد الخيول البرية الآن بين خمسين الفاً وستين الفا فى ولايتى «ويومنغ ، ونيفادا» ، حيث الصحراء التى تشبه لحد ما صحارينا العربية .

وهنا ، قد يثير الاهتمام ، أن نطرح تساؤلا حول تاريخ الحصان فى وطننا العربى ، وفى الجزيرة العربية بالذات .. هل كان هناك فى أى وقت من التاريخ خيول برية فى صحارينا ؟ وهل من الممكن تخصيص أماكن محمية للخيول البرية فى بلادنا ؟

حسام الدين مدانات



لوحة للفنان الكويتي عنوانها : « حياء بنت ١٦ »



اهلا وسهلا

عبدالرسول سلمان

فنان كويتي يلفت أنظار نيويورك وباريس

بقلم : حسن الملا

الفنان الكويتي : عبد الرسول سلمان



هو من ابرز الفنانين التشكيليين فى الكويت .. عرفناه من خلال لوحاته الفنية التى اثارت الانتباه على المستوى العربي ، واشترك بها فى عدة معارض دولية فى الهند وباريس ونيويورك ، كما انه استطاع ان يثبت جدارته فى مجال النحت منذ طرحت جمعية المعلمين الكويتية فى عام ١٩٧٥ مسابقة للفنانين الكويتيين لعمل نصب تذكاري للمعلم ، فما كان من الفنان عبد الرسول سلمان إلا أن تقدم مع عدد من الفنانين المحترفين لهذه المسابقة ، وكانت المفاجاة عندما فاز على الفنانين المحترفين ليصبح اسمه مرتبطاً بالنصب التذكاري الموجود الآن فى ساحة المقر الرسمي لجمعية المعلمين الكويتية !

وإضافة الى الرسم والنحت ، فان الفنان الكويتي عبد الرسول سلمان ، برع فى تصميم الكثير من الشعارات والأوسمة



تحـدى

والميداليات ، كما قام بتاليف كتابين : احدهمـا عن الفنان محمد الدمخي وهو احد رواد الفن التشكيلي فى الكويت ، والكتاب الثاني عن الفنون التشكيلية فى الكويت ، وهو يستعد حاليا لاصدار كتاب عن الحركة التشكيلية فى دول الخليج ، خاصة وانه احد اعضاء اسرة تحرير مجلة عالم الفن الكويتية وامين سر جمعية الفنون التشكيلية الكويتية .. !

وعندما ننظر الى اعمال الفنان عبد الرسول سلمان ، سيتضح لنا ان التراث والاصالة هما النهر الذي يرتوي منه الفنان، فاعماله تجمع بين التراث القديم وروحانية الاسلام وتقنية العصر الحديث .. فلوحاته تتميز بالالوان الهادئة التى تتخللها خطوط منحنية تشكل حروفا وكلمات مقروءة فيها ترتيل لآيات من الذكر الحكيم مضيئة بنورانية كنور الفجر المتدفق الذي يكتسح فى طريقه اي ظلام ..

إنك لو تمعنت في تلك اللوحات لوجدت عبارة « بسم الله » و « سبحان الله » وغيرها تعطيك انطباعا داخل العمل الفني بعظمة الخالق فيما خلق ، وتجعلك تدنو من الأرض الواسعة والسماء الصافية التى تتخللها بعض الخيوط الشريطية التى استطاع بها الفنان ان يربط اعماله بعضها ببعض متموجة كامواج الخليج العربي !

ولان فناننا هذا قد ربط نفسه بالبيئة وتاثيراتها ، فان اعماله فى مجموعها تنهل من الأسلوب الواقعي الذي يستخدم الرؤيا المعاصرة التى يستوحيها مما يدور حوله من أساليب متنوعة وعديدة .. فمثلا في لوحته « انشودة من الماضي » نرى واقعية تميل إلى السريالية ، وإن كان التعبير الدقيق لها فى نظري ، واقعية خارجة عن المالوف ، فاللوحة تمثل بخنق « اي غطاء » ترتديه الفتاة فى الخليج العربي فوق الراس والجسم وهو موشي بالطرز والزخارف الذهبية ، إلا انه غير مستخدم فـــوق راس الفتـــاة ، لانـــه مدلي مـــن سفينة وكانه الماء المسكوب الذي يمنح الجدول ماء لا ينضب ويظل متدفقا فى كل أيام المستقبل .. إنه في هذه اللوحة لا يقدم تسجيلا تراثيا ، ولكنه يعطينا دفعة نحو التفكير والتامل فيما تعرضه اللوحة من افكار تخاطب الحاضر والمستقبل !

إن الفنان الكويتي عبد الرسول سلمان الذي ولد فى الكويت عام ١٩٤٦ ، حاز على جوائز وميداليات ذهبية فى المعارض المحلية ومعرض الكويت للفنانين العرب .. كما انه شارك فى عدة معارض فى بغداد والقاهرة وليبيا وتونس والجزائر والمغرب .. وهذا بخلاف المعارض الدولية . إنه بكل ما قدم من اعمال فنية يستحق ما اطلقه عليه النقاد الكويتيين .. فهم يسمونه الفنان الرسام واحد عمالقة الفن التشكيلي في الكويت ..

حسن الملا

الابتسامة الغامضة وخلود العبقرية

جمال قطب



ليوناردو دافنشي

في عام ١٤٥٣ سقطت القسطنطينية في أيدي الأتراك وانهارت الدولة البيزنطية .. وكان هذا الحدث الهام رمزاً لنهاية العصور الوسطى وبداية العصر الحديث . وقبل ذلك بعام واحد ، أي سنة ١٤٥٢ ولد « ليوناردو دافنشي » وقد وصفه المؤرخون بانه رائد الأسلوب الجديد في فن التصوير في أواخر القرن الخامس عشر وأوائل السادس عشر .

وفي الحقيقة أن ما نعرفه عن حياة الفنان الأسطورة .. يعتبر قليلا جداً بالنسبة إلى ما خفي من سيرته الغامضه . وقد اعتاد أن يدون مذكراته وخواطره وآراءه وبحوثه المختلفة في كراسات ووريقات مبعثرة ، على أمل جمعها وتصنيفها بعد ذلك .. ولكنها تشتت اثر وفاته في عام ١٥١٩ ، وضاع معظمها ، وما تبقى منها موزع الآن بين مكتبات ميلانو وباريس ولندن ووندسور .. وغيرها من المتاحف ودور الوثائق . وإننا لنعجب ونتعجب من هذه العبقرية الفذة عندما نتدارس مذكراته تلك ، فنراه قد لمح بفكره الثاقب كثيراً من النظريات التي اثبتها العلماء بعد ذلك ، مثل نظرية دوران الأرض حول الشمس ، ونظرية (نيوتن) في الجاذبية ، ونظرية (وليم هارفي) في الدورة الدموية .. كما انه سما بخياله وثاقب فكره فصمم بعض المخترعات التي تحققت بعد ذلك بمئات السنين مثل الطيارة والغواصة والدبابة والقنابل المشحونة بالغازات السامة !

وكان منهج ليوناردو في البحث يختلف كل الاختلاف عن المثقفين في عصره .. فهو لم ياخذ بالنزعة المثيولوجية ، ولم يحاول قط الرجوع إلى فلاسفة الاغريق أو الرومان .. وإنما اعتمد على التجربة الحسية المباشرة بعيداً عن كل نظرة ميتافيزيقية ؛ فنراه يقوم بنفسه بتشريح جسم الانسان ، ويراقب حركات الطيور في طيرانها ، ويدرس هبوب العواصف وتلاطم الأمواج وتجمع السحب ، كما ينكب على علوم الهندسة والمنظور والميكانيكا ... وغير ذلك في دأب وتفهم ، ويسجلها في رسوم دقيقة تدل على قوة الملاحظة والصبر الطويل .

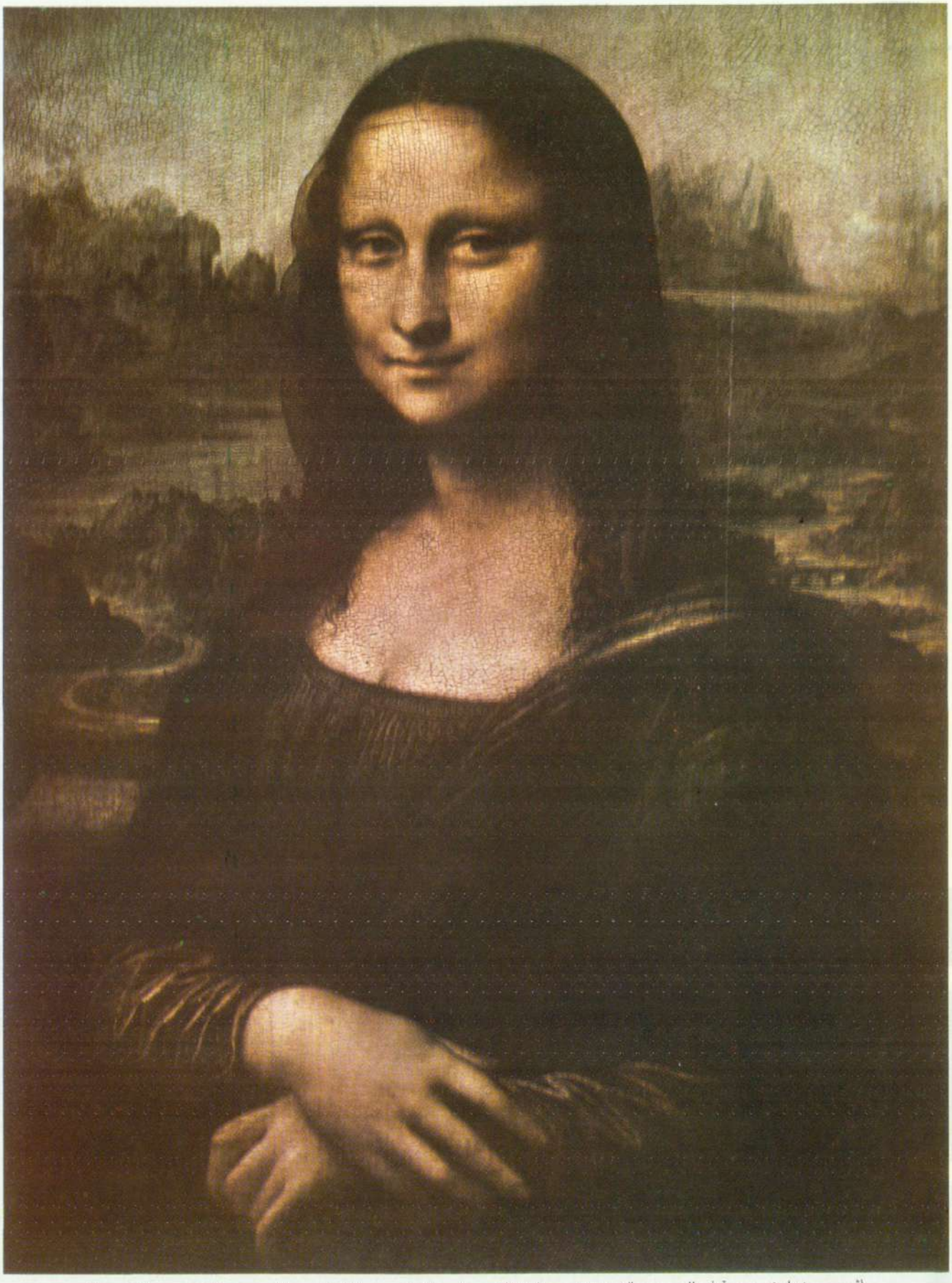
أما فنه ، فقد اعتمد على تجربته الباطنة الخاصة ، وبصيرته ذات الرؤى العجيبة ، وهي التي اضفت على لوحاته غلالة من السحر والاثارة المبهمة ، فبدت مجسماته في بروز لطيف رقيق ، وكانها خارجة من عالم غامض مجهول ! .

أما لوحته التي يراها القارىء على الصفحة المقابلة فهي أشهر لوحاته – إن لم تكن أكثر اللوحات العالمية شهرة على الاطلاق – الجيوكوندا أو الموناليزا (أي السيدة ليزا) وهي صاحبة التحفة الخالدة رسمها ليوناردو دافنشي في نحو أربع سنوات بدأها في عام ١٥٠٣ .. وخرجت معجزة فنية بكل المقاييس ، ولا شك أن صلة وثيقة كانت تربط الفنان بهذه الفاتنة وبزوجها التاجر الفلورنسي (فرانسسكو دي بارتولوميو دل جيوكوندو) .. مما جعل ليوناردو يعكف على هذه اللوحة سنوات أربع ، ويعتز بها كل هذا الاعتزاز !

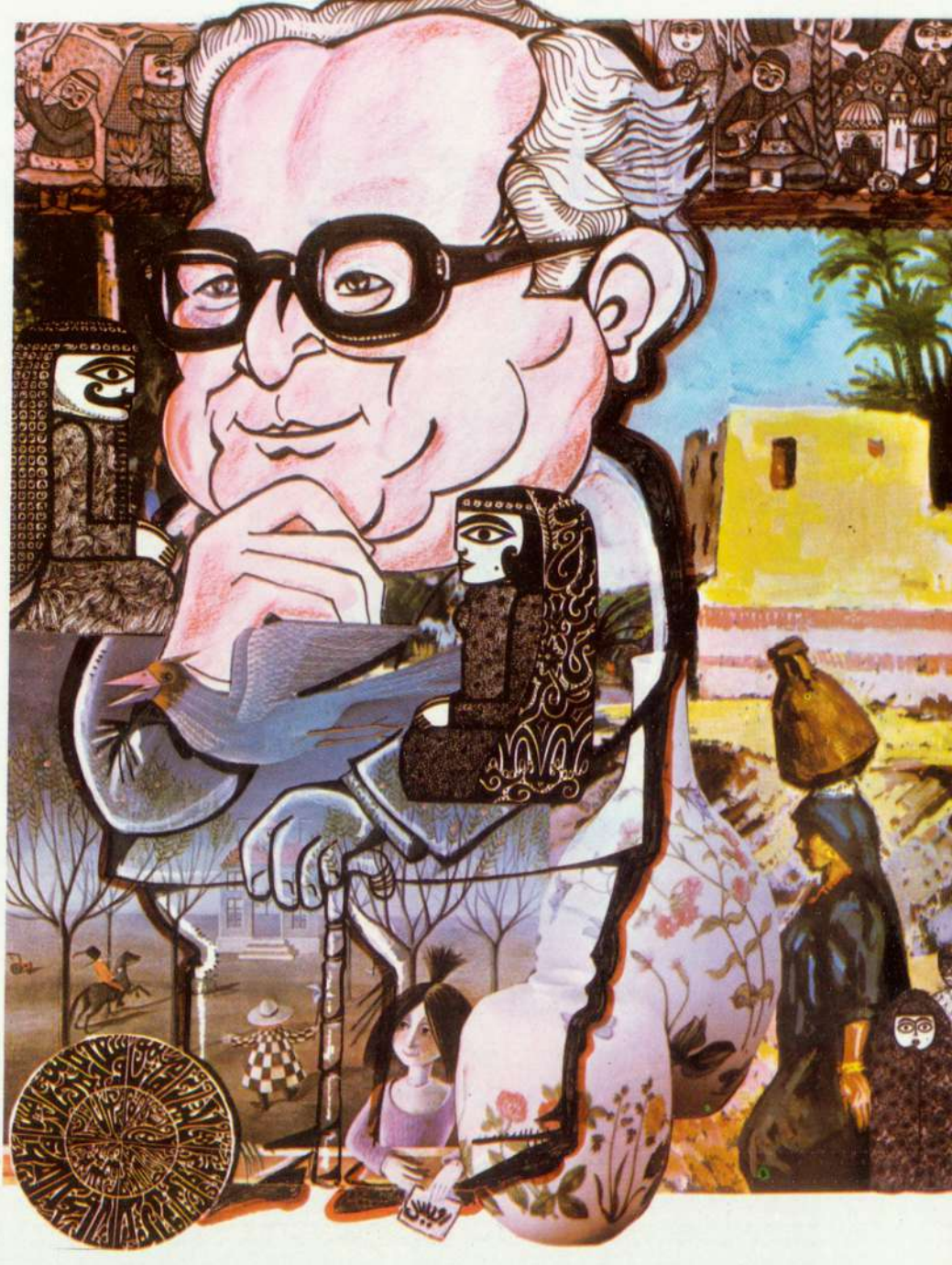
وقد كتب عن الجيوكوندا ما لا يمكن حصره من التحليلات والآراء والتقييم الفني ، واعتبرها الفنان نفسه أروع ماابدع في حياته ، حتى أنه كان يحملها في أسفاره دون غيرها من اللوحات ، خوفاً عليها من تركها في مرسمه في فلورنسا مع باقي لوحاته الأخرى .

والحق أنها آية فريدة في نوعها من آيات الفن الرفيع .. وهي ليست مجرد صورة شخصية لامراة معينة ، ففيها التقت الرؤية بالرؤيا ، والخيال بالخيال ، كما التقت أغوار النفس بأسرار الطبيعة .. نقف مبهورين أمامها .. فنحتار في وصف الابتسامة اللائكية أو الشيطانية ، وهاتين العينين الساحرتين ذات النظرات الهائمة الوادعة الحالمة .. لم نستطع أن نحدد عمر ليزا وقت أن ابدع لها الفنان صورتها .. رسمها في أربع سنوات .. فأسقط عن ملامحها معالم الزمن وبصمات السنين .. إنها ترتسم في مخيلتنا كاسطورة رائعة ، تتراقص كاطياف سحرية تسري في وجداننا بانغام من الهمس الشاعري ، يخرج من بين شفتيها المطبقتين على أسرار الفتنة الغامضة .

جمال قطب



أشهر لوحة فى العالم ، رسمها « دافنشي » للسيدة موناليزا زوجة التاجر « جيوكوندو » .. ومن هنا عرفت اللوحة بالاسمين معا : « موناليزا » أو « جيوكوندا »



حوار بقلم:
مفيد فوزي

- سأموت يوما وأنا مستور وهذا يكفي ..
- كتبي ليست من ذلك النوع: كتب رف مكتبة
- أقول للكاتب الناشئ: لا تكتب بقلمك
- عرفت وأنا شاب صعوبات النشر
- نكبتي الكبرى: اعتداء المصحفين على تراثي
- القصة ليست تسجيلا لحادثة جنائية

كاتب "خليها على الله"

يحيى حقي

الإرادة أفضل الفضائل...

من الآخرين ، عرفت «الاصغاء الجاف» ، ومنه .. عرفت بل عشقت «الاصغاء الحنون» ! وفى ذهنى مثل صينى يقول الاصغاء الجيد ، حديث جيد !

●

له فى نفسى مكانة خاصة ، ربما لسبب شخصى بحت ، فضلا عن مكانته المرموقة فى شارع الادب ، وتميزه الخاص جداً فى «عطفة» القصة . أما ذلك السبب الشخصى فهو أننى أذكر جيداً عندما قابلته فى فجر حياتى العملية ، محاوراً . أيامها لم أكن أحمل شيئاً سوى قلم حبر . وكان يجيب على أسئلتى وهو يذكر اسمى «المتواضع» . فكان رنين اسمى على أذنى يمس شغاف نفسى ويداعب أوتار غرورى المبكر !

●

الكاتب الفنان : يحيى حقى ، ومن سواه ؟!

●

حين جلست اليه منذ أيام أحاوره . صمت وقال : أنت تطلب منى أن أتحدث عن نفسى . يا لها من لذة ساحرة تواضعها زائف ! على أى حال ، صورتى .. هى جلسة أمام فوتوغرافى محترف .. يسلط علي أضواء أعشى لها ، وقد اعوج رقبتى لكى تعتدل فى نظره وربما ابتسم بلا سبب . أما صورتى فى هذه الأحاديث فهى ماخوذة كما ترى خطفاً ، أحياناً وأنا فى مباذلى ، فهى أصدق !

وقلت ليحيى حقى ، ربما لاغرائه أكثر على الحديث «تبدو سعيداً» .

قال «لا ولوج الى ساحة السعادة ـ فى اعتقادى ـ إلا من أحد أبواب ثلاثة : الايمان ، والفن .. والحب . لا شىء يشع بها مثل الخشوع الذى أراه فى المعابد . وإذا كان الحب هو أكثرها التصاقاً بالصلصال وبالزمان والمكان والصدف ، فانه شرط ارتفاع الانسان عن مرتبة الحيوان ، وكان الايمان أكثرها طموحاً لأنه يطلب الله لا الناس . الخلود فى الآخرة لا العبور فى الدنيا . وسيبقى بعد هذا ، الفن وسطاً جامعاً للطرفين ويا لها من منزله .!.»

وقلت ليحيى حقى وهو يعطينى إصغاء حنوناً ويضع يده على أذنه ليلتقط كل ما أقوله وكأنى أنطق الدرر ..

«لست أدري لماذا أشعر أنك أب للقصة ، فأنت تحنو عليها وترعاها ونحس جميعاً بأبوتك لها وأنت رجل عزوف لأنك فنان حقيقى . ولهب الفن لا يغيب عن محرابك ويعجبنى قولك : اننى ممن يدخلون معبد الفن من أشد أبوابه ضيقاً ، ولهذا كنت من المقلين ، أسمعهم أحياناً يعيبون هذا علي كأنهم يطلبون منى أن أكون من المدلسين وأنا يكفينى الصدق . وأحس ـ إذا أذنت لي ـ أن القصة عندك ليست ترفاً شعورياً ، إنما غاية . والغاية هى الاعلاء من شان الارادة وجعلها أساساً . فأنت ترى أن الارادة أساس لكل الفضائل . يستوقفنى هذا المعنى كثيراً .

ويتسلل صوت يحيى حقى بنعومة وبابوة ليقول «صدقنى يا مفيد إن العالم عندى معركة ولابد لنا من خوض هذه المعركة بسلاح الارادة.!.»

وحين قلت : كيف كنت دبلوماسياً ، يوماً ما ، ولم تستخدم سلاح الدبلوماسية فى معركة الحياة ؟

ضحك وقال : ما كنت دبلوماسياً فى نقدى ، أو عرضى للتجارب الفنية . أطلق ما شئت عليها من أوصاف . قل أمانة ، قل ما شئت لكنى أقول ما أحس وما أرى ، وأجرى على الله !

● أقول ليحيى حقى : تبدو كالنهر العظيم عند المصب . ورؤيتك لأعمالك عبر التدفق .. تثير فيك الشجن . أليس كذلك ؟

يقول يحيى حقى بصوت فيه ارتعاشة التواضع الجم «قولك كالنهر لحظة المصب تزيد اشجانى لا جدال . ولكن هل يليق للكاتب أن يتحدث عن أعماله . أنا لا أريد أن أستعمل الكلمات الطنانة وأقول ان مبادئى ترفض ذلك . إنما أقول ان حساسيتى تنزعج وتضج من ذلك . ومع ذلك استجيب ـ رغماً عنى ـ لطلبك ومن يدرى ، ربما صار ما أقوله الآن مرجعاً .. حين أسكن التاريخ . نحن مهتمون فيما أتصور بتاريخ أدبنا الحديث ، ويجب فى نظرى أن يستمر البحث ولا يكف . ولكن مما يحزننى أننا ننشغل بأنفسنا حتى يسقط منا سهواً ما هول غال ! هل تسمع عن اسماعيل مظهر ؟ اسماعيل مظهر الذى كان رئيساً لمجلة العصور . الذى كتب القاموس الانجليزى العربى . الذى كان من أوائل المنادين باتخاذ النظرة العقلانية فى أمور حياتنا . هل يتذكر أحد اسماعيل مظهر ؟ هل يعرفه الشباب ؟ هذه سيرة تعتبر من القمم الأدبية الكبيرة ولا احد يدرى حتى .. أنت ! هل سمعت عن «حسن محمود» الذى كان لصيقاً بطه حسين ، وكان مديراً لمكتبة الجامعة ورئيساً لتحرير مجلة الكاتب المصرى . لقد أشدت مراراً وتكراراً بقصة له اسمها «الجدة الصغيرة» تعتبر فى نظرى من روائع الأدب الحديث . هل سمعت عن «وسيم خالد» الذى كتب عن تجاربه فى الجهاد ، ووصف لنا ، كيف أمسك بالمسدس لأول مرة ، ومعنى الحوار بالكلمات ، ومعنى الحوار .. بالرصاص ! على أى حال عزائى أننى ذكرت أسماء هؤلاء فى كتابى «فجر القصة المصرية» فصارت أسماؤهم تتداول فى كتب النقد . تكلمت عن مصطفى عبد الرازق فى عطر الأحباب . ومازلت أراه قيمة أدبية ومازلت أناشد النقاد الجادين : هذا أول الخيط ، خذوه واتبعوه وادرسوا مصطفى عبد الرازق لأن لا أحد يعرفه من بين كتاب القصة . لقد سئمت الكلاشيهات ليس من المعقول أن يقول انسان بشكل تقليدى كأنه كلاشيه محفوظ (اقرأ لطه حسين وتوفيق الحكيم ونجيب محفوظ) . نحن محتاجون لهذه «الحفريات الأدبية» وحديثى هذا ، بمثابة شهادة .

● تعب يحيى حقى من الاستطراد المشحون بالحماس . ولم أشأ أن أقاطعه . بيد أنه عاد يقاطعنى ، وكأنه أمسك بخيط . مازال يشده من ذهنه المتوقد ، رغم العمر ، ورغم الرأس البيضاء ورغم شكوى الجسد وإن لم يفصح عن الشكوى !

قال يحيى حقى «فى أوربا ـ يا مفيد ـ هذه الشهادات كثيرة جداً . أما عن طريق الكتاب . المؤلف يكتب كتاباً أو يدلى بحديث طويل طويل للصحفى ، يستجوبه . خذ مثلا : الموت فى فينسيا لتوماس مان . ليس العبرة فى هذه القصة انه راح لفينسيا والطاعون ومات الولد . لا . هذا الكتاب يعبر عن كاتب أحس فى يوم من الأيام ، أنه يكتب كلاماً مرصوصاً لا يعبر عن أعماقه وشعر أنه هبط الى مستوى نفاق القراء . وقرر فى لحظة ألا يخدعهم . فكيف يواجه هذا المازق . ذهب الى فينسيا وواجه الطاعون . انتحر ! وخذ مثلا آخر ، القصته «تونيو تروجر» . لقد أعجبتنى فترجمتها . انها صورة لمعاناة الفنان فى الحياة الاجتماعية . الشاعر ، كيف يعامل الناس ، وكيف يعاملونه . ليس فى الكتاب حدوتة ، ولكن هناك وصف رائع لمعاناة انسان وصدماته !

قلت ليحيى حقي : جئت أسال النهر عن (أعماله الأدبية) فراح يعدد لي أعمال الآخرين ! .

قال وهو يبتسم : حديثي عن الآخرين ، بمثابة الشهادة . ومن يدري ، ربما كنت أقاوم الحديث عن نفسي . ومع ذلك أنا ياسيدي ـ فى لحظة المصب كما قلت ـ اعترف أن لي ١٦ كتاباً لو جمعتهم معاً لما زاد حجمهم عن حجم جزء واحد من الثلاثية . ولقد ظهرت هذه الكتب فى طبعات رخيصة .. وتلقى بعد القراءة على



كاتب "خليها على الله"

يحيى حقي

الإرادة أفضل الفضائل...

الأرصفة وعزائي انها قرئت ، ثم تجمع . فكان من النادر أن تدخل مكتبة ، نعم اعترف لك انك لا تجد لي كتاباً في مكتبة . ليس مثل هذه الكتب ما يمكن أن يسمى كتاب رف لمكتبة !

هل تتصور أنني عانيت في النشر كثيراً ؟ !

●

القى لي يحيى حقي باعتراف ، فما كان مني إلا أن قلت « عد الى الوراء بذاكرتك » فقال : كنت أراسل الصحف بالبريد . وكنت بعيداً عن العاصمة . نشروا اغلب قصصي قبل أن يروني . كنت اضع فيها عصارة قلبي ، وادفعها في صندوق بريد كالح . لكني كنت اقرؤها بمتعة . وحين جئت اطبع أول كتاب « قنديل أم هاشم » وجدت صعوبة كبيرة . وظللت احمله واطوف به .. حتى شعرت أن الكتاب قد تعذب ، وبدأ يشكو كثرة الطواف به .. وعذاب المرور على الناشرين . وكاد يتركني ، اذهب وحدي دونه !! لولا أن الدكتور طه حسين كان يعرفني وكان يشرف على دار المعارف وصديقي محمود شاكر ، تضامن مع طه حسين ، وقلما يتضامن .. واوصى بي خيراً واخيراً قبلوا طبع الكتاب . وربما شعرت أن الصفحات كانت « تزغرد » وهي في طريقها الى المطبعة ! .

اعترف لك ولشبان الجيل الذي لم يعرفني بعد . انني كنت أرسل للناشر ، مسودات قصصي ، وكنت اكتشف انه يختصرها للنصف ! ومازال عندي مادة للكتابة . فهل يمهلني العمر . لا أدري ! لكن الواقع ـ وانا اعترف لك ولشبان الجيل الذي لم يعرفني بعد ـ أجد نفسي أعبر عن حزني الشديد لما تعرضت له كتبي من اعتداء !

قلت همساً : اعتداء ؟! تقصد سرقة . اعادة نشر دون علمك ؟ قال باسى : ليت الاعتداء كان كذلك ! لكنه اعتداء من المصححين . خرج معظم ما كتبت مشوهاً . وهذه نكبة لتراثي الأدبي الذي لم يسلم منه إلا جـزء يسير جداً .

●

قلت ليحيى حقي : كتبت مرة تقول إنك تضيق بشدة عندما يقول أحد إن القصة مجرد حادثة جنائية . والحقيقة أنه لا علاقة بين القصة والحادثة الجنائية .

قال النهر : القصة عندي ، موقف . لحظة . تأمل . شعور .

قلت : والقصة عندك « وعاء فكري » .

قال بسرعة : أرجوك احمني من الكلمات الطنانة . فانا انسان وبي ضعف ! ربمـا قصدت اهتمامي باللغة . وانا اعترف لك في لحظة لا يستحب معها إلا الاعتراف بمثابة الشهادة إنني في قصصي ـ يامفيد ـ أردت أن احول الأسلوب العربي من الزخارف والزيادات والرنين واشياء اخرى من هـذا القبيل الى التزام الدقة المتناهية بحيث لا تستطيع أن تستبدل كلمة باخرى ابداً لانك انت ككاتب بالمعنى لا بالكلام . انتهز فرصة حواري معك لأقول للكتاب الناشئين : راعوا المعنى لا الكلام . لأي كاتب يحاول السباحة في بحر الكتابة انصحه « ما تكتبش ببقك » !! أريد أن أقول أن الرنين والبلاغة اللغوية خطر ، مطلوب أن يجدوا المعنى ، فيجب الا يكونوا خاضعين لسيطرة الرنين والجرس . إنني أحياناً أسرح وأتامل . وافكر ! لقد ثبت علمياً كما تعرف أن أوتار الحنجرة لا تكف عن العمل حتى ونحن صامتون نفكر . ومن المؤلم في تاريخ الانسان على الأرض انه لا يستطيع أن يفكر إلا من خلال لغة ، كان الأمل أن يتجاوز الفكر .. اللغة ! إن اللغة قيود . هي التي حبستنا في قفصها ! هل يحبس الفكر داخل القاموس ؟ اننا نفصل بين الأوتار والأذن . أنا أقول لألم الموضوع ، فلنلتزم بالمعنى ، وبعد ذلك سيأتي الجرس الموسيقى على مهل !

●

قلت ليحيى حقي .. كيف أحاورك وانسى ترجماتك ؟! لقد سبحت في بحار الترجمة كثيراً .. ووصلت الى شواطئها !

قال : بالقطع ، لن تنسى . وربما يسقط منك ذلك سهواً . وإذا نسيت سوف اغضب لماذا ؟ لأن الترجمة في رأيي ، خدمة للغة العربية . الترجمة نافذة . رؤية ، وممارسة للغة . أحياناً وأنا أبحث عن المعنى الذي يطابق الكلمة الانجليزية ، أخبط رأسي في الحيط . إنه الالتزام .. لا التدليس على القارىء . ولعل أسوأ ما نعانيه الآن ، هو هذه المترجمات الركيكة ! واعترف لك أن ترجماتي أيضاً ، فتافيت . ماذا افعل ؟ الدنيا ظروف !

قلت ليحيى حقي وأنا أركب موجة اعترافاته إن صح التعبير ! :

ـ لماذا لم يكتب يحيى حقي روايـــة طويلة . هل نفسك في القصة قصير ؟

ضحك يحيى حقي ، وأسند رأسه ، وقال :

ـ لم يحدث لي أن كتبت شعراً ـ يامفيد

ـ ولم يحدث ان كتبت رواية طويلة ! حتى « صح النوم » مجموعة لوحات .. لان الانسان يجب ان يلتزم الصدق . يخيل إلي وانا افكر معك بصوت عال ، ان ميلي بالغريزة ليس إلا قص حكاية ربما اجد في هذا عملا غير مرن . قد اضيق بالتفاصيل . من يقول لي إنه نزل من المحطة وشال الشنطة وخرج من المحطة ونـــادى سواق تاكسي و .. و .. هذه اشياء اضيق بها للغاية . انا احب وصف الشخص ووصف المكان . انا تحولت من القصة القصيرة لكتابة ما اسميه باللوحات لكي تكون عندي حرية التعبير دون ان اكون مقيداً بحكاية وتفاصيلها ! انقد نفسي بنفسي . بيدي لا بيد عمرو !

●

ـ يحيى حقي ، يتهمونك في الوسط الادبي انك ناقد تاثري !

رد بسرعة : لامانع . دعهم يتهمونني . انا لا استطيع ان افصل في هذا الموضوع لاني لم ادرس النقد في الجامعة ، ولا تحتوي مقالاتي النقدية على مصطلحات علمية من تلك التي اصطلح عليها النقاد . انا اعتبر النقد عملا ادبياً . النقد عمل ادبي ينبغي ان يقرأ بلذة . النقد ليس صنعة وليس محاضرة . الذي يريد ان ينصفني يقرأ « خطوات في النقد » يجدني اقول : لا لزوم لان اتقيد بمذهب واحد في النقد . البعض يقولك : لا .. لازم ! انا ازعم ان الكتاب هو الذي يقود الناقد إلى المدخل الذي ينقد به .

قلت : الدارس لادبك .. سيقول إنك « تمجد » قيمة الارادة . وان من يتعرض لقصصك بتجسيدها للسينما او التليفزيون لابد وان « يسيد » هذه القيمة ..

قال يحيى حقي .. حرصت ان احذر من فضيلة سلبية . عندما يقولون فلان هذا رجل طيب . ماذا يقصدون بالطيبة ؟ هل هي الضعف ؟ هلي هي الغفلة ؟ هذه ليست فضيلة ! ربما كانت الطيبة نتيجة انك رجل لا ارادة لك . ومن هنا ، ارى ان الارادة ام الفضائل وافضلها . وتتبع هذا في قصصي « نهاية الشيخ مصطفى » و « ام العواجز » و « السلحفاة » ! إنني ارى الارادة تتبلور في القدرة على الجذب . فكل منا خزانة مغلقة لا يعرفها احد . وسر الحياة في الجذب . قلت مرة في إحدى قصصي « لم يكن له إرادة ولم يكن له قدرة على شيء . كان عاجزاً . عجزت يده عن الامتلاك » .

إنني هنا ، اصف اشخاصاً تضيع منهم محافظهم وامواهم وزوجاتهم لافتقارهم للقدرة الايجابية على الجذب .

قلت ليحيى حقي .. لكنك تعزف ، وفي العزف .. نغمة ساخرة !

قال وهو يهز رأسه : ربما لان من صفاتي الشخصية التنبه الدائم لمفارقات الحياة ، واول هذه المفارقات جبروت الانسان وضعفه في آن واحد . وكان رد فعل في نفسي ، نغمة السخرية الواضحة في كتاباتي !

قلت : اكاد احس ان رواية « صح النوم » هي احب اعمالك إلى نفسك ؟ .

قال يحيى حقي : « إذا اردت شهادتي قلت لك نعم . لانها باختصار تطبيق صارم لمبدأ التزمت به وهو الدقة والعمق في اسلوب الكتابة» .

●

قلت ليحيى حقي : لماذا تكتب ؟ ماغايتك من الكتابة ؟

قال وهو يتنهد : ارفض اللت والعجن في الكتابة . وإذا حدثتني عن الكم والكيف في الكتابة ، قلت لك هذا يتوقف على ثراء الكاتب في اطلاعه على اللغة . فاذا كان لدى هذا الكاتب « منجم » لغوي سار الكيف والكم معاً ! لكن غايتي الحقيقية من الكتابة ان اضع القاريء امام احســـاس بالفن . فاذا تملكه الفن ، استطعت ان ادعوه ليغير حياته ! الفن ياسيدي يلعب دوراً في حياة الانسان ليس ببسيط . الفن اقرب الطرق الى الدين . صدقني . الفنان اقرب الى الله . صدقني . الفنان حتى وهو يكتب عن اشياء كونية . يقربك من الله . ويبصرك بالجمال . وعندما اتكلم عن غايتي من الكتابة ، لابد لتكتمل شهادتي ان اقول لك عن ينابيعي ! من احد ينابيعي ، صعيد مصر الذي جعلني اتعاطف مع الحيوان واذكره بالخير في قصصي . ومن هذه الينابيع ، الاضرحة والاحياء الشعبية التي عبرت عنها في قنديل ام هاشم . واكتشفت ان نداءات الباعة ودقات اطباق بائع العرقسوس تستحث القدر على الرزق !! .

●

تتوارى اسئلتي ، ولا اسمع سوى صوت يحيى حقي ..

● .....

ـ يسعدني كانسان ان يمسني سلك كهربائي مكشوف اسمه ، الفن .

● .....

ـ للأسف ، المدرسة « اماتت » يدي . هذه شهادتي عن التعليم في زماني ، حيث كان الضرب على اليدين والقدمين بحد المسطرة .. مع ان اليد جزء من ذكاء الانسان .

● .....

ـ تبكيني العواطف الجميلة المهدرة .. حتى بدون ذنب من اصحابها !

● .....

ـ تزوجت مرتين ، ماتت الأولى ، والثانية زوجة فرنسية ، اعيش معها . وليس في حياتي نتوءات او مطبات ، واعتبر المراة رمز الحنان .

● .....

ـ فاتني الكثير في مشواري الفني ، اتمنى ان اعيش لاحققها ، إنها احلام الكاتب !

● .....

ـ تربوياً ، النظرة عندي اكثر تاثيراً من الكلمات !

● .....

ـ إذا كانت الالوان مادة الرسام ، فالكلمات واللغة مادة الكاتب وربما كان هذا سر اهتمامي بالقواميس على وجه التحديد وليس هناك لغة خدمت مثل اللغة العربية.

● ..

ـ نعم ، إن الجوار من الاشياء يقتل اللهفة اليها ، وربما هذا الذي فطنت اليه من خلال ترجمة كتاب عن النيل . نراه كل يوم وقد لا نحس به ، فاذا ابتعدنا عنه قليلا ، اشتقنا اليه . إنها المسافة بينك وبين الشيء !

● .....

ـ تسالني عن الموت ، اقول لك ، إنه شيء لابد ان نؤمن به وإنه آت ! ولحسن الحظ ، يستطيع الانسان قبل ان يموت ان يتهيأ الى هذا بان يتخلص من كل الغرائز والشهوات والتكالب ، ويشعر الانسان انه قادم على لقاء مع حبيب فيستعد للقاء ، وهو انقى جسداً ! وساموت يوماً وانا مستور . الا يكفيني هذا ؟!

قلت للأستاذ يحيى حقي ابن محمد حقي ابن ابراهيم حقي :

ـ تعال نختم حوارنا ! لقد شعرت انى ارهقتك !

قال وهو يسند يديه على عصا افريقية :

ـ انا رجل ارجو رحمة الله ، وان يغفر لي حين ادخل بيته !

مفيد فوزى



فصول أبي البهاء : حلاقة أرتين

بقلم

الدكتور عبد السلام العجيلي

مررت مؤخراً على الأستاذ سهيل في مقر وظيفته فذكر لي انه قرأ ما كتبته عن فصول ابي البهاء ، وكنت اعرف انه صديق قديم له ، وقال :

ـ فاتك ان تذكر الدافع الخيري لبعض فعلاته . دافع الاحسان والتطوع لمساعدة من هو بحاجة الى مساعدة .

قلت : كل تصرفاته إنما اتاها بدافع خدمة الآخرين . هذا ما يردده دوماً علينا . إذا لم ينقذ اصدقاءه من مازقهم فهو على الأقل يسوق البسمة الى شفاههم والمرح إلى نفوسهم .

قال : ما اقصده شيء آخر . اعرف له فصولا خدم بها اناساً لا صلة له بهم ... قام بها حسبة لله ، ولكن بطريقته الخاصة .

قلت : مثـــلا ؟

قال: مثل قصته مع ارتين ، الخادم الأرضي في فندق قصر الحمراء .. اظنك تعرف قصر الحمراء . وكنت اذكر ذلك الفندق الذى كان ملكاً لوالد سهيل ، والذى تولى فيه سهيل العمل الكتابي في مطلع صباه . لقد هدم منذ زمن وقام مكانه مقهى ووراءه مطعم .

قلت : ـ اعرف الفندق ، إذ طالما ترددت عليه لزيارة نزلائه من ابناء بلدي . واظنني اذكر ارتين ايضاً . ولكني لا اعرف القصة. تكرم واروها لي .

فمضى يقص علي هذه الحكاية التى ماكنت سمعت بها من حكايات صاحبنا .

● ●

قال الأستاذ سهيل :

ـ كان ارتين ، كما تذكر ، واحداً من خدم فندقنا ذاك ، كهلا ضاوي الجسد شاحب البشرة ، تملأ وجهه التجاعيد ولحية مهملة ما كنا نقنعه بحلاقتها بين الأسبوع والآخر إلا بجهد .

كان منظر وجهه النحيل المصفر أشبه بوجه ميت ، وهذا ماساق أبا البهاء الى أن يجعله طرفاً في الفصل الذى أخبرك به .

ففي ظهيرة احد تلك الأيام البعيدة تطلعت من نافذة مكتبى في مدخل الفندق ، تلك الغرفة الصغيرة التى تقع في نهاية سلم المدخل مباشرة ، فرأيت أبا البهاء يصعد الدرج وهو يدفع أمامه شخصاً غريباً ، لم تقع عيني عليه من قبل ، تبينت في الرجل واحداً من الحلاقين الشعبيين ، أولئك المزينين الجوالين الذين يحملون عدتهم في حقائبهم المهترئة ، متنقلين في الأسواق ، حتى إذا ظفروا بزبون اجلسوه حيث التقوا به ، في زاوية مقهى أو على رصيف شارع ، وتولوا منه قص الشعر أو حلاقة الذقن . اتجه ابو البهاء بمرافقه نحو الصالة الكبيرة فاجلسه على احد مقاعدها ثم عاد إلي . وقبل أن اتوجه إليه بالاستفهام بادرني بقوله :

ـ ارتين ... اين ارتين ؟ .

اجبته : إنه في الطابق الثاني ... يجول كعادته بين فنانات ملهى بالاس اللواتي ينزلن في تلك الغرف . مالذي تريده منه ؟

قال : تعال معي إليه . أريده أن يموت .

لو أن غير ابي البهاء قال هذه الكلمات ، وبلهجة الجد التى تعرفها له ، لتوجست شراً ولخفت منه على ارتين . ولكني كنت أعلم الناس بصاحبنا . لحقت به دون تردد إلى الطابق الثاني فوجدنا ارتين في غرفة المطبخ منهمكاً في إعداد القهوة لنزيلات ذلك الطابق من فنانات الملهى القريب . وناداه ابو البهاء ، وراح يخاطبه عائباً عليه لحيته الشائكة التى جعلت وجهه أشبه مايكون بظهر قنفذ ، ثم قال له إنه مستعد أن يخلصه من تلك اللحية مجاناً ، على يد حلاق ماهر ، لقاء أمـــر بسيـــط . فساله ارتين ، قائلا بلكنته الارمنية : وماهو الأمر البسيط يامعلمي ؟ قال : أن تطاوعني، انا ومعلمك سهيل ، وتموت لنا قليلا ...

وبدا أن هذا الكلام لم يعجب الخادم الكهل فهز كتفيه باستهانة وادار لنا ظهره عائداً الى مطبخه ، بينما التفت انا الى ابي البهاء وقلت له :

ـ كانك تضحك علي انا أيضاً . قل لي ماهي لعبتك اليوم ؟

فهز صاحبي رأسه كالمتذمر وقال : صدقني ، ليست هي لعبة بل عمل خيري اردت أن اصيد بها عصفورين بحجر ... اخلصك من لحية ارتين البغيضة ، وانفع هذا الحلاق البائس ، عليك ان تقنع خادمك بأن يموت ... ساعدني في هذا .

ضحكت وقلت : ليس قبل ان تكشف لي عن قصدك الغامض .

قال : لك ماتريد . الأمر وما فيه اني قادم لتوى من عملي في مديرية الصحة . عندما وصلت الى مكتبي في الصباح تطلعت من النافذة فرأيت الرجل الذى تركناه في

الطابق تحتنا ، ذلك المزين ، يحمل حقيبته في يده ويضع منشفته على كتفه ، وهو يجول على رصيف دائرتنا عارضاً خدماته على المراجعين من فقراء المرضى وعلى المارة في الطريق . لم يفتح الله عليه كل ساعات قبل الظهر بزبون واحد . وظلت هذه حاله حتى أوان انصراف الموظفين من عملهم . وعندما خرجت من الدائرة مررت بالقرب منه فادركتني عليه الشفقة . وتلمست جيبي فوجدت فيه خمساً وعشرين ليرة قطعة واحدة ، وخطر لي ان القيها في الصحن المقور الحافة ، صحن الحلاقة النحاسي الذى يضعه تحت ذقون زبائنه ، ولكني ترددت . خفت ان اجرح شعوره . انه رجـل اختار ان يكسب عيشه بجهد يده في هذه الصناعة العقيمة ، وليس شحاذاً . عند ذاك جاءتني فكرة ان اعطيه هذه الليرات العشرين والخمس لقاء عمل يقوم به من صميم مهنته ... لقاء حلاقة ذقن أرتين .

ضحكت انا مرة ثانية وقلت : خمس وعشرون ليرة دفعة واحدة ؟! صحيح إنها لحية تزعجنا ، ولكن ليس إلى هذه الدرجة.

قال : لم أردها حلاقة عادية ، بل في شروط خاصة بينتها للرجل . وقفت على رأسه وهو مقرفص على رصيف الدائرة ، وقلت له إني ابحث عن حلاق شجاع لا ترتجف يده في الموقف الحرج ، اعطيه خمساً وعشرين ليرة لقاء حلاقة ذقن انسان معين . ظن المسكين اني اسخر به ، فلما تيقن من اني أعني ما أقول أبدى استعداده لحلاقة تلك الذقن ولو كانت في وجه عفريت من عفاريت سيدنا سليمان . أفهمته عند ذاك أن قريباً لي ، يقيم في أحد الفنادق ، ادركته المنية في هذا الصباح بعد مرض طويل ، وإني لا اريد أن اضعه في تابوته قبل أن ياخذ كامل زينته ، واول هذه الزينة حلاقة لحيته التي طالت بطول امد المرض .

قلت لصاحبي : ولهذا تريد من ارتين ان يموت ، وان يموت قليلا ...

قال : تماماً . وأين اجد وجهاً اصلح لتمثيل الموت من وجه ارتين وهو على قيد الحياة ؟ ناده الآن لنبين له ماذا عليه أن يفعل وكيف يتقن دور الجثة الهامدة .

وارتين ، على سوء منظره ، لم يكن خلوا من حس الدعابة ، فسهل ذلك قبوله بالمشاركة في اللعبة بعد أن بينا له الغاية منها . وانضم إلينا في التمثيل بعض الفتيات من نزيلات الطابق ، فاخذن دور القريبات الحزينات المجتمعات عند باب غرفة اسدلنا ستائرها على الخادم المتماوت ، بينما اضجع هذا في سريره نصف عار تحت ملاءة بيضاء من ملاءات الفندق . وجرت التمثيلية في مجراها المرسوم كما خطط لها أبو البهاء .

● ●

قلت لسهيل عندما بلغ من قصته هذا المبلغ ؛ :

– وحلقتم لحية ارتين الشائكة ! اما قدر ابو البهاء ان يجد طريقة اخرى ، اقل تعقيداً من هذه ، لأداء صنيعه الخيري ؟ .

قال : ليس هذا كل شيء . اسمع التتمة . رأيت أبا البهاء ، قبل ان ينزل لياتي بالحلاق ، يسر للخادم ببعض الكلام فيهز هذا رأسه موافقاً . وتلقت نزيلاتنا الفنانات الحلاق بولاويل حزينة واصوات نحيب تقطع القلب . كان هذا وحده كافياً ليقبض صدر المسكين ويجعله يقبل على عمله في تخوف ، فكيف إذا انضاف إليه جو الغرفة الجنائزي وجثة الميت المزعوم مسجاة في وسطها ؟! وبدا لي ان قدميه لم تكونا تطاوعانه في الدخول ، إلا ان ابا البهاء لم يمكنه من التراجع ، فقد دفعه الى الغرفة واغلق عليه الباب ، ثم عاد إلينا ليتطلع معنا من خلال فروج الستائر على ما يجري في الداخل .

كنا نكتم ضحكاتنا لئلا تبلغ سمع الحلاق ونحن نراه يخرج ادواته من حقيبته بيدين ترتجفان ، ويرغي الصابون على وجه ارتين بحركات سريعة ومضطربة . وبتلك الحركات نفسها راح يجري موساه على ذقن الجثة المزعومة . بدا لنا وجه ارتين في تلك الاثناء شمعياً في ضوء الغرفة الشحيح ، وبدا لنا احتماله عجيباً حين كان يكتم نفسه في صدره لفترة طويلة إمعاناً منه في تمثيل دور المفارق للحياة . أو لعله فزع الحلاق الذى ماكان يترك له مجالا ليدرك ان الراس الملقى على الوسادة امامه هو رأس انسان حي .

مفارقة حادة كانت بين جو الرهبة في داخل الغرفة وجو المهزلة في خارجها . وبلغت المفارقات ذروتها حين قارب المزين البائس إتمام مهمته على ذقن الجسد المطروح امامه . إذ بينما كان يجمع ادواته ليدسها في حقيبته حانت منه التفاتة الى السرير فبوغت بما لم يكن يتوقع او يتصور لقد فوجيء برؤية ما رأيناه نحن معه ... فوجيء برؤية عيني زبونه الميت تنفتحان في وجهه واسعتين ، وبراسه يستقيم على عنقه ، وبجذعه يرتفع ببطء بنصفه العلوي فوق السرير ... عينان في راس على جذع تتحرك كلها في هدوء وثقة ، وهي التي كانت قبل لحظات لجثة لا حياة فيها ولا روح !

لك ان تتصور بعد هذا ما حدث . انطلقت من حنجرة الحلاق المروع صرخة ثاقبة ، وسقطت حقيبته من يده فتبعثرت ادواتها في جوانب الغرفة ، وقفز هو منفلتاً من الباب ، لا يوقفه شيء ، ينهب الادراج منحدراً في تعثر . وتحولنا نحن ، سهيل وانا ونزيلات الطابق الثاني ومن انضم إلينا من الخدم ، الى جوقة ضاحكة تكاد تتفجر حناجرها قهقهة . حتى ارتين ، الذى ماكان مرحه يتجاوز تكشيرة ينقبض لها وجهه ويسميها هو ابتسامة ، تعالت ضحكته وهو يرفع عنه الملاءة التي كانت تكفن جسده النحيل العاري .

الوحيد الذي لم يستخفه المرح فراح يتطلع إلينا في رزانة ووقار كانه يستخف بعقولنا ويستسخف تصرفاتنا ، كان صاحبك ابو البهاء ...

● ●

وانهى سهيل بهذا حكايته فقلت له :

– ربما كان لكم الحق في ان تضحكوا من هذا الفصل . اما ابو البهاء فاني اراه زادها قليلا . فحقيبة المزين كانت تحوي بلاشك مايزيد ثمنه عن خمس وعشرين ليرة تصدق بها عليه .

قال : رجع الرجل إلينا في اليوم التالي فاعطيناه حقيبته بما فيها . من ناحيتي لمت انا ابا البهاء ، كما تلومه انت الآن على فعله به ، فقال : الحلاق هو الذى جلب الشر على نفسه ... فعندما كنت افاوضه في امر لحية ارتين واحس بحاجتي إليه اخذ يساومني في تشدد طالباً الزيادة عما قبل به في الأول . حدثتني نفسي حينذاك بأن انغص عليه فرحته بما اعطيه ، فكان مارايتم ...

واضاف سهيل قائلا : وقنعت بما قاله ، كما وجدت عبثاً أن اخطئه في امر اتاه . فانت تعرف أبا البهاء . لكل فعلة عنده تبرير أو تفسير أو فلسفة .

د. عبد السلام العجيلي

أضواء جديدة على حقيقة المستشرق اليهودي
الذي انتحر في القاهرة سنة ١٩٤٤م

باول كراوس

صورة علمية مشرقة حاربتها الصهيونية بعنف وقسوة

بقلم : الدكتور محمد طه الحاجري

قرأت الفصل القيم الذي كتبه الأستاذ رجاء النقاش ، وتناول فيه بالحديث والتحليل المستقصى ذلك الحدث البارز من أحداث ما ظلت تعانيه بيروت فى هذه الأيام من غزو غادر فاجر ، وما لا يزال يمثل فى تاريخ العروبة أخطر ما تعرضت له ومنيت به من محن . ذلك هو انتحار خليل حاوي ، أحد أساتذة الجامعة الأمريكية . وإذا كان الجزء المباشر من قصة هذا الحدث مايزال مطوياً ، فان ما تنم عنه الآثار الشعرية التى خلفها وراءه ، والتي حاول الأستاذ رجاء أن يتغلغل فيها ، ليقرأ ما عسى أن تتضمنه من خوالج ، تعني أن وراء هذا الذي تريد السياسة أن تستغله روحاً عربية أصيلة هي هذه التى تململت ، ثم دفعت به الى ما أقدم عليه فى العشرين من شهر يونيه .

وليس لي فى هذا الفصل أن آخذ في شيء من الحديث عن هذه المأساة ودلالاتها، وإنما الذي يدعوني إلى كتابته هو مأساة أخرى غير منقطعة الصلة بها ، وإن كانت قد وقعت في حي الزمالك بالقاهرة منذ ثمان وثلاثين سنة . والذي أثارني إليه هو ما عرض به لهذه المأساة الاستاذ رجاء وهو يبدأ حديثه عن مأساة هذه الأيام ، لما يعتبره بين الاثنين من صلة ، وإنها لكذلك عندنا ، مما يحفزنا الى التوقف عندها ، وتأمل الملابسات التى كانت تلابسها وتدفع إليها ، إذ هي تمثل ـ فى حقيقة الأمر ـ حلقة من حلقات ما كانت الصهيونية تتمثله فيها وتختطه لها ، وتعبر به عما كانت منطوية عليه ، متجهة إليه ، عاملة له ، مقتحمة كل شيء فى سبيله .

وما كان للاستاذ رجاء ، وهو بصدد فيما ذكر عن مأساة الزمالك عما كان بقي عالقاً بذاكرته مما كان قد سمعه من الدكتور عبد العزيز الأهواني ، رحمة الله عليه ورضوانه ، إلا أن يتعرض لما قد يصيب الذاكرة من وهن ، وما يعرض لها من اختلاط ، وإن بقيت شخصية من يحكى عنه في مكانها من نفسه ، من وثاقة الخلق وسعة المعرفة ورهافة الحس العربي ، وبقي كذلك ما يعرفه من أنه كان من أقرب تلاميذ كروس إليه وأحبهم لديه وأشدهم صلة به ، ومن ذلك كان هذا الذي حكاه عنه من « أن السبب الرئيسي فى انتحار بول كروس هو قيام اسرائيل ، وحرب سنة ١٩٤٨ بين اليهود والعرب . وكان بول كروس يعارض قيام اسرائيل ، ويرى فى ظهور هذه الدولة خطراً كبيراً على العرب واليهود معاً . وقد توقع بعد حرب ١٩٤٨ أن يصبح بقاؤه في مصر صعباً .وكان قد أحب مصر ، وأحب تلاميذه وكتبه فيها . فاعتبر أن حياته فقدت معناها ، وانتحر محتجاً متألماً » .

فأما أن كروس كان يرى فى قيام دولة بني اسرائيل ، متحدية مشاعر العرب مناهضة لهم ، خطراً داهماً على هؤلاء وأولئك ، فممـا لم يكن أحد من أصحابه وتلاميذه يشك فيه . ولا ريب أنه كان يعلم من أمر ما تسعى جماعات الصهاينة إليه ما لعله لم يكن عندنا غير أوهام تمر بخواطرنا ثم لا تلبث أن تنحسر عنها ، وانه كان دائم التوجس من أن يتحقق لها ذلك ، مقدراً ما لا بد أن يترتب عليه من محذورات ومخاوف ، فكان ذلك دائم التاريق له وإثارة قلقه . ولعله ، فى بعض فترات مقامه فى مصر ، جعل يدرك أنه قد تورط فى بعض ما كان ينبغي أن يكون حذر القادة ، مقدراً

ما كان للصهيونية من تدبير فى توريطه فيه ليكون صنيعة من صنائعهم وأداة من أدواتهم ، مما نرجو أن نعرض بعد له ، فكان فى ذلك ما ضاعف قلقه ، ورأى فيه الربقـة التى عقدت له جعلت تضيق حوله ليكون طوع أيديهم ، لا يملك أن يستعصى عليهم . مهما حاول أن يعتصم من ذلك باستغراقه فى الدرس وإمعانه فى مسائل العلم ، وانصرافه انصرافاً تاماً يملك عليه وقته وجهده إلى معالجة بعض ما يثيره من مشاكل يبدو أنها شديدة الاستعصاء . فكان من عاقبة هذا المازق الذي جعل يضطرب فيه ، أن عرضت على حين غفلة منه لحظة ضعف انقاد لها واستسلم إليها إذ سولت له أن يزهق روحه بيده ، ويخلص من هذا الذي تدبره الصهيونية له .

مثلت فى خاطري هذه الصورة وتدافعت الي جزئياتها وتفصيلاتها ، وانا أقرأ ذلك الفصل الذي كتبه الأستاذ رجاء النقاش ، ثم مالبثت أن تداعت من ورائها طائفة أخرى من الصور . فاذا أنا منها إزاء عالم زاخر بين الذكريات ، يتألق بمشاهد من الحياة العلمية والفكرية التى كنا ننعم بها فى تلك الأيام ، وقل أن نظفر اليوم بما يمثلها لنا إلا فى عالم الاحلام .

وإذا كانت هذه الذكريات ، بما تمثله من ذلك العهد المنصرم ، تهيج فى قلوبنا المغالاة به والانجذاب إليه ، وذلك بما تعرض منه من مثل الخلق العلمي الوثيق ، يرسم لنا المنهج الذي ينبغي أن نتبعه ولا ننحرف عنه فيما نحن بسبيله ، ويصنع لنا المبادىء التى ينبغي أن نقف عندها ولا نخرج عليها ، فانها ، فى مثل ما نحن فيه من هذه الدراسة ، تعرض علينا صورة متكاملة ، يتفاعل بعض عناصرها مع بعض ، من النفس الانسانيـة بجميع قواهـا ، بين ما ينبعث منها وما يعترض سبيلها ، منذ أقبل كروس على مصر فى خريف سنة ١٩٣٦ ، إلى أن غادر الحياة كلها فى أواخر صيف سنة ١٩٤٤ ، صراع دائم خفي وظاهر ، لا يكاد الدارس يرسل وراءه خياله حتى يرى ما يتمثل فيه من أساليب الكـر والفر ، والهجوم والدفاع ، والاكتتان والمجاهرة ، تمثيلا ما كان له أن ينتهي إلا باحدى نهايتين : أن يستسلم كروس لما يراد منه ، مضحياً فى ذلك بمثله ، أو أن يغادر



طـــه حسين
ساعد المستشرق اليهودى الذى قتلته الحركة الصهيونية

الحياة ، مضحياً بنفسه ، فاثر الثانية على الأولى .

وهكذا انتهت هذه الحياة ، وانتهت بانتهائها هذه الصورة الرائعة من صـــور النشاط الاستشراقي .

ومنذ مثل لي ذلك ، وقد تجمعت مع الزمن أجزاؤه ، والتقت أطرافه ، واتضحت مع الأحداث دلالاته ، وجعل يتقلب أمامي فى وجوهه المختلفة ، مثل معه ما أحس أنه من واجبي إزاءه . واجبي باعتباري ، رجلا من رجال التاريخ الأدبي ، أتيح له ، على وجه ما ، أن يعاصر هذه الصورة من صور النشاط العلمي ، وأن يتعرف بذلك بعض دخائلها ، ثم هو يخشى ، فى الوقت نفسه ، ما يبدو أنها متعرضة له من دثور معالمهـا وإمحاء ملامحها . وواجبي باعتباري مـن أبناء هذه المرحلة العصيبة التى تمـــر العروبة بها وتعاني ويلاتها ، وأن عليه أن يشارك ، بقدر ما يملك من جهد ، فى كشف ما دأبت الصهيونية عليه من كيد ، منذ نجحت فى أن تجد لنفسها فى فلسطين موطىء قدم ، وما كان لها فى ذلك من سوابق بذلت فيها كل ما تستطيع . ومن ذلك هذا الذي تصدت به لكروس ، وأرادت به أن تستهويه وتجتذبه ليكون من عملائها .

(كراوس .. في مأزق)

لقد كان كروس رجل علم ، تلك كانت صفته الأولى التى اتجه إليها من كانت نشأته الأولى فى براغ ، ثم تأكدت بعد أن تحول إلى برلين ، ثم أخذت تتفتح وتزدهر حين ذهب إلى باريس وحاضر فى السوربون ، واتصل ببعض المستشرقين يشـــاركهم نشاطهم ، كما كان شأنه مع ماسينيون . فاذا جاء إلى مصر ، وهو فى الثانية والثلاثين من عمره ، فقد تدفق نشاطه ، وبدت هذه الصفة من صفاته فى غاية بهائها وتألقها . ولم يكن مثل ذلك لتغفل عنه عيون هؤلاء الذين ما يزالون ينتقلون بين فلسطين ومصر ، أو بين تل ابيب والقاهرة ، فكانوا مايزالون يزورونه فى بيته ويجلسون إليه . متذرعين أول الأمر بما كان لهم من صفة تعليمية . يدبـون إليه مضمرين فى أنفسهم ما يخالجهم نحوه . وطبيعي ، حين يتكرر مثل ذلك ويتواتر ، وحين يجد مجالا له فى نبض النفوس الحاقدة ، أن يثير حوله بعض الريب ، في بعض الأوساط المصرية . فاذا قضى نحبه ، وفرغ أصحابه من الحزن له والحديث عنه ، لم يعد هنالك من يذكره ، لا ممن كانوا ينكرون عليه ، ولا ممن لم يكونوا يرون فيه غير البراءة ، على الرغم من هذه السنوات الثمانية التى أمضاها بينهم ، لم يدع فيها أداة من أدوات الاتصال الفكري إلا اصطنعها، ولا طبقة من طبقات المثقفين إلا واتجه إليها ووصل أسبابه بسبب منها . لقد كانت تيارات الخصومة بين مصر والصهيونية قد عمرت كل شيء . وكانت هذه التيارات قد بلغت غايتها فى هذه الفترة . فاحترفت كل شيء ، وسيطرت على كل فكر . نكرت كل ما يمكن أن يكون طيباً ، وطمرت كل حسنة يمكن أن تقال ، وأحاطت بالريبة كل كلمة يمكن أن يراد بها وجه الحق .

ومثل ذلك أو قريب منه كان شأن ذكراه عند أبناء ملته ، وخاصة هؤلاء الصهاينة الذين كانوا يرجونه ليكـــون أداة من أدواتهم وصنيعة من صنائعهم ، فخيب بانتحاره رجاءهم . فلم يكن الا أن يعرضوا

باول كراوس

صورة علمية مشرقة

عنه ، حتى لم يعد له مكان بينهم ، وكان لم يبق له موضع فى ذاكرتهم .

وهكذا كان أمر كروس بعد وفاته . فكان ذلك مما أوجب علينا أن نحاول الانتصاف له . والوفاء بحقه وحق الحياة العلمية فى مصر عامة ، بأن نبوئه مكانه الجدير به بقدر ما يمكن لرجل مثلى لا يستطيع أن يدعى انه كان منه بحيث يستطيع أن يؤدى صورة وافية دقيقة له ، فما يشك فى أن هنالك من كانوا أقوى صلة به ، وأكثر مداخلة له ، وهم بذلك أقدر على الوفاء بحقه . ولكن ذلك لا يجعلنى أعفى نفسى من أداء ما أستطيعه فى انتظار أن يتقدم غيرى ممن هم اجدر منى . والله تعالى هو وحده المسؤول أن يسدد خطانا ، ويمهد لنا سبيلنا ، ويهدينا الى سواء السبيل .

طه حسين يبشر بمقدمه

ولست اذكر أن اسم (باول كروس PAUL KRAUS) كان من اسماء المستشرقين التى كانت تتردد فى بعض ماكنا نتلقى من محاضرات فى مرحلة الليسانس ، كاسماء ماسينيون دمرسيه ، وبلا شير ، أو الذين كنا نجلس اليهم ونتعلم منهم كيوسف شاخت ، أو الذين كنا نسعى للاتصال ببعض آثارهم كدوزى . انما كان أول ما عرفنا عنه وسمعنا باسمه بعد التخرج فى قسم اللغة العربية بكلية الآداب ، والتطلع الى ما ينبغى أن نسلك فى الحياة من سبل ، كل بحسب ميوله العقلية وظروفه المعيشية . وكان ذلك فى مجلس لنا مع طه حسين ، وقد ذهبنا إليه نزوره ، عقب عودته من رحلة الصيف فى أوربا .

وفى هذا المجلس أخذ يحدثنا عن بعض ما أتيح له فى هذه الرحلة ، وعن بعض ما اتفق له فيها مما يرجو أن يتهيأ منه لكلية الآداب نصيب موفور . وهو يعنى بذلك هذا الشاب الذى عرفه هنالك . انه شاب تشيكى اتخذ الاستشراق منهجاً له ، لم يكد يتحدث اليه حتى أعجب بسعة افاقه ومرونة تفكيره ، وما يملك من أدوات علمية لابد منها لمن اتخذ ذلك المنهج ، تتمثل ـ إلى جانب ما يعرفه من اللغة العربية ـ فيما يحيط به إحاطة جيدة من اللغات الأدبية القديمة ، واخصها اللغة اليونانية ، واللغات السامية القديمة كالعبرية والسريانية والآرامية . وقد اعانته هذه الآلات على أن يمضي فى الموضوع الذى استهواه وشغل به فكره وهو التاريخ للفكر العلمى عن العرب ، يتحرى شواهده وينقب عن نصوصه .

وخرجنا من لدن استاذنا الكبير ، ولايكاد حديثنا عن مجلسه يتجاوز ما جعلنا نعلق به على ما بشرنا به من قدوم هذا المستشرق ووشك بلوغه مصر ، ومشاركته فى وجوه النشاط العلمى المختلفة بالكلية ، وقسم اللغة العربية . وما هو مرجو أن يكون مصدر ثراء له . وربما كان من جمله ما جعل حديثنا يتطرق اليه ونخوض فيه هو ترديد بعض الأصداء التى كانت ما تزال تثير انتباهنا عن الحياة السياسية فى أوربا ، وخاصة ما كان منها متصلا بالروح النازية فى المانيا ، وما يصطنعه هتلر من بعث الروح الجرمانية ، لتسترد سلطانها وتفرض سيادتها ، وتسيطر بها على كل ما يمت إليها ، مما كانت الصحف والمجلات دائمة الحديث عنه والتنويه به .

ولم تكن الجامعة فى معزل عن الاحساس بما كان هتلر يتخذه من إجراءات ويفرضه من نظم ، كذلك الذي جعل يتردد فى أوساط الطلاب عندما تاخر الدكتور شخت عن موعد بدء العام الجامعي ، واضطرار الكلية إلى أن تلتجىء إلى مستشرق آخر يدعى فنكلر ، كان يعمل فى بعض قرى الصعيد ، يسجل لهجاتها ، ويجمع ما يتاح له من تراثها ، ان ذلك إنما كان خضوعاً من شخت لما كان هتلر يفرضه على الجامعات الالمانية من نظم . فقد كان من الطبيعي أن ينحو الطلاب فى تعليقاتهم الى مثل هذا المنحى وأن يفسروا استجابة كروس لما عرضه طه حسين عليه بانه كان يستشعر انه واجد فى مثل هذه النقلة نوعاً خاصاً من الخلاص مما كانت التوجسات تحوم حوله ، وانها جديرة أن تظفره بما يتطلع إليه مما يعينه على تحقيق ما هو بسبيله من تاريخ بعض وجوه النشاط العلمي عند العرب . وذلك بما هو واجد فى مثل دار الكتب المصرية فى القاهرة من ذخائر المخطوطات .

ولم يمض غير قليل حتى راينا هذا الذي بشر طه حسين به فى طرقات الكلية وساحاتها ، وفي بعض ماكان يتاح لنا أن نغشاه من مجالسها . وعرفناه بما كنا نتوسمه فيه من سمات : انه شاب يفيض نشاطاً وحيوية وتوثباً وتالقاً ، يبدو ذلك منه فى حركاته وإشاراته وفى خطواته ، وفيما يتدفق به فى حديثه ، ولم يكد هذا الحديث يتجاوز فى أول أمره الفرنسية ، غير ما كان يشوبها فى بعض الاحيان من كلمات يحاول أن يؤديها بالعربية . وعلى ما كان يبدو عليه من اعتداد بالنفس فقد جعلنا نحس أنه يريد أن يعقد صلاته بنا ، منذ عرف اننا تجاوزنا مرحلة الليسانس ، وقد فسرنا ذلك برغبته فى أن يتيح لنفسه ما يتمكن به من ممارسة العربية حتى يمرن عليها لسانه .

لم نلبث بعد ذلك حتى راياه يريد لهذه الصلات أن تتخذ وجهاً آخر لم يكن لنا عهد به من قبل . وقد اتفق مع الكلية أن ترتب لنا لقاء معه فى بعض قاعات الدرس ، فارتقينا فيها ، فاذا به يقدم علينا ومعه نسخ أعدها لنصوص من التراث العلمى العربى ، جعل يوزعها علينا ويطلب منا أن ننظر فيها ، وما كدنا نتبين غرضه من ذلك ، وانه إنما يريد أن يقارن هذه النصوص بعضها ببعض ، وأن نجد فى ذلك بعض المرانة على قراءة الخطوط المختلفة ، حتى اقبلنا على ذلك ، وجعلنا نتبادل الحوار والمناقشة ، حتى يتاح لنا أن نطمئن الى أولى القراءات التى بين ايدينا بالقبول . وكان ذلك أول نوع من هذا النمط من الدرس نعالجه ، وأول تعريف لنا بما يجب أن يكون عليه نقد النصوص على الأسلوب الأمثل ، الى جانب ما فيه من عقد نوع من الصلة بيننا وبين هذا اللون من تراثنا . وهو التراث الذي كان هو نفسه معنياً به فيما يعالج من درس .

ولعل مثل هذا اللقاء كان من أول ما أتيح لنا معه ، وما انفتح به ما بيننا وبينه . ولعله يدل على انه كان لايزال متاثراً بما كان يعالجه فى باريس قبل أن يقدم الى القاهرة ، وانه كان يتطلع الى أن يجد فى مثل هذه العقول الجديدة ما يسدده فى سبيله . وإن من الخير ـ الى جانب ذلك ـ أن يثير فى نفوس طلابه النزوع الى ذلك التراث ، والتطلع الى آثار هذا الفكر ، وأن ياخذهم بما ينبغى أن يكون عليه شانهم منها ، تحقيقاً لها ، ووقوفاً عندها . ولا أذكر الآن كيف مضت هذه المحاولة ، والى أى مدى استمرت . ولكن الأمر الذى لا أكاد أشك فيه انها فتحت لبعضنا باباً الى ذلك المنهج فى تحقيق النصوص لا يحسن اغفاله . وإنها ـ من ناحية أخرى ـ اباحت

له أن يزيل ما بينه وبين اصطناع العربية فى الحديث من جفوة ، وانها مكنت له ـ الى حد غير قليل ـ من ان يملك زمام التعبير بها ، وان يتغلب على عقباتها وصعوباتها .

اهتمامه بالحياة العلمية الاسلامية

وشىء آخر اتيح له فى هذه الفترة ، ذلك هو ما استحدثه طه حسين ، وقد صار عميداً لكلية الآداب ، من إسباغ بعض المظاهر الجديدة على مجالس الدراسات العليا ، مما يجعلها أكثر ملاءمة ، وابعد من الشكليات ، فكان يعقد هذه المجالس فى مكتبه بالكلية ، فى اصائل بعض ايام الاسبوع ، متحررة مما جرى العرف به من قيود . ترفرف عليها روح المودة وتسودها الالفة . وكان يشهد هذه المجالس ، الى جانب الطلاب ، من يعنيهم حضورها والمشاركة فيها وادارة الحوار حول ما يلقى بها . فكانت هذه الحلقة تثير فى انفسنا ما كنا نتمثله فى مجالس البصرة . وكان كروس من اول الذين كانوا يحرصون على شهودها ، وعلى ان يتيح لنفسه فيها فرصة المشاركة الجادة .

وكان هذه المجالس قد اتاحت له ان يمضى فيما كان يشغله ويسيطر على تفكيره من أمر الفكر العربى الاسلامى ، وما كان يصدر عنه من ينابيع وما كان يرفده من روافد تمده ، وما كان يتعرض له من ملابسات مختلفة تترك طابعها عليه ، فيتناوله من بعض جهاته ، فكانت الجهة التى اختارها ليجعلها موضوع حديثه فى هذه المجالس هى رسائل إخوان الصفا .

ولا ندرى أكان من قبيل الصدفة المحضة أن يكون اختيار كروس لهذا الموضوع ما يلتقى به مع طه حسين فى المقدمة التى كان كتبها لهذه الرسائل ، فكان فيما أراد أن يعالجه من مسائله ما يمكن أن يكون تحريراً لبعض ما ذكره طه حسين أو تفسيراً له .

إن رسائل إخوان الصفاء هى خير ما يعبر عن الحياة العلمية الاسلامية فى القرن الرابع للهجرة . ويمثل الامدادات المختلفة التى امدت بها . وقد كان طبيعياً أن يبدأ كروس حديثه عنها بما ابتدات هى به من الكلام عن الرياضيات ومكان رجل مثل فيثاغورس منها . فذلك متصل اوثق اتصال بما يجيده من الثقافة اليونانية ، وجدير به ان يقيم بمثل هذا الحديث ما ينبغى أن يكون من صلة بين العلم العربى فى القرن الرابع الهجرى ، والعلم اليونانى فى القرن السادس قبل الميلاد . وان يستند فى إقامة هذه الصلة على ما تحقق له من معرفة وثيقة مفصلة ، وان يتطرق فى حديثه الى غير فيثاغورس من اساطين العلم اليونانى . وكان مثل هذا الحديث يحفزنا الى متابعته ، بقدر ما كان يثير فى انفسنا من نزوع قوى الى التغلغل وراء ما نراه مبثوثا فى كتبنا ، ومن تقدير ما تمكن منه معرفة اللغات القديمة من متابعة التطور العلمى ، فى شتى صوره ، الى أن بلغنا اخيراً فى مثل هذه الصورة التى نراها فى رسائل اخوان الصفا .

ولم يكن كروس فى مثل هذه الندوات وما يشارك به فيها إلا منطلقاً مع ما كانت تفيض به نفسه من معرفة رفيعة دقيقة كانت هى الغالبة عليه ، الى جانب ما كان موكولا اليه من دروس نظامية ما كان له ان يتخلى عنها او يفرط فيها .

فما كانت تبدو له فرصة عمل علمى يمكن ان يشارك بنفسه فيه إلا بادر اليها ، وإلا بذل ما يمكن له ان يبذله لها ، كما حدث عندما اتجهت كلية الآداب الى ان تقوم بواجبها نحو بعض نواحى النشاط الادبى الذى لم تكن اتيح لها ان تدرسه ، كالأدب الاندلسى ، وما كان لها ان تسلك فيه مسلك العرض السريع العابر حتى إذا اتيح لها ان تظفر ببعض اصوله المعتبرة ، فى مثل كتاب الذخيرة لابن بسام حتى بادرت اليه ، واتخذت من الاجراءات ما هو فى حاجة اليه لتحقيق نصه ، والاعداد لنشره ، حتى يكون فى أيدى الدارسين مادة يقيمون عليها دراساتهم . وكان من ذلك ان الفت لذلك لجان علمية .

وعلى الرغم من ان كروس كان بطبيعة ما هو مختص به فى منأى عن مثل هذا العمل ، إلا ان جده كان يغريه بان يقاربه ويكون على صلة ما به ، فاذا بعض هذه اللجان تتوقف عند كلمات فى النص لا تهتدى الى الوجه فيها ، ويبدو له ان هذه الكلمات ينبغى ان تكون مما يستعمله الاطباء والمتطببون . فلا يتردد فى ان يمضى بها الى مستشرق المانى مقيم فى القاهرة ، متمرس بقراءة المخطوطات ، معنى بدرس الطب العربى فى نصوصه الاولى ، ذلك هو الاستاذ الدكتور ماكس ماير هوف ، لينظر فيها . ويتبين منه ما ينبغى ان تكون . فاذا اتضح له امرها عاد الى اللجنة بها . وكائنا كان بما صنع من ذلك شارك فى عمل اللجنة نوعاً من المشاركة ، إذ اتخذ من صلته بماير هوف ، ومن تخصص هذا المستشرق فى طب العيون خاصة ، ما مكن له من ان يجلو ما كان يحيط به ببعض المفردات من غموض او اضطراب .

ومهما انسى فلن انسى ان كروس كان صاحب الفضل الاول فى تعريفى بهذا العالم الجليل . إذ استصحبنى اليه ذات مرة فى داره التى كان يقيم بها فى القاهرة ، والتى كانت تقع على ناصية شارع فؤاد الاول وشارع عماد الدين . وقد اتاحت لي هذه الزيارة ان ارى فيه صورة رجل من جلة رجال العلم : تواضعاً وسماحة ، وبساطة مسلك ورقة جانب ، ومعرفة مبسوطة تبدو فى حديثه . وكان إذ ذاك شيخاً قد جاوز الستين من عمره . كما اتاحت لي هذه الزيارة ان ارى من ملامح هذه الدار ما يعبر اقوى تعبير عن الروح العلمية التى تجللها فى مثل ما كانت جدرانها تزدان به من مكتبة ضخمة ، وما كانت هذه المكتبة تتيه به من امهات المراجع بشتى اللغات ، وفى مكان ظاهر منها مجلة ايزيس . وقد خرجت من لدنه وانا مبهور بشخصه وبعلمه وبخلقه . إنه عالم من ذلك الطراز الذى لا غرابة فى ان نجد رجلا مثل كروس شديد التعلق به . وإذا كان كروس قد استهواه تاريخ العلم عند العرب والمسلمين فاستغرق فيه ، فان ماير هوف لم يصرفه ما كان يصطنعه من طب العيون عن متابعته فى تاريخه ، وعن البحث فى مصادره ، كما نرى صورة من ذلك فيما صنعه فى كتاب العشر مقالات فى العين ، المنسوب الى اسحاق بن حنين ، وما كتبه عن اسحاق هذا ، مما يجلو صفحة مجيدة من صفحات حياته ، ويضعه فى مكانه الجدير به بين العلماء الذين كانوا يرباون بانفسهم عن الارتطام فى موبقات السياسة الصهيونية . كما نعتقد ان ذلك كان شان كروس .

من على منبر الشرق

لقد كان كروس رجلا شديد المغالاة بمكانته العلمية ، شديد الطموح الى كل ما

باول كراوس

صورة علمية مشرقة

يتصل بها ، ويحقق له خير اداء لها . وما كان ليكتفى من اللغة العربية ان تطوع له ويمرن عليها لسانه ، وإنما كان حريصاً على ان تكون له لغة كتابة كما هى لغة حديث ، وكما يؤدى بها ما يوكل اليه من محاضرات عامة يلقيها على جمهور عربى ، كذلك ينبغى ان يكون فى مستطاعه ان يؤدى بها من الفصول ما يحقق اتصاله بطوائف القراء . وكذلك اتجه الى ان يتخذ من مجلة الثقافة التى كان يراس تحريرها الأستاذ احمد امين مجالا يجول فيه بسلسلة من الاحاديث ، اتخذ لها كلمة : (من على منبر الشرق) عنواناً يظهر به ، حريصاً على ان يكون لها طابعها العلمى .

وهذا الذى استطاع كروس ان يحققه لنفسه ويؤكد به كلا من مكانته العلمية ومقدرته التعبيرية كان مما لفت انظار تلاميذه اليه ، إذ كان مما ميزه عندهم عن غيره من المستشرقين الذين عهدوهم ، كما كان ـ فيما يبدو ـ مما رشحه لدى الكلية ليشارك فى فحص الرسائل التى جعلت تقدم إليها ومناقشتها . وكان من ذلك رسالتى التى تقدمت بها لنيل درجة الماجستير ، سنة ثمان وثلاثين ، عن كتاب البخلاء للجاحظ ، دراسة له ، وتحقيقاً لنصه : وقد كان من المالوف المتعارف عليه ان يتحفظ اعضاء لجنة المناقشة فى لقائهم للطالب ، إذا اتيح لهم ان يلقوه قبل المناقشة . اما كروس فقد كان مما اثار دهشتى انه لم يكد يلقانى حتى شد على يدى ، معبراً عن تهنئتى بما وفقت اليه فى الرسالة . لقد دل بذلك على بعض سمات شخصيته الصريحة ، كما كان من دلائل ذلك اكتفاؤه فى بعض المواطن التى تحتاج الى المناقشة بالايماء اليها ، والاشارة الى ان من الأفضل لها ان تكون مناقشتها فى مجالس خاصة بها .

ولم يكن كروس حتى ذلك الوقت إلا صورة رائعة من الاقبال على العلم والاخلاص للفكر ، وقدوة صالحة تدعو الى الاقتداء بها والسير فى سنتها . وكان ما ذكره فى جلسة المناقشة عن المواطن التى تحتاج الى مجالس خاصة لمناقشتها لم يكن فى حقيقته إلا دعوة لي لأصل حبله بحبلى والف معه شملى . وكذلك صار امرى منذ ذلك الوقت معه . فقد توثقت صلتى به ، وكثرت المواعيد التى نتفق عليها لالقاه فى داره ، واجالسه فى بيت كتبه ، وهو قاعة واسعة ، يتوسطها مكتب كبير يواجهه ارفف بطول الحائط وارتفاعه ، رصت عليها طائفة كبيرة من الكتب ، عربية وفرنسية والمانية ، ومجموعات غير قليلة من كتب النصوص القديمة . وكثير من هذه الكتب كانت هوامشه مليئة بتعليقاته وملاحظاته.

بل إن كتاباً من هذه الكتب هو النسخة الالمانية من كتاب تاريخ الأدب العربى لبروكلمان ، اثر ان يغير وضعه ، بان اقحم بين كل صفحتين من صفحاته ورقة بيضاء يدون فيها كل ما يتفق له فى قراءاته ومراجعاته ، مما فات بروكلمان ان يقف عليه ويدونه ، فيستدركه عليه ، وقد بلغ من حرصه على اثبات كل ما يمكن ان يقع له ان كان جيبه مزوداً دائماً بمجموعة من القصاصات البيضاء ، بحيث تكون تحت يده يدون بها ما يعرض له ، فى اى مكان يكون فيه ، حتى إذا عاد الى مكتبه وضع كلا منها فى المكان الخاص به ، او نقله الى ما ينبغى ان يكون موضعه اللائق به .

وكل ذلك كان من فرط حرصه على تحقيق الصفة الأولى التى اتجه اليها منذ بدء حياته ، والتى كانت تؤهله لها مواهبه وملكاته ، والتى كانت ماتزال مستغرقة فى ذلك الموضوع الذى استبد به ، وكان مايزال يجمع مادته ويوفر اسبابه . وربما كان فيما عرض له من امر الجاحظ ما نبهه الى ما ينبغى ان يكون له فى ذلك الموضوع من شان ، وخاصة ما جاء فى كتاب الحيوان من نصوص منقولة عن ارسطو صاحب المنطق لابد انها تدخل فى صميم ما يعالجه ، ولابد له ، تبعاً لذلك ، ان يجعلها بين ما يعنى به.

رسائل الجاحظ

ولكنه ما يكاد يبلغ القاهرة ويمضى بها نحواً من عامين ويستثار امر الجاحظ من مكمنه ، ويتبين له ان الظروف مواتية ليشرع فيه بمشاركة الطالب الذى كان يناقشه ، حتى يعلم ان استاذاً آخر قد سبقه ، هو الأستاذ عبد السلام هارون ، وقد جعل من مكتبة الجاحظ مشروعاً متكاملا ، ظهر طليعته ، وهو الجزء الأول من كتاب الحيوان ، فما بُدٌ من ان يراجع نفسه . ولكن هذه المراجعة اتخذت صورة علمية تعتمد على النظر فى هذه النشرة على ضوء ما اجتمع لدينا من مادتها ، وما استقر عليه الراى فى تحقيقها ، وبرزت هذه المراجعة فى مقال يحمل توقيعينا ، نشر فى مجلة «الثقافة» . وربما كان هذا اول عمل علمى التقيت عليه معه . كما كان هذا هو كل ما اتيح لنا ان نؤديه لكتاب الحيوان الذى مضى الأستاذ هارون فى اخراجه فى عزيمة صادقة واسلوب علمى قويم .

ولم تكن هذه اللفتة لتذهب عبثاً ، فاذا لم يقدر لنا ان نمضى فيما كنا نخطط له اولا ، فان للجاحظ جوانب اخرى تقتضينا ان نجلوها ، وان نوليها عنايتنا . فلناخذ فى تحقيق بعض آثاره التى لم تنشر بعد ، فنكشف بها من جوانب الحياة العلمية والادبية ما ظل مستوراً ، ونقرر بمثل هذا العمل من مبادىء التحقيق العلمى ما هو جدير ان يتقرر . وعلى هذا قر راينا وبدانا طريقنا .

وفى خلال هذه الفترة التى كنا منكبين فيها على ما يقتضيه هذا العمل من جمع المادة ، ومقابلة النصوص ، والمقارنة بين القراءات المختلفة ، فى اناة ودقة ، والامل يغمرنا ان يكون فيما نؤديه من ذلك ، ونصب اعيننا ما استخلصناه من صنيع اسلافنا ، ما يمكن ان تتحقق به الصورة المثلى التى تسيطر على خيالنا العلمى من صور تحقيق النصوص ، إذا بى افاجا ، وانا اقضى بعض ايام اجازتى ، بانى من الذين اختارهم القائمون على انشاء جامعة الاسكندرية لتكوين هيئة التدريس فيها ، وان علي ان اتخذ ما ينبغى لمثل هذا التحول الذى يتناول كثيراً من صور حياتى المادية والعلمية ، بما يتضمنه من تبعات جديدة ، وما يقتضيه من واجبات مختلفة عديدة . وما لبثت ان رايت نفسي فى هذه المدينة أواجه من شؤون الحياة فيها ، ومن تبعات العمل الجامعي الجديد ، ما يكاد يستغرق كل وقتي وجهدي .

وكان طبيعياً ان يتاثر هذا العمل العلمى بمثل هذا التحول ويتحمل بعض جرائره ، ولكنه مضى على كل حال الى بعض غايته . وقد قام البريد فى صلة ما بين كروس وبينى مقام اللقاء ، وكروس مشغول بطبيعة الحال بشواغل اخرى ، الى ان اتيح له ان يظهر اخيراً ، فى سنة ثلاث واربعين ، باسم (مجموع رسائل الجاحظ) ، عن لجنة التاليف والترجمة والنشر ، صورة من صور التحقيق الذى رجونا ان يكون دقيقاً ، مصطنعاً ما يقود المحققون الأوربيون اصطناعه من رموز ، فى نشر الآثار اليونانية ، مراعياً فى

التنسيق والترقيم ما يشير الى اسلوب الجاحظ الموسيقى فى تاليف الجمل ، وان فاته ما كان مقدراً ان يصحبه من درس وتحليل يؤدى بهما بعض الغايات المرجوة من إيضاح بعض جوانب الحياة التى صدر عنها ، فى انتظار ان يتاح لنا بعد اداء ذلك.

ولم تدع لي هموم حياتى الجديدة فى الجامعة وفى هذه المدينة من فراغ الوقت وهدوء البال ما يمكن لي من مواترة لقاء كروس ومجالسته ، ورسم الخطة التى ينبغى أن نختطها ونمضى عليها ، إنما هى لقاءات عابرة قليلة تتاح لنا فى خلال مجيئه الى الاسكندرية مجيئاً خاطفاً . وقد كان أبى ما عرض عليه ان يكون فى جامعة الاسكندرية عمله ، لأن اعماله العلمية تربطه بالقاهرة وما فيها من دار الكتب التى لا يستغنى عنها ، ومن الهيئات العلمية التى هو وثيق الصلة بها .

و .. جابر بن حيان

والحق ان حياة كروس كانت فى هذه الفترة خاصة مشحونة بالعمل الدائب والجهد المتصل يحمل به على نفسه اشد الحمل . انه لم يغفل قط عما كان اخذ به نفسه وانطلق فيه ، وهو فى باريس ، من درس تاريخ العرب العلمى ، وما اتيح له هنالك ، فى سبيل ذلك ، من اخراج تلك المجموعة المختارة من رسائل جابر بن حيان ليبنى عليها عمله . حتى إذا جاء الى مصر كان من اكبر ما يدعوه اليها ان يتاح له فيها من المادة العلمية ، ومن هدوء البال فى حياته المعيشية ، ما يمكن له من المضى فى هذه السبيل التى انتهجها ، ولابد ان يبلغ غايتها . وما كانت احاديثه عن رسائل إخوان الصفا فى الندوات التى كان طه حسين ينظمها فى الكلية إلا من اجل ذلك . وما كان اتجاهه الى الجاحظ وما صدر به عن أرسطو وما مثل به بعض صور الثقافة السائدة فى ايامه إلا من هذا القبيل ، وما كانت صلاته بالمجمع العلمى الفرنسى يجالس رجاله ويتحدث اليهم ، ويعد بعض المحاضرات يلقيها عليهم ، ويتلقى فيها آراءهم ، إلا من اجل هذه الغاية الكبرى التى تشغله وتستبد به .

وها قد آن له ان يفرغ من بعض شانه فى هذا الميدان ، وكانما كان يمس فى أعماقه بما كان كثير الترديد له فى غير مناسبة من ان العمر قصير والعمل كثير . فلم لا يتقدم بما تم له درسه عن جابر بن حيان الى هذا المجمع الذى توثقت به صلاته ، واطردت باعضائه ورجاله علاقاته حتى لم يعد يشك فى مبلغ تقديرهم له وإعجابهم به ، وما يشك فى انهم سيتقبلون هذا الذى يعرضه عليها فى غير قليل من الترحيب به ؟

وهكذا تم له ما أراد من ان تكون دراساته العلمية المستقصية عن جابر بن حيان كتاباً مستقلا من الكتب التى تصدر عن هذا المجمع متوجة باسمه . وما من شك فى ان اعداد هذه الدراسات وتقديمها للطبع ، واضحة المنهج مطردة الفكر مضمونة بمراجعها ومصادرها حسبما يقتضيه الأسلوب العلمى الدقيق لم يكن من الأمور الهينة ، فاذا أضيف الى هذا ما كان يصدر اليه من اعماقه من وجوب ان يتم هذا العمل بقدر ما يمكن من السرعة والدقة معاً استطعنا ان نتمثل على وجه ما مبلغ ما كان يسيطر عليه ويستبد به من مشغلة وقلق .

ولعله كان من ذلك إرجاء طبع الجزء الأول من هذا الكتاب الى ما بعد طبع الجزء الثانى وظهوره ، حتى يتاح له ان يستكمل ما لابد من استكماله من شرائط الأسلوب العلمى . فكان من ذلك ان ظهر الجزء الثانى فى سنة اثنتين واربعين ، فى حين ظهر الجزء الأول سنة ثلاث واربعين .

وبتمام ظهور هذا الكتاب البارع فى موضوعه ، بجزأيه الكبيرين ، يمكن ان يقال ان كروس وجد فى نفسه ما يمكن ان يسمى بالروح .

ولكنه مع ذلك لم يخلص من هموم التفكير العلمى الذى كان مايزال يتجاذبه من جانب الى آخر ، متدسساً الى اعماق نشاته العلمية ، وعناصر حياته الفكرية ، منذ كان عليه ان يدرس اللغات السامية الشرقية الى جانب اللغـــات القديمـــة الأوربية .

وانا ما أزال اذكر كيف كان مما لفت نظره فى اسلوب الجاحظ ، ونحن نقرؤه معاً ، هذه المزاوجة التى تكاد تكون من لوازمه ، والتى تجعل الجملة فى لفقين (١) متناظرين ، مما كان يراه اثراً من آثار الأسلوب الشعرى ظهر فى الكلام النثرى ، فكان مما اقترحه ان يكون لهذه الظاهرة الفنية من الطبع ما يبرزها لانها جديرة بذلك . فكان من هذا ما اتفقنا عليه ووجهنا المطبعة اليه ، من ان يكون بين كل لفق من هذين اللفقين بياض .

اذكر هذا الآن وانا اصل الى المرحلة الاخيرة فى حياته ، وقد سيطرت عليه ، فيما يبدو هذه الفكرة . وقد اعتبر هذه الظاهرة التى استوقفته فى اسلوب الجاحظ سمة من سمات اللغات السامية ، وينبغى ان تكون كذلك فى الكتاب المقدس . فلم يلبث ان قر فى ذهنه انه فى صميمه مطبوع بمثل هذا الطابع الشعرى ، وان له موسيقاه التى طمرها ما اعتبرناه فيه . وإذ كان الأمر كذلك فان عليه ان يكتشف حدود هذه الموسيقى ويبين معالمها ويبرز خصائصها فاذا كاشف اعضاء المجمع العلمى وجمهوره بهذا الذى يفترضه وجد من الاعتراض عليه والانكار له ما زاده اصراره عليه ، ومحاولة اثباته وتاكيده .

ومنذ ذلك الوقت ، اقبل ـ كما حكى لي عنه من اصدقائه وثيقى الاتصال به ـ على الكتاب المقدس يعيد قراءته ، ويأخذ فى كتابة نصوصه كتابة جديدة ، يتاح للأوزان الشعرية ، كما كان يتمثلها ان تكون السائدة فى تلك العصور الأولى ، ان تظهر فيها . وطبيعى ان يكلفه مثل هذا العمل ان يسخر له قواه العقلية واللغوية والذوقية والعصبية تسخيراً لابد ان يكون له اثره فى حياته كلها ، حتى لقد قيل انها اصبحت وقفاً على ذلك فى يقظته ومنامه .

وما كان ذلك ليتاتى لولا روح الاصرار التى كانت غالبة عليه ، وطبيعة العناء التى كانت جزءاً من كيانه . وما ندرى لعله إنما كان يتجه بمثل ذلك الى نوع من الهروب مما كان يؤرقه فى اعماق نفسه ، ومحاولة الخلاص من هذا الذى كان مايزال يلوح له من قبل الصهيونية ، وما كان يخيل اليه انها تدبره ، بعد ذلك الذى ورطته فيه.

ومن بين هذا وذاك كان لابد ان تعرض له لحظة ضعف ، تتهافت فيها قواه ، ويغلب عليه اليأس من هذه الحياة ، فاذا هو مندفع الى ان يخلص نفسه بنفسه ، لينجو من هذا الذى يحاصره . فكانت فى ذلك نهايته فى اليوم الثانى عشر من شهر سبتمبر ، سنة أربع واربعين وتسعمائة والف .

ولعلنا نستطيع ان نعود الى هذا الحديث مرة اخرى ، عسانا نتبين بعض العوامل التى كانت تعمل فى حياته ، حتى ادت به الى هذه الغاية ، وهو بعد فى الأربعين من عمره .

د. محمد طه الحاجرى

هـامش

(١) لفقان متناظران : مقطعان متساويان مما يشبه الشطرين فى ابيات الشعر العربي العمودي .

هل يمكن إلغاء الموسيقى العربيّة ؟!

بقلم : كمال النجمي

قديماً تقطعت السبل بالثقافة العربية ، عندما اقتحم هولاكو بغداد فى منتصف القرن السابع الهجرى «منتصف القرن الثالث عشر الميلادى» .. وقتل سكانها ، وأحرق مدارسها وبيوتها ، وذبح الأدباء والعلماء والفنانين ، وأباد ذخائر المكتبات العظيمة التى تراكمت كالجبال خلال القرون الطوال ..

ولكن الثقافة العربية ، وإن تقطعت بها السبل يومئذ ، لم تندثر .. ونهض الفكر العربى من تحت الأنقاض فى الموسوعات والمؤلفات الكبرى التى تكاثرت فى المشرق العربى ، ولبثت تتكاثر فيه حتى إن كتباً ضخمة تعتبر من أمهات الكتب مثل «نفح الطيب» للمقري .. و «تاج العروس» للزبيدى ، ظهرت فى مصر بعد سقوطها فى أيدى العثمانيين بزمن طويل ، والثقافة العربية حينذاك فى ذل شديد تحت سنابك خيل المماليك الجهلاء الذين جعل السلطان العثمانى مصر طعمة لهم ! ..

كذلك لم تنقطع المؤلفات فى الأندلس ـ أقصى المغرب العربى ـ حتى سقطت غرناطة ، وضاع آخر موضع قدم للعرب فى الأندلس سنة ١٤٩٢ .. وصارت الكتب العربية رماداً فى محارق القشتاليين ، إلا بقايا مخطوطات بائسة تقتلها الغربة الآن فى مكتبة الاسكوريال الشهيرة فى أسبانيا ! ..

والغناء العربى المتقن الذى عاش منذ انبعاثه فى القرن الأول الهجرى بمكة والمدينة ، والى آخر أيامه فى بغداد تحت حكم هولاكو ، كان أكثر فروع الثقافة العربية والتراث العربى كله ، تأثراً بنكبة المشرق واندثار المغرب الأندلسى ! ..

فان علماء الدين والأدب واللغة والتاريخ سارعوا الى جمع شتات كتبها ، كواجب دينى فى أكثر الأحيان .. أما الغناء فانه سقط ولم يجد سنداً إلا من جهود فرديةمحدودة ، لأن فن الغناء ـ على رأى ابن خلدون ـ هو أول شيء يحل به الخراب والسقوط ، عند سقوط الأمم وخرابها ! ..

ولكن الغناء العربى ينتمى الى أمة تضرب بجذورها فى أعماق هذا الكوكب الأرضى ، ولهذا نهض رجل واحد هو الموسيقى صفي الدين عبد المؤمن الأرموى ، بما تنهض به العصبة من الرجال ، فذاد الرجل التشويه والتبديل حين أوشكا أن يمسا الملامح الأساسية للغناء العربى ، ثم ترك آثار جهده فى مؤلفاته الرائعة التى بقي بعضها حتى الآن ، وفيه الدليل على هذا الجهد الفردى الفائق ! ..

كان صفى الدين مغنياً للمستعصم آخر خلفاء بغداد ، وأميناً لمكتبته الحافلة ، وكاتباً مشهوراً بجودة الخط والكتابة .. واليه انتهت علوم الأولين فى الغناء والموسيقى ، وصار فيها حجة بمؤلفاته وأعماله ، واشتهر اسمه حتى بلغ مسامع الطاغية هولاكو وهو على حصار بغداد قبل سقوطها ، فأمر بامساكه حياً عند فتح المدينة ، وحمايته من القتل ، وإعفاء داره من النهب والتخريب والفتك والهتك ، وكان

هذا عجيباً من هولاكو السفاك الذى قتل فى هذه المدينة مليوناً ونصف مليون من البشر وأباح لجنوده كل شىء فيها ! ..

التحق صفى الدين بحاشية هولاكو ، وأسمعه الغناء العربى فأدخل عليه السرور وإن كان هذا الغازى المجنون لا يتكلم ولا يفهم إلا الرطانة التترية ! .

ثم تعلم على يد صفى الدين مطربون من التتر والفرس والديلم والترك والأجناس الأخرى فى دولة هولاكو وأمرائه ، فتغيرت أسماء آلات العزف ، كما تغيرت أسماء الأنغام العربية وأجناسها وأصولها ، وتحورت فى حلوق هؤلاء الأعاجم ملامح غنائنا ، ولكن بقى جوهره العربى يبرق فى صدحاتهم الأعجمية ، شاهداً بأصله العربى ! ..

لا شرقية ولا غربية

وبعد عهد التركمان والجركس فى مصر والشام ، جاء العثمانيون فانحدر الغناء العربى الى الحضيض ، إلا أنه لبث يقبض بيديه على الجمرة التى تنم عن أصله ، وتهدى اليه كبصيص النور الذابل ، حتى شاءت المقادير له أن ينهض من جديد منذ أكثر من مائة عام نافضاً عن نفسه غبار السنين ، ونهضت معه الأرض العربية بتراثها من الفكر والعلم واللغة والفنون .. وارتفع فى وقت واحد صوت المغنى العربى وصوت الشاعر العربى الذى صعد بادائه فوق ركاكة العهد العثمانى ! ..

ولكن ماذا حدث فى غنائنا وموسيقانا بعد مائة سنة من العمل على تخليصها من شوائب العجمة ؟!

تطورت الموسيقى العربية ، ونطقت المقامات فى غنائنا نطقاً جديداً لم تكن تعرفه .. ولكن قومنا فى نهضتهم الآن لا يغضون الطرف عن أن الأصل عندنا فى السماع هو «الغناء» لا العزف بالآلات .

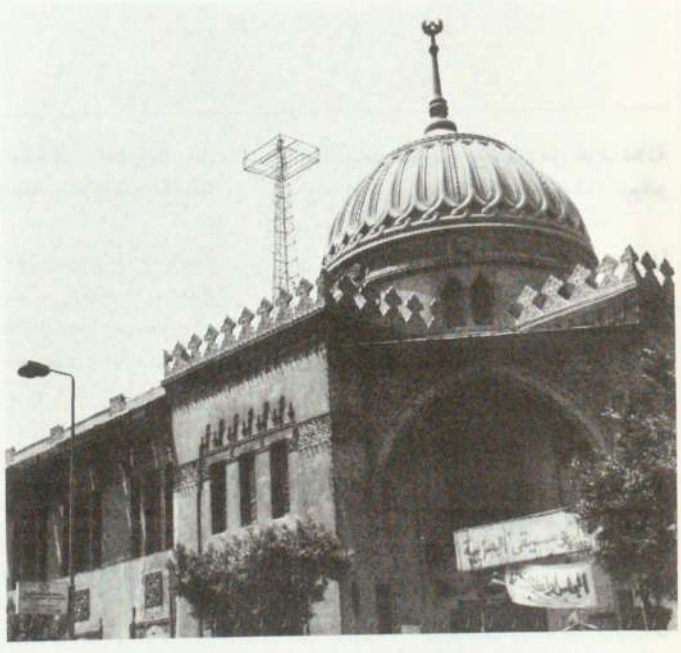
وهذا ما لا يجهله أحد من قديم ، ولا عيب فيه علينا ، فلكل أمة طبيعتها ووجدانها ، وليس لأحد من خارجها أن يفرض عليها طبيعة ووجداناً من خارج ذاتها التى صنعها التاريخ العميق ! .. ولا يمكن إلغاؤها بمرسوم ولا بحيلة من الحيل ، ولا بالقوة القاهرة ! ..

إلا أننا نعرف الآفاق الرحبة للموسيقى الخالصة ، كما نراها فى الموسيقى الأوربية من السيمفونيات مثلا .. ولكن ما صنعه مؤلفونا الموسيقيون فى هذا المضمار حتى الآن ، لا يخرج عن حدود التقليد الحرفى الذى يصادر أذواقنا ، ولا يلقى إعجاباً من الأوربيين أنفسهم ، لأنهم أصحاب «الأصل» الذى يقلده المقلدون ! ..

إن الموسيقى العربية كيان قائم بذاته ، لا هى «شرقية» كموسيقى الصين والهند .. ولا هى «غربية» كموسيقى أوربا وأمريكا ..

وليس هذا موقفاً عاطفياً لموسيقانا ، وإنما هو موقف فنى محض ، أساسه اختلاف عدد درجات السلم الموسيقى وتركيب المقامات وخصائصها ، وكسور الأصوات والتعامل معها ، والايقاعات وعلاقتها بالأنغام .. وما لا يحصى من القضايا الأخرى الأساسية ! ..

الموسيقى الصينية ـ مثلا ـ ليست متطورة إذا نظرنا الى الموسيقى الشعبية هناك لا الى ما صنعوه تقليداً لموسيقى الباليه والأوبرا وما الى ذلك .. مع أن للموسيقى الصينية كان لها السبق على العالم كله ، وكان سلمها يتالف من خمس درجات هى : «دو .. رى .. مي .. صول .. لا» .. وهى الدرجات المشهورة الآن فى الموسيقى الأوربية .. وهى المفاتيح الخمسة السوداء فى البيانو الأوربى الذى ظل



واجهة مبنى معهد الموسيقى العربية



فرقة السماح للموسيقى العربية

هل يمكن إلغاء الموسيقى العربية ؟!

الأوربيون يطورونه مئات السنين ! ..

والموسيقى الهندية ، لها الآن سلم يتالف من اثنين وعشرين جزءاً ، فهى أقرب الينا ، لأن موسيقانا استقر سلمها على أربعة وعشرين جزءاً .. ومع ذلك فالفرق كبير بين موسيقانا وموسيقاهم .. ولا يمكن للحنجرة الهندية أن تؤدى الغناء العربى ..

أما الموسيقى الأوربية ذات المقامين الكبير والصغير ، فنحن نعرفها جميعاً ، ونعرف انها برغم فقرها المدقع في النغمات ، شديدة الثراء فى تنوع التركيب الذى نراه فى الهارمونى والكونتروبوينت والأنواع المختلفة لتعدد الأصوات ، والقوالب الكثيرة للغناء والموسيقى كالسوناتا ، والكنتاتا ، وموسيقى الصالون ، والكونشرتو ، والقصيد السيمفونى ، والمتتابعات الموسيقية ، والأوبرا بألوانها ، والأوبريت ، والموسيقى الخفيفة .. وما لا يمكن إحصاؤه فى هذا المجال ..

لهذا نحن نختلف «فنياً» عن موسيقى الشرق الأسيوى والغرب الأوربى .. والاختلاف هنا سببه تعدد أذواق الشعوب منذ القدم ، كتعدد اللغات ، وتعدد طرائق الحياة ، ولا يمكن إجلاس الناس فى صفوف متراصة وإسماعهم لونا واحداً من الموسيقى والغناء .. وقديماً قيل إن لكل شعب لغة يحبها ونغمة يلتذها وطعاماً يشتهيه .. فلا ضرر هنا من الاختلاف ، بل الضرر فى محاولة إفراغ جميع شعوب الأرض فى قالب موسيقى غنائى واحد ! .. ومن الجهل أن يؤمر قومنا بسماع داليدا بدلا من أم كلثوم ، أو الاعجاب بسيناترا بدلا من عبد الوهاب ، او إنكار جهود الشيخ أبى العلا محمد وزكريا أحمد ، اكتفاء بالانحناء لعبقرية بيتهوفن وموزار !.

ولكنا وقد نجحنا فى إحياء غنائنا القومى وموسيقانا القومية وإنقاذهما من براثن العجمة ، ينبغى الا نغفل عما تطرحه علينا ضرورات التطور الدائم من مسائل هامة تفتقر حتى الآن الى من يجد لها حلا فى غنائناوموسيقانا ، مستعينين بتجارب غيرنا فى موسيقاهم ، سواء كانوا أوربيين أو غير أوربيين .. مادمنا حريصين على بقاء موسيقانا حية ، بعيدة عن متاحف التاريخ ! ..

إن الموسيقيين ذوى الجنسيات العربية المتفرنجين أو «المستخوجين» يتحمسون للموسيقى الاوربية أكثر مما يتحمس لها «خواجات» أوربا وأمريكا أنفسهم ! .. هؤلاء يرون أن نضع الموسيقى العربية فى القمامة ، وناخذ الموسيقى الاوربية بقضها وقضيضها .

هذا هو الحل الأمثل لديهم لما يسمونه «أزمة الموسيقى العربية» ولكنه حل مبتذل يقدر على الأخذ به كل من يستحل أن يغترف من «نوتة» الموسيقى الأوربية بلا رقيب ولا حسيب مدعياً أن هذا الذى يغترفه هو من بنات أفكاره ! ..

وحسبك هذا ابتذالا للفن ، بل لتاريخ الفنون والآداب والعلوم كلها قديماً وحديثاً ! .. فما من أمة فى التاريخ كله نزعت عن جسدها كل ثيابها ، وارتدت ثياباً مستعارة ، لا تملكها ، ولا تعلم من أى قماش نسجت ، فلابد لها فى كل وقت من أن تمد يدها وتقول للناس : «أعيرونى ثياباً» !. أو تعيش عارية ! ..

لماذا التجرد من الطابع القومي ؟

الحل العلمي هو تطوير الموسيقى العربية ـ ونعني بهذه الكلمة ضمناً الغناء العربي ـ بطريقة تناسب تكوينها المستقل ، وتزيده ثراء وجمالا ، فتصبح موسيقانا علمية وعربية فى وقت معاً . !! وتتحطم اللافتات التى يرفعها بعضهم فوق رءوسهم مطالبين باعتقال الذوق العربي ، ووضع الوجدان العربي في قمقم ! .. وتدمير الموسيقى العربية جملة وتفصيلا .. من مقام الراست ،، الى مقام راحة الأرواح ! .

ويقولون : ماذا نصنع فى مشكلة ربع الصوت أو ثلاثة أرباع الصوت ؟! ..

أيها السادة .. لقد رأيتم وراينا زملاء لكم لم تستعص عليهم أرباع الصوت ، لأنهم جمعوا بين العلم « التام » بالموسيقى العربية ، والعلم الصحيح الواعي بالموسيقى الأوربية .. أما انتم فقد درستم الموسيقى الأوربية ، وتجهلون غيرها من ألوان الموسيقى ، وبخاصة الموسيقى العربية ، فالشان فيها إذن لغيركم لا لكم ! .. فدعوهم فى عملهم الطيب المثمر الذي سوف يعود عليها بما يصلحها ولا يفسدها، وبما يبقيها لا بما يلغيها ! ..

الموسيقى العربية تريد تطوير وضبط آلاتها الخاصة كالقانون والناي والبزق والدف ، وتحسين البيانو العربي ليحل مكان البيانو الأوربي ويتمكن من عزف ثلاثة أرباع الصوت التى يقف أمامها البيانو الأوربي عاجزاً ..

والموسيقيون العرب يحاولون أن يقدموا على خشبة المسرح أشكال الغناء المصري والعربي كالموشح والموال والطقطوقة والدور ، فليس المسرح ـ أعني المسرح الغنائي ـ وقفاً على الصراخ الأوبرالي ..

ولا بأس باستخدام النافع المفيد من أساليب التعدد الصوتي ، لا تقليداً ، بل استجابة لبواعث التجديد فى موسيقانا ذاتها ، وبأساليبها .. وبدون الخروج عن كيانها .. فليس حتماً أن ننقل أساليب الكونتر بوينت والهارموني نقلا حرفياً من أوربا .. بل الحتم الا نفعل هذا ، لأن الموسيقى لغة ثانية يتكلمها الشعب مع لغة الكلام التى يتمثل فيها تاريخه الطويل ويكمن وجدانه وأشواقه وأشياؤه الصغيرة الدقيقة التى يحسها وحده وقد لا يأبه لها الآخرون ..

وإذا كان الهدف هو صناعة موسيقى أوربية فى مصانع مصرية أو عربية .. فما أهون الهدف ! .. وما أبهظ الثمن ، لأن الثمن هنا هو التجرد من الطابع القومي فى اخص خصائصه بعد اللغة ! .. ومن الذي يضمن لنا الا يقول لنا هؤلاء الذين جردونا من موسيقانا : تجردوا من لغتكم أيضاً

المدهش أن بعض الدول التى لفقتها الظروف تلفيقاً تكافح لتخلق لنفسها غناء وموسيقى .. بينما بعض الناس منا يحاولون إلغاء الموسيقى العربية والغناء العربي ، وهما نهر الألحان الفياض الذي سوف يقصده العالم كله يوماً ليغترف منه أو يتذوقه ، أو يقف على شاطئه متنسماً طيب هوائه ! ..

إن الموسيقى العربية ستتطور دائماً ، وتبقى الى الأبد ، وتقهر أعداءها جميعاً ، من أجانب متربصين تملأ قلوبهم البغضاء ومن أبناء عاقين ينظرون اليها حاقدين كأنهم عصبة من المبشرين الأجانب ! ..

ولكن هؤلاء وأولئك لن يستطيعوا إلغاء الموسيقى العربية ، أما هى .. فتستطيع إلغاءهم ! ..

وليقرأوا جميعاً هذا المقال من أول كلامنا عن هولاكو المجنون ! ..

كمال النجمى

أخلاقيّات الطب

بقلم : الدكتور خليل قطاطو

الأخلاق وعاء حضاري وانساني . وهي موجه للسلوك . والاخلاق نبع داخلي وضمير قبل أن تكون عرفاً أو قانوناً . والحياة بدون اخلاق ليست مستحيلة ، ولكنها بائسة وكئيبة ، إذا فالاخلاق تكسب الحياة طابعاً روحانياً شفافاً بعيداً عن الطابع المادي الجاف ، وتكسب النفس الانسانية سمواً .

كثيراً ما يتردد على السنة العامة أن الطب مهنة انسانية ، وأن على الطبيب أن يتحلى باخلاق تتناسب والمهنة التى يمارسها ، ولكن هؤلاء بقولهم هذا نسوا الجانب الأكبر من الحقيقة . نسوا أن كل المهن انسانية مادامت تؤدي خدمات للناس وللمجتمع ، ولهذا فالأخلاق مطلوبة من كل فرد في المجتمع مهما كان موقعه .

القانون والمحاماه مهنة إنسانية ، بمعنى انها إذا فقدت الأخلاق أصبحت المحكمة غابة ، البقاء فيها للأقوى أو بحراً يأكل السمك الكبير فيه الصغير ، فاين العدالة ؟

التعليم أيضاً مهنة إنسانية ، والمعلم الذي يرمي بالأخلاق جانباً ويعتقد أن العلم نظريات وحقائق ومعلومات فقط ، يخرج للمجتمع « كمبيوتر » بدلاً من الانسان ، وقد يخرج أيضاً مجرمين ، فالتعليم إن لم تصاحبه التربية سقط فى الحضيض .

لا أريد أن أستعرض المهن واحدة تلو الأخرى ، للتدليل على أهمية الأخلاق . ولكن دعونا نستعرض مثالين آخرين فقط قبل أن نتكلم عن الطب وأخلاقياته ، المثال الأول هو التجارة . قد يبدو للبعض أن مفهوم التجارة وما تقوم عليه من مبدأ الربح والخسارة تتناقض مع مفهوم الأخلاق ، وفي هذا قصر نظر . فالربح المشروع غاية كل انسان ، ولكن هذا الأمر نسبي بمعنى أن الربح الفاحش الناتج عن الاستغلال والاحتكار اصبح بمفهوم الأخلاق أمراً غير مشروع ، لذلك كانت الأخلاق ضرورية لممارسة العمل التجاري ، حتى تتحقق غايات الناس ، وحتى ينمو المجتمع ويتقدم على أسس راسخة ومتينة.

أما المثال الثاني ، فهو السياسة ، وإني أتخيل الآن علامات الدهشة والاستغراب ترتسم على وجوهكم ، غير معقول ! سياسة وأخلاق يجتمعان ! نعم أيها السادة يجب أن يجتمعا إذا كان هدف السياسي هو خدمة وطنه وأمته ، وإلا فالسياسي بلا أخلاق ، تستطيع أن تسميه "منافق" أو "مخادع" أو ... ولكنه ليس سياسياً بالمعنى الانساني للكلمة .

بعد كل هذه الاطالة ، نعود إلى موضوعنا الأصلي ، أخلاقيات الطب ..

الطب يتعامل مع الانسان فى حالات خاصة ، أي عندما يكون الانسان في وضع معاناة ، سواء هذه المعاناه ناتجة عن الم ، أو عن اضطرابات جسدية مختلفة ، أو اضطرابات نفسية ، وواجب الطبيب ان يخفف من هذه المعاناة بقدر استطاعته ، بما أوتي من علم وخبرة ، وهذه اخلاقية أولى .

الجانب الأكبر الذي يدفع الناس للحديث عن الطب والأخلاق هو المادة ، إنه لمن السذاجة القول بأن الأطباء يتمنون أن يمرض الناس حتى يرتزقوا ، إن أبسط بديهات الحياة تقول إن المرض موجود أبينا أم رضينا ، في مجتمع متخلف أو فى مجتمع متحضر . وصحيح أيضاً أن الطبيب يرتزق من المرضى ، فتلك مهنته ، وهذه سنة الحياة . ولكن النقطة الجديرة بالتوضيح هي أن المريض الذي لا يجد ثمن الدواء ليخفف معاناته أو حتى لينقذ حياته ، نقطة سوداء كبيرة فى ضمير الأطباء وفى ضمير المجتمع . وتبرز الأخلاق هنا لتحل المشكلة ، فاذا ضاعت الأخلاق ، ضاع المريض ، وضاع المجتمع أيضاً ، وانهارت أركانه ، وإن كان هذا لا يحدث فى يوم أو سنة ، ولكن الخراب إذا دب في الأساس ، تقوضت أركان البناء مالم نسارع الى تدعيمه وتثبيته .

الطبيب الذي يصحو من نومه ، ويفقد لذة متابعة أحلامه ، ويغادر فراشه الدافىء من أجل انقاذ حياة مريض ، لاتعوضه الأموال فقدان لحظة راحته ، ولكنه يفعل ذلك بوازع من ضمير ، وباخلاقيات المهنة التى اختارها ، واختار معها عذابه !!

اخلاقيات الطبيب تصنع منه انساناً يؤتمن على أسرار مرضاه ، النفس الانسانية ضعيفة ، ومن منا لم يبح بأسرار استودعها إياه الناس لأناس آخرين ثم ندم واعتذر ؟ ولكن أسرار المرضى هي من نوع خاص ، والطبيب الذي يتسع صدره لها ، إنسان يقوى بأخلاقه أن يبوح بها لأحد .

الطب وأخلاقياته موضوع طويل وشائك وليس ببساطة أن الطبيب أقسم يوم تخرجه أن يلبي نداء الواجب ، وأن تقوم علاقاته مع مرضاه على أسس الطهر والعفة ، وأن يحفظ أسرارهم ، وأن ، وأن ، ولكنه النبع الداخلي المتدفق ، والضمير الحي .

الدكتور خليل قطاطو
عمان ـ الأردن

رسالة لندن من:

مجدي نصيف

العالم العربي في متحف لندن

لوحات رائعة من وحي البيئة للفنانين الأوروبيّين في القرن الماضي



علي بن نصر منصور .. ابن احد شيوخ قبائل صحراء سيناء (يناير ١٨٥٨) .. واللوحة من اعمال الفنان كارل هاج .

هذا المعرض هو بالفعل معرض الفنان العظيم «كارل هاج» رغم ان هناك اعمال عدة فنانين آخرين ، لان هاج اعظم اساتذة فن الرسم بالالوان المائية من جهة ، واحد اوائل رواد هذا الفن الذين رسموا العالم العربى بصدق فى القرن التاسع عشر . صحيح ان المعرض لم يكن للوحات كارل هاج بمفرده ، لكن رسوماته كانت الغالبة والسائدة ، لذلك اطلق على المعرض اسم «معرض كارل هاج ومعاصرود» .

ومن رأى برايان ماكدرمون رئيس المتحف «أن العالم العربى يعتقد اليوم أن الكثيرين من فنانى القرن التاسع عشر الأوربيين كانوا ميالين الى التخيل والرومنتيكية عند رسمهم للشرق الأوسط ، فى حين كان «الطوبوغرافيون» الأوائل امثال «لير» و «روبرتس» اقرب الى الصدق والحقيقة . غير انه مع مرور الزمن ، كتبت الغلبة للشعراء والرومنتيكيين ، مما الهم الرسامين رسم مشاهد لم يكن باستطاعتهم مشاهدتها عن كثب» .

لذا يقول السيد ماكدرموت ان «اللوحات المعروضة فى هذا المعرض بمتحف جاليرى قد اختيرت نظراً لدقتها واتقانها ، فضلا عن جدارتها الفنية» .

إن الالوان المائية هى وسيلة هامة ، تمكن الفنان من تحقيق نتائج فريدة بالالوان الزاهية . وقد بلغ هذا الفن فى انجلترا بالذات فى القرن التاسع عشر ، درجة الكمال من ناحية استخدام المواد الثابتة من ناحية ، والمهارة الفذية من جهة ثانية . هناك مثلا لوحة «تشارلز روبرتسون» التى اطلق عليها اسم «بيع السجاد فى القاهرة» ، والتى تنم عن قدر بالغ من دقة التعبير وقوة الالوان ، بحيث توحى انها تكاد تكون لوحة زيتية . كما ان لوحة الفنان اوريللى المسماة «مشهد للحريم» ، بالوانها المثيرة وتوليفتها الرائعة ، يمكن ان تقارن بلوحات «دويتش» و «جيروم» الزيتية .

ولقد عرف القرن التاسع عشر ، عدداً كبيراً من فنانى الرسم بالالوان المائية من الايطاليين ، مثل «جوليو روزاتى» و «فريد ريكو بارتولينى» و «انريكو تارينجى» ، وهؤلاء بالذات اشتهروا باعمالهم المميزة الفريدة من نوعها .

كذلك كان لفرنسا نشاط ملحوظ فى هذا المجال ، إذ قامت فيها «جمعية فنانى الرسوم المائية» . لكن الملفت للنظر ان كارل هاج ـ الالمانى الاصل ـ فضل المجىء الى لندن بدلا من باريس عاصمة الفن كما كان يطلق عليها . لكن هذا ليس غريباً ، فانجلترا هى التى ترعرع فيها وازدهر العرف التقليدى العظيم للاشتغال بالرسوم



منظر في الدوار .. لوحة للفنان فريد ريكو بارتوليني الذي اشتهر فى اواخر القرن التاسع عشر .



بيع السجاد فى اسواق القاهرة .. إحدى روائع الفنان تشارلز روبرتسون (١٨٤٤ - ١٨٩١)

المائية ، وقام فيها فنانون أمثال «فريدريك لويس» و «تشارلز روبرتسون» و «ديفيد روبرتس» وكثيرون غيرهم ، قاموا بتمهيد الطريق لفنانى الرسم بالألوان المائية اللاحقين من أمثال «فارلى» و «تولبوت كيللى» و «لامبلاد» .

وقد اقيمت فى انجلترا «جمعية فنانى المائيات القديمة» ، وأصبحت تعرف فيما بعد باسم «جمعية فنانى المائيات الملكية» ، ونظمت هذه الجمعية معارض عديدة اجتذبت جامعى اللوحات ورعاة الفن وهواة الشراء من سائر انحاء العالم . لكن اللوحات التى رسمت بالألوان المائية عن بلدان الشرق الأوسط لها جاذبية خاصة ، من هنا أيضاً جاذبية هذا المعرض فى لندن والذى استمر لشهر كامل بين منتصف اغسطس وحتى منتصف سبتمبر . أو كما يقول برايان ماكدرموت «لقد خلق سحر الشرق ، ممزوجاً بفن الرسم بالألوان المائية القاعدة لانتاج فنى بالغ الأهمية والقيمة» .

هذا الفنان

ولد الفنان هاج فى ايرلانجين ببفاريا فى ٢٠ أبريل عام ١٨٢٠ . ورفض أبوه طلبه بأن يعطيه أحد المدرسين دروساً فى الرسم رغم انه كان يرسم على كل ما يمكن الرسم عليه فى المنزل ، من حيطان الى اثاث .

وكان من رأى الأب أن من الأفضل أن ينتظر ما يفعل بنفسه قبل أن يلقنه أحد أفكاراً جاهزة مسبقاً . وقد انغرست هذه المبادىء فى وعي الشاب ، واستمرت معه ، فادخل سمات جديدة مذهلة وملفتة للنظر فى تطور الفن الانجليزى للرسم بالألوان المائية ، هذا رغم انه تلقى دراساته فى سنه المبكرة باكاديمية نورمبرج وأكاديمية ميونيخ .

وفى عام ١٨٤٦ ، عندما كان فى السادسة





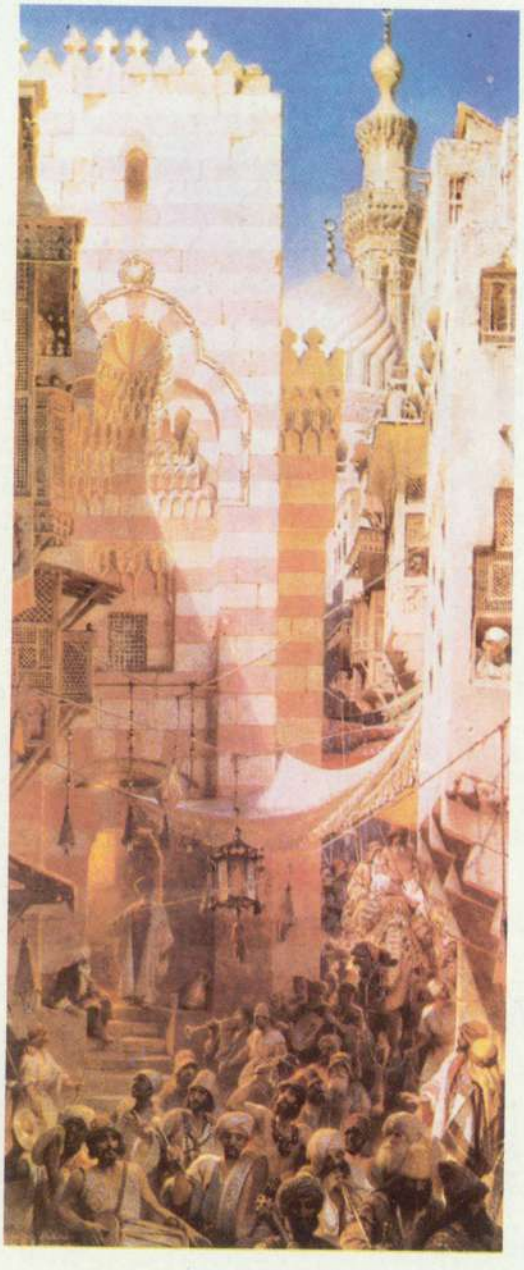
محارب عربي .. إحدى لوحات الفنان جون فريدريك لويس الذي عاش فى الفترة مابين (١٨٠٥ ـ ١٨٧٦)

والعشرين من عمره ، قرر أن يرى العالم . فترك ميونيخ على أساس أن يذهب الى باريس ، لكنه بدلا من ذلك ذهب الى أنتيرب وبروكسيل ، وطلب منه البعض رسم صورهم فاستجاب لهم ، وبذلك ظل فى بروكسيل خمسة أشهر . لكنه بدلا من أن يتجه الى باريس كما كان قد قرر ، اتخذ خطوة أثرت فى كل حياته فيما بعد ، لقد قرر فى ابريل عام ١٨٤٧ الذهاب الى انجلترا .

كان الهدف الأساسى من زيارته لانجلترا أن يشاهد عن قرب التكنيك البريطانى لفن الرسم بالألوان المائية ، وهو تكنيك كان قد اكتسب شهرة واسعة فى الخارج ، وإن لم «يصدر» الى خارج انجلترا بعد ، حتى يتأثر به عدد من الفنانين فى أوربا . وبعد أن زار «هاج» جميع معارض فن الرسم بالألوان المائية التى كانت موجودة آنذاك ، خرج بنتيجة أن فن الرسم بالألوان المائية بانجلترا ، هو فن أصيل فى مفهومه وأنه ليس استمراراً لـ «الأصل القديم» . وقرر أن يستمر فى انجلترا لكشف أسرار هذا التكنيك الفنى الأصيل . فبدأ يدرس على طريقته . وبمساعدة صديقه الحميم السير فريدريك أبيل ، قام بتحليل الألوان التى يستخدمها الفنانون الانجليز ، وتوصل الى أسرارها وأصولها ، ثم قام بتحليلها . والنتيجة : أنه اختار مجموعة من الألوان المعدنية ظل يستخدمها طوال حياته .

لم يكتف بهذا ، بل أخذ يراقب نفسه لتطوير تكنيكه الخاص . كان الرسم بالألوان المائية الخالصة وبطبيعتها الخاصة ، يختلف تماماً عن الرسم بالجواش الذى كان معروفاً آنذاك فى أوربا. وكانت أفكار «هاج» نفسه ، تقع فى مكان ما بين الاثنين . فلم يكن يخلط الألوان على الاطلاق ، كان يحتفظ بها فى حالة نقية .

وفى ديسمبر عام ١٨٤٨ قابل «هاج» حادثة كادت تنهى عمله ، وتضع حداً لمواهبه الفنية ، وإن أصبحت بعد ذلك ذات فائدة له . كان يسهر مع أحد أصدقائه فأخذا يلهوان بمسدس ، باطلاقه على ضوء



عودة الحجاج من مكة إلى القاهرة فى عام ١٨٩٤ .. وهي لوحة واقعية سجلها الفنان « كارل هـــاج »



راعي الجمال ..لوحة بالألوان المائية رسمها الفنان كارل هاج عام ١٨٥٩



مقهى فى القدس .. لوحـة عمرها اكثر من مائة سنـة للفنـــان « جوزيف أوستين » الذي عرضت اعماله في (١٨٦٥ ـ ١٨٨٦)

شمعة . لم يستخدما طلقات رصاص وإنما استخدما خراطيش ، لكن بعد أن تركه صديقه انفجرت قنينة البارود ـ بطريقة غامضة ـ فى يده اليمنى . ووجد السير بريسكوت هيويت الجراح بمستشفى سانت جورج ـ وهو رسام هاو بالألوان المائية أيضاً ـ وجد أن «يد الفنان قد تمزقت فيما بين أصبع السبابة والأوسط وحتى الرسغ أما الابهام فقد انخلع ولم يعد يربطه بالمفصل غير الأعصاب وحدها» ، وقدمه السير بريسكوت بعدها الى الكولونيل بيرنانت الذى أصبح اللورد بينرين فيما بعد ، الذى كان أول من رعى فنه .

وقرر عام ١٨٥٨ بعد أن عاد الى انجلترا من رحلة شتوية قضاها فى ميونيخ ، أن يبدأ رحلة أعظم : فيبدأ فى شهر يناير بالقاهرة ، ثم يزور فى شهر أكتوبر اليونان فتركيا ، ثم يعود مرة أخرى الى القاهرة فى شهر نوفمبر . فارسل خطاباً الى جينكينز سكرتير «جمعية الرسوم المائية القديمة» يوضح له أنه لم يرسل شيئاً الى الجمعية لتعرضه ، لأنه يقضى كل وقته يجمع المادة فى شكل « اسكتشات». وكتب الى جينكينز يقول :

ـ «قل لهؤلاء الذين يبحثون عن مادة جديدة لموضوعاتهم يرسمونها بريشتهم ، إن هناك «قاهرة» واحدة ليس غير ، وأن على الفنانين أن يروها» .

كان يعيش فى القاهرة مع صديق آخر فنان هو فريدريك جودول (١٨٢٢ ـ ١٩٠٤) ، وكانا يقومان برحلات الى الصحراء على ظهر الجياد .

وفى ابريل ١٨٥٩ ، قرر «هاج» أن يسافر الى القدس ، فوصل اليها فى أعياد القيامة. وأخذ يرسم الأماكن البارزة : «البوابة المقدسة» و «جامع سيدنا عمر» و «الكهف تحت الصخرة المقدسة» . وظل فى القدس حتى شهر يونية ، ثم سافر من هناك للجليل ثم الى دمشق . ثم عاد الى القاهرة ليبدأ شتاءه الثانى فى مصر .

خلال هذه الرحلات الطويلة ، درس ملامح وسمات القبائل التى عاشت فى



وقت الراحة ... لوحة بديعة رسمها الفنان « جوسيبي أورسيللي » بالالوان المائية

الصحارى ، وتعلم أخلاقهم ودرس عاداتهم وتقاليدهم ، وانعكس كل ذلك على لوحاته التى رسمها بدقة تفوق الوصف ، والتى ظهرت فيها القبائل المختلفة .

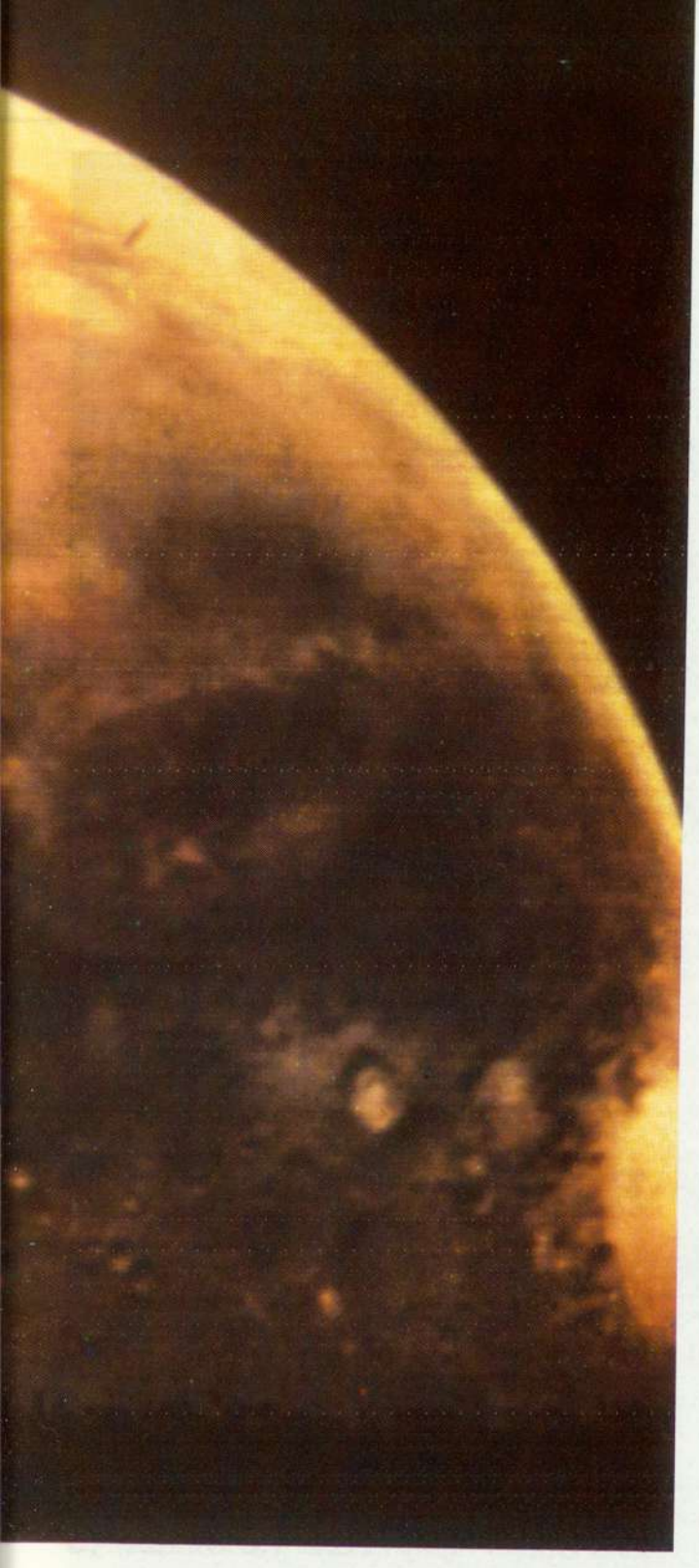
العودة الى لندن

وعندما عاد الى لندن عام ١٨٦٠ ، كان يمتلك ثروة عظيمة ، مادة هائلة للوحاته ، وقد أضاف الى كل هذا بطبيعة الحال مخالطته للناس والحياة فى البلاد التى زارها ، وعلى الأخص مصر ، ثم مهارته كفنان ، مما جعله أحد الفنانين الرواد الذين رسموا الحياة فى دول الشرق الأوسط ، فى وقت كانت فيه صور الفنانين عن الشرق ، تلقى رواجاً كبيراً . وقد قام باقامة أربعة معارض لرسومه بالجمعية ، فى عام ١٨٦٠ .

وفى عام ١٨٦٦ ، تزوج ابنة الجنرال بوتنر الوحيدة ، وبعد زواجه بقليل اشترى منزلا بحى هامستيد واطلق عليه اسم «فيلا ايدا» ، وهو اسم زوجته ، واقام «ستوديو» بمنزله ليعمل به ، وكانت ديكوراته كلها مصرية ، استخدم فيها المشربيات والسجاجيد الشرقية الخ .

وعاد الى القاهرة عام ١٨٧٣ ليجمع مادة جديدة للوحاته ، وقابل خديوى مصر بتقديم أمير ويلز . وظل مقيماً بالقاهرة حتى أوائل عام ١٨٧٤ ، وظل يرسم ويعمل دون كلل ، حتى قرر أن يعتزل عام ١٩٠٣ ، وتوفى بعدها باثنى عشر عاماً ، عام ١٩١٥ .

لقد عرض «هاج» أعماله خلال حياته فى معارض ومتاحف عديدة ، ضمت أكثر من أربعمائة من رسومه . وحصل على كثير من الميداليات والجوائز فى لندن وباريس وبرلين وفيينا ، وتتناثر أعماله فى العديد من المتاحف . فى بريطانيا وحدها توجد فى متحف بلاكبيرن ، ومتحف بريستول ، ومتحف مانشستر ، ومتحف فكتوريا ومتحف ألبرت بلندن ، وهناك مجموعة بقلعة وندسور .



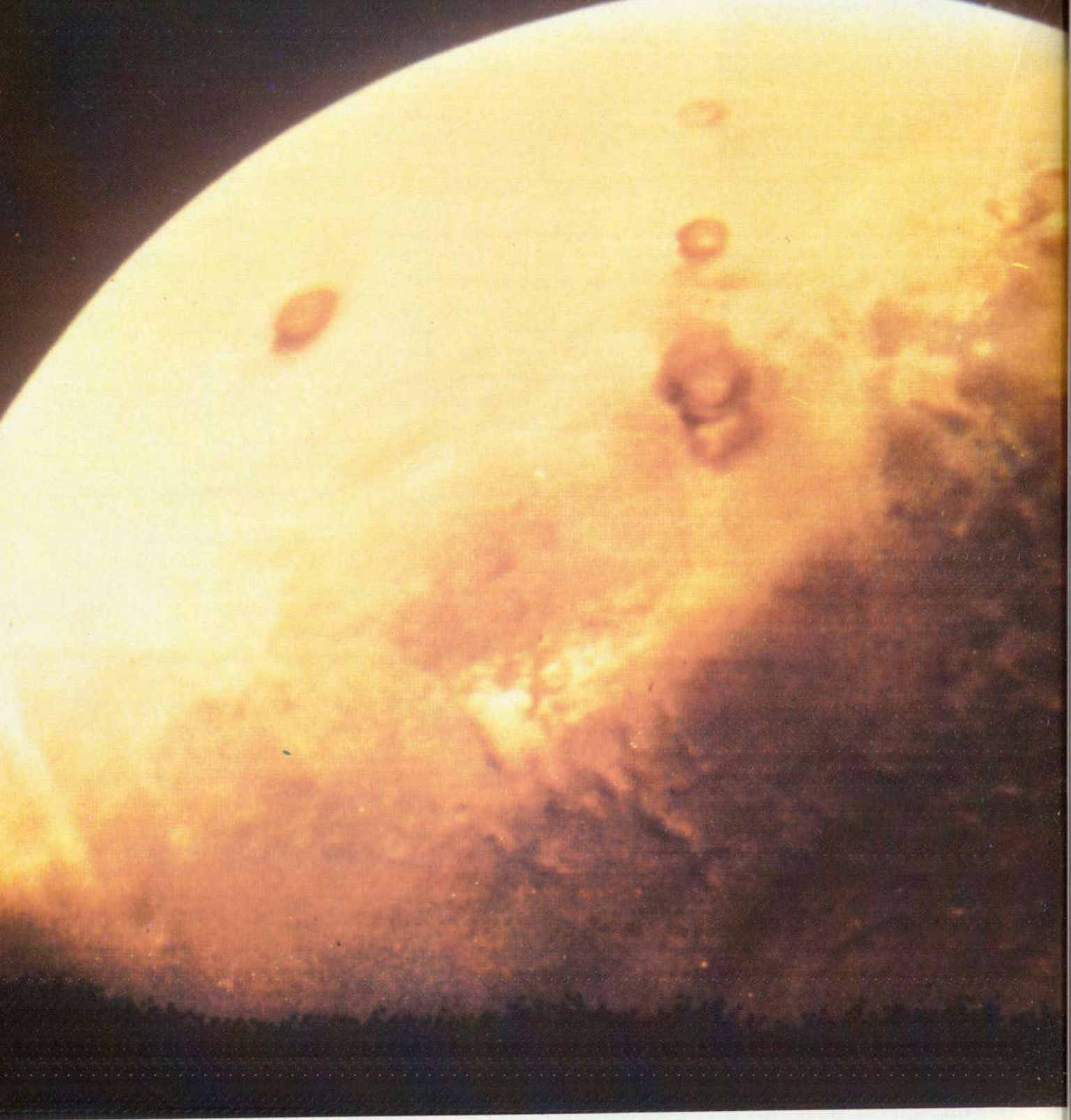
صور نادرة من الفضاء

المرّيخ..

هو الكوكب الوحيد الذي يمكن أن يستقرّ عليه الإنسان

في الدوران الأبدى لكوكبى الأرض والمريخ حول الشمس ، تسنح الفرصة مرة كل ٧٨٠ يوماً ، لاطلاق سفن الفضاء من الأرض نحو كوكب المريخ . ويطلق الفلكيون على هذه الفترة اسم «النافذة المطلة على المريخ» ، وهى الفترة التى يستفيد فيها العلماء من وجود المريخ فى أقرب نقطة من مداره الى الأرض . وتدوم هذه الفترة ثلاثة أشهر .

بدأ العالم يستفيد من هذه النافذة لأول مرة فى أول نوفمبر ١٩٦٢ ، حين أطلق الاتحاد السوفيتى صاروخاً ضخماً فى مدار حول الأرض ، أرسلت بعدها إشارة لاسلكية من إحدى المراكز الأرضية ، فاندفعت سفينة الفضاء «المريخ ـ ١» (وزنها ٨٩٣,٥ كيلو جراماً) من هذا الصاروخ نحو الكوكب الأحمر . لكن هذه المحاولة الأولى باءت بالفشل ، بعد قليل ، إذ فقد العلماء



لقطة مثيرة للمريخ على بعد ٥٦٠ الف كيلومتر ، ويظهر بركان « الاوليمب » فى قمة الصورة .. وتظهر كذلك جبال « نارسيس » وهى سلسلة من ثلاثة براكين اخرى ! .

السوفيت اتصالهم بالسفينة ، لاسلكياً بعد أن كانت قد وصلت الى مسافة ١٠٦ كيلو متراً من الأرض ، وبعد أن اتصلوا بها ٦١ مرة ، نقلت خلالها معلومات ثمينة عن الفضاء البينكوكبى حولها .

وتوالت المحاولات بعد ذلك .

أطلق العلماء الأمريكيون سفينة الفضاء «مارينر ٣» فى نوفمبر ١٩٦٤ ، وكان برنامجها طموحاً . كانت ستمر بالقرب من المريخ وتسجل الاشعاعات والمجالات المغناطيسية والشهب الدقيقة التى تسبح فى الفضاء البينكوكبى حول المريخ ، وتلتقط صوراً للكوكب ، وتقيس الضغط الجوى . لكن العلماء فقدوا الاتصال بالسفينة بعد إطلاقها بتسع ساعات فقط ، وبدا أن المشروع الطموح قد أصابه الفشل .

وبدأ سباق رهيب للانطلاق نحو المريخ .

أطلق العلماء الأمريكيون سفينة الفضاء «مارينر ٤» فى ٢٨ نوفمبر ١٩٦٤ من قاعدة كيب كيندى ، ثم فقدوا الاتصال بها هى أيضاً . عندئذ أطلق العلماء السوفييت سفينة الفضاء «زوند ٢» فى ٣٠ نوفمبر ١٩٦٤ نحو المريخ . واصبح من المؤكد أنها ستكون أول سفينة من صنع بنى البشر تصل الى المريخ . لكن حدث امر غريب .. فقد العلماء السوفييت اتصالهم بالسفينة «زوند ٢» بعد عدة أشهر من اطلاقها ، وكان

صور نادرة من الفضاء

المرّيخ..

هو الكوكب الوحيد الذي يستقرّ عليه الإنسان

من المفروض أن تصل الى المريخ فى يوليه ١٩٦٥ . وصحح الأمريكيون مسار «مارينر ٤» بعد أن استعادوا اتصالهم بها ، فكانت أول سفينة فضاء «أرضية» ، تصل الى المريخ .

وقد أطلقت كل سفن الفضاء التى ذهبت لغزو المريخ من الأرض ، من أقمار صناعية انطلقت الى مدارات حول الأرض ، بعد أن ثبت أن هذه هى الطريقة المثلى ـ علمياً واقتصادياً ـ ذلك انه لو انطلقت السفينة من الأرض مباشرة لاحتاج الأمر أن تكون سرعتها ١١,٢ كيلومتراً فى الثانية . أما لو أطلقت من قمر صناعى يدور فى مدار حول الأرض ، فلن تزيد سرعة إطلاقها من هناك عن أربعة كيلومترات فى الثانية ، لانه عند هذه المسافة تتضاءل قوة جاذبية الأرض الى حد كبير .

الكوكب الغامض

هكذا كان المريخ أول كوكب من كواكب المجموعة الشمسية تنطلق اليه سفن الفضاء الأوتوماتيكية من الأرض ، وبذلك سيكون أول كوكب يغزوه رواد الفضاء ليضعوا أقدامهم على تربته بعد أن يتم غزو القمر تابع الأرض .

فما الذى يحمله هذا الكوكب بين أضلعه من أسرار ؟

أطلق القدماء اسم «مارس» على هذا الكوكب . ومارس هو سيد الحرب عند الرومان . وأول مرة ارتبط اسم الكوكب بالدمار كان عند البابليين منذ ثلاثة آلاف عام مضت ، حيث أطلق عليه الفلكيون اسم «نيرجال» سيد الموت والطاعون عندهم . أما قدماء اليونانيين فقد أطلقوا عليه اسم « أريس » وهو سيد المعارك عندهم . كل هذا بسبب لونه الأحمر فى السماء . وفى القرن العشرين زود كوكب المريخ ، كتاب القصص الخيالى العلمى بمادة غزيرة عن غزو الكواكب وسكان الكواكب الأخرى ، فانتجت عشرات الأفلام فى السينما والتليفزيون فى الأربعينات وما بعد ذلك .

ويبلغ قطر المريخ حوالى نصف قطر الأرض ، وكتلته $\frac{1}{10}$ كتلتها . وبهذا لا تزيد جاذبيته عن ٣٨٪ من جاذبية الكرة الأرضية . وكل هذه الظروف الطبيعية تجعل من الصعوبة بمكان أن يوجد حول المريخ غلاف جوى كبير ، كما هو حال «الغلاف الجوى» حول الأرض . ويتكون غلافه الجوى أساساً من غاز ثانى أكسيد الكربون الذى تسرب ببطء من قشرة الكوكب وباطنه خلال فترة وجوده منذ ميلاده . وأكدت الوسائل السبكروسكوبية وجود بخار الماء وغاز أول أكسيد الكربون ولكن بكميات ضئيلة للغاية . ورغم أن الغلاف الجوى «رقيق» بالمقاييس الأرضية إلا أن هناك سحباً تتغير خلال فصول السنة ، وتتحرك بسرعات كبيرة بالنسبة لسحب الغلاف الجوى الأرضى .

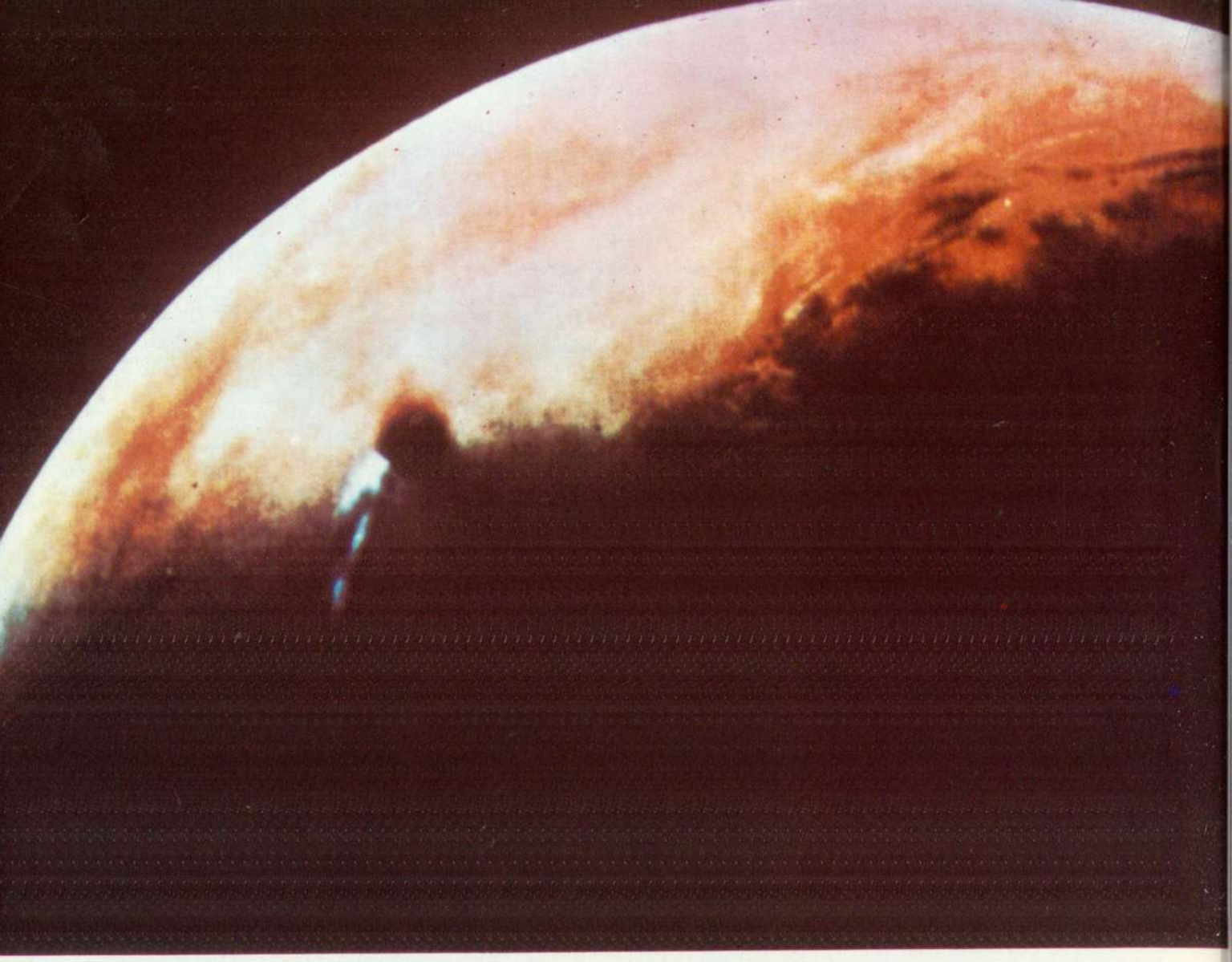
كان كوكب المريخ لغزاً بالنسبة للفلكيين القدامى ، الذين حيرتهم حركته المربكة فى السماء ، الى أن حل جوهان كيلر هذه المسألة عام ١٦٠٩ الذى وضع قوانين حركته ، وبهذا شق الطريق أمام نظرية الجاذبية الحديثة للمجموعة الشمسية . وقال كيلر : «... إن كوكب المريخ وحده يمكننا من اختراق أسرار الفلك ، وبدون هذا كان سيظل مغلقاً علينا» .

لقد لعب كوكب المريخ دوراً رئيسياً فى تطور «علم الفلك الكوكبى» أى الخاص بالكواكب . لقد ظل فى دائرة الجدل بخصوص وجود حياة على سطحه . وانطلقت اليه العديد من سفن الفضاء الأوتوماتيكية . ومنذ إطلاق السفن الأولى ـ التى تحدثنا عنها فى بداية هذا المقال ـ والمعلومات تتجمع . ويقول العلماء ان المعلومات التى تجمعت منذ الستينات تفوق كل المعلومات التى تجمعت حوله منذ وجه الفلكيون أرصادهم نحوه .

هناك الكثير من المسائل التى حسمتها المعلومات والصور التى أرسلتها سفن مارينر ٤ و ٦ و ٧ ، ثم الفايكنج التى حطت بهدوء على سطح الكوكب : فايكنج الأولى ثم الثانية . وقد تكلف مشروع فايكنج الأمريكى وحده ألف مليون دولار .

رحلة «مارينر ٤» على سبيل المثال انتهت بنجاح فى ١٤ يوليه ١٩٦٥ ، وكانت قد بدأت فى ٢٨ نوفمبر عام ١٩٦٤ ، أى أنها استغرقت ٢٢٨ يوماً قطعت فيها ٥٢٦ ألف كيلومتراً ، بخطأ لم يزد عن ٠,٠٠٣٪ ، وكان مسارها يصحح باستمرار من المحطات الأرضية لتصل الى هدفها المرسوم . وعندما أصبحت السفينة على بعد ١٦ ألف كيلومتر من الكوكب انطلقت الأوامر من الأرض ، تأمرها بالتقاط الصور . سافر الأمر عبر الفضاء بسرعة الضوء ليصل الى السفينة بعد ١٢ دقيقة ، فالتقطت آلات التصوير المثبتة بها ٢١ صورة نقلتها كلها إلى الأرض بنجاح ، هذا بالاضافة إلى المعلومات التى ترسلها باستمرار . وعندما عبرت السفينة الكوكب ، اخترقت اشاراتها الغلاف الجوى للمريخ لتصل الى الأرض ، ودلت قياساتها على أن جو المريخ أخف ـ على الأغلب ـ من جو الأرض ٥٠ مرة ، أى مثل جو الأرض على ارتفاع ٣٠ كيلومتراً من سطحها . وكبرت كل الصور التى التقطتها ليدرس العلماء فى كل منها ٤٠ ألف نقطة ! ومنذ أكثر من ثلاثة قرون شاهد جاليليو القمر أكبر ٣٠ مرة مما تراه العين البشرية ، عندما وجه أول منظار الى سطحه . كانت هذه بداية ثورة فى علم الفلك . أما صور مارينر فقد كبرت سطح المريخ ٣٠ مرة من أكبر مناظير القرن العشرين على سطح الأرض ، وكانت هذه هى الثورة الثانية فى علم الفلك .

أما الفايكنج فكانت أعظم انجاز فى



هذه الصورة التقطتها سفينة الفضاء الامريكية « فايكنج الأولى » لكوكب المريخ ، وهي تبين الفجر فوق سطح المريخ ! .

تاريخ الفلك قاطبة ، ذلك أن كل سفينة دارت حول المريخ وأخذت ترسل الصور والمعلومات من على بعد ١٥٠٠ كيلومتراً فقط . ثم أرسلت من كل منها سفينة صغيرة لتحط على سطحه بهدوء ولتستمر فى الارسال الى الأرض .

هل هناك حياة ؟

ظلت مسالة الحياة على المريخ تشغل بال العلماء . اعتقد بعضهم أن الكوكب الوحيد فى المجموعة الشمسية ـ غير الأرض ـ الذى قد نجد به شكلا من أشكال الحياة .

بدأ الجدل والمناقشات حول هذا الموضوع منذ أكثر من قرنين ونصف قرن . فبعد أن وجه جاليليو منظاره الى السماء بعدة سنوات ، أعلن جيوفانى شيابارياللى ، الذى كان يعمل بمرصد ميلانو ، عن رؤيته لقنوات على سطح المريخ ، وقال انها قنوات صناعية شقتها كائنات حية عاقلة . لقد شق الفلاح المصرى قناة السويس ، وطولها ١٦٠ كيلومتراً فى عشر سنوات . أما طول هذه القنوات المريخية فيصل الى ١٦٠٠ كيلومتراً . كان معنى هذا أن هناك جنساً راقياً ـ ربما أكثر رقياً من الجنس البشرى ـ يعيش فى المريخ ، شق مهندسوه تلك القنوات .

كان هناك علماء مشهورون يؤمنون بوجود كائنات حية وعاقلة تعيش على المريخ . بعضهم وضع مشروعات للاتصال « بهم لويل » على سبيل المثال شيد عام ١٨٩٤ مرصداً ضخماً وأعلن : « ان أهل المريخ يستحقون هذه التكاليف» وحاول تشارلس كروسن أن يقنع الحكومة الفرنسية بان تسمح له بتشييد مرآة مقعرة ضخمة ليستخدمها فى إرسال إشارات الى أهل المريخ . وافترض العالم الرياضى الشهير كارل جاوس أن الخطوط المتقاطعة التى تشكلها الغابات وحقول القمح الشاسعة فى سيبيريا تأخذ أشكالا هندسية ، تماماً كما تشكل قنوات المريخ أشكالا هندسية ، صفراء اللون على أرضية سوداء .

وكان الفلكى الفرنسى انتوينادى أول من هاجم نظرية القنوات الصناعية ، واثبت أنها ليست خطوطاً ، وإنما نقطاً صغيرة ، وإن كان الناظر اليها يراها خطوطاً كاملة . وهاجم علماء آخرون فرض شيابارياللى ، ودعموا قولهم بأن الغلاف الجوى للمريخ يتكون أساساً من غاز ثانى أكسيد الكربون وليس به الأوكسجين عصب الحياة العاقلة ـ التى نعرفها على الأقل ـ وبهذا فان جو المريخ طبقاً لمفاهيمنا «البشرية» غير مناسب على الاطلاق لتطور حياة عاقلة على سطحه .

ورغم ذلك فان العلماء الذين يختلفون حول وجود «حياة عاقلة» على المريخ ، يقولون بامكانية وجود شكل من أشكال الحياة الأدنى . وقام العالم الأمريكى سينتون بابحاث هامة ودراسات طيفية ، قال بعدها بامكانية وجود مركبات ايدروكربونية ، وقد يعنى هذا امكانية وجود بعض الكائنات الحية الدقيقة .

صور نادرة من الفضاء

المريخ..

هو الكوكب الوحيد الذي يمكن أن يستقر عليه الإنسان

هل حلت الألغاز

وقد حسمت الكثير من القضايا والفروض التى اثارت جدلا مازال قائما حول الغاز المريخ ، وخاصة بعد رحلتى الفايكنج الأولى والثانية . وستظل المعلومات عن المريخ وغيره من الكواكب تتدفق الى ما لا نهاية ، لانه لا نهاية للمعرفة ، وهو ما عبر عنه العالم الأمريكى جيرالد صوفين ، احد المسئولين عن مشروع فايكنج عندما قال :

ـ «كم مرة وصل كولمبوس الى هدفه ؟ مرة واحدة فحسب ! اما نحن فسنصل عدة مرات ، وهذه هى «مرتنا» الأولى.»

لقد اختلفت صورة المريخ الحقيقية عن الصورة التى رسمها كتاب القصص الخيالى العلمى ، هـ ج . ويلز ، وادجار رايس بوروز ، وراى برادبورى وغيرهم . غير أن بقايا من هذه الصورة مازالت موجودة فى أذهان الناس حتى الآن ، تلهب خيالهم : صورة سكان المريخ ذوى البشرة الحمراء والعيون الذهبية . ومازال هناك من «يؤمن» بوجود «حياة عاقلة» على سطح الكوكب ، وان البشرية ستتصل بها ... يوما ما . لقد تحولت هذه التصورات الى حقيقة عند بعض الأمريكيين ، ما لبثت أن أدت الى يقين ، ثم الى ظهور بعض «المذاهب» و «الشيع» المؤمنة بهذا ، ويشكل جزءاً من طقوسها .

اعتقد العلماء إذن ، أنهم على وشك الوصول الى حل الغاز الكوكب بمشروع «الفايكنج» . فموضوع الحياة وشكلها على المريخ ، لم يكن هو «لغز» الكوكب الوحيد . فالمعلومات والأرصاد التى جمعها العلماء على مدى عشرات العقود عن هذا الكوكب ، كانت محيرة للغاية ، بل ومتناقضة ، أثارت كل منها الجدل والخلافات . وكان من المنتظر أن تحل الفايكنج العديد من المشاكل ، وتحسم الكثير من الجدل الدائر . لكن «فايكنج الأولى» ، زادتهم حيرة وتناقضاً ، وبالذات حول القضية الأساسية الا وهى مسألة الحياة على المريخ ، حتى لقد قال العلماء الأمريكيون ، «إن المريخ يمارس معنا لعبة الاستغماية» ، ذلك أن احتمالات الحياة عليه ظلت تتارجح ، دون أن يتأكد وجودها بشكل حاسم .

وذكر الدكتور هارولد كلاين رئيس فريق علماء البيولوجيا تعقيباً على نتائج التحليلات التى أرسلتها «فايكنج الأولى» :

ـ «إننى مندهش . انها نتائج رائعة لاشك فى ذلك ، لكن حتى يمكننا أن نقطع برأى حول احتمالات وجود حياة على سطح الكوكب ، لا نملك سوى نصف المعلومات التى نريدها . إن ما أود أن أؤكده ، هو اننا لم نكتشف بعد وجود حياة على المريخ ، ولكن ما ينبغى أن نضعه فى الاعتبار ، هو أن المعلومات التى لدينا ، حافلة باحتمالات ذات أصل بيولوجى» .

ما هى الحقائق الجديدة التى جمعتها «الفايكنج» ؟

● يحتوى الجو المحيط بالكوكب على كمية من بخار الماء ، تكفى لتكوين طبقات رقيقة من الثلج على سطح سفينة الفضاء .

● أعلن متحدث باسم معمل الفضاء الأمريكى أن القراءات الماخوذة من اجهزة التحليل الطيفى (داخل السفينة) عن درجات الحرارة وكمية بخار الماء على الكوكب ، لا تتطابق مع النظريات السابقة المعروفة لدى العلماء .

● أعلن فريق العلماء المشرف على الرحلة أن جو المريخ يحتوى على ٣٪ من النيتروجين ، وهو أحد الغازات المكونة للحياة . وقال الدكتور مايكل ماكلورى أستاذ الفضاء بجامعة هارفارد ، ان المعلومات تشير الى أن المريخ كان يتمتع بجو مشبع بالنيتروجين منذ مليارات السنين ، وأن النسبة الموجودة به حالياً ـ وإن كانت تبدو ضئيلة مقارنة بجو الأرض (٧٨ ٪) ، إلا أن جو المريخ قادر على تفتيت هذه النسبة الى ذرات نيتروجين ، وهو الشكل الذى تحتاج اليه الكائنات الحية . ذلك أن نسبة ٣٪ من ذلك الغاز ، كافية لوجود الحياة ، إذا ما كانت بقية الظروف مواتية .

● يشير وجود غاز الأرجون فى جو المريخ بنسبة ١,٥ ٪ ، الى أن الكوكب كان يتخلص من الغازات الموجودة فى باطنه الساخن ، بمعدل أقل ٢٥ مرة من الأرض . كما يشير الى أن المريخ فقد كمية من الماء ٢٥ مرة عما فقدته الأرض منها .

● إذا كان المريخ يحتوى على كل هذه الكمية من الماء . فان معنى هذا انه يختزن كميات هائلة منها تحت سطحه .

ما رأى العلماء فى هذه الحقائق الجديدة ؟ وما معناها ؟

قال الدكتور هارولد كلاين :

ـ «إننى لا أرى سبباً لاستبعاد وجود حياة فوق المريخ . ليس بالضرورة أن تكون نوعاً من النباتات أو الأشجار أو الحيوانات وإنما قد تكون نوعاً من الميكروبات فى التربة ، أو حتى كانت أكثر تطوراً من الميكروبات !» .

وقال الدكتور فاروق الباز العالم الجيولوجى :

ـ «إذا وجدت الحياة على المريخ ، فستكون غريبة علينا ، إذ أتوقع أن نشاهد أنواعاً من الحياة لكائنات دقيقة ، كالميكروبات . ان المعدات والأجهزة فى «الفايكنج» ، تشير الى أن هناك ماء على سطح المريخ ، كذلك الى وجود أنهار ومجارى ماء . وإذا وجد الماء ... وجدت الحياة» .

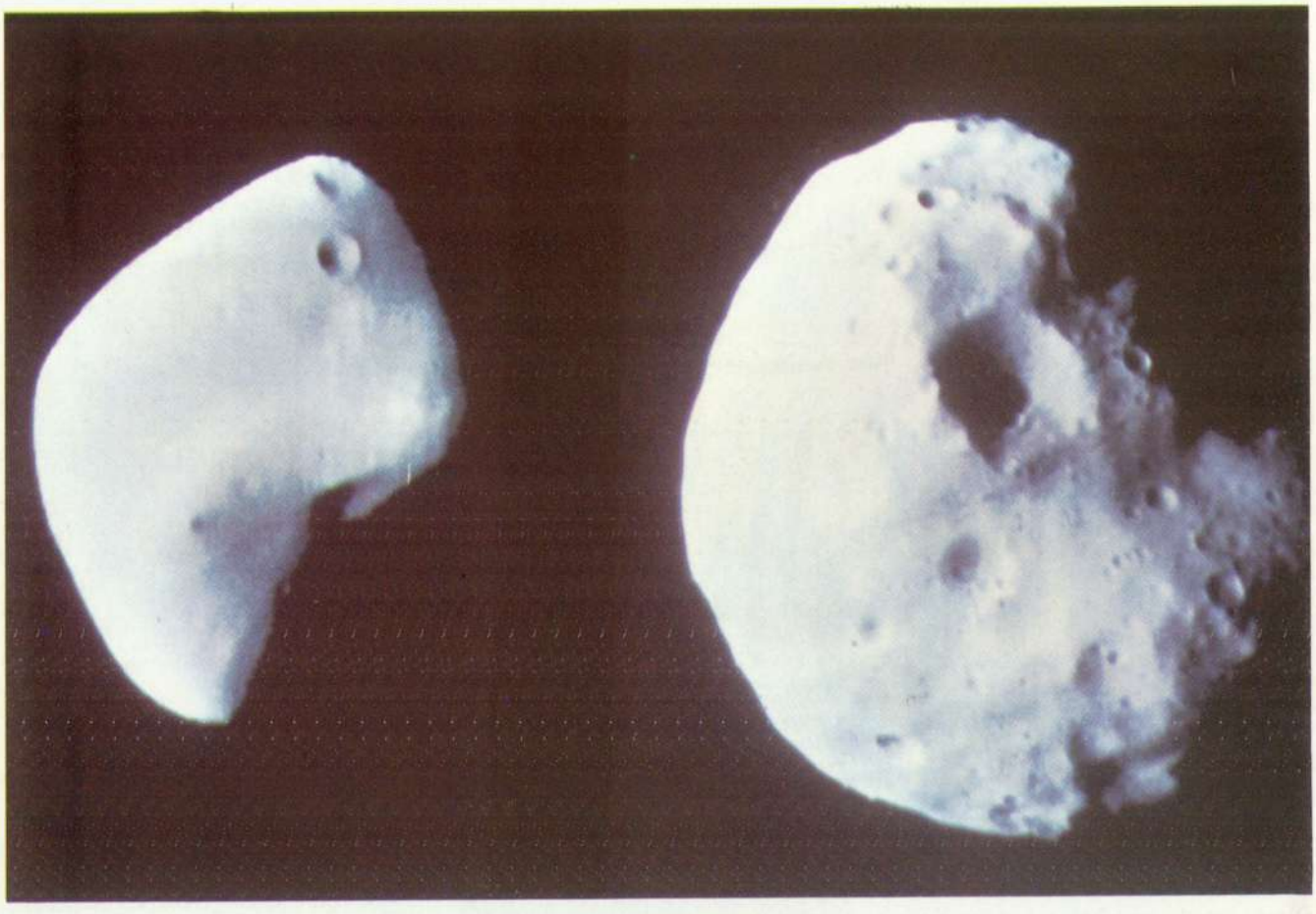
وقال الدكتور جيلبيرت بيفين عضو فريق البحوث البيولوجية فى باسادينا :

ـ «أثبتت تجارب الغازات ، أنه مع تسخين تربة المريخ ، خرج غاز الأوكسجين بنسبة تزيد عما توقعناه ١٥ مرة . وربما كان هذا بسبب صدمة السائل على تربة المريخ أثناء اجراء التجربة . وقد يكون إشارة هامة لوجود الحياة على سطح الكوكب . وإذا ما تحقق هذا ، فهو ثورة علمية» .

«الخوف» و «الفزع»

لكن مازال هناك الكثير الذى يجب أن نكشف عنه من أسرار ذلك الكوكب الغامض وضمن هذه الألغاز ، قمرا المريخ . فاذا كان لأرضنا قمر واحد هو «القمر» ، الذى يبعد عنها ٣٨٤ الف كيلو متر ويبلغ طول قطره ٣٤٥٣ كيلو متراً ، فهو تابع كبير الحجم بالنسبة لقمرى المريخ .

وقد اطلق على هذين القمرين اللذين اكتشفا عام ١٨٧٧ م اسم «فوبوس» (التى تعنى «الفزع») و «ديموس» (التى تعنى «الخوف») . وفوبوس هو الأقرب الى المريخ والأكبر فى نفس الوقت ، ومع ذلك فقطره لا يزيد عن خمسين كيلومتراً ، ولا يبعد عن كوكبه المريخ باكثر من تسعة آلاف كيلومتر. وهو يدور حوله مرة كل ٧ ساعات و ٣٩



صورة نادرة لقمري المريخ واللذين يطلق عليهما : الخوف ، والفزع !

دقيقة . وهذه فترة قصيرة ، وهى تعنى أن «فوبوس» يدور حول المريخ مرتين كل يوم «مريخى» . وهكذا ، فانه إذا قدر لرائد فضاء أن «يعسكر» على سطح المريخ ، فانه سيشاهد «شروق» فوبوس ، مرتين كل يوم «مريخى» وسيشاهد غروبه مرتين أيضاً بطبيعة الحال .

أما «ديموس» الأخ الأصغر «لفوبوس» ، فلا يزيد قطره عن ١٦ كيلومتراً ، ويبعد عن المريخ ٢٣,٢٠٠ كيلومتراً .

ولم يكن العلماء ، يعرفون الكثير عن القمرين حتى رحلات «مارينر» و «فايكنج» ، وقد عرفوا أن شكلها غير منتظم ، ويملأ سطحهما حفر وشقوق وفوهات . وأدى صغرهما وقربهما من المريخ وعدم انتظام دورانهما مع دوران بقية أفراد المجموعة الشمسية ، أدى ببعض العلماء الى القول بانهما قمران صناعيان ، وقد ثبت أن هذا غير صحيح بطبيعة الحال ، إذ معنى هذا أن هناك كائنات حية عاقلة متقدمة تكنولوجياً عن الجنس البشرى ، قد أطلقتهما ، كما أطلق علماء الأرض أقماراً صناعية حول الأرض ، ابتداء من أكتوبر عام ١٩٥٧ .

لكن هناك بعض العلماء من يعتقد بانهما من النجيمات التى تدور فى حزام حول المريخ ، ذلك الحزام الذى تدور فيه وتتحرك آلاف الجسيمات الصغيرة ، وخلال حياة المريخ منذ ولادته ، استطاع فى فترة ما أن يجذبهما اليه .

وعلى أى الأحوال ، فالذى لاشك فيه ، أن البشرية ستستخدم هذين القمرين كمحطتى فضاء لرواد الأرض عندما يقومون بغزو المريخ ، إذ يسهل هذا كثيراً مشكلة الهبوط على سطح المريخ . ولايشك العلماء ومنهم باتريك مور ، فى أنه فيما لو استقرت البشرية على كوكب آخر ، وانشأت حضارتها التى ستتطور على سطحه ، فالذى لاشك فيه أن هذا الكوكب لن يكون غير المريخ .

لندن ـ مجدى نصيف

المراجع

1. Encyclopaedia Britanica. الجزء ١١
2. Samuel Glasstone : The Book of Mars, NASA SP-179, 1969.
3. N. W. Cunrinfham & H. M. Schurmeier : Mariner - Mars 1969. Preliminary Report, NASA SP-225.
4. R. B. Leighton : The Surface of Mars - Scientific American 222 : 10, 26-41, 1970.
5. Arthur Koestler : The Sleep-walkers. A History of Mars Changing Vision of the Universe. 1959.

٦ ـ أصل الأرض والكواكب ـ تاليف ب . ليفين ـ ترجمة مجدي نصيف ـ دار الكاتب العربي ـ القاهرة ـ ١٩٦٦ .

مات رجل
وعاشت نظرية

د. عبد المحسن صالح

أشباه الإنسان :
لوسي والولد الغالي

بينما كان دكتور لويس ليكى يعانى من حمى الزمته سريره فى خيمة منصوبة بالعراء ، سمع صوت عربة «جيب» آتيا من بعيد على غير المتوقع ، فتوجس خيفة ، إذ خرجت زوجته مارى منذ ساعتين الى منطقة معزولة لتنبش الجبال علها تبوح بما يتوقان اليه من أسرار ، وعودتها غير المتوقعة قد يكون من ورائها مصيبة أو لدغة حية ، وعندما توقفت العربة قرب الخيمة ، سمع زوجته تصرخ باعلى صوتها «لقد حصلت عليه .. لقد وجدته» !

وقبل أن تلج مارى الى الخيمة ، قفز هو من سريره من هول الفرحة ، فالذى «حصلت عليه» زوجته لابد وأن يكون الانسان البدائى ، أو الحلقة المفقودة بين الانسان والقردة العليا .. وصح ما توقعه .

المكان .. اخدود ضيق يعرف باسم اخدود «اولدوفى» فى تانزانيا ، والزمان احد ايام يوليو عام ١٩٥٩ ، و «الكنز» الذى وقع عليه الزوجان هو «الولد الغالى» ، أو هكذا وصفاه ، لأنهما كانا يترددان على هذه المنطقة منذ الثلاثينات من هذا القرن ،وظلا ينبشان فى طبقات الجبال ، طيلة ربع قرن من الزمان ، ولقد عثرا على حفريات كثيرة من حيوانات منقرضة ، لكنهما لم يجدا أى اثر لأشباه الانسان ، ومع ذلك تحليا بالصبر ، ولم يفقدا الامل ، واخيراً تحقق الأمل الغالى فى الولد الغالى .

المهد الأول للأسلاف

واحياناً ما تلعب الصدفة دوراً هاماً فى الكشوفات العلمية ، خاصة اذا كان ذلك



بعثة التنقيب عن اسلاف الانسان ، وترى دكتور ليكي وقد استلقى ارضاً لينبش فى الارض بعد ان وجد بقايا عظام متحجرة ، عليه يحصل عليها بحالة جيدة فيعيدها الى اصولها .

يستلزم البحث عن أثر فى أخاديد وجبال وتلال وما شابه ذلك ، فكأنما الانسان هنا يبحث عن ابرة فى كومة كبيرة من القش ، وقد يجدها ـ لحسن حظه ـ بعد وقت قصير ، أو قد يجدها بعد عناء شديد ، أو ربما لا يجدها على الاطلاق .

لقد ظل الزوجان يبحثان سنين طويلة دون جدوى ، لكن «الولد الغالى» هو الذى اعلن عن وجوده ، إذ برز منه جزء صغير لفت نظر مارى بينما كانت تتسلق منحدراً ، لكن الصدفة قد تمر دون أن يتحقق الغرض ما لم يصاحبها شىء من قوة الملاحظة ، وتقدمت مارى وركعت على ركبتيها ، وبدأت فى النبش حول الجزء الذى ظل مدفوناً حقباً طويلة ، لكنه برز بفعل عوامل التعرية الى أن يعلن عن نفسه لمن يستحقه .. ولقد عرفت مارى أنها تتطلع الآن الى جزء من جمجمة متحجرة ، لكن لمن تكون ؟ .. وما عمرها ؟ .. انها لا تعرف ، إذ لابد من «تحريات» علمية هادفة ، قبل أن يستنتج الانسان شيئاً .

ولقد هدتها بصيرتها أن تنبش قليلا حول الجمجمة ، علها تكشف جديداً ، وبالفعل وجدت ضرسين شبه آدميين ، ولم تستطع صبراً ، فانطلقت الى زوجها لتزف البشرى ، ونسي الرجل مرضه ، وانطلق عائداً مع الزوجة الى حيث تكمن الجمجمة وجلسا أمامها وأمام الضرسين ، وبحرص شديد التقط هو ضرساً ، وهى الضرس الآخر ، ونظرا .. ثم نظرا ، وبعدها تلاقت عيناهما ، ولندع لويس ليكى يعبر بنفسه عن هذه اللحظة فيذكر «ونظرت الى مارى ، ونظرت إلي ، وعندئذ انطلقت صيحاتنا وصراخنا المصحوبين بالفرحة الكبرى ، وكأنما قد اجتاحت نفسينا عواطف جامحة لا تتأتى إلا نادراً فى الحياة ، فاخيراً حققنا هدفنا بعد طول رجاء وتضحية وعناء ، لقد توصلنا الى الكشف عن أقدم انسان معروف للعلم» !





الصورة العليا جزء من اخدود اولدوفي بتنزانيا حيث عاش نوع من اسلاف الانسان ، والصورة السفلى توضح الموقع الذي اكتشف فيه كل من دكتور لويس ليكي وزوجته العظام المتحجرة « للولد الغالي » أو الكائن القرد الذي عاش هناك منذ حوالي مليوني عام .

وطبيعي انهما لم يحملا الضرسين وقطعة الجمجمة البارزة ، ويتركا المكان ، بل ظلا في الموقع ١٩ يوماً ، وبمساعدة من رجال المنطقة غربلا اطناناً من فوق اطنان من الحصى والرمال التي كانت تكمن عند قاع التل ، فلعلها تحوي بقايا من عظام هذا «الغالي» ، إذ ربما تكون قد انفصلت وتدحرجت واختفت .. المهم انهما حصلا على اكثر من ٤٠٠ قطعة ، وهنا يبدأ العمل الحقيقي ، والصبر الجميل ، والمعرفة بكل التفاصيل ، حتى يمكن ان يتحول هذا الشتات المتناثر الى شيء متكامل ، يمكن تصنيفه ووضعه في مكانه الصحيح بين الكائنات .

ولقد تمخض كل هذا ـ باختصار شديد ـ عن وجود كائن يمشي على قدمين .. مخلوق لا هو قرد ولا هو انسان ، وإن كان اقرب الى الانسان منه الى القرود ، ولقد تبين بعد ذلك من فحص الاسنان ، ان «الولد العزيز» كان يبلغ من العمر حوالي ١٨ عاماً ، وانه قد جاب هذه المناطق من شرق افريقيا مع قومه اشباه الانسان منذ حوالي مليون ونصف مليون عام ، ويبدو ـ من دراسة هذه المنطقة ـ ان هذه المخلوقات كانت تعيش حول بحيرة قديمة ، ثم غاض ملؤها وجفت ، ولقد تركت آثاراً تنم عن جانب متواضع من الحياة التي عاشوها في الأزمنة الغابرة ، ثم دفنت وحفظت ، وبعدها برزت بعوامل التعرية ، أو بالتنقيب الذي يقوم به الانسان بحثاً عن اصله ونسبه ، ويبدو انها كانت انساباً غير مشرفة ، لأن الخلف يستنكف ما عاش عليه السلف ، فهذه الكائنات قد اكلت السحالي والضفادع والفئران والجرذان والحيات والطيور والخنازير .. الخ .

لكن .. كيف عرفنا انهم اكلوا ما اكلوا ، رغم اننا لم نشهد حياتهم ولا طعامهم ؟

وهذا سؤال وجيه ، فنحن حقيقة لم نشهد ، لكن الآثار تشهد ، إذ كانت بعض عظام الهوام والحيوانات التي اكلوها موجودة في مناطق محددة ، لكنها متفرقة ، واقرب تصور لذلك هو ما قد نراه نحن الآن في الأماكن الخلوية المعزولة من بقايا زجاجات ومعلبات وطعام تركته مجموعة من الناس حول المعسكر الذي كانت تقيم فيه .. صحيح انهم هجروا المكان ، لكن الآثار التي تركوها تنم عن وجودهم ، وتفصح عما أكلوه وشربوه ، ثم لو تهيأت الظروف ودفنت هذه الاشياء في طبقات الأرض وحفظت كما هو الحال مع الحفريات القديمة لعشرات الآلاف من السنين ، ثم جاء الخلف لينقبوا عما تركه السلف ، لقالوا ان اسلافنا مثلا قد عرفوا المعلبات والمشروبات الغازية والروحية .. الخ منذ ثلاثين الف عام ، هذا لو حدث التنقيب بعد ثلاثين الف عام من الآن !

ويذهب العلماء الى استقراءات اخرى ابعد من ذلك ، فيذكرون ضمن ما يذكرون أن هذه المخلوقات البدائية شبه البشرية كانت متواضعة الادراك ، ويرجع ذلك الى عدة اسباب ، منها مثلا انها استخدمت ادوات صخرية بدائية (وجدت ايضاً مع بقايا العظام التي تركتها بعد ان نهشت لحم الصيد) لتعالج بها صيدها ، اي لابد ان تكون قد استخدمت ايديها اكثر من عقولها ، ولو حدث العكس ، لاستطاعت ان توقع الحيوانات الأكبر حجماً ، والأغنى لحماً في حبائلها ، ودليل ذلك ان العظام الموجودة ، كانت جميعاً لصغار الحيوانات وليست لكبارها ، عدا عظام نعامة صغيرة ، كما ان اشباه البشر هؤلاء كانوا ياكلون اللحم نيئاً بدليل انه لم توجد اي آثار لرماد إذ لم يكونوا يعرفون كيفية استخدام النار.

ولابد من وضع اسم لهذه المخلوقات .. اي تحديد جنسها ونوعها ، وكان ان اختار ليكي وزوجته اسم «زنجانثروباس بواساي» وزنج كلمة عربية اطلقها العرب قديماً على السكان الحاليين لهذه المنطقة ، وهي التي ننطقها «زنجي» وانثروباس تعني في اللاتينية اشباه الانسان (واحياناً الانسان) وبواساي ترجع الى رجل اعمال انجليزي اسمه «تشارلز بواس» ، اعترافاً بفضله في التمويل المالي لاجراء هذه البحوث .

ولنترك هذا الكشف الى حين ، لنتعرض الى كشف آخر جديد ، كان له صدى واسع

أشـــباه الإنســـان :

لوسي والولد الغالي

بين العلماء خاصة ، والمهتمين بهذه الكشوفات عامة .

قصة فتاة اسمها لوسى

لقد كان اول لقاء لكاتب هذه الدراسة مع «لوسى» بمنزل طبيب مصرى استضافه فى بيته الواقع بناحية بوسطن الامريكية ، وكانت لوسى هناك ، واخذتها بين يدى لاتصفحها .. إذ لم تكن لوسي ـ فى الواقع ـ من لحم ودم ، بل كانت كتاباً مكتوباً ، لأن لوسى ذاتها كانت فى يوم من الأيام تخطو وتنطلق على شاطىء نهر «عواش» بالحبشة ، وبالتحديد فى منطقة «حضر» .. ثم ماتت فى عز شبابها بعد أن عاشت هناك منذ حوالى ثلاثة ملايين عام ، واكتشفها كل من دونالد جوهانسون وموريس طيب على هيئة عظام ، ورغم أن ما اكتشف من هيكلها العظمى المتحجر لم يكن ليتعدى ٤٠٪ فقط من الهيكل كله ، رغم ذلك ، فان هذا الكشف المثير قد اعطانا صورة شبه متكاملة عن قوم لوسى ، اشباه الانسان (انظر الشكل الدال على ذلك) .

ولقد سميت الفتاة بهذا الاسم تيمنا باغنية كانت تنطلق من جهاز تسجيل حملته بعثة التنقيب معها فى هذه المناطق القاسية الوعرة ، ففى الوقت الذى ظهرت فيه بشائر المخلوقة القردة ، تردد ايضا مطلع اغنية «لفرقة الخنافس» .. «لوسى مع اللالىء فى السماء» .. فسميت الفتاة الحفرية بهذا الاسم ، وفى الوقت ذاته رقص كل من جوهانسون وطيب حول الهيكل المكتشف رقصة الفرح والبشرى بامجاد علمية سوف تنتظرهما عند الاعلان عن كشفهما (الواقع ان مكتشفى الحفريات النباتية والحيوانية لم يكتسبوا شهرة وامجاداً مثل زملائهم الذين يحققون الكثير من المكاسب العلمية والمادية لاكتشافهم الحفريات التى توضح أصل الانسان واشباه الانسان ، فكتاب لوسي الذي وقع بين يدى ثمنه عشرون دولاراً ، ووزع منه مئات الآلاف من النسخ ، وكتبه كل من جوهانسون ، م . ا . ايدى ، ويقع فى ٤١٠ صفحة ، وهو يتناول أصل الانسان عامة ، وقصة الكشف عن لوسى خاصة) .



دكتور لويس ليكي وزوجته ماري ، وقد امسك كل منهما بجمجمة لمخلوقين منقرضين من اسلاف الانسان ، وهما من جنس واحد ، ولكنهما لنوعين مختلفين فاحدهما نوع نحيف والآخر نوع اضخم ويتميز بهيكل عظمي اشد واقوى

وطبيعى أن لوسى لم تكن كفتيات اليوم ولا حتى كفتيات القبائل البدائية ، أو الفتيات اللاتى خطون على هذا الكوكب منذ آلاف السنين ، فهى لم تكن تعرف معنى الانوثة ولا الدلال ، ولا التغزل فى فتى الأحلام ، ولا كذلك ملبساً وزينة ومخدعاً ، لأنها ببساطة لم تكن تدرك من هذا شيئاً مذكوراً .. فمخها صغير ، ووجهها أقرب الى وجه الشمبانزي ، وأبعد عن وجه الانسان الحالى ، ومع ذلك فقد كانت تمشى منتصبة على ساقين ، وتستخدم يديها وذراعيها بشكل اكثر كفاءة من القردة العليا ، وأقل من الانسان بطبيعة الحال ، وكان طولها ـ رغم أنها مكتملة النمو والانوثة ـ ما بين ١١٠ ـ ١٢٠ سنتيمتراً ، ووزنها ما بين ٣٥ ـ ٤٥ كيلو جراماً (الوزن متروك لتقديرك فى كونها بدينة أو نحيفة) .. لكن الاهم من ذلك هو تقاطيع الوجه .. صحيح أن اللحم قد تحلل وراح ، لكن العظام تنبىء عن العضلات ، والعضلات تنبىء عن الملامح ، ولقد كانت ذات قد غير مليح ، لأن عظام الفك وسقف الحلق أقرب الى الشمبانزى منه الى الانسان ، كما أن فحص الأسنان قد حدد عمرها بعشرين ربيعاً ، وغير ذلك من الصفات التى حملتها بنت «هدر» ، فهى التى قادت من اكتشفاها الى تحديد أى الأنواع من الكائنات تنتمى ولقد اطلقوا عليها اسماً علمياً ثقيلا .. والاسم : «اوستر الوبيثيكاس افارنسيس» .. والترجمة الحرفية له هو القرد الجنوبى العفارى ـ نسبة الى عفار بالحبشة ، والجنوبى هنا تشير الى افريقيا الجنوبية ، هذا رغم أن تلك المخلوقات قد اكتشفت فى شرق افريقيا ، ومع ذلك فالأسماء العلمية





من شكل الجمجمتين فى الصورة السابقة ، امكن استنباط الملامح الرئيسية التى جاء بها النوعان إلى الحياة ... فالصورة العليا للنوع النحيف والسفلى للنوع الضخم أو الغليظ

فى التقسيم لا تهتم بالمناطق الجغرافية قدر اهتمامها بالصفات المشتركة بين أشباه الانسان فهذه المخلوقات الحبشية تشبه مخلوقات اخرى كانت قد اكتشفت قبل ذلك فى بداية الربع الثانى من القرن العشرين بجنوب افريقيا على يدى عالم للتشريح المقارن اسمه رايموند دارت ، وطبيب مهتم بالحفريات يدعى روبرت بروم (انظر

دراستنا السابقة على صفحات هذه المجلة)

إن أشباه الانسان فى شرق القارة وجنوبها تنقسم الى نوعين ، لاختلافهما فى بعض الصفات ، لكنهما يشتركان فى صفات أخرى بحيث وضعهما العلماء فى جنس واحد ، ومثال عابر يوضح لنا ذلك تماما ، فالكلب والذئب وابن آوى يجمعها جنس واحد ، فبينها صفات مشتركة لتكون جنساً وأخرى مختلفة ، لتعطى أنواعاً ، والأنواع قد تتمخض عن سلالات وأصناف ، وهو ما نراه واضحاً فى مئات السلالات من الكلاب .. والنمر والأسد وبعض أنواع القطط المتوحشة يجمعها جنس واحد .. فالنمر اسمه العلمى «بانثيرا تيجريس» ، والأسد «بانثيرا ليو» ، والبوما (نمر الجبال) «بانثيرا اونكا» .. والأمثلة بعد ذلك كثيرة ، ولاشك أن الذى يلاحظ طوفان الكائنات ، يستطيع أن يرى تشابهاً بين أنواع ، واختلافاً كبيراً بين أنواع أخرى ، لكن مهمة العلماء أن يرتبوها ويقسموها الى أنواع وأجناس وتحت عائلات وعائلات ، وتحت رتب ، ورتب .. الخ ، ويستوى فى ذلك الحى والمنقرض ، وما أكثر ما انقرض .

حصيلة لابأس بها

ولقد تمخض النبش والبحث عن أشباه الانسان عن حصيلة كبيرة وصلت الى أكثر من ألف عينة حفرية ، وشهدت السنوات العشر الأخيرة فقط ، اكتشاف حوالى ٦٠٠ عينة ، ويأمل الباحثون فى الكشف عن آلاف أخرى فى السنوات القادمة ، إذ كلما كانت الحصيلة أوفر ، كانت الصورة أوضح والاستنتاجات أقوم ، والتعرف على أسلافنا أصح !

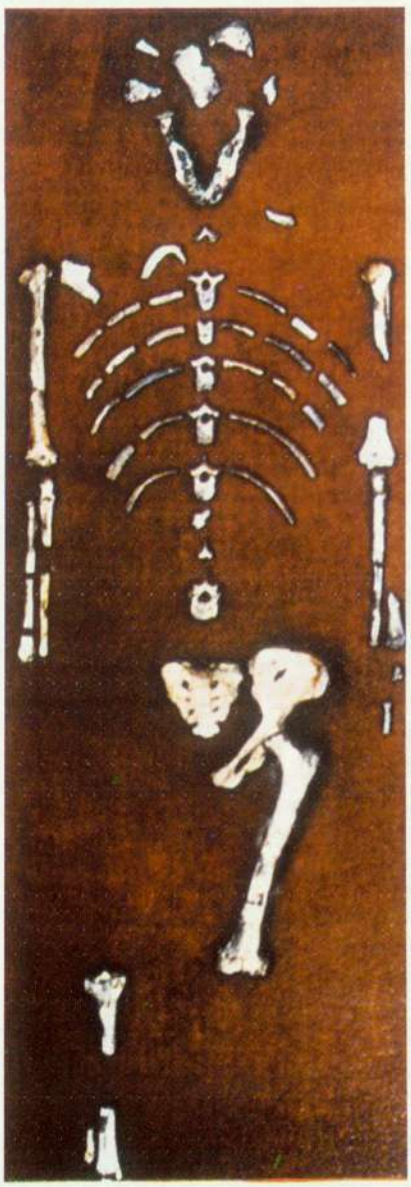
وتعتبر منطقة شرق القارة الافريقية من أغنى المناطق الحفرية فى القارة خاصة ، والعالم عامة ، إذ تتركز الأنواع شبه البشرية المنقرضة حول نهر أومو بالحبشة وفى منطقة حضر بنفس الدولة ، كذلك اكتشفت حفريات أخرى فى كينيا ، وبالتحديد فى منطقة كوبى فورا الواقعة شرق شاطىء بحيرة رودلف ، وهناك موقعان فى تانزانيا ، ولا يفصلهما سوى مسافة تقدر بحوالى ٥٠٠ ميل ، ولقد عاش فيهما نوعان شبه بشريان ، أحدهما شمال بحيرة صغيرة تعرف باسم «أياسى» ، ووجدت فيها حفريات يرجع تاريخها ما بين ثلاثة ملايين ومائة ألف عام ، وثلاثة ملايين و ٧٥٠ ألف عام ، والموقع الثاني فى أخدود كبير كان بحيرة ثم جفت (أخدود أولدوفي) وعمر الحفريات هناك حوالي مليون و ٧٥٠ ألف عام ، وترجع أهمية هذا الموقع الى اكتشاف أول مخلوق من هذه المخلوقات ، جاء على هيئة تختلف عنا ، إذ أنه أقل منا شأناً ، ولهذا وضعوه فى نوع مستقل (انسان هابيل Homo Habilis ونحن الانسان الحكيم Homo Sapiens .. وهذا يعني أن لنا عائلة مستقلة تفصلنا عن العائلات شبه البشرية التى سبقتنا ، وللعائلة البشرية عدة أنواع ، وسوف نعود لتوضيح ذلك بشيء من التفصيل .

والغريب أن مخلوقين مختلفين قد عاشا فى نفس الحقبة حول البحيرة (التى أصبحت الآن أخدوداً) .. أحدهما انسان هابيل والآخر المخلوق القرد (أو القرد الجنوبي الافريقي) ، ولهذا ايضاً عائلة تضم عدة أنواع اكتشف منها حتى الآن ثلاثة ، بالاضافة الى مخلوقات وسط بين هذه الأنواع ، ولا يزال عليها جدال ، لوضعها فى الوضع الصحيح من التقسيم .. فهناك المخلوق القرد الذي اكتشف في عفار بالحبشة (وهو نوع سبق الاشارة إليه) . ويعتبر من أقدم المخلوقات التى ظهرت على الأرض منذ حوالي ٣,٨ ـ ٤ مليون عام ، ويعتقد بعض العلماء أن هذا النوع القديم قد انشق الى نوعين أحدث وأرقى ، أحدهما ظهر بعده بحوالي مليون عام (أي منذ ٢,٨ مليون عام) وهو القرد الجنوبي الأفريقي واكتشف في مناطق أفريقية كثيرة ، بداية من الحبشة شمالا الى جنوب أفريقيا ، كما أن الحصاد الحفري فيه كان وفيراً ، وتتميز مخلوقات هذا النوع بأجسام أصغر وأرق (النوع النحيل Gracile) ، واكتشفه دكتور ليكي وزوجته ، وهو يختلف عن نوع آخر أكبر وأغلظ وأقوى (يسمى روبستاس Robustus أي النوع الشديد) ، ويثور الجدل الآن حول هذين النوعين ، ففريق من العلماء يعتقد أن نسبنا يمتد الى النوع النحيل ، فى حين يرى فريق آخر أن الجذور ترجع الى النوع الغليظ ، ثم يذهب فريق ثالث الى أبعد من ذلك ، ويقول : إن كلا النوعين قد وصلا الى طريق مسدود ، فلا نحن من سلالة هذا أو ذاك ، بل يبدو أن التطور قد سار فى طريق آخر انشق وحاد عن الأصول ، وتمخض عن مخلوق أرقى من هذه القرود البشرية ، أدى الى ظهور انسان هابيل .

والواقع أن انسان هابيل الذى ظهر منذ حوالي مليوني عام هو أول من استخدم الأدوات ، ويقال إنه ربما صنع أدوات بدائية من الحجارة والصخور ، ولقد اكتشفت هذه الأدوات فى المناطق التى كان يزاول فيها نشاطه ، ولهذا سمي بالانسان الصانع .

ورغم أن انسان هابيل يشترك شكلا مع شبيه الانسان النحيل أو الثقيل ، إلا أنه يختلف عنه فى الطول وحجم المخ ، إذ وصل طوله الى حوالي ١٥٠ سنتيمترا ، وحجم مخه ما بين ٥٥٠ ـ ٧٥٠ سنتيمترا مكعباً ، وهذا ما أعطاه بعض الادراك ليتجمع على هيئة جماعات ، والخروج لصيد الحيوانات الصغيرة والكبيرة ، مستخدماً فى ذلك العصى والأحجار . ومع ذلك فلم يستخدم النار ، وطبيعي أن مثل هذه الاستقراءات نابعة من التنقيب فى المواقع التى عاشت فيها تلك المخلوقات .

« لوسي » أو بالتحديد ٤٠٪ من عظام هذه الشابة التى أعطتنا صورة شبه متكاملة عن نوع منقرض من أسلاف البشر كان يعيش متجولا على شواطىء نهر عواش بالحبشة منذ حوالي ثلاثة ملايين عام ... القامة قامة بشر ، لكن المخ صغير ، والوجه مستطيل .. وتعتبر من الحلقات الهامة المفقودة التى كتب عليها الانقراض



أشباه الإنسان :

لوسي والولد الغالي

أقرب الأنواع

وبعد انسان هابيل ظهر نوع آخر اقرب الينا من سابقه ، ولقد سمى النوع الجديد ـ الذى بدأ ظهوره منذ حوالي مليون ونصف مليون عام ـ الانسان المعتدل او المنتصب او الواقف (Homo Erectus)

ولقد جاءت هذه التسمية فى غير محلها لأن الأنواع السابقة عليه كانت ايضا منتصبة القامة ، ولكن التسمية سبقت ، لأن الكشف لهذا النوع قد سبق غيره ، ومن ثم كانت التسمية المبكرة ، ولكن ذلك ليس مهماً بقدر ما يهمنا صفات النوع ذاته، إذ جاء فراغ الجمجمة اكبر ، وهذا يعني ان مخه اكبر ، إذ وصل حجمه الى حوالي ٨٠٠ سنتيمتر مكعب ، ولقد ادى تطور حجم المخ الى تطور فى عظام الراس ذاتها، مما انعكس على عظام الوجه كذلك ، وبحيث ظهر ذلك على تقهقر او نقص فى استطالة الفكين ، وبروز فى عظام الوجنتين ، فكان الوجه اكثر استدارة .

ثم اننا لو سرنا مع الزمن عبر مليون عام او يزيد ، لوجدنا ان جماجم هذا النوع قد اكتسبت تطوراً او تغيراً تدريجياً بطيئاً ، وبحيث بدأ حجم المخ يكبر تبعاً لذلك ، فهناك جماجم للانسان الواقف يدل تقدير اعمارها ان اصحابها قد عاشوا منذ حوالي ٤٠٠ الف عام ، ووصل حجم المخ فيها الى حوالي ١٣٠٠ سنتيمتر مكعب ، وهي قريبة من حدود امخاخنا الحالية ، وهذا ينبئك ان الحلقات التطورية كانت تسير هينة لينة .

ومن القياسات التى اجريت على عظام الجماجم المتحجرة ، اتضح ان المخ فى تطوره لم يكن يزيد فى الحجم فقط ، بل ان التطور قد انصب على اجزاء خاصة ، فارتفاع جباه هذه المخلوقات الحديثة نسبياً ، دليل على افساح فراغات مناسبة لنمو الفصوص الامامية والصدغية (او الجانبية) .. والمعروف ان نمو هذه الفصوص بدرجات اكبر فى امخاخنا قد اعطانا القدرة على التحكم فى كثير من



جمجمة انسان هابيل ، وهي اقرب جماجم الحلقات التطورية المفقودة في نسب الانسان ... ولقد جاء بمخ اكبر ، ووجه اكثر استدارة ، ولهذا تعتبر نوعا من انواع الجنس البشري التى انقرضت منذ حوالي مليون ونصف مليون عام ، وانشق منها نوع اكثر تطورا ورقياً ... وفى الصورة التالية ترى جمجمة الانسان المعتدل او المنتصب ، وهي اكثر تطورا من جمجمة انسان هابيل ، وتستطيع ان تلاحظ ارتفاع الجبهة ، مما يدل على كبر حجم المخ ، كما أن الوجه اكثر استدارة من وجه انسان هابيل .

حركاتنا ، والتركيز على الاهداف ، وحل المشاكل اليومية التى تحتاج ـ بلا شك ـ الى ذكاء وحسن تصرف .

ولقد حاز الانسان الواقف بعض هذه الملكات العقلية ، ولهذا استطاع ان يستخدم النار ، ويهاجر من مكان الى مكان ، وينتقل من بيئة صعبة الى اخرى ميسرة ، ومن أجل هذا بدا هذا المخلوق فى هجرات جماعية ، فتركت بعض جماعاته القارة الافريقية ، وهاجرت الى آسيا واوربا ، كما تدل الاكتشافات الحفرية على ذلك .

ولقد دلت الدراسات التى اجريت فيما تركه الانسان الواقف من ادوات بدائية ، انه قد بدأ يدرك معنى التناسق ، خاصة فى مراحله المتاخرة التى انتهت بانقراضه منذ حوالي ٤٠٠ الف عام .. من ذلك مثلا انه استطاع ان يصنع اشياء من الصخور تشبه الحراب المدببة او القواطع ذات الحواف الحادة ، وهو ما لم يسبقه إليه اي نوع آخر ظهر قبله ، وطبيعي انه كان يستخدم ذلك فى القنص والصيد وتقطيع ما اصطاد ، وربما صاحب هذا الادراك فى تناسق الادوات ، تناسق فى اصوات بدائية قد تكون بداية لظهور اللغة التى تطورت فيما بعد فى الأنواع التالية الاكثر رقيا وتطوراً ، ويعتقد بعض العلماء ان انتشار الانسان القائم فى انحاء متفرقة من العالم، قد ادى الى تكيفه بالبيئات الجديدة التى حل بها ، وربما ادى ذلك الى انبثاق سلالات من نوعه لتتاقلم مع المناخ السائد .. وهي ـ بطبيعة الحال ـ تختلف عن السلالات البشرية المميزة التى نشهدها الآن فى النوع البشري المعروف باسم الانسان المدرك او الحكيم .

من نكون ؟

ومن خلال هذه الرحلة الزمنية الطويلة التى استمرت ما بين ثلاثة واربعة ملايين عام ، وانتهت بظهور اقرب المخلوقات شبهاً بالانسان منذ حوالي ٤٠٠ الف عام ، بدأ العلماء يتساءلون : متى ظهر الجنس البشري الحالي ؟ .. ومن اي نوع انبثق ؟ .. وكيف تطور ؟ .. الخ .

الواقع ان هناك فترة طويلة نسبياً تقدر بحوالي ٣٠٠ الف عام ، وهي التى تفصل بين نهاية الانسان القائم وبين ظهور الانسان الحالي (لقد ظهر نوعنا منذ حوالي مائة الف عام فقط) وفى هذه الفترة (اي الثلث مليون عام الأخيرة) حدثت امور كثيرة ، وبدات اصناف اخرى من الانسان تظهر تباعاً على هذا الكوكب ، ورغم انها من جنس الانسان ، إلا انها مع ذلك تختلف عنا فى بعض الصفات ، من ذلك مثلا ان عظمتي الحاجب كانت اكثر بروزاً من عظمتي الانسان الحالي ، كما ان ملامح الوجه كانت الى حد ما مختلفة ، وكذلك درجة الذكاء ، ولقد اكتشف العلماء حفريات كثيرة لهذا الانسان المبكر ، ولم يكن موطنها افريقيا فحسب ، بل اكتشفت فى الشرق الأوسط ، والشرق الاقصى واوربا ويعتقد العلماء ان الانسان الذى ظهر منذ ٣٠٠ ـ ٤٠٠ الف عام هو من سلالة الانسان القائم الذى ظهر قبله بحوالي مليون عام ، وعندما هاجر الانسان القائم من افريقيا وانتشر شرقاً وغرباً ، ثم مات ، ودفن وتحلل ، بقيت بعض هياكله المتحجرة لتكون دليلنا على نوعه ، ولقد اطلق المكتشفون على هذا الانسان المبكر اسماء بحسب موقع الاكتشافات ، فهناك مثلا انسان نيندرثال ، وانسان بكين ، وانسان جاوه ، وانسان كرومانون .. الخ .

وما صلتنا نحن بكل هذا ؟ .. ولمن ننتمي ؟ .. وماذا حدث فى الأربعمائة الف عام الأخيرة ؟ .. الى آخر هذه الأسئلة التى سنفرد لها دراسة قادمة .

والله ولي التوفيق ،،،

د. عبد المحسن صالح

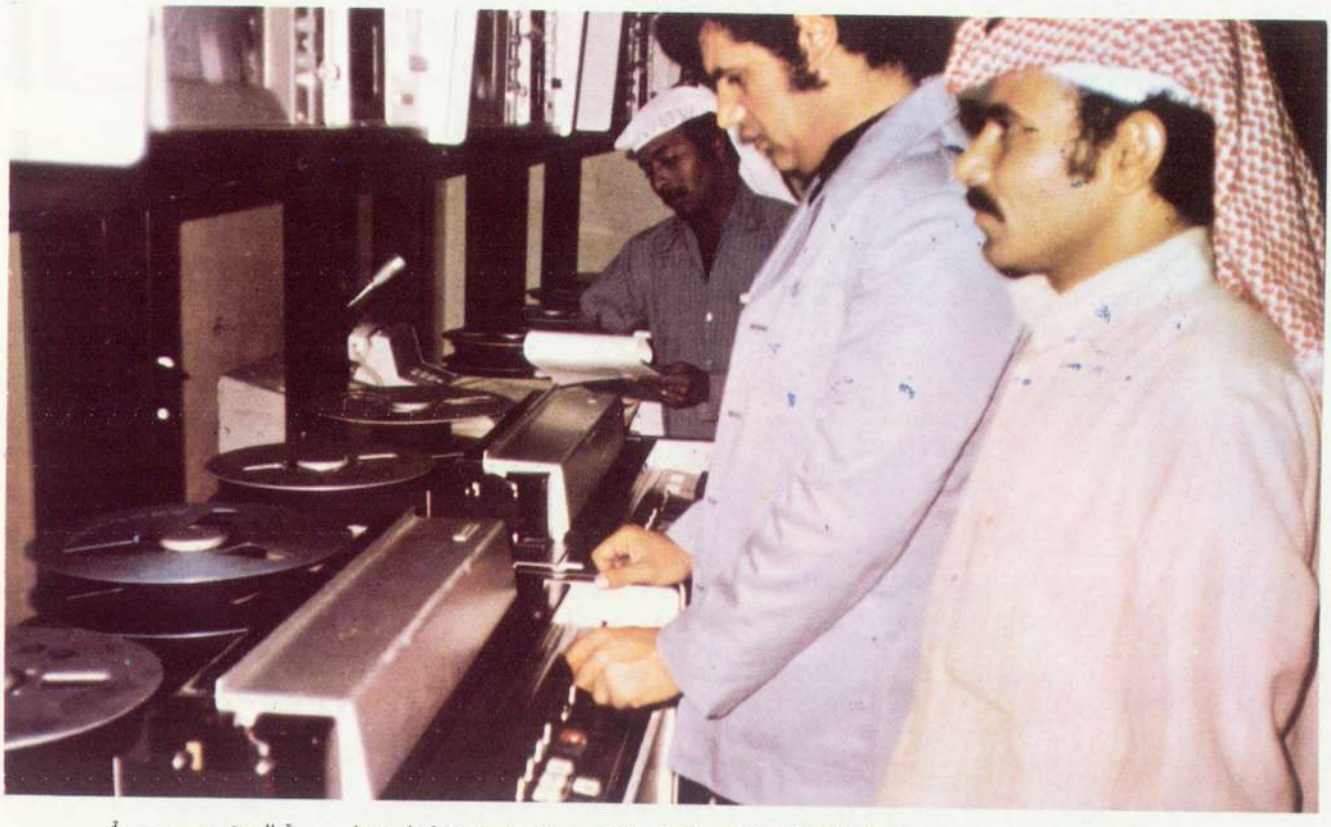
العذراء العانس

شعر: محيي الدين فارس

(الخرطوم)

باعَتْ قِلادَتَها . وقُرْطَ الماسِ ماتركت .. سوى قمم هَزيله
باعت أنوثَتَها .. وكلّ جماجِمِ الموْتى
وصنْدوقَ العشيرةِ .. وانتماءَاتِ القَبيلـه
ونخيلَها العِمْلاقَ .. والجُزُرَ العشيقَةَ
.. والبحيراتِ الجميلَهْ
حتىَّ سُيوفَ النصرِ .. والدَّرَقَاتِ .. والقِيمَ النبيلهْ
ورمت خِمَارَ العزَّةِ الشَّمّاءِ ..
وارْتَدَتِ المُلاءَاتِ النَّسيلَهْ
فَبَدَتْ مفاتِنُهَا لثوْرِ الليلِ والجامُوسِ .. فاعْتَركَا
وكلٌّ ظَامِيءُ الشَّهَوَاتِ .. كي يروي غليله
ناديْتُها والليلُ يحفِرُ فى أضَالِعِهَا
ويُنْشِبُ فى مجَاسِدِهَا .. أظافِرَه الطَّويلهْ
كيف احتَمَلْتِ غُروبَ تاريخٍ .. ؟
وكيف رضيتِ بالطّرقَاتِ مأوًى .. والجِرَاياتِ الهزيلهْ
عيناك ما طَرَفَتْ لضوءِ الشمْسِ ..
ما انْسَدَلَتْ أمامَ الموْتِ
ما انكَفَأَتْ على أرض .. ذليله
أنا لا أصدِّقُ أن وجْهَكِ لم تَعُدْ فيهِ بَرَاءَاتُ الطّفولهْ
كم خمَّشتْهُ الريحُ .. ما احتجَّتْ ملامحُهُ النَّبيله
كانت بلا حُزْنٍ .. تحدِّقُ فى الفَرَاغَاتِ المهُولهْ
وتهدَّلَ الشَّعْرُ الجميلُ ..
جديلةً .. تبكي جَديلهْ
... ولمسْتُهَا .. كانت ثُلُوجُ الموْتِ
تمشي .. في مفاصِلِهَا النحيلهْ ..
أوَ أنْتِ هازمة المغولِ الفاتحين ؟
فاين تَاجُ الشّمْس .. والحرَسُ المدجّجُ ..
بالنّيازكِ .. والنياشينِ الصّقيلهْ
كانوا إذا ما النّهْرُ دَقّ طبُولَه
يحْمون فى فَرَحٍ طبُولَهْ
وإذا تدافَعَتِ الخيولُ مُغيرةً
والليلُ قد أرْخى سُدُولَه
يتسلّقُون جِبَالَهُ الشَّمّاءَ ..
يلتهِمُونَ .. فى غضَبٍ ..خيُولَه
ويرابطون أمامَ بابِ الشرقِ
يغتَسِلُون بالنيرانِ .. إن طرقَتْ نوافِذَك .. الأعاصيرُ الوبيلهْ
كان النخيلُ مسافراً فى الأُفْقِ
يرصدُ ماوراء الأفْقِ .... ينتظرُ السّحَابَاتِ الثقيلهْ
والآن أطْرَقَ ذاهِلاً
نَسِيَ البطولاتِ القديمةَ .. واحتفالاتِ القَبيلهْ





تدريبات على البرامج التسجيلية والوثائقية اثناء الدورة التى انعقدت عام ١٩٨٢ في مدينة الدوحة

حديث فني هام

من هنا تبدأ السينما القطريّة

تحقيق : مريم آل سعد

- أول فيلم روائي قطري يبحث عن فكرة جيدة .
- تدريب المذيعين والمذيعات قبل تعيينهم سوف يمنع تاثرهم بنمط خاطىء يصعب تغييره .
- « التعليم » و « مياه الشرب » و « الأزياء فى قطر » افلام تسجيلية فى طريقها الى المشاهد .

ملفات المركز الخليجي لتنسيق التدريب الاذاعي والتليفزيوني تقول : إن هذا المركز انشيء عام ١٩٧٦ ، ويبلغ مجموع الدورات التدريبية الاقليمية التي نسقها سواء في دولة المقر أو الدول الخليجية الشقيقة ٢٣ دورة، استفاد منها اكثر من (٦٠٠) شاب ، ممن يعملون فى جهازي الاذاعة والتليفزيون من دول الخليج العربية .

ومنذ بداية عام ١٩٨٠ اصبح شهرا يونيو وديسمبر من كل عام ، موعداً لاجتماع مسئولي التدريب الاذاعي والتليفزيوني لدول الخليج العربية ، فى مقر المركز الخليجي لتنسيق التدريب .

وقد شارك المركز الخليجي فى جميع المؤتمرات الخاصة بوزراء الاعلام لدول الخليج العربية .

وفي المؤتمر الرابع لوزراء الاعلام لدول الخليج العربية الذى عقد فى دولة البحرين فى فبراير ١٩٧٩ اتخذ المجتمعون فيه التوصية التالية :

هذا ويقوم المركز المحلي للتدريب الاذاعي



لقطة من الفيلم القطـــري القصير « حـارس الفنـار » الـــذي قـام ببطولتـــه الممثلان القطريـان : محمد البلم وحســـن ابراهيـــم



فريق العمـل الذي اشرف على دورة الاخـــراج التليفزيـــوني التى قامـــت بتدريـــب بعض المخرجيـن فى التليفزيون القطـــري

والتليفزيوني فى الدوحة بالعمل كمركز لتنسيق التدريب فى المنطقة ، واقتراح خطط التدريب السنوية وتعميمها عـــلى الدول الخليجية

متطلبات التدريب

من وظائف المركز : عمل الدراسات الدورية فى إذاعات وتليفزيونـــات دول الخليج ، لمعرفة المتطلبات المتجددة لنوعيات التدريب واقتراح الخطط اللازمة لمواجهة هذه المتطلبات بالاشتراك مع المسئولين عن التدريب فى الدول المختلفة ، مع عمل تقييم للدورات ومدى نجاحها عقب الانتهاء من كل دورة .

كما يتم تجميع مايلقى من محاضرات وبحوث فى الدورات والندوات وطبعه فى كتب وكتيبات ونشرات دورية ، هذا بخلاف تجميع ماتم انتاجه فى المحطات العالمية من افلام وشرائط مرئية وشرائط صوتية ، تتصل بالتدريب الاذاعي والتليفزيوني لتعمم على المحطات المختلفة للاستعانة



اسماعيل عبد الرحمن العباسي



صورة تذكارية لبعض الأساتذة الزوار للمركز وبعض المتدربين في دورة المعلمين في برامج الأطفال

من هنا تبدأ السينما القطرية

به في مجالات التدريب .

واحدث مشروع كان في اكتوبر الماضي ، ويتضمن دورة عن « عناصر التشويق في العمل الدرامي » ، قام بالاشراف عليها مجموعة من الأساتذة المتخصصين في الاخراج الاذاعي والتليفزيوني ، التصوير ، المونتاج الاليكتروني والسينمائي ، الصوت الديكور ، كتابة النص ، ... وقد عقدت في عاصمة المقر ـ الدوحة ـ لتدريب الاعلاميين الخليجيين في هذه المجالات الفنية .

الاستعانة بالخبرات

ويتحدث عن كيفية تنفيذ هذه الدورات ومراحل الاعداد لها ، مدير المركز الخليجي لتنسيق التدريب الاذاعي والتليفزيوني ، وايضا مدير المركز الاذاعي والتليفزيوني ورئيس وحدة الأفلام التسجيلية والوثائقية اسماعيل عبد الرحمن العباسي ، فيقول ان الفرق بين المركز الخليجي لتنسيق التدريب الاذاعي والتليفزيوني وبين المركز الاذاعي والتليفزيوني هو ان الاول مختص بالدورات الاعلامية المتعلقة بالتدريب الاذاعي والتليفزيوني بشقيه الهندسي والبرامجي لخدمة ابناء دول الخليج العربية .

والثاني يتولى تخطيط وتنفيذ الدورات الخاصة باجهزة الاعلام القطرية .

ويضيف اسماعيل عبد الرحمن العباسي قائلا :

ـ بناء على توصيات اجتماع خبراء التدريب ترفع تقارير سنوية عن المركز الخليجي الى مؤتمر وزراء الاعلام لدول الخليج ، الذين يقومون بدورهم بالاطلاع على هذه التوصيات والتقارير الواردة ، ويؤشرون بالموافقة على الدورات التى يرون تنفيذها ، في حين تؤجل بعض البنود الى اجتماعات قادمة ..

وإذا استقرت الموافقة على دورة ما ، مثل دورة « التصوير السينمائي والاليكتروني » ناتي بعشرين اسما لذوي الاختصاص في الوطن العربي بموضوع الدورة ، ثم ندرس هذه القائمة ، وانتاج وتاريخ كل شخصية ، وماذا قدمت في هذا المجال ، ليبدأ على اساس ذلك اختيارنا لطاقم التدريس المناسب في كل المجالات ، التصوير ، الاضاءة ، الصوت .. وغير ذلك ..

بعد ذلك نعطي هؤلاء الأساتذة فكرة تمهيدية عن المستوى الدراسي للمتدربين ، ومدة خبرتهم في العمل الاذاعي او التليفزيوني ، حتى يكون هناك تنسيق منظم بين اعضاء مجموعة الدورة الواحدة . فنحن نطالب في الدورات بان تكون مستويات المتدربين متقاربة كالمراحل الاعدادية او الثانوية ، اما الاعلى من ذلك فمستحيل الجمع بينهما .

الاذاعيون الموهوبون

ثم يوضح مدير المركز الخليجي اسماعيل عبد الرحمن العباسي علاقة المركز بالدورات الاعلامية الخليجية فيقول :

ـ مثلما يتم إعدادنا للدورة الاعلامية داخل دولة المقر ـ قطر ـ ، يكون اعدادنا للدورات ـ التى تفرض مواضيعها ـ على حسب احتياجات اجهزة إعلام الدول العربية الخليجية الاخرى . فتكون مهمتنا ربط دول الخليج بشبكة من المعلومات عن الدورات ومواعيدها ونوعيتها والأساتذة المشاركين فيها ، وتوفير المناهج والكتب والسكن والمكافات والتنقل والتلكس .

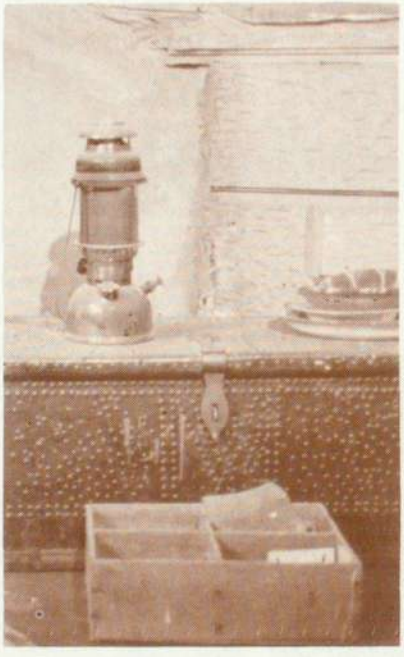
كما نعمل على تنظيم اللقاءات والندوات بين العاملين في دول الخليج لمناقشة ودراسة كل جديد في عالم الفن الاذاعي والتليفزيوني .

● ولكن ماهو دوركم بالنسبة لاختيار وتحديد موهبة المذيعين والمذيعات ، وصلاحيتهم لهذا العمل قبل تعيينهم ؟ .

قال لي :



فن الماكيـــاج .. علم قائـــم بذاتـــه .. كان لـــه دورات خاصـــة



التراث القديم الذى ساهم فى ديكـور الفيلم القطري

ـ بالنسبة للمذيعين والمذيعات يجب ان يمروا بفترة اختبار وتلقين قبل استلامهم للعمل وظهورهم على الشاشة ، لان ذلك سيوفر مدة تدريبهم وحتى لا يتعودوا على نمط خاطىء يصعب تغييره ، لكن لقاؤنا معهم ـ عن طريق الدورات ـ لا يتم إلا بعد فترة طويلة من تاريخ ممارستهم للعمل .

● وماذا عن مقر المركز .. إنه يبدو ضيقاً لاستيعاب جميع العناصر المتدربة فى كل دورة ... هل استطعتم التغلب على ذلك ؟ .

ـ فى الوقت الحالي بالتعاون مع الاذاعة والتليفزيون هناك تغطية فى القاعات ، لدينا فى مقر المركزالخليجي قاعة واحدة ، كما يمكننا الاستعانة بالقاعة الموجودة بالاذاعة . وتليفزيون قطر يفتح لنا ابواب استديوهاته ويجيب كل طلباتنا .

● إذن ماهي نتائج هذه الدورات على نشاط المتدربين ؟ .

ـ لقد لمسنا هذا التطور بالنسبة لوكالة الانباء القطرية ، بعد دورة الصحافة المحلية التى عقدناها وحضرها محررو الوكالة ، حيث ارتفعت خدماتها الاخبارية لدرجة ملحوظة ، تصل الى حوالي ٤٠ فى المائة وهذه النسبة معقولة بالمقارنة مع مدة تدريب تبلغ شهراً ونصفاً فقط .

اهم الأفلام

● ولكن .. هل هناك اوجه نقص فى المركز الخليجي يحد من تقديم نشاطه ؟ ..

ـ المركز ينقصه مبنى خاص مزود بالاجهزة الفنية اللازمة ، ومهيىء بكـادر من المدرسين المتخصصين ، وبدلا من حصر المدة الزمنية للدورات فى شهر او شهرين ، يجب ان تمتد الى الستة اشهر كاقل تقدير ، حتى يرتفع الاستيعاب من ٢٠ فى المائة الى ٧٠ فى المائة ..

● وماذا عن مجموعة الافلام التسجيلية التى تجرى عليها الدراسة لتنفيذها فوراً ؟

ـ الفيلم الأول عن « التعلـيم فى قطـر » (١٩٠٠ ـ ١٩٨٢) .

والفيلم الثاني عن « صيد الاسمـــاك » قديما وحديثا .

والفيلم الثالث عن « مياه الشـــرب في قطـر » .

وهناك كذلك فكرة فيلم عن « الازياء فى قطـر » قديماً وإلى الوقت الحاضر ، تاريخ كل زي ومصدره ومناسبته ومن الذي يرتديه وقد تم الاستعانة فى ذلك بمصادر كثيرة للتاكد من صحة المعلومات التى تعود الى التاريخ القديم ..

مثلا الفيلم الذى يتناول مراحل التعليم فى قطر منذ بدايتها ، رجع كاتبها الى ١٢ مصدراً مكتوباً يستقى منها المعلومـــات التاريخية . كما تحول النص بعد كتابته الى لجنة مختصة قامت بدراسته والتاكد من صحة بياناته . وارسلت نسـخ منه الى الشخصيات التى عاصرت هذه الفترات التعليمية لتعطي رايها حول ما ورد به .

إن مدة الفيلم نصف ساعة لكن عملية إعداده استغرقت ستة اشهر من العمل المتواصل .. وهو يعتبر عمل متميز من ناحية الموسيقى التصويرية ، والتصوير والمونتاج .. وغير ذلك ..

وقد اصبح لدى المركز امكانية تحقيق فيلم روائي ، لكن افتقار الموضوع الجيد اجل تنفيذ هذا المشروع .

معهـد للاعـلام

وطموحات المركز ـ حالياً ـ تنحصر في أن يتحول مركز التدريب الى معهد إعلامي له مناهجه الخاصة واسلوبه المتميز .. فقد اعدت مناهجه بالاتفاق مع الجامعة ووزارة التربية والتعليم ، وسوف يكون القبول للحائزين على شهادة الثانوية العامة ، لتكون دراستهم للاعلام بجميع فروعه وتخصصاته لمدة سنتين .

وفى سبيل انجاز هذا المشروع تشكلت لجنة من جامعة قطر وهيئة اليونسكو ووزارة التربية والتعليم ، اطلعت على خلاصة الاجتماعات والدراسات التى تم التوصل اليها حول هذا الموضوع ، وابدت الموافقة على ماورد بها .

ومن كل ذلك وغيره ، نرى كيف أن هذا المعهد الاعلامي الهام سوف يخدم ابناء قطـر والدول العربيـة الخليجيـــة .

مريم آل سعد

لقطات من الكون المثير

شقاوة طفولة

بعد ان تناولت هذه الطفلة من فصيلة القردة العليا وجبتها الغذائية من اللبن المقدم إليها فى هذا الوعاء ، راحت تلهو به وتلعب ، إلى أن هداها « تفكيرها » الطفولي الى اتخاذ الوعاء بمثابة لباس راس ، وعندما ذهبت لتتعلق بفرع شجرة ، خافت على « قبعتها » المعدنية من السقوط ، فكان أن امسكت بها بوضع اقرب الى السلوك البشري ، وكانما هي تتزين كما تتزين نساء البشر بقبعاتهن ، مع الفرق بين اناث واناث .. بقى أن تعرف أن هذه الطفلة عمرها سبعة اشهر ، وهي من نوع انسان الغاب او « الأورانج أوتان » .. اقرب الحيوانات صلة بالانســـــان ! .



قلب كيوبيد !

لقطة طريفة لزوجين شابين من إحدى المقاطعات الصينية الواقعة على الحدود الفاصلة بين الصين والاتحاد السوفييتي ، ولقد استخدما هذه الوسيلة من وسائل المواصلات نظراً لأنها هي الوسيلة المتاحة فى هذه المناطق الجبلية المعزولة .. ترى ، ماذا سيكون عليه حال الزوجين إذا رزقا بمواليد جدد ، خاصة وان الدراجة هنا كاملة العدد ؟ .. لاحظ أن الاطفال الثلاثة قد وفدوا الى الحياة فى فترة زمنية لاتتجاوز الأربع سنوات . ولازال الزوجان شابين .. إنها مشكلة على مستوى الدراجة وعلى مستوى العالم الذى يعاني من ازمات الانفجار السكاني على كل المستويات ، وفى الصين بالذات ، لأنها تمثل وحدها ربع سكان العالم ! .



جمـــال مـــدفـــون !

تجود علينا البحار بمخلوقات ليست متاحة للانظار ، لأنها تلتصق دائماً بالقاع ، فلا تظهر إلا للغواصين الباحثين عن كائنات البحار .. فاول ما يلفت النظر ان هذا الكائن البحري الرخو يشبه الريشة ، ولهذا أطلقوا عليه اسم « ريشة البحر » ، وهو اسم على مسمى .. الغريب أن هذا الكائن الحي إذا تعرض لما يثيره او يهدده، أسرع بطرد نسبة كبيرة من الماء الذى يحتفظ به فى جسمه الرخو ، وكانما هـــو « بالونة » منفوخة انكمشت فجاة من جراء ثقب ، وبعدها تدفن نفسها فى الرمال ، لتختفي عن الانظار ، والغريب ايضاً ان هذه الريشة إذا لامسها شيء ، فان جسمها يتوهج بضوء أخضر جميل ، ولهذا يعرضونها احياناً فى محطات الاحياء البحرية ، ليستمتع الناس بجمالها واضوائها وحركاتها .





كـامـل العـــــدد !

تشكيل فريد تتخذه بعض انواع الحشرات ، وبحيث ترسمان بجسميهما شيئاً اقرب بقلب كيوبيد ، ولطالما رأى بعضنا هذه الظاهرة التى تستمر ساعات طويلة ، دون ان يحدث الانفصال فى حالة التوقف او الطيران ، ولقد جذبت تلك الظاهرة انظار بعض العلماء ، فكان أن درسوها ، وعرفوا سراً ما كان ليخطر لنا على بال ، فعملية التلقيح بين الحشرات لا تستمر إلا للحظات او دقائق معدودات ، ولكن استمرارها لساعات ، امر غير وارد مع هذه الكائنات ، فالذكر هنا يستمر مع انثاه كل هذا الوقت الطويل ، متخذاً مثل ذلك الوضع المثير بعد انتهاء التلقيح ، ليضمن عدم خلط الانساب ، ولايزال هكذا ، حتى تضع الانثى بيضها .. وكانما الحشرات قد عرفت هذه القيم قبل ان يعرفها البشر ! .

شهادات على سياج الضمير

قصة بقلم: حمدي الكحلوت

(١)

كان آخر ضوء في نهار ذلك الخميس .. ولم يكن كاي خميس في أيلول .. وكنت آخذ السير في طريقي الى اقرب دكان لبيتنا .. دكان أبي رشيد .. اتوكا على عصا .. أهرش الشعرات البيضاء الباقية على جانب الراس .. افكر في ثمن المطلوب ..

بعض علب الخضروات وقليل من الارغفة .. تسكت الافواه التي نسيت طعم الأشياء وروائحها .. ولم يعد لها من مطلب الآن سوى بعض الخبز .. وقليل من الامن .. آه .. اين الامن ؟ لم يوفره لي ابي .. ولم أستطع توفيره لأولادي في الغربة .. القلب يتوجس والعين المثقلة بالحزن تتلفت .. في الجو روائح ونذر .. ليس قليلا ما حدث .. والآتي اكثر ..

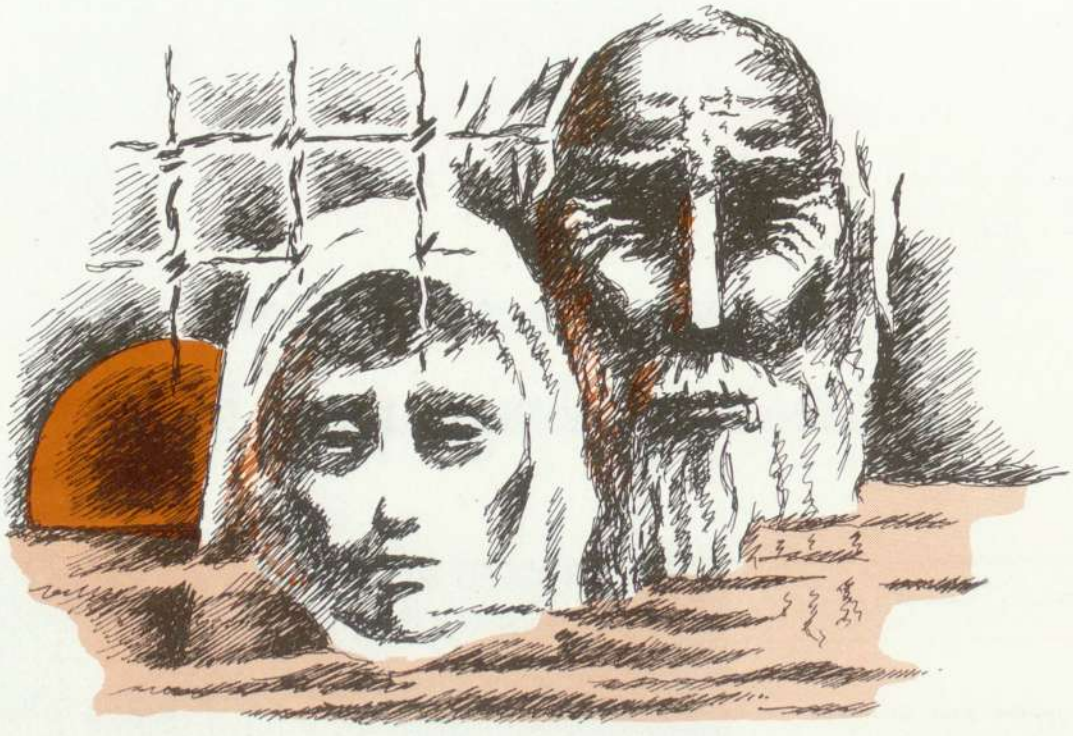
عندما ودعتهم .. كان طعم الدمع مرا .. طارق ورفيق ومنذر .. ثلاثة كالسهام المشرعة .. لأول مرة تذوب صلابتهم في قطرات من الدمع .. اجهشوا على كتفي .. انفجرت شهقاتهم كصليات رشاشاتهم .. «لأول مرة نغادر شاتيلا .. الى المجهول .. سامحنا يا ابي .. نلقى بالحمل كله عليك .. خذ بالك من الوالدة .. ومن الأخت الصغيرة والزوجات وبراعمنا الحبيبة » وحبات دمع وحبات رصاص .

لا عليكم .. انتبهوا لانفسكم .. نحن بخير .. ويمتزج ذوب الحزن .. يفضح الكذب .. لن نكون بخير بدونكم .. ودعتكم عشرات المرات .. كنتم تعرفون وجهتكم .. لم يرتجف لي جفن .. كانت ابتساماتكم تشع من حبات العيون .. واعده بالعودة لي ومعكم حبة ليمون او حفنة رمل .. فيتجدد العمر وتزهر خلايا الجسد المتهالك .. لكن الحال الآن غير الحال .. « ياويلنا من بعدكم » تنوح امراة من بعيد .. وتنشد بمواويل حزينة .. فيرتفع النشيج .. «اسكتي ياامراة .. يالطيف من فالك » .. وفي القلب توقر كلماتها وتستقر .. محقة انت ايتها العجوز المحنكة . في القلب توجس وريبة وهوة ضياع آتية بعرض الأفق .. وفي عرض البحر تنعق سفينة .. تحث على العويل .. تفتح فاها القبيح .. تلتهم فلذات الكبد .. وتبتعد .. تبتعد .. ويصبح الأفق اياد ملوحة .. تصغر السفينة .. تصغر .. تصبح في حجم دمعة .. وتذوب في الغسق .. تتلاشى .

كنت آخذ السير متوكا على عصاي .. وكان الزقاق المفضي إلى دكان ابي رشيد يقترب من نهايته ، ملتويا كثعبان مرقط .. تتخلله الحفر وبقايا الفضلات .. وتحفه الأشجار المهيبة على الجانبين .. ومع اقتراب الغروب يزداد وحشة وكآبة .. وكان هدير مركبات ثقيلة ياتي من بعيد .. ربما على طرف المخيم .. او في المدينة المجاورة .. التي سمعنا في الاخبار انهم اخيراً دخلوها .. يزداد دبيب التوجس في الأعماق .. وسحابة قاتمة من السكون والترقب تلف صفيح المخيم وازقته .. تمتد يدي الى جيب معطفي المهتريء .. اشير الى ما احتاج باليد الاخرى .. يفهم ابو رشيد ماأريد .. نتبادل النظرات الغاضبة المقهورة في صمت .. ادس الأشياء في كيس وادفع عكازي في طريق العودة .. لم يعد في العمر بقية .

يا احلك الساعات .. ماذا تخبئين ؟! .. لمن هذه الرشقات .. والشهقات ؟ وعامود دخان يتصاعد من بيتي ؟!! ويمتزج الكل بضحكات همجية ؟!! وإذن وقع حدسك ياقلبي .. وتحقق نواحك ياعجوز الوداع .. « قف .. تعال هون » كانوا اربعة .. ولباساً غريباً ولكنة مالوفة .. وعيون ذئاب .. وايد تقبض على رشاشات وسواطير ..

وزجاجة خمر تدور بينهم وانا .. ياحلك الساعات .. لم يعد في العمر بقية لأي شيء و.. و .. ويدفعني الأول .. فيتلقاني الآخرون .. يدوسونني .. عفوكم ايها الآدميون .. انا شيخ عجوز .. رحمة بشيخوختي .. بمرضي .. بحزني .. يقهقهون .. تنهال آلاتهم الحادة على جسدي .. تقطع اجزاء من جسدي .. اصرخ .. اتلوى ألماً .. يمتزج



صراخي بضحكهم وصخبهم وبالصمت الرهيب الذى يلف المخيم مع الظلام .. ارفرف كعصفور ذبيح .. ازحف من بينهم وانا اجر معي بركة الدم .. افسد عليهم متعتهم .. يغضبون .. تسكت ضحكاتهم .. تصرخ رشاشاتهم فى ساقي .. في كتفي ..

ذراعي .. واتخبط فى دمي .. ويغرق كل شيء فى الظلام وفى انعدام الحس والحركة وسائل دافىء احمر يغطي البصر.

(٢)

الحاسة السادسة .. والقذائف المضيئة .. يدفعاني الى المخيم .. شيء ما يجرى هناك .. لابد ان احقق ضربة .. سبقا ..

خزيا اشتم رائحته من بعد .. رشقات رصاص .. شهقات مكتومة .. صورة من بعد .. قف .. من قال لك ان تدخل .. هات الصورة .. اخرج .. انفذ بجلدك .. احمد ربك انك لست منهم .. لماذا تعطفون عليهم ؟! .. ياللعار .. إذن انتم تذبحون الجميع .. بدم بارد .. رسالة تبشير جديدة من عالمنا الحر .. كيف انام الساعات الباقية من الليل . ؟ اصوات القتلة تطاردني .. اشباح القتلى تفزعني .. لابد ان الامر جسيم .. اتقلب .. ادون بضع كلمات .. رسالة مستعجلة إلى صحيفتي ..

هناك امور هامة تحدث قربي .. ساوافيكم بالبقية بعد ساعات الصباح .

صباح السبت .. « شبات شالوم » .. عليك يا شاتيلا .. ياإلهي .. ماهذا ؟! اكوام البشر .. واكوام الاسمنت .. وعيون مفقوءة وبطون مبقورة .. وحبال فى الايدي والأرجل .. واطفال .. وشيوخ .. ودماء ..

ودماء .. وذباب ازرق .. وصمت .. لاشيء .. سوى طنين الذباب الازرق ..

« عودوا إلى مساكنكم .. لا تقلقوا » .. الموت فى انتظاركم .. تحت قناديلنا المتوهجة .. اغيثونا .. انهم يذبحوننا ..

« لا ...لا .. نحن لا نتدخل في شؤونهم الداخلية » .. لاتقلقوا .. سيكون كل شيء على مايرام .. لن تشعروا بشيء .. عودوا لمساكنكم .. لن اكمل الرسالة اليوم ..

ساوافيكم بتفاصيل اخرى فى المرة القادمة .. اشعر بدوار .. بغثيان .. بحمى .. ماذا سيقولون ؟ كجمع من اللصوص .. من القتلة .. سيشير كل إلى الآخر ويكـون الشيطان رابعهم .. وسيغضب الشيطان ..

ثم يباركهم .. سيقهقه الشيطان .. ويهمس لهم .. هذا مهم للامان .. احسنتم وساصدر لارضيهم هم بيانا .. مجرد بيان ...

(٣)

قرات .. قرات .. سمعت .. سمعت .. ذهلت .. صدمت .. صداع وغضب .. ومذياع وتلفاز وحبة اسبرين .. وفي الصباح .. نظرت الى المراة .. بصقت ..

عاجز .. حقير .. خرجت الى الشارع .. لاشيء .. صمت .. جلدتني النظرات .. لملمت شعري .. ثياب النوم .. وعدت ..

اضرب بقبضتي على الطاولة .. اكتب .. اكتب .. امزق واشطب .. كلام .. كلام .. كلام .. ادب .. مقال .. خطب .. بيان ..

شجب .. ادان .. وبركة الدم تعلو الركب .. مباشر .. عميق .. قصة .. شروط وفن ..

ونقد .. وتسطيح .. ورفض وتقعير وتجريح وفلسفة وزعيق .. وتعلو بركة الدم فوق الجباه .. ويظهر قرص الشمس .. وتمضى الحياة .. املم اوراقي .. امزق .. شهاداتي .. وأرمي بها على السياج ..

حمدي الكحلوت

ليدي هاملتون

الفاتنة التي أسرت بطل البحار!

بقلم: جمال الكناني



الأميرال لورد هوراشيو نلسون الذي كتب آخر رسائله « لاما » اثناء معركة الطرف الأغر في ١٩ اكتوبر عام ١٨٠٥

قصة «إما» ليدى هاملتون ، فيها من الغرائب والمآسى ما يغنى كاتبها عن كل مبالغة أو تانق فى الأسلوب أو صنعة يستهوى بها القارىء أو يجذب انتباهه .. فالقصة غنية عن كل ذلك ، تبدأ من الحضيض وترتفع الى السماء ثم تهبط الى أسفل سافلين ... تبدأ بجوار الكير ثم تنتقل الى القصور وتنتهى فى السجون ... أولها فقر وضعة ووسطها عز وجاه وآخرها ذل ومسغبة .

والخير أن نبدأ القصة من البداية .

لما ولدت زوجة حداد فى قرية من قرى شمال انجلترا طفلة ، لم تتحرك فى القرية كلها شعرة واحدة ولا أحس بالمواودة غير أمها انسان .. بل ولم يعلم أبوها بمولدها حتى عاد من دكانه فى آخر النهار .. ولسنا نعرف تاريخ هذا الميلاد .. لأن الوليدة «إما» لم تقيد فى سجل المواليد ولكنها عمدت فى الكنيسة فى ابريل ١٧٦٥ تحت اسم «إميلى» ... ومات أبوها قبل أن تتم العام الأول من عمرها وكانت أمها تخدم فى البيوت حيناً وتحترف الخياطة حيناً آخر بينما كانت الجدة تشرف على تربية البنت.

ولحكمة لا ندريها غيرت الأم اسمها الى مسز «كادوجان» وغيرت البنت اسمها من «إميلى ليون» الى «إما هارت» .. فلما بلغت العقد الثانى من عمرها لم تجد صعوبة فى الحصول على عمل فى لندن ، فدخلت «إما» خدمة المنازل وهى فى الثالثة عشرة ... وبدأت العمل فى بيت الدكتور «رتشارد بد» حيث كانت تخدم «جين باول» التى أصبحت فيما بعد من أشهر الممثلات في انجلترا .



« إمـــا » او ليـــدي هاملتـــون التى كانـت لهـا جـــاذبية خـاصة ، جعلـت الفنانيـن يلاحقونهـا ويطلبون رسمها وتصويرهـا

ويقال إن إما خدمت بعد ذلك فى احد المتاجر ثم فى «حان» وعملت بعد ذلك رفيقة لامرأة مشبوهة السمعة ، ويقول البعض إن «إما» نفسها سارت على ذلك الدرب حينا ، ولكن العارفين ينفون ذلك تماماً ويبرئونها من تلك الفرية .

أبواب المجتمع

كان المجتمع البريطانى فى القرن الثامن عشر ، لا يحرم على المتزوج ـ من الاغنياء خاصة ـ اتخاذ صديقة له ، وكان المألوف إذ ذاك ، و «الموضة» الشائعة ، هى أن يتباهى الرجل بصديقته ، مما أرغم حتى الأمناء من الأزواج على اتخاذ صديقات «بالاسم فقط» لكى لا يتهمهم الأصدقاء بالرجعية والتخلف ... فكان هدف الفتيات الفقيرات هو الحصول على رجال اغنياء يتخذون منهن صديقات ، وخاصة وان هذه الحالة كانت مقبولة لدى المجتمع !!

بدأت «إما» تنضج وتتفتح اكمامها ويبهر جمالها الانظار ، وحصلت على صديق ريفى هو السير «هارى ستون هاو» وكان من سادة الريف يقيم حفلات الصيد فى المواسم ويدعو السادة والنبلاء ، رغم ما كان يتصف به من عبط ... وتعلمت «إما» ركوب الخيل والاختلاط بعلية القوم ومنهم ابن «ايرل اف واريك» وهو تشالز فرانسيس جريفل .

وكان جريفل هذا اصغر أولاد «الايرل» ولذا لم يكن له الحق فى ان يرث لقب ابيه او ممتلكاته ، فكان يعيش على راتب ربطه له ابوه ، وهو حوالى ٦٠٠ جنيه سنوياً يضاف اليه ما كان يتقاضى من وراء شغل بعض الوظائف الحكومية الصغيرة ، يساعده فى الحصول عليها خاله السير وليام هاملتون ، سفير بريطانيا لدى بلاط الملك فرديناند ملك نابولى .

ولفتت «إما» نظر جريفل وأسال جمالها لعابه ، فاستغل غفلة السير «هارى» صاحب «إما» واخذ يغازلها ويتودد اليها حتى استطاع ان يفوز بقلبها .. وساورت الشكوك السير هارى رغم غفلته ، فثار لكرامته فقرر طرد «إما» فى ديسمبر ١٧٨١ وهو يعلم انها فقيرة معدمة وانها حامل ولكن كان عنده من الأسباب ما اقنعه بانه غير مسئول عن ذلك الحمل ، وان الجنين الذى تحمله «إما» ليس من ظهره .. فخرجت من داره باكية لا تلوى على شىء .

وضاقت بها السبل فكتبت لصاحبها جريفل فى يناير ١٧٨٢ ، وكان قد شجعها من قبل على الكتابة اليه واعطاها ظروفاً معنونة باسمه ، ولعل فى ذلك ما يبرر او



الفاتنة التي أسرت بطل البحار!

يؤكد ما كان بينهما من علاقة ويوجه أصبع الاتهام اليه ويعزز شكوك السير هارى .. قالت فى خطابها لجريفل انها كتبت سبع مرات تستجدى السير هارى وتطلب مساعدته ولكنه تجاهل رسائلها وتمنت لو انها اصبحت صديقة جريفل وملك يديه كما ملكها السير هارى من قبل ، وطلبت منه أن يعينها فى محنتها ، دون أن تفصل اسباب المحنة مما يوحى بان جريفل كان يعرف انها حامل ، بل ولعله كان يعرف انه هو المسئول .

كان رد جريفل على «إما» غاية فى البرود اتسم بالصلف ... نصحها بان تحاول اصلاح ما فسد بينها وبين السير هارى ، فاذا فشلت واختارت أن تكون صديقة له ، فانه لن يسمح لغير أمها من أفراد اسرتها ـ أو أطفالها ـ بالعيش فى بيته ...

وضع جريفل هذه الشروط رغم انه كان يتلهف على صحبتها ولكنه كان يعرف أن الصديقات غاليات يكلفن الكثير من المال ... ولم يكن ماله كثيراً وهو فوق ذلك بخيل بفطرته .

ولدت «إما» فتاة اسمتها «إما الصغيرة» هى لاشك بنت جريفل ، فوكلت أمر تربيتها لجدتها الطيبة «مسز كد» ورضى جريفل ان يربط لها جعلا شهرياً لقاء ذلك .. وكانت الجدة الحنون تنفق على الصغيرة اكثر من ذلك الجعل بكثير ..

كانت «إما» وأمها صفقة رابحة بالنسبة لجريفل فقد وجد فى «إما» صديقة رائعة وفى امها مديرة حكيمة مدبرة لبيته فهبطت نفقات البيت الى ١٥٠ جنيه فى السنة ولم يزد ما كان يعطيه «لاما» أسبوعياً عن جنيه واحد يغطى جميع نفقاتها الشخصية .

لم يكن جريفل لين العريكة ولا كان سمحاً متساهلا فى معاملة «إما» ، يعيب عليها جهلها وعدم تهذيبها وعدم إلمامها بقواعد اللياقة والاصول المرعية فى المجتمع ، فكانت كلما أخطأت أغلظ لها القول وقسا عليها ولكنها ، لفرط حبها له ، كانت تغتفر له قسوته وتتقبل ما يفرض عليها من عقوبات بصدر رحب .

بدأ الرسامون والفنانون يلاحقون «إما» ويطلبون رسمها وتصويرها ، فزاد احساسها بما لها من جاذبية وأثر على الرجال ، وانها واحدة من فاتنات عصرها تنهال عليها العروض من اشخاص لهم فى المجتمع مراكز مرموقة ... ولكنها رغم كل المغريات ظلت مخلصة وفيه لصاحبها جريفل الذى لم يعاملها معاملة الخليلات ، فلا أهداها ماساً أو جواهر ولا قدم لها الهدايا .. فقد كانت تعجب به كل الاعجاب وتخلص له وتحبه بكل جارحة فيها .

الخطة الجهنمية

عاد السير وليام هاملتون ، السفير البريطانى لدى بلاط الملك فرديناند ملك نابولى ، وهو كما قلنا خال جريفل الذى يكبره بعشرين عاماً ، عاد الى انجلترا لقضاء اجازته السنوية فى عام ١٧٨٤ وكان إذ ذاك أرملا فى الرابعة والخمسين من عمره ، لا ولد له ولا بنت ، فكان يعتبر جريفل ابنه ، حتى انه قرر أن يكون هو وريثه الشرعى .

كان السير وليام رجلا رياضياً يحب المشي ويحافظ على صحته فكان يبدو اصغر سناً من سنه بكثير وخاصة انه كان مرحاً بفطرته يحب النكتة الحلوة ويجذبه الوجه المليح .. فلا عجب انه ارتاح «لاما» ورضي عن المحاولات التى بذلتها للترحيب به ارضاء لصاحبها جريفل الذى كان يتطلع لوضع يده على ثروة خاله ويحرص على أن لا يتيح له فرص الزواج لكى لا يعقب خلفاً يحرمه من الميراث .

استطاع السير وليام هاملتون أن يطمئن جريفل على مستقبله المالى بان تعهد بضمان اى قرض معقول يريد جريفل أن يحصل عليه .. وبذا تفتحت ابواب فى وجه جريفل وتحسنت فرص زواجه وبذا فترت علاقته بصديقته وبدأ يفكر فى سبل الخلاص منها واستبدالها بزوجة غنية ... والتقاليد تحرم الجمع بين الزوجة والصديقة تحت سقف واحد .

وفكر فى إغراء «إما» وتشجيعها على قضاء عطلة طويلة فى دار السفارة فى نابولى ، ضيفة على خاله السفير ، تصحبها أمها ، وهو على يقين من أن خاله لابد يتخذها صديقة له فلا يفكر فى الزواج فبدأ جريفل يمهد لخطته الجهنمية فى حذر تام ، ويحدث خاله ـ كلما لاحت فرصة ـ عن جمال إما وإقبال الفنانين على رسمها ومحاولة علية القوم أن يتقربوا منها ، ويتفاخر بانه هذب سلوكها ونبه وعيها بالآداب الاجتماعية .. فلما عاد السفير الى نابولى اخذ جريفل يلاحقه برسائله يطالبه بدعوة

«إما» وأمها لقضاء عطلة طويلة فى نابولى .. ورضخ السفير .. وقبلت «إما» السفر على مضض لانها كانت تكره فراق حبيبها جريفل .

وصلت «إما» ومعها أمها الى نابولى يوم ١٦ ابريل ١٧٨٦ وهى فى الحادية والعشرين من عمرها ، اكثر ما تكون جمالا وأروع ما تكون سحراً وجاذبية .. واحسن السفير استقبالها هى وأمها وأكرم وفادتهما ولكنها احست بحنين قاتل فاخذت تكتب لجريفل تبثه أشواقها وتطالبه بالكتابة اليها ولكنه تجاهل رجاءها .

بدأت «إما» فى السفارة حياة جديدة .. حياة الطبقات العليا فاخذت تتردد على المسارح ودار الأوبرا والحفلات الموسيقية فى صحبة السير وليام ... ولكنها لم تنقطع عن الكتابة لجريفل تؤكد له ان الحياة بدونه موت ولكنه لم يابه بالرد عليها .. وفى كل حب من يقبل ومن يسمح لنفسه بان يقبل وفى كل حب قلبان احدهما دافىء والآخر بارد .. للبارد قيمة لا تقدر ، والدافىء عديم القيمة جزاؤه ان يطرح بعيداً .. ولقد طرح جريفل قلب إما ورماه بعيداً ..

وبدأت علاقة السير وليام الافلاطونية تجاه إما تسخن وتتغير .. كان دبلوماسياً دربا محنكا .. فتمهل ولم يتعجل .. تقرب اليها بحذر ولم يعترض ابدا على كتابتها لجريفل .. وبدأت هى من ناحية اخرى تدرك ان فى علاقة جريفل فتوراً شديداً فحاولت ان تثير فى قلبه الغيرة وبدأت تعدد فى رسائلها اسماء من وقعوا فى غرامها من الكبراء والنبلاء ... الملك نفسه يرفع قبعته تحية لها .. ولم تدرك أن جريفل باعها يوم ركبت السفينة الى نابولى ... وبعد فترة وجه جريفل اليها طعنة فى الصميم واهانها اعظم إهانة إذ طلب منها ان تقدم نفسها لخاله وقال «حاولى ارضاء السير وليام» ... وطار صوابها وردت عليه تقول «لو كنت امامى فى هذه اللحظة لقتلتك وقتلت نفسى .. لن أرضى إلا بالعودة إليك » ...

وانهمرت دموعها بعد ذلك أياماً .. وواساها السير وليام وطيبت أمها خاطرها .. وتغير الحال وبدأت إما تهدد جريفل بانها قد تتزوج السير وليام ... واخذت تسعى لذلك جاهدة ووجدت ان امر الزواج من السير وليام جد عسير لانه كان يعتز بمركزه وحياته فى السلك السياسى وكان يرى فى وضوح الفرق بين ان تكون «إما» صديقته وأن تكون زوجته .. هل يقبلها ملك بريطانيا زوجة لسفيره ؟ وهل يرضى بها ملك نابولى وملكتها والكل يعرف انها من اصل متواضع وان سمعتها لا ترتفع فوق الشبهات ... وكانت هى بذكائها الفطرى تدرك ذلك كله ، وترى أن السير وليام قد يعمل على راحتها وسعادتها دون أن يطلب يدها .. فاخذت ترتب وتدبر لتحقق رغبتها فى الزواج من السفير .

الصدفة المدبرة

كان بين مبنى السفارة البريطانية فى نابولى وبين القصر الملكى ارض فناء فيها الكثير من الأشجار والخمائل ، أطلق عليها اسم الحديقة الانجليزية ... وكانت «إما» تعرف يقيناً ان ملك نابولى كثيراً ما يخرج للنزهة فى تلك الحديقة .. وخرجت «إما» ومعها تابع ، للنزهة فى نفس الحديقة .. وهناك اقترب منها رجل بادرها بالكلام .. وعرفته «إما» ولكنها تظاهرت انها لم تعرف الملك الذى كانت تعده من بين المعجبين بها .. وصدت الرجل صداً اقرب ما يكون للدعوة .. وعرف الملك انها غير جادة ، وإلا لعادت لتوها للسفارة بدلا من ان تتجه الى خميلة منعزلة ... واعطى الملك تابعها بعض المال وصرفه ... وتقدم «لاما» باقتراح لا ترضاه امراة شريفة فقالت له انها لا يمكن أن تعير الاقتراح أى التفات إلا إذا كان مكتوباً ... وقدمت له ورقاً وقلماً فكتب الملك ما أراد ...

ومن البديهى أن «إما» قد دبرت تلك الصدفة وذلك اللقاء ، لأن النساء لا يخرجن مزودات بالورق والاقلام ... وحملت «إما» اقتراح الملك المكتوب وراحت تبكى للملكة تشكو من أن رجلا غريباً لا تعرفه دهمها فى الحديقة واقترح عليها ما خطته يده .. وعرفت الملكة خط زوجها ، وكانت تعرف الكثير عن سلوكه ومطاردته للنساء ... ورأت الملكة فى «إما» الجميلة خطراً داهماً فاخذت تدبر لدرء ذلك الخطر .

وبعد تفكير وروية قررت الملكة أن سبيل الخلاص من «إما» هو أن تيسر لها الزواج من السير وليام ... واخذت تتحين الفرص لتلمح للسفير البريطانى بان بلاط نابولى يرحب باما زوجة للسفير .

وفى ١٧٩١ سافر السير وليام الى انجلترا وطلب من الملك جورج الثالث الاذن له بالزواج من إما ... وامتعض الملك ولكنه وافق على مضض وعلى شرط ان لا تدخل إما أى قصر من قصور ملك بريطانيا وان تستقبل فيها ... وتم الزواج فى لندن ..

لم يكن أول لقاء

وفى يناير ١٧٩٣ اطاحت الجليوتين براس لويس السادس عشر ملك فرنسا لاتهامه بالتامر ضد سلامة الدولة .. واطاحت المقصلة ذاتها براس أخته وراس ملكته بعد ذلك وسرعان ما شبت الحرب بين فرنسا وانجلترا .

وكتب نلسون حال قيام الحرب ، الى الأميرالية يلتمس أن يعطى سفينة حربية مهما كان نوعها واعطته الأميرالية سفينة من الدرجة الثانية وصدرت له الأوامر بالانضمام للاسطول البريطانى فى البحر الأبيض المتوسط ، وكانت مهمته إذ ذاك ضمان حبس الأسطول الفرنسى داخل موانىء جنوب فرنسا فاشترك نلسون فى حصار جزيرة كورسيكا ، واصيبت عينه اليمنى اثناء إحدى المناوشات وفقدت جل بصرها دون أن يتشوه شكلها .

أخذت جيوش نابليون تفوز فى المعركة بعد المعركة ، فطردت النمساويين من شمال ايطاليا واقتربت من نابولى ، وعلم ملكها فرديناند من شقيقه ملك اسبانيا ، أن فرنسا قد تحالفت مع اسبانيا .. وكانت الصداقة قد توطدت بين ملكة نابولى وبين إما هاملتون ، فاخبرتها الملكة بما تم من تحالف بين فرنسا واسبانيا ، وبذا تمكن السير وليام من ابلاغ الحكومة البريطانية بذلك .

فلما تمت هزيمة النمسا وانسحبت بروسيا من الحرب وانضمت اسبانيا لفرنسا وقفت بريطانيا وحدها امام نابليون فاستدعى الاسطول البريطانى من البحر المتوسط لحماية سواحل الجزر البريطانية. وانضم نلسون الى الاميرال السير جون جارفس الذى كانت سفنه تراقب سفن الاسطول الاسبانى الذى بدا يتحرك لينضم للاسطول الفرنسى فى برست . ووقعت بين الاسطولين معركة سانت فنسانت ، احرز فيها البريطانيون نصراً مبيناً وأبلى فيها نلسون بلاء حسناً فمنح لقب الفروسية .

وفى صيف نفس السنة صدرت الأوامر لنلسون بغزو تاناريف ووضعت تحت قيادته قوة بحرية لا تتناسب مع المهمة التى وكلت اليه . وحدث أثناء اشتباكات لم يوفق فيها نلسون أن فقد ذراعه الأيمن .

وما أن حل عام ١٧٩٨ حتى خيل لنابليون أنه البطل الذى لا يهزم ولا يقهر ... وقرر أن يغزو مصر ليتخذ منها قاعدة يغزو منها الهند ... وعاد نلسون الى البحر الأبيض المتوسط فى مايو ١٧٩٨ بعد أن صدرت له الأوامر بالعثور على الأسطول الفرنسى واعتراضه حتى لا يتمكن من الهروب .

وبعد بحث دام شهراً كاملا نقص تموين سفن نلسون لدرجة مقلقة فاراد ان يلجا الى سيراكيوز ، ميناء صقلية ، يلتمس منها ماء أو ميرة ولكن محافظ الميناء لم يسمح



القصر الذي خدمت فيه « إما » لاول مرة في حياتها

له بالدخول . وعلم السير وليام هاملتون بذلك ، وما كان من «إما» إلا أن ضغطت على صديقتها ملكة نابولى فسمح للاسطول بالدخول ... واتجه نلسون بعد ذلك الى «أبو قير» وهناك حطم الاسطول الفرنسى فى موقعة النيل وفيها اصابت شظية جبين نلسون فتهدل جلده حتى غطى عينه وظن انه قد فقد بصره .. فلما رد الجلد الى موضعه استرد نلسون بصره ولكن هذه الاصابة كانت السبب فيما كان يحس به من صداع دائم بعد ذلك .

لما عاد نلسون الى نابولى بعد بلائه فى موقعة النيل استقبلته «إما» ودموع الفرح تنهمر من عينيها ، ثم غابت عن الوعى .. ولم يكن ذلك أول لقاء بين ليدى هاملتون ونلسون لانه كان قد زار السفارة من قبل .

كان نلسون إذ ذاك فى الاربعين وكانت إما فى الثالثة والثلاثين . والمعروف عن نلسون انه يتمسك باهداب الشرف والفضيلة وانه كان متديناً كل التدين ولم يكن من المعقول أن رجلا هذه صفاته له ما لنلسون من شجاعة ، يخون صديقاً له فى زوجته ... ومن ناحية أخرى كانت إما قد ذاقت طعم السمعة الطيبة لما غطى رداء الزوجية ما وقع منها فى الماضى وما ارتكبت من أخطاء ، فلم يكن من المعقول أن تسعى وراء فضيحة جديدة ... ولكن كلا منهما وقع فى غرام الآخر رغم كل ذلك ، وخطا معاً فى كتاب الغرام قصة من أروع قصص الحب وأكثرها ألما وإيلاما .

فى ضيافة ليدى هاملتون

كان من الممكن بل ومن المحتمل أن تختفى صورة «إما» وتطوى فى لا شعور نلسون وان ينسى حتى اسمها لو أن سفنه رست بعد موقعة النيل فى ميناء غير نابولى ، وكان من الممكن أن يعتبر نلسون انه رد لاما جميلها لما أهداها أمة نوبية جاء بها من مصر . ولكن شاءت الأقدار أن ترسو سفن نلسون فى نابولى ، وأن تكون سفينة القيادة نفسها قد أصيبت بعطب يستلزم الاصلاح مما اضطر نلسون أن يطيل اقامته فى نابولى ، فى ضيافة ليدى هاملتون ... أو فى أسر سحرها .

لم يكن سير وليام هاملتون فى غفلة ... فاختار بين أمرين أحلاهما مر ... اختار بين الصمت والفضيحة ... وأثر الديبلوماسى ، وكان قد بلغ الثامنة والستين واعتلت صحته وهيض جناحه ، أن يغمض عينيه ويتشاغل بمصير نابولى التى عرضت نفسها لسخط فرنسا لما قدمت العون للاسطول البريطانى ، وأصبح من الواضح لكى ينجو ملك نابولى وملكتها فلايصيبهما ما أصاب لويس السادس عشر ومارى انطوانيت ، ضرورة الهروب الى مكان أمين لا يمكن أن يهاجم إلا عن طريق البحر وبذا يمكن الأسطول البريطانى أن يدافع عنه ... وكانت صقلية هى المكان المناسب فاهلها يكرهون الفرنسيين ويحبون الملك فرديناند .

وتم نقل الأسرة المالكة وحاشيتها من نابولى الى صقلية فى سرية تامة ، وفى معيتها السير وليام وزوجته إما ... ولكن ترى هل فكرت إما فيما يكنه المستقبل ؟ لقد وقعت فى حب نلسون معبود بريطانيا فهل فكرت كيف تلقى زوجته الشرعية «فانى» ؟

انتشرت الأخبار وعرف العالم أن نلسون على علاقة غرامية باما ، ليدي هاملتون ... وكتب الاصدقاء ينبهون نلسون فى لباقة ويرجونه أن يعني بصحته ... وأدرك نلسون انهم يوصونه لسمعته خيراً ، وكان هو بدوره يهتم بسمعته ... ولكن إما .. امرأة مغامرة ، فى نشوة الحب ، فاخذت تكثر من الحفلات ليراها الناس الى جانب بطلها ومعبودها وكانها تتحدى العالم وتقول « نددوا ماشئتم » ، ومن يدري فلعلها كانت تعرض على العالم قوامها قبل أن يدركها السمن الذى يدهم بعض النساء فى الثلاثينات وبعدها .. أو لعلها كانت تخشى السمن لعلة أخرى تعرفها هي وحدها .

اعتبر السير وليام هاملتون أنه أتم مهمته فقدم استقالته التى قبلت فوراً ... وكانت الملكة ماريا كارولينا ، ملكة نابولي قد قررت فى أوائل صيف ١٨٠٠ أن تزور النمسا وأن تكون إما وزوجها فى صحبتها ... وراق ذلك « إما » لان نلسون كان قد اضطر للعودة الى انجلترا بطريق البحر ، ودعته الملكة لمرافقتها فى الرحلة .. بذلك



إحـــدى اللوحـــات التى رسمهـــا لهـــا الفنانـــون .. اللوحة عنوانها : غـــازلة الصـــوف

الفاتنة التي أسرت بطل البحار!



يتحقق لاما ان تعود باطول طريق فى صحبة نلسون بعيداً عن اعين الرقباء الذين قد يكشفون سراً دفيناً كانت تحمله فى بطنها .. وهو ثمرة علاقتها بنلسون وسبب خوفها من زيادة وزنها وترهل جسمها .

استقبل الناس نلسون في فيينا استقبالا شعبياً وكانوا يتهافتون على اي مسرح او مكان يزوره . وانتقل الركب الملكي وفيه بطل موقعة النيل الى براغ ثم الى درزدن وفيها ذاقت إمـا طعم اول اهانة توجه اليها من اسرة حاكمة ، إذ ان حاكم درزدن وجه الدعوة لنلسون وحده .

ووصلت إمـا الى انجلترا بسلام .. وفى اواخر ١٨٠١ لزمت الفراش بحجة انها مصابة ببرد شديد ، وفى الاسبوع الاول من فبراير حملت إمـا وليدها الى بيت سيدة تدعى مسز جبسون .. واعلنت اسمها وطلبت من السيدة ان تتولى تربية الوليدة وادعت إنها ولدت فى شهر اكتوبر من العام السابق ١٨٠٠ محاولة بذلك ابعاد الشبهة عن نفسها لانها كانت إذ ذاك على سفر فى صحبة الملكة ولكن عيني المسز جبسون أدركت أن عمر الوليدة لا يزيد عن اسبوعين او ثلاثة ... وعرفت المربية ان اسم البنت « مس هوراشيا» دون اي لقب .. وكان نلسون فى البحر إذ ذاك ، فلما علم بمولد بنته طار لبه فرحاً .

لم تنل الأيام من عمق او حرارة الحب الذى جمع بين قلب نلسون وقلب إمـا . ولعل فترات غياب نلسون في البحر حدت من احتمالات سوء التفاهم .. كانت الأخطاء تنسى وتغتفر اثناء الفراق وكان كل لقاء شهر عسل جديد ... كان نلسون يعرف أخطاء إمـا وعيوبها ويعرف اسرافها وميلها لصحبة العامة وفتور شعورها تجاه بنتهما هوراشيا .

اعتلت صحة السير وليام هاملتون فى عام ١٨٠٣ وكان قد بلغ الثالثة والسبعين فلما أحس بوطأة المرض وهو على سفر عجل بالعودة الى داره ... ومات الديبلوماسى العجوز ونلسون وإمـا بجوار فراشه وذهب البعض إلى أن حزن « إمـا » على موت زوجها كان مصطنعاً ، ولكنها عبرت عن شعورها بدقة إذ قالت إنها بموته فقدت صديقاً وأباً .

حملت « إمـا » مرة ثانية ، ولكنها هذه المرة وضعت مولوداً ميتاً واستعانت بمسز جبسون على دفن الوليد سراً . اما الذي لم تستطع اخفاءه على الناس فهو وزنها الذى زاد بعد الوضع الثالث زيادة استغلها رسامو الكاريكاتير الى ابعد حـــد .

ضياع الحب العظيم

يقال إن الانسان يشعر بقرب المنية قبل بدء اية معركة حربية ، ولكنه لا يابه بذلك . والمعروف ان نلسون كتب آخر رسائله لامـا وهو على ظهر السفينة « فكتوري » اثناء معركة الطرف الاغر يوم ١٩ اكتوبر ١٨٠٥ عدد فيها خدماته لوطنه ، وكرر نفس المعنى فى مذكراته ، إذ قال « لو اني كنت اثاب على تلك الخدمات ، لطلبت ماشئت من بلادي ، ولكني على البعد ، اودع ليدي إمـا هاملتون امانة فى ذمة ملكي ووطني ليوفروا لها مايكفي ويزيد لكي تحيا حياة تناسب مقامها ومركزها ... واودع فى ذمة وطني كذلك بنتي بالتبني هوراشيا نلسون طومسون وأمل ان تقتصر مستقبلا على اسم نلسون » .

هكذا احس نلسون بدنو الاجل .. فهل كان موته انتحاراً أم قضاء وقدراً .. ؟ لم جعل من صدره هدفاً لرصاص العدو ولم غطى صدره بكل ما يملك من اوسمة ، راها صاحبه الوفي هاردي تلمع فادرك ان نلسون يريد ان يتحدى الفرنسيين ويقول هانذا نلسون ، سددوا رصاصكم لصدرى . فطلب هاردي من اميره ان يغير سترته فتعلل بقصر الوقت ولكنه اخذ يطوف برجاله يشجعهم ويشد ازرهم.فى ظهر ذلك اليوم حطمت رصاصة العدو فقرة فى وسط ظهر نلسون وحمله رجاله الى كبينه حيث اسلم الروح .

ونقل الخبر لامـا فخرت مغشياً عليها ، فلما افاقت اخذت تسال فى ذهول .. ماذا افعل ؟ كيف اعيش ؟ نعم .. كيف تعيش بغير حبها العظيم ؟ .

اغدقت الحكومة العطاء على شقيق نلسون وشقيقاته .. واهملت عشيقته وبنته فلم ينلهما أي خير ولم يرحم القدر إمـا بل اضاف الى همومها فى عام ١٨٠٦ لما اعلنت اولى بناتها « إما الصغيرة » انها بنت ليدي هاملتون فدوت اصداء الفضيحة ولاكتها الالسن .

الحت الأزمة المالية واذلت عشيقة نلسون فاخذت تكتب العرائض والشكاوي للحكومة وتذكر الدولة بما قدمت من خدمات وما اوصى به نلسون ولكنها لم تجد من يستمع لها او ياخذ بيدها .. فاستمرت فى بيع ما تملك دون ان تكبح زمام اسرافها .. فحملت هم الدين ومذلته وطاردها الدائنون ... كانت تخرج من ازمة مالية لتدخل ازمة مالية تالية ... وضيق الدائنون عليها الخناق .. وانتهى بها الامر فى سجن المدينين ومعها بنتها من نلسون ، وكان ذلك في يناير ١٨١٣ . وتقدم اهل الخير لنجدتها وجمعوا من المال ما مكنها من الخروج من السجن مؤقتاً ... ولكنها عادت تسرف وتبذر وتقترض ، وزج بها فى معتقل المدينين فقضت فيه عاماً كاملا ، فلما خرجت اضطرت ، تحت ضغط الدائنين ، الى الهرب مع بنتها الى كاليه بفرنسا فى يونيه ١٨١٤ . وهناك نزلت فى افخم فندق املا منها ان تلقى هناك من اشراف الانجليز من ياخذ بيدها او من يتزوج بنتها ، ولكن شيئاً من ذلك لم يحدث فاضطرت الى الاقامة فى بعض بيوت الريف وواصلت الكتابة لكل من تعرف من عظماء انجلترا فكان البعض يتصدق عليها بجنيهات معدودات تنفقها على نبيذ تشربه ليتلم حدة آلامها وينسيها ما انحدرت اليه بعد العز والجاه .

وتدهورت صحة إما ونال المرض منها ولكن علتها الرئيسية كانت روحها المحطمة التى افقدتها الرغبة فى الحياة .. فماتت غير ماسوف عليها فى ١٥ يناير ١٨١٥ وتولت القنصلية البريطانية فى كاليه أمر دفنها وسددت ديونها وكان آخرها ٧٧ جنيها لتاجر الخمور .

كان في جنازة إمـا رغم بساطتها ، أمر واحد لابد كان يسرها .. نالت إمـا هاملتون فى حياتها شهرة وطاردها العظماء والملوك يطلبون القرب منها ، ونالت سمعة عالمية سيئة بسبب ما احاط بحياتها من فضائح ، وصادقت ملكة وذاقت احتقار ملكة اخرى ، وانفقت المال دون حساب وبعثرت منه الكثير وماتت فى فقر ومسغبة ، ملابسها في دكان الرهونات ... احبت بلادها ، انجلترا ، وخدمتها باخلاص وتنكر لها الوطن فماتت فى قطر اجنبي ومع ذلك فقد لبس كل بحار وقبطان فى كاليه افخر ماعنده وساروا جميعاً وراء نعشها يشيعون جنازتها ... رجال أشداء عاطفيون لا يابهون للقيل والقال .. نلسون هو بطلهم وهي ـ كما كانت دائماً ـ معبودته إمـا .

جمال الكناني ـ لندن



بقلم : الدكتور محمد البهي

"البخل"

يجيء البخل في آيات القرآن الكريم بمعنى : الامساك والمنع عن انفاق المال على النفس ، او على الآخرين ، وليس بمعنى الطبع المؤدي للمنع ، الذي هو الشح .

فيقول الله تعالى في سورة الليل : وأما من بخل واستغنى (أي أمسك عن انفاق المال ، ورأى الاستغناء بامساك المال وجمعه : عن الناس ، وعمل الخير) وكذب بالحسنى (وتبعاً لما رآه من الاستغناء بجمع المال وعدم انفاقه : يكذب باثار العمل الخير وبما يحسن الى الآخرين) . فسنيسره للعسرى (أي فسينتهي أمره الى الشدة والأزمات في علاقة الآخرين معه في مجتمعه ، بسبب حقدهم عليه وتربصهم للنيل منه ، فضلا عن شدة العذاب المرتقب له في الآخرة) .. فالبخل أتى هنا بمعنى انفاق المال بوجه عام .

ويخاطب القرآن المؤمنين في سورة محمد – عليه السلام – بقوله : يا أيها الذين آمنوا : أطيعوا الله ، وأطيعوا الرسول ، ولا تبطلوا أعمالكم . إلى أن يقول : انما الحياة الدنيا لعب ولهو (أي لا ثبات لها ولا اعتداد بها) وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم (والأجور هي جزاء الايمان والتقوى في الآخرة) ولا يسالكم أموالكم (أي لا يطلب منكم في دنياكم مع الايمان والتقوى : التنازل عن الاموال ، بحيث يخل التنازل عنها جميعاً بمعاشكم . ولكن ما يطلب من أموال المؤمنين هو جزء يسير منها لمعاونة أصحاب الحاجة في مجتمعهم) . إن يسالكموها فيحفكم (لأن الله يعلم : انه إذا طلب منكم المال فان الطلب سيكون له كله) تبخلوا ويخرج أضغانكم (وعندئذ إذا ما طلب المال كله منكم فانكم تبخلون به أي تمنعونه وتمسكونه عن الاعطاء وفي الوقت نفسه سيظهر مافي أعماق نفوسكم من الكراهية لدين الله ولرسوله عليه السلام حقداً عليهما ، بسبب احراجكم في أموالكم بالتنازل عنها جميعها). ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله (باخراج الزكاة في حدود ما يساوي ربع العشر للمال) فمنكم من يبخل (ومع ذلك فبعض منكم يمسك عن الانفاق والعطاء فكيف إذا طلب المال كله ؟ .. أو على الأقل تراوده نفسه بالتردد في الانفاق) ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه (ولكن من يمسك عن انفاق هذا الجزء اليسير – وهو ما يعبر عن الزكاة الواجبة – فانما في واقع الأمر : ضرر امساكه يعود على نفسه وحده . أي أن عقوبة الامساك للمال عن الانفاق في سبيل الله تعود على الممسك وحده)

وقد جاء التصريح بذلك في قول الله تعالى : ولا يحسبن الذين يبخلون (أي من المؤمنين) بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم ، بل هو شر لهم ، سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة .. والله الغني وانتم الفقراء (ولم يكن طلب هذا الجزء القليل من أموال المؤمنين كزكاة لأصحاب الحاجة بينهم .. بسبب احتياج الله سبحانه وتعالى . بل الله هو الغني دائماً ، ومن عداه من الناس جميعاً هم فقراء إليه دائماً . ولكن بسبب الترابط بين أفراد الأمة وعدم حقد صاحب الحاجة على مافي يد صاحب الثراء) .

وجاء البخل كذلك بمعنى الامساك ومنع الانفاق للمال على العموم فيما يقصه القرآن من شأن المنافقين كصفة من صفاتهم في قول الله تعالى : ومنهم (أي من المنافقين) من عاهد الله : لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين . فلما آتاهم من فضله بخلوا به (أي أمسكوه عن الانفاق) وتولوا وهم معرضون (أي عن طاعة الله وتنفيذ ماعاهدوه عليه ، من الانفاق والصلاح) فاعقبهم نفاقاً في قلوبهم الى يوم يلقونه ، بما اخلفوا الله ما وعدوه ، وبما كانوا يكذبون .

وإذا كان البخل بمعنى الامساك ومنع المال يأتي من المؤمن والمنافق .. فان الشح وهو طبع للانسان يكون من المادي الذى يؤمن بنفسه وحدها ، دون أن يؤمن بالله واليوم الآخر .

وثيقة تاريخية بالغة الأهمّية

في المسألة الصهيونية الفلسطينية بالكونجرس الأمريكي (١٩٤٣ - ١٩٤٥)

بقلم : الدكتور عاصم الدسوقي

لماذا طال الحوار حول هجرة يهود أوربا إلى فلسطين؟

فى العدد السابق استعرضنا شهادة وليام برنارد زيف أمام لجنة الشئون الخارجية بالكونجرس فى موضوع انقاذ يهود أوربا . وقد بدأ زيف من حيث انتهى الشاهد الذي سبقه (دين الفانج) ، فوجه نقداً مريراً للسياسة البريطانية فى فلسطين وخاصة للكتاب الأبيض (١٩٣٩) ، كما اتهم تلك السياسة بمعاداة السامية . ولقد وصل الحوار معه إلى مأزق طريف عندما أصر على أن يهتم الكونجرس بتوفير المكان الذي يلجأ إليه اليهود المهاجرون أولا ويعني به فلسطين ، بينما أعضاء الكونجرس يرون ضرورة أن يسبق ذلك تسهيل خروج اليهود من أوروبا أولا وتأمين وصولهم الى المكان .

ورفض الشاهد فكرة توطين اليهود فى كندا أو فى الأمريكتين أو في أي مكان آخر عدا « وطنهم » فلسطين . كما رفض فكرة إحالة المشكلة الى اللجنة الدولية المشتركة لشئون اللاجئين على أساس أن مشكلة اليهود تتمايز عن مشكلة اللاجئين الدوليين وهي نغمة مسيطرة على شهادة الموالين للصهيونية .

ونتابع فى هذا العدد الجزء الأخير من جلسات الاستماع ..

دارت المناقشات حول قضيتين محددتين من أعمق المشكلات التى تمس موضوع انقاذ يهود أوربا من هتلر وموضوع فتح أبواب فلسطين كملجأ يؤسسون فيه وطناً قومياً لهم .

وفيما يتعلق بالقضية الأولى نشأ اتجاه بين أعضاء لجنة الشئون الخارجية حول ضرورة توسيع مهمة هيئة الانقاذ المقترحة بحيث تشمل كل الأقليات والعناصر التى تعانى اضطهاداً فى أوربا بشكل عام دون أن تركز فقط على اليهود . وقد تزعم هذا الاتجاه روبرت شيبرفيلد (جمهورى) ، وكارل موندت (جمهورى) ، وجيمس وادزورث (جمهورى) . ولا يبعد أن تكون هذه محاولة من الجمهوريين لاحراج الحزب الديموقراطى الحاكم وافشال تبنيه لمشروع القرار الخاص بانقاذ اليهود .

وكانت البداية عندما وجه شيبر فيلد سؤالا لعمدة نيويورك (لاجورديا) (١٩) ، عما إذا كان لا يمانع فى توسيع مشروع قرار الكونجرس ليشمل الأقليات والعناصر التى تعانى اضطهاداً فى أوربا بشكل عام

● هل كان اليهود وحدهم هم الذين اضطهدهم هتلر ؟

● عضو في الكونجرس يطالب بالدفاع عن كل الشعوب المضطهدة من النازية بدلا من التركيز على اليهود وحدهم .

● اتجاه ـ لم ينجح ـ في الخارجية الأمريكية يدعو إلى عدم الموافقة على إقامة دولة اسرائيل

دون التركيز على اليهود فقط . فقال لاجواردیا انه لا يمانع فى ذلك . وهنا التقط موندت الخيط وساله عما اذا كان لا يمانع إذن فى تعديل مشروع القرار بحيث تحذف «اليهود» من المشروع وتحل محلها كلمة «الشعوب المضطهدة» أو كلمة «الاقليات المضطهدة» ، أو الجمع بين الاثنين حيث أن البولنديين مثلا وهم مضطهدون لا يعتبرون اقلية فى بولندة بطبيعة الحال . فقال العمدة ان هذا يحتاج الى دقة وحرص ومهارة فى الصياغة والتعديل حتى لا يحدث ما لا يحمد عقباه . غير ان رئيس الجلسة وهو ديموقراطى تدخل فى الحوار مشيراً الى أن حذف كلمة «اليهود» قد يساوى عدم الموافقة على المشروع برمته . ولكن الابقاء عليها واضافة كلمة «الشعوب المضطهدة» لا يضر بالمشروع .

ثم اقترح موندت (جلسة ٢٦ نوفمبر ١٩٤٣) ادخال تعديل على مشروع القرار بحيث يشمل برعايته كل اللاجئين والمضطهدين بصرف النظر عن جنسياتهم . وعرض هذه الفكرة على مساعد وزير الخارجية (لونج) عندما كان يلقى بيانه أمام اللجنة طالباً منه وجهة نظر الخارجية الامريكية تجاه فكرة من هذا النوع من حيث مدى القبول او الاعتراض . فلم يمانع لونج من توسيع المشروع ليشمل كل المضطهدين بصرف النظر عن الجنس والمعتقدات الدينية والسياسية . ولكنه أوضح أن المشروع كما هو معلن خاص بانقاذ اليهود فقط ما لم يدخل الكونجرس تعديلا آخر . وفى هذه الحالة قد تكون هناك مشكلة ما بشان هذا التعديل عند الجانب اليهودى .

وقد قال موندت شارحاً مقصده ان المشروع بصيغته المقدمة يعد سابقة خطيرة فى تاريخ الولايات المتحدة تقوم على استثناء فئة معينة من البشر بالاهتمام والرعاية . وهى بهذا تفعل نفس ما يفعله الالمان بصورة عكسية .. فالالمان اختصوا فئة معينة بالاضطهاد ، وامريكا تختص هذه الفئة نفسها بالرعاية . ومن ناحية اخرى ـ كما يقول موندت ـ فان التركيز على انقاذ اليهود فقط قد يجعل الالمان يسرفون فى قمع اليهود والقضاء عليهم .

وعندما قال موندت انه بعد التفكير فى تقديم اقتراح بالتعديل اتصل به بعض الشهود راجياً منه أن لا يقدم التعديل «على أساس أن كل مجموعة من المجموعات المضطهدة فى أوربا اليوم لها هيئة رسمية تمثلها فى اى مكان آخر من دول الحلفاء (في المنفى) فيما عدا الشعب اليهودى الذى لا يتمتع باية هيئة من هذا النوع .. وان مشروع قرار الكونجرس قد يؤسس لليهود هذه الهيئة الخاصة التى تمثلهم ...» . وهذه الهيئة قد توحى بانها حكومة فى المنفى سوف تتولى بحث مشكلات اليهود بعد الحرب وهى مشكلات لابد وان تتصل بفلسطين . ومن ثم فهو يسأل لونج .. هل الحكومة الامريكية لديها الاستعداد للتعامل مع مشروع القرار الذى يرمى الى انشاء هيئة الانقاذ لتقوم بمسئوليات اليهود بعد الحرب فيما يتعلق بفلسطين وبانشاء وطن قومى لليهود هناك.

فى اجابة لونج نلمس انه لا يشجع مثل هذا الاتجاه ، إذ يقول اننا فى الولايات المتحدة لا نفرق بين الناس على أساس العقيدة ، فاليهود موجودون فى كل مكان كمواطنين وفى كل الوظائف التشريعية والتنفيذية ، ولهم كل الحقوق وعليهم كل الواجبات . ولكننا لا نعرف سياسة الحكومات الاخرى تجاههم . ولا يوجد من اليهود من يعاني وضع المواطنة سوى فئة قليلة لا تتمتع بحقوق المواطنة فى البلاد التى تعيش فيها ، او بمعنى آخر ليس لها حكومة مسئولة عنهم Stateless ، وهي المجموعة التى كون لها برجسون جيشاً خاصاً كما سبقت الاشارة . وهؤلاء الناس يؤخذون الآن الى بلاد مختلفة كلاجئين ، ويمكنهم البقاء فى هذه البلاد كمواطنين إذا ما رغبوا ، بل وبامكانهم ان يكونوا كذلك هنا فى الولايات المتحدة التى ادخلت الى اراضيها ستمائة شخص من اولئك الـ Stateless خلال الستة شهور الماضية .

ومن هنا يمكن القول إن الخارجية الامريكية على لسان مساعد وزير خارجيتها ترفض انشاء دولة يهودية تقوم على الدين الواحد ، وانها تفضل ذوبان اليهود فى البلاد التى يعيشون فيها كمواطنين .

ثم جاءت الضربة الاخيرة من وادزورث حينما طلب من مساعد وزير الخارجية الأمريكي (لونج) ان يذكر التعديلات المقترح اضافتها الى مهام اللجنة الدولية المشتركة لشئون اللاجئين ، وهي تعديلات كانت ما تزال سرية حيث لم تكن قد عرضت بعد (حتى ٢٦ نوفمبر ٤٣) على جميع الدول المشتركة فيما عدا بريطانيا

والولايات المتحدة اللتان وافقتا على التعديل . فقال لونج إن التعديل المقترح كما يلي :

« إن اللجنة بتفويض من الدول الاعضاء تقوم بالتفاوض مع الدول المحايدة ودول الحلفاء والمنظمات المختلفة لاتخاذ الخطوات اللازمة للمحافظة على هؤلاء الاشخاص المطرودين من ديارهم ، ورعايتهم ، ونقلهم بجهودها الخاصة للهروب من المناطق التى تتعرض فيها حياتهم وحريتهم الى الخطر بسبب الجنس الذى ينتمون إليه أو بسبب معتقداتهم الدينية والسياسية . وسوف تتسع عمليات اللجنة لتشمل كل البلاد التى يخرج منها مهاجرون بسبب حالة الحرب فى أوربا أو في أي مكان آخر تجد فيه لاجئا . ولسوف تفوض اللجنة التنفيذية فى استلام الأموال الخاصة والعامة التى تصل اليها وانفاقها على الاهداف التى سبق ذكرها » .

وهنا قال وادزورث انه إذا ما وافق عدد معقول من الدول الاعضاء فى هذه اللجنة على هذا التعديل بشكل اغلبية ، فان هذا « يمثل إجابة كاملة لكل المشكلة التى نحن بصددها اكثر مما يعني به مشروع قرار الكونجرس لأن التعبيرات المستخدمة فى هذا التكليف أو مهام اللجنة الدولية المشتركة واضحة ومحددة وقوية بحيث أن نشرها على الملا سوف يعيد تاكيد كل الجهود التى يحاول الكونجرس التوصل إليها ، وأفضل من ابقائها سرية ، وأفضل من استمرار لجنة الشئون الخارجية فى تلك المناقشات .» .

ثم حدث اختلاف بين المجتمعين من اعضاء لجنة الشئون الخارجية بين اذاعة هذه النصوص وبين ابقائها سرية أو اذاعتها فى وقت واحد وباتفاق جميع الدول الأطراف . وقد تزعم وادزورث وموندت فكرة اذاعتها .

ان هذه المناقشات من جانب الاعضاء الجمهوريين فى اللجنة تبين بوضوح انهم كانوا ضد تخصيص هيئة بعينها للعمل على انقاذ يهود أوربا ، وانهم كانوا يفضلون ايكال هذه المهمة الى اللجنة الدولية المشتركة لشئون اللاجئين ، وهى اللجنة المسئولة عن كل اللاجئين الدوليين دون تمييز عنصرى أو دينى أو سياسى .

اما القضية الثانية فهى خاصة بمدى علاقة مشروع قرار الكونجرس بفتح ابواب فلسطين لتهجير اليهود اليها . وكان الشهود الذين يمثلون اللجنة العاجلة (وهى لجنة صهيونية للتذكرة) قد قالوا فى شهاداتهم امام جلسات الاستماع ان مشروع القرار يعنى فتح ابواب فلسطين لليهود وانشاء وطن قومى لهم هناك ، وان لجنتهم سوف تمارس ضغطاً على هيئة الانقاذ المقترحة لكى تبادر بانشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين .

غير ان اعضاء لجنة الشئون الخارجية للكونجرس من الديمقراطيين والجمهوريين على السواء نفوا بشدة ان يكون للمشروع اتصال من قريب أو بعيد بفتح أبواب فلسطين للهجرة امام اليهود . وشاركهم فى هذا الاتجاه الشهود الآخرون من غير التنظيمات الصهيونية .

وكان هربرت مور أول من نبه الاذهان الى خطورة اقحام المسالة الفلسطينية أو العربية فى موضوع مشروع القرار من حيث ضرورة ارغام بريطانيا على فتح ابواب فلسطين (جلسة ٢٦ نوفمبر ١٩٤٣) ونادى بضرورة ان تنحصر المناقشة فى اخراج اليهود من أوربا دون تحديد بلد معين ينقلون اليه . ويكفى ـ كما يقول ـ القول بان البرتغال واسبانيا والسويد وفنلندة وسويسرة وتركيا ، يمكنها استضافة اليهود ، ودون تخصيص نسبة معينة لكل منها خاصة وان بلداً مثل اسبانيا أخذ بالفعل عدداً من اليهود ثم نقل بعضهم الى المكسيك وبوليفيا والدومينيكان . كما قال هربرت مور ان الذين يقحمون المسالة الفلسطينية بهذا الشكل يقومون بدور تخريبي لجهود الكونجرس ، ويعملون على احراج امريكا مع حليفتها بريطانيا .

وعندما سئل مساعد وزير الخارجية الامريكى (لونج) عن ذلك نفى ان يكون للمشروع اتصال بفلسطين بشكل محدد فيما عدا ان الاشخاص الذين يخرجون من افريقية مصادفة يمكنهم ان يدخلوا فلسطين اذا كانت الفرصة قائمة (جلسة ١٩ نوفمبر ١٩٤٣) .

اما فرانسيز جونثر فرغم انها تعمل امينة صندوق اللجنة العاجلة ، الا انها ابدت اقتناعها اثناء الحوار معها ، بان يكون دور هيئة الانقاذ المقترحة ترتيب معسكرات مؤقتة فى بلدان مختلفة لاستقبال اليهود واقامتهم مدة الحرب ، وانه ليس من ضرورة للتدخل فى شئون السياسة البريطانية فيما يتعلق بفلسطين (١٩) .

وعندما انتهى الحاخام ستيفن وايز رئيس المؤتمر اليهودى من القاء بيانه (٢٠) ، طالب بتعديل مشروع القرار باضافة ملحق أو نص يسمح بفتح أبواب فلسطين امام اليهود المهاجرين . وعندئذ قال له بورجين (ديموقراطى) : هل يعنى ذلك انه اذا ما تمت الموافقة على المشروع وتعيين « هيئة » خاصة لهذه العملية ، ان يتضمن ما يشير الى الاصرار على ان تفتح الحكومة البريطانية ابواب فلسطين . فاجاب وايز على ذلك بقوله ان هذا يتعلق بالفهم الذى يجب ان يكون بين اعضاء هذه اللجنة واعضاء الكونجرس ، وحريتهم فى مناقشة موضوع ابقاء ابواب فلسطين مفتوحة بواسطة الحكومة البريطانية . كما قال انه لا يعنى بذلك ارغام بريطانيا بالقوة على ذلك ، بل يجب ان يكون واضحاً فى ذهن اعضاء اية هيئة سوف تعين لهذا الغرض ، وبحيث لا تبحث هذه الهيئة فى فتح ابواب بلغاريا أو يوغسلافيا أو مراكش بل تبحث فى فتح أبواب « الوطن القومى لليهود (فلسطين) كما نفهمه وكما كان خلال قرون التاريخ ، وكما أشير اليه فى الانتداب البريطانى » .

ونظراً لأن الحاخام وايز يمثل نسبة كبيرة جداً من المنظمات والجمعيات اليهودية فى الولايات المتحدة (٦٥ منظمة) فقد استطال الحوار والجدل معه حول هذا التعديل الذى يريد اضافته للمشروع . اذ قال له هيرمان ايبرهيرتر (ديموقراطى) ان الربط بين مشكلة انقاذ اليهود من أوربا وهى مهمة عاجلة ، وانشاء وطن لهم فى فلسطين ليس عملا مناسباً الآن وقد يفسد القضية الاساسية وهى قضية الانقاذ . فوافقه الحاخام على ذلك ، ولكنه قال انه لا يتكلم عن وطن قومى لليهود فى فلسطين ولكنه يطالب بفتح ابواب فلسطين فقط لأنها أقرب مكان لليهود أوربا الهتلرية من امريكا اللاتينية ومن انجلترا ومن أى دولة اخرى ، خاصة وان البحر المتوسط تحت

سيطرة امريكا وبريطانيا وليس تحت سيطرة هتلر وموسوليني ، ومن الممكن القيام بذلك بكل سهولة لو ان هناك ارادة واعية مصممة . وعندئذ قال ايبرهيرتر انه يرفض تضمين مشروع القرار اية عبارة عن فلسطين أو الوطن القومى لليهود أو الكومنولث اليهودى .. فأكد الحاخام مرة اخرى انه يريد فتح ابواب فلسطين . فعاجله ايبرهيرتر بقوله « .. للاقامة المؤقتة .. » ، فقال الحاخام يمكنك ان تقول ذلك ، ولكنى اخبرك بأن أى يهودى تطأ قدمه أرض فلسطين فلن يغادرها مرة اخرى مهما كانت الأحوال « لأنه ظل ينتظر هذه اللحظة الفى سنة منذ تحطيم هيكل اورشليم فى القرن الاول على يد تيتوس وفسبسيان .. » .

وهنا اضطر روجرز مقدم المشروع الى القول ان الهدف من انشاء « هيئة الانقاذ » ان تقوم بالاجراءات التى لم تقم بها اى من الهيئات أو الأفراد آنذاك ، حيث لا توجد فى الولايات المتحدة وكالة واحدة تكرس وقتها كله لكيفية اخراج الناس من البلاد التى تحتلها المانيا . وهو يقول ان هناك وكالات أخرى وخاصة اللجنة الدولية المشتركة تختص بمباشرة أمور اللاجئين عندما يصلون الى أراضى الدول المحايدة أو اراضى دول الحلفاء . وعلى هذا فان هدف « هيئة الانقاذ » اخراج الذين يعانون اضطهاداً لكى يصبحوا لاجئين تتولاهم بعد ذلك الوكالات الأخرى المتخصصة . ولما كانت مشكلة اللاجئين مشكلة كبرى ومعقدة ، فان مشروع القرار ـ كما قال روجرز وزميله بولدوين مقدمى المشروع ـ يختص بجانب صغير من جوانب هذه المشكلة وهو بهذا لا صلة له بفلسطين باى حال من الأحوال .

ثم طلب روجرز من الحاخام وايز رأيه بشكل محدد فيما اذا كان يعتقد بوجود صلة ما بين المشروع كما هو موضوع وبين فلسطين ، فاجاب الحاخام انه أساساً يعترض على عدم وجود هذه الصلة اصلا ، وهو أمر غير مفهوم عنده ، فقال روجرز ان المشكلة تنقسم الى شقين مختلفين : الأول يختص بانقاذ اليهود ورعايتهم وهذا هو هدف المشروع ، والثانى ويختص بالمكان الذى يذهب اليه هؤلاء وهذا من اختصاص هيئات أخرى مثل اللجنة الدولية المشتركة . وأشار على الحاخام بأن يتقدم اليها باقتراح فتح ابواب فلسطين ، وان كان ذلك لا يعنى الفصل بين الشقين (الانقاذ ودخول فلسطين) من الناحية النظرية . ولكن فتح ابواب فلسطين لم يكن فى ذهنه أو ذهن زميله بولدوين عند صياغة المشروع .

وهنا انتهز رئيس الجلسة الفرصة وقال حيث ان اللجنة الدولية المشتركة تقوم ايضاً بانقاذ المضطهدين سواء كانوا أو يهوداً أو غيرهم (الشق الأول) وتختص بالبحث عن المكان الذى تنقلهم اليه (الشق الثانى) ، فلماذا لا يكون الشق الثانى ايضاً من مهام « هيئة الانقاذ » المقترحة فى المشروع . فقال روجرز بحدة ان البحث عن اماكن للاجئين تقوم به جهات ومنظمات متعددة . اما اخراج اليهود من اوربا فلا توجد له هيئة مختصة وما يحاوله المشروع هو تحويل اليهود المضطهدين الى لاجئين ليكونوا بعد ذلك من مسئوليات اللجنة الدولية المشتركة .

واستمراراً فى الحوار مع الحاخام وايز قال تشارلز ايتون (جمهورى) لعل موقف بريطانيا من عدم فتح ابواب فلسطين امام اليهود الآن راجع الى ان هذا قد يؤدى الى انتفاضة بين المسلمين هناك تنتهى الى اوضاع غير مستقرة كما هو حادث فى الهند حيث الصراع بين المسلمين والهندوس ، ومن هنا تحاول بريطانيا بهذا الموقف تأجيل اشعال نار من هذا النوع ريثما تستقر نار الحرب العالمية المشتعلة لتتمكن من التعامل مع المشكلة بعد ذلك . فقال الحاخام رداً على هذه الملاحظة ان خطر انتفاضة بين المسلمين لهو محض وهم وخيال كثيراً ما اسيء استخدامه وفهمه فى العلاقات الدولية ، اذ ليس هناك خطر من انتفاضة المسلمين . واشار الى ان أحد المسئولين من الحكومة الامريكية وكان فى شمال افريقية ، قال له ان المسلمين فى شمال افريقية لا يعرفون بالوجود العربى . فليس هناك اتصال بين الشعوب العربية ، وكل منهم يقف منفرداً ومنعزلا عن الآخر . فالسعودية مثلا لا تهتم بشرق الأردن ، وشرق الأردن لا يهتم بسوريا ، وسوريا لا تهتم بفلسطين . كل منهم فى واد ، ثم قال ايضاً انه لا يود اثارة مشكلات مع العرب ، ولكن يمكن لانجلترا ان تقول لهم فى تبرير فتح ابواب فلسطين : « عليكم ان تساعدونا فى حل المسألة التى تمس ضمير العالم المتمدين .. ليس فى وسعنا ان نترك ملايين اليهود بلا وطن على الأرض » . وان على اللجنة الدولية المشتركة ان ترسل اليهود الى المكان الذى يختارونه بأنفسهم (فلسطين) ، وليس الى المكان الذى تختاره اللجنة لهم .

وخلال المناقشات الحادة حول رغبته فى اضافة تعديل يشير بفتح ابواب فلسطين للمهاجرين اليهود ، قدم اندرو سخيفلر (جمهورى) اقتراحاً بصيغة للتعديل كما يلى : « ان يقوم الرئيس الامريكى بمقتضى التفويض المخول له بتعيين هيئة commission تضم خبراء دبلوماسيين واقتصاديين وعسكريين للتعاون مع وكالة اللجنة الدولية المشتركة التابعة لوزارة الخارجية لوضع خطة تهدف الى العمل على انقاذ من تبقى من الشعب اليهودى من جراء ابادتهم على يد المانيا النازية ، والمطالبة بفتح ابواب فلسطين فوراً لأى عدد من اليهود التعساء الذين نجوا من الموت » . وقد اعلن الحاخام موافقته على هذه الصيغة .

وعند هذا الحد انتهت جلسات الاستماع التى استعرضنا جوهر ما دار فيها من مناقشات . اما البيانات التى القاها كل من لويز هاينز مندوب فيدرالية عمال امريكا ، وكيرمت ابى Eby مندوب مجلس المنظمات الصناعية ، فهى لم تثر اى جدل أو نقاش لأنها كانت بيانات قصد بها محاولات انقاذ اليهود دون الدخول فى تفاصيل تثير الجدل والخلاف . ولا ننسى ان هذه المنظمات تمثل قطاعاً كبيراً فى المجتمع الامريكى الا وهو قطاع العمال واصحاب الصناعات المختلفة .

د. عاصم الدسوقي

هوامش

(١٩) جلسة ٢٤ نوفمبر ١٩٤٣ .

(٢٠) انظر نص بيانها امام اللجنة فى ٢٤ نوفمبر ١٩٤٣ بالملحق رقم (٣) . ومن الملاحظ ان بيانها لم يثر اسئلة جوهرية معها حتى لقد اعربت للحضور عن اسفها ، لكن رئيس الجلسة قال ان هذا دليل مدح لك وتحية لأن بيانك كان واضحا .

(٢١) انظر الملحق رقم (٤) ، بنص البيان كاملا .

الجزء الخامس فى العدد القادم

من وثائق التاريخ المعاصر

اتصالات فاروق بالألمان

بقلم : د. السيد فهمي الشناوي

عندما قامت الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩) كان فاروق ملك مصر فى ذلك الحين ، قد عاد منذ ثلاث سنوات (١٩٣٦) من مدرسة بريطانية ، هى المدرسة الوحيدة التى دخلها فى حياته والتى لم يتم فيها إلا بضعة شهور ..

وكان فاروق يجلس على عرش اعتاد الانجليز أن يختاروا الجالس عليه ، فهم الذين خلعوا عباس الثانى وأجلسوا حسين كامل بقرار من نائب السفير (تشيهام) وهم الذين خلعوا اسماعيل وأجلسوا ابنه توفيق باشا .

وكان رئيس الوزراء فى هذه الفترة هو احد ثعلبى السياسة المصرية علي باشا ماهر (والآخر هو اسماعيل صدقى) خرج علي ماهر (بك) من الوفد فى أوائل حياة الوفد لما وجد أن لعبة السياسة لها أطراف ثلاثة هى الوفد والسراى وقصر الدوبارة . وأنه يمكنه الاستفادة من التناقضات والاختلافات بينها فى تكوين مستقبله السياسى . وكان احب شىء اليه أن يعتبر «رجل الساعة» . لا رجل الامة ولا رجل السراى ولا رجل الانجليز . فهو الذى تولى الوزارة عندما كان فؤاد يحتضر . ثم هو الذى تولاها عندما تلبدت السماء بغيوم الحرب العالمية الثانية . ثم هو الذى تولاها بعد حريق القاهرة مباشرة . واهم من هذا كله انه هو الذى تولاها بعد خلع فاروق وبتكليف من رجال الثورة !

مثل هذا الرجل كانت السراى تعتبره رجلها . وكان الانجليز يجدونه احب اليهم من الوفد والطف نوعاً من السراى وكان الوفد يراه اقل شراً من السراى ومن الانجليز وفيه بعض الأثر القديم الوفدى .

وعندما قامت الحرب كان يجب أن تفهم جميع الأطراف المعنية أن هذا الرجل «رجل الساعة» لابد أن يرنو الى المنتصر فى الحرب بعين مفتوحة اثناء نومه . لأن طبيعته السياسية لا تستطيع غير هذا . ولكن لم تكن صورته «كرجل الساعة» بهذا الوضوح امام كل الأطراف . ثم أن كل طرف كان لا يكف عن الامل فى هذا الرجل أن ينضم الى معسكره غداً او بعد غد .

وعندما دخلت ايطاليا الحرب ـ وكانت تحتل ليبيا عسكرياً بينما السنوسى ملكها فيما بعد لاجئاً فى مديرية البحيرة يتقاضى مرتباً شهرياً من السفارة البريطانية جنيهات قليلة معدودة (قرات مرة انها خمسة جنيهات !!.) . عندما اعلنت ايطاليا الحرب سئل علي ماهر ما هو موقف مصر وهل ستعلن الحرب على ايطاليا كما هو متوقع لوجود معاهدة صداقة مع بريطانيا . وكان دخول ايطاليا هذا لم يحدث إلا بعد اجتياح هتلر لبولونيا ثم هولندا، بليجكا وفرنسا وكانت باريس على وشك السقوط وسقطت فعلا فيما بعد . فكان طبيعياً أن يراود علي ماهر عقله مرات ومرات . اجاب علي ماهر اجابة لها معناها ولا تنفى تطلعه للشمس المشرقة وتحوله عن غروب القمر البريطانى : قال «الله معنا» . وطبعاً لم يعمر كثيراً فى الوزارة .

قبيل هذا التصريح وفى اثنائه وبعده **كان هناك اتصالات اكيدة وفعلية بين فاروق** والألمان لم تتضح فى وقتها على الأقل للمواطنين فى مصر . وحتى الانجليز لم يتوسعوا إطلاقاً فى الاعلان عنها لا فى وقتها ولا بعدها كنوع من حفظ هيبتهم . ولكن جاء الاعلان عنها بعد انتهاء الحرب ذاتها ومن المصادر الألمانية ذاتها .

المراجع التى كشفت هذه الاتصالات

لابد أن تكون هناك مراجع كثيرة . ولكن الذى وقع فى يدى فقط هو كتاب الأستاذ لوكاس هرسزوسك بالالمانية . ومؤلفه هو استاذ مادة الشرق الأوسط فى جامعة وارسو . وكذلك بعض كتابات الأستاذ

العراقى الاصل مجيد خدورى بالانجليزية وهو أستاذ الدراسات الدولية بجامعة جون هوبكنز فى أمريكا وكذلك ورد فى مذكرات شيانو وزير خارجية ايطاليا وريبنتروب وزير خارجية المانيا عنها . ولكن اهم من هذا كله هو الوثائق النازية التى كان قد استولى عليها الحلفاء بعد هزيمة المانيا والتى اعادتها روسيا الى حكومة المانيا الغربية . وهناك بعض النتف التى وردت فى مذكرات الانجليز والألمان والطليان واليهود .

اما ما يكون قد ورد فى مذكرات شخصيات عربية فانها تكاد تكون معدومة لأن السياسيين فى مصر لا يكتبون مذكراتهم وان كانوا فى العراق أو سوريا يكتبونها فعلا . ولا يوجد فى المصادر المصرية شىء إلا ما ورد فى مذكرات صليب سامى باشا الوزير فى وزارة حسين سرى .

رواية صليب باشا سامى

يقرر صليب سامى فى وضوح قاطع ودقيق ماشابه بالأحكام القضائيـــة في ثلاث وقائع عاصر هو بنفسه كل واقعة منها ومن ثم لا نرى اى محل للشك فى روايته .

١ ـ واقعة محطة الارسال : قال انه كان هناك محطة ارسال فى قصر عابدين بالقاهرة . وان الانجليز طالبوا حسين سرى رئيس صليب سامى فى الوزارة بانتزاعها بنفسه من القصر مهددين بمهاجمة القصر وانتزاعها بالقوة فاخطر حسين سرى لنزعها بنفسه . فكان ذلك من عوامل الجفاء بين الانجليز والملك وبين الملك وحسين سرى . هذا ويبدو لنا أن بدء فكرة مهاجمة القصر بالدبابات نشات من هذه اللحظة .

٢ ـ واقعة بدويين فى الصحراء : شكا فاروق لحسين سرى من أنه لا يدرى شيئاً عن شئون الحرب بينما هى تدور فى بلاده وهو سيد البلاد . نقل حسين سرى هذا الى الانجليز كمحاولة للتقريب بينهما وإزالة أثر واقعة اللاسلكى السابقة واقترح حسين سرى أن يكاشفوا الملك بخطط الحرب . قابل الملك بعد ذلك قائداً من الانجليز واذاع له انهم شرعوا فى القيام بهجوم كبير عام يوم كذا . وبعد بضعة أيام عثر الانجليز فى الصحراء الغربية على اثنين من البدو يحملان كتاباً من سفير فرنسا فى مصر (وكانت خاضعة لهتلر) يشير فيه الى هذا الهجوم وموعده . طبعاً كان الهجوم مفتعلا من الانجليز وبقصد اختبار الملك . ويفهم من الواقعة أنه سرعان ما صدق الخبر وافشاه لسفير فيشى المتعاون مع الألمان



الملك فـــاروق اثنـــاء الحـــرب العالميـــة الثانيـــة .. كانـــت لـــه علاقـــة بالألمـــان انتهـــت مـــع هزيمـــة هتلـــر وســـقوط النازيـــة

اتصالات فاروق بالألمان



كان فاروق فى الحرب العالمية الثانية مطمئن البال وواثقا من عجز الانجليز وضعفهم امام الالمان

والأخير اراد توصيله الى رومل فارسله مع بدويين فى الصحراء .

٣ ـ واقعة قطع العلاقات مع حكومة فيشى فى غيبة الملك : هذه هى أهم الوقائع التى أوردها صليب سامى لأنه هو وزير الخارجية وقتئذ ولأنه هو وحده فقط الذى اصطلى بالواقعة وأهم ذلك انه يعطيها تفسيراً لما حدث فى ٤ فبراير ٤٢ .

يقول ان سرى باشا استدعاه وقال له ان الانجليز طالبوه مراراً بقطع العلاقات السياسية مع فيشى لانها حكومة المحور وتابعة لألمانيا وحكومة معادية . وان الملك رفض على الدوام هذا القطع . وأن السفير البريطانى أطلع سرى باشا على برقية ايدن طالباً فيها من السفير أن يبلغه فى ظرف ٢٤ ساعة بأن العلاقات مع فيشى قد قطعت وينص صليب سامى على «كنا نخشى فعلا إذا بلغ الخلاف أشده فى هذا الموضوع أن يصر الانجليز على خلع الملك وتنصيب أمير من العائلة يميل اليهم بل كنا نخشى إعادة اعلان الحماية البريطانية على مصر بحجة انها ضرورة حربية . كما فعلوا فى الحرب الأولى . ولذلك وافق سرى باشا على عرض الأمر على مجلس الوزراء حتى اذا أصدر قراراً بقطع العلاقات أخذت الوزارة على عاتقها تنفيذ هذا القرار قبل الملك تلافياً لمسئوليته واتقاء للأخطار التى قد تهدد الوطن ومراعاة لمصلحة الملك بالذات» . «وقد وافق مجلس الوزراء بالاجماع وفوض لي تنفيذه . وابلغت زملائى اننى سانفذه على خطوات مراعاة للظروف حتى اخفف وقع القرار على الملك بقدر الامكان ثم مراعاة لمصلحة الفرنسيين الذين لا ذنب لهم فى تصرفات حكومة فيشى الخاضعة للألمان ثم اقترح على السفير البريطانى ان يكتفوا بجعل حكومة فيشى تستدعى سفيرها . فقال السفير لا يكفى الاستدعاء هم لا يريدون أى سفير لفيشى فى مصر لا هذا ولا من ياتى بعده . فسجل صليب سامى عليه قوله هذا .

وافتى بان يكون الحل هو وقف العلاقات السياسية بين مصر وفيشي لا قطعها .

والفارق الذى افتى به هو أن الموقف يعنى ايقاف التمثيل الدبلوماسى دون اعتقال الفرنسيين أو الاضرار بهم كاعداء . ولما قيل له ان القانون الدولى لا يعرف وقف علاقات ولكن يعرف القطع فقط قال ان القانون الدولى هو حصيلة ممارسات دولية وان الوقف ممارسة جديدة يمكن ابتداعها واضافتها وتصبح من القواعد الدولية.»

وانتهز صليب سامى فرصة غياب الملك عن القاهرة فى رحلة فى البحر الاحمر وقام بتنفيذ قرار مجلس الوزراء . وعاد الملك غاضباً واستدعاه ودافع عن فرنسا بانها عاونت مصر منذ ايام محمد علي وهى اول دولة ساعدت مصر على نشر التعليم وردد حججاً كان قد كتبها سفير فيشى بالاشتراك مع محمد محمود خليل رئيس مجلس الشيوخ يومئذ فرد صليب سامى بان فرنسا هى التى سحبت أسطولها عند ضرب الاسكندرية عام ٨٢ وهى فرنسا نابليون التى احتلت مصر وحاربها جدكم وهى فرنسا لويس التاسع الذى احتل مصر فى الحروب الصليبية . وهى فرنسا التى حطمت فى نفارين أسطول جدكم . وقال صليب سامى انه تعمد اتخاذ القرار وتنفيذه فى غيبة جلالته ودون علمه وذلك لمصلحته . فقال له الملك لو كنتم فى بلاد ديكتاتورية لعرفتم كيف يكون مصيركم !! ثم قال له لا تخافوا من الانجليز ليس فى وسعهم فى ظروف الحرب هذه أن يقوموا على أمر خطير مثل خلعى الذى تشير اليه.

ثم يذكر صليب سامى ما هو أخطر من كل ذلك بكثير وربما كان فيه التعليل الحقيقى لحادث ٤ فبراير : يقول انه منذ وقف (أو قطع) العلاقات مع حكومة فيشى والملك يجتمع فى عوامة فى النيل لاحد كبار رجال الدين (هل هو يقصد المراغى ويتحرج



الجنرال مونتجمرى قائد معركة العلمين الذى واجه قوات المحور فى العلمين



هتلـر .. أعلـن أن مصـر من نصيب ايطاليا !



روميل .. سعى للدخول الى مصر بجيوشه المنتصرة



علي ماهر باشا .. فكر في استقبال روميـــل !

عن ذكره بالاسم) يجتمع فيها مع اثنين هما علي ماهر ومحمد محمود خليل رئيس مجلس الشيوخ .

ويخطط لطرد حسين سرى وإسناد الوزارة الى محمود خليل اسماً ، وفعلا الى علي ماهر وينسق بينهما على ذلك .

ومحمود خليل كان شخصية تقبل أن تلعب دائماً الدور الاسمى فكان مثلا وفدياً بالاسم للتكتكة السياسية وها هو يجتمع مع الملك .

وكان الانجليز فى نفس هذه الفترة يراقبون الملك بشدة وذعر معاً . فهم فى الصحراء الغربية يتلقون اللطمات من روميل ثعلب الصحراء حتى اصبح اسطورة وشبحاً مرعباً للجندى المعادى . وها هو الملك أو بالأدق على ماهر يطبق عليهم من ظهرهم . وكان واضحاً ومتداولا بين وزراء سرى وغالباً بين جميع الساسيين فى البلد ما ذكره صليب سامى من أن الانجليز يخططون لخلع الملك واسناد العرش الى الامير محمد علي الموالى لهم ويخشى الكثيرون منهم إعلان الحماية للمرة الثانية فى تاريخ مصر .

وكان سبق لهم من مدة قصيرة اقتحام القصر فى عابدين ليس باشخاصهم ولكن بواسطة حسين سرى وبالاكراه .

وكان فاروق بطبعه مقامراً . وكانت هذه المرة مقامرته على أن الانجليز لابد من انهزامهم وأنه واثق لدرجة أن يراهن بالعرش على ذلك . وكان احمد حسنين باشا كبير الأمناء يوحى للملك وللسياسيين وبخاصة الصحفيين بان الوضع الحربى الضعيف للانجليز ضمان لعجزهم عن أن يمسوا الملك . وكان هذا صحيحاً الى حد كبير جداً ، فقد خلع عباس حلمى الثانى لما هو أتفه من ذلك بكثير جداً . ولم تبك عليه عين واحدة رغم انه كان يساند بالشعور والمال والعمل التيار الشعبى الوطنى متمثلا فى مصطفى كامل . ورغم انه ملأ القاهرة منشئات عمومية من مستشفيات ومدارس وبنى حى العباسية وخلافه . والحقيقة انه كان يستصغر شان الشعور الشعبى لدرجة انه قال لمصطفى كامل «اى شعب هذا الذى تتكلم عنه . أنا لو لبست برنيطة ومشيت فى وسطه ما انتقدنى احد ولصفقوا لي!!.»

وسبق لهم خلع الخديوى اسماعيل وهو الذى انشأ امبراطورية مصرية شملت السودان وكينيا وزامبيا واوغندا ومالي والنيجر وكل وسط افريقيا وايضاً لم تبك عليه عين واحدة . ولو انهم خلعوا فاروق ما بكى عليه مخلوق ، ولما كان ٤ فبراير قد

لتخذ هذه الأهمية ولا آثار هذه الضجة . ولكنها الضربة التى لم تكتمل استغلها المضروب الذى لم يضرب وهو فاروق أحسن استغلال ربما فى تاريخ الدعاية والاعلام العالمى .

• • •

هكذا يبدو أن علي ماهر الذى تولى الوزارة عند وفاة فؤاد وعند اعلان الحرب وعند حريق القاهرة وعند قيام ثورة يوليو كان يحلم أن يتولاها فى مناسبة أكثر بريقاً وهى عند دخول رومل مصر ! وأحلام هذا الرجل كانت واسعة وكان دائما يحققها من خلال الملك . الملك اسهل له من الشعب ومن الانجليز . فبعد ثورة يوليو كان من وثائق عابدين التى ضبطت تخطيط منه يبين أنه يزمع تزويج شقيقات فاروق من شخصيات هامة فى المنطقة المحيطة بمصر (ولا شك عندى ايضا فى انه هو صاحب فكرة مؤتمر انشاص أول مؤتمر قمة عربى) . ولكن تدبيره فى استقبال رومل هذا لم يفشل فقط ولكنه اعتقل بعد أن احيط به فى داخل مجلس الشيوخ . وظل معتقلا فى تفتيش السرو فى محافظة دمياط طوال الحرب العالمية الثانية .

المراجع الأجنبية تكشف اتصالات فاروق تفصيلا

قلنا إن الكتب والأبحاث الأجنبية عن هذا الموضوع أكثر كثيراً جداً من الكتب العربية . ولكن لاشك عندى أن وثائق عابدين ـ التى لم تنشر حتى الآن ـ لابد أن يكون فيها القول الفصل . وهذه مهمة المصريين .

أسماء عملاء الملك فى الاتصالات

تحدد المراجع الاجنبية بان رجال الملك الذين كلفوا بان يكونوا حلقة الاتصال هم القائم بالأعمال المصرى فى برن فى سويسرا عسل بك . والبرنس محمد ابراهيم . والقنصل المصرى فى اسطنبول حافظ عمرو . وسفير مصر فى طهران وهو حمو الملك ـ ذو الفقار باشا وشقيقه ايضا . وكان هؤلاء الاشخاص فى هذه المراكز فى طهران واسطنبول وبرن يتصلون بالمراكز الدبلوماسية الالمانية فى نفس المدن وجميعها بلاد محايدة . ويرجع تاريخ الاتصال الى ما قبل هجوم المانيا على روسيا .

أما سمير بك ذو الفقار شقيق حمو الملك فقد كان اتصاله مباشرة مع فون بابن فى ترابيا عن طريق البعثة الدبلوماسية المصرية فى فيشى .

أهم الاتصالات

عندما قابل ذو الفقار باشا سفير مصر فى طهران فون إتل رئيس البعثة الدبلوماسية الالمانية فى طهران وصف ذو الفقار هذا الاجتماع بانه اجتماع رسمى وانه بتكليف من فاروق وانه يجتمع معه باسم الملك فاروق وبتعليمات مباشرة منه . وانه أى فاروق يشكو اليهم انين فاروق من الضغط البريطانى المتزايد يوماً بعد يوم والذى لا يعوضه أى عطف من الشعب فالشعب كله مع الوفد . وان فاروق إذن لا يجد جهة ولا شخصاً يؤمل فيها وينتظر منها ويحترمها إلا المانيا وهتلر . وانه يتمنى النصر لألمانيا وواثق من قدومه . وانه فى هذه النقطة بالذات ـ نقطة النصر للألمان ـ فان كل الشعب المصرى رغم شعوره السلبى نحو الملك إلا انه ينقد حماسه للألمان . وانهى كلامه بان «الملك والشعب يتمنى وينتظر رؤية جيوش هتلر قادمة لتحرير مصر بأسرع ما يمكن.»

فى أبريل ٤١ تلقى ذو الفقار باشا رد لمانيا على الرسالة السابقة وكان رداً رسمياً . سلمه إتل رسمياً الى ذو الفقار باشا وهو «ريبنتروب (وزير خارجية المانيا) يؤكد للملك باسم هتلر ان حرب المانيا ليست موجهة ضد مصر ولا ضد اى دولة عربية ولكن فقط ضد انجلترا . وان خطة المانيا صريحة وهى خلع بريطانيا من اوربا ومن الشرق الأوسط . ثم إقامة نظام دولى جديد مبنى على احترام حقوق الشعوب . واقترح ريبنتروب أن يكون الاتصال بين فاروق والألمان إما عن طريق تركيا أو رومانيا لانه طبعاً كان يتوقع تمزيق إيران بين روسيا والغرب .

ولكن ذو الفقار باشا كان يريد لنفسه أن يكون هو ـ وهو وحده ـ الواسطة وحلقة الوصل بين مصر وألمانيا دون غيره .

وظل فاروق على اتصال مستمر مع الألمان طوال عام ٤١ . ففى ٤١/٦/٢٩ أرسل يحذر إتل من أن الانجليز سوف يحتلون آبار بترول ايران .

ولكن طوال هذا الوقت كان الألمان يضعون ثقة كبيرة فى الوفد ويحاولون الاتصال به . كان الوفد فى هذه الفترة هو المعارض القوى لحكومة حسين سرى . وكانت حكومة حسين سرى تبدو عميلة للانجليز وكان الوفد يبدو كأنه يزلزل الأرض تحت أقدام الانجليز . وكان الألمان يرون إن هذه القوة الشعبية الموجهة ضد الانجليز هى التى يبحثون عنها . بل ظلت هذه الرغبة لدى الألمان حتى بعد تولى الوفد الحكم بعد ٤ فبراير عام ٤٢ (انظر وثيقة ملنشر ترجمة رقم ١٧٣٦٢٨/٢٢٦ ـ ٣٠ برلين . من وثائق الخارجية الالمانية . وانظر مقال ولز ساكر فى ٤١/٩/٢ فى صحيفة دوتش انفور ماشنيفل) .

فى ٤١/٧/٢ قابل اتل سفير المانيا فى طهران ، ذو الفقار باشا سفير مصر حاملا من حكومة المانيا استفساراً عن مصير ومكان عزيز المصرى وعبد الرحمن عزام وعلي ماهر .

فى ٤ أكتوبر قابل الدكتور سمير بك نو الفقار شقيق حمو الملك قابل فون بابن فى ترابيا متكلماً باسم وبامر فاروق ووصف نفسه بانه مندوب ثلاثة أحزاب هى الوفد والحزب الوطنى والأحرار الدستوريين طالباً تاكيداً رسمياً بتمام استقلال مصر وانها لن تضم الى منطقة نفوذ ايطاليا . وطالب بوقف الغارات على القاهرة وأعطى معلومات عن الجيوش البريطانية وبعض المنشئات فى مصر .

هذه المقابلة خطيرة جداً . هل عندما أحس فاروق أن الألمان يأملون أن يتصل بهم الوفد أو هم يتصلون به ، جعل مندوبه يزعم انه الى جانب كونه المندوب الشخصى لفاروق فانه مندوب هذه الأحزاب جميعاً . أم هل فعلا كلفته هذه الأحزاب بهذه الرسالة أو على الأقل هل حدثت اية اتصالات فعلية مع الوفد ؟ إن ظهور المقال الذى ذكرناه فى ٢ سبتمبر ٤١ باسم ولز ساكر يتمنى الاتصال بالوفد . ثم حدوث هذا الاتصال فى أكتوبر يوحى اما بحدوث اتصال فعلا أو بأن الملك أسرع بجعل مندوبه يزعم للألمان أنه أيضاً مندوب الوفد .. للأسف لم يكتب رجال الوفد أو الأحزاب مذكراتهم !

اما خشية مصر من أن تضم الى أملاك إيطاليا التى وردت فى رسالة هذا الاجتماع



الخديوي عباس الثاني
خلعه الانجليز بقرار من نائب السفير البريطاني

فتجعلنى أرجح أنه فعلا كان هناك اتصال تم مع الوفد . لأن ايطاليا كانت دائما ذات علاقات متصلة مع السراى . فافندينا اسماعيل نفى واختار منفاه فى ايطاليا وليس فى تركيا . وابنه أحمد فؤاد – الملك فؤاد – تعلم فى المدرسة الحربية فى تورينو بشمال ايطاليا . وملك ايطاليا البرتو عندما خلع من العرش جاء الى مصر بل ودفن فى مصر . ومعظم حاشية الملك من مهندسين ومربى الخيل وسياس الخيل كانوا طلاينة . وكانت تصريحات موسولينى نفسها صريحة فى انه يطمع فى مصر لدرجة أنه أعد حصانا أبيض مخصوصا ليدخل به الى شبرد فى ميدان الاوبرا فى القاهرة .

الاتصال بالمصريين فى أوربا

مما يجعلنا نشك فى وجود اتصال فعلى من الالمان مع الاحزاب فى مصر انه كان هناك اتصال فعلى بين الالمان وبين المصريين فى أوربا كانت هناك جمعية طلبة يرأسها الدكتور الطيب ناصر . وكان اسمها الجمعية المصرية الوطنية بل وجعلوا ايطاليا تناصر هذه الجمعية بشدة . وكان هناك اتصال مع شخصية مصرية خطيرة تعيش فى أوربا هو عباس حلمى الثانى . فهل كان يمكن أن تحدث مثل هذه الاتصالات الهامشية ولا يحاولون الاتصال بالأحزاب خاصة الوفد .

اتصالاتهم بعباس حلمى الثانى لها طابع خاص وأهمية خطيرة . هذا الخديوى خلعته بريطانيا العظمى عام ١٤ ومن ثم فهو عدو جاهز ضد الانجليز . ثم انه هو نفسه كان صديقا شخصيا لرجال الصناعة الالمان ولقيادات النازى وكان نشطا وطموحا وهو الاب المؤسس للحزب الوطنى. ولكنّ آراءه كانت خليطا من الواقعية السياسية والغرور الارستقراطى . ورغم أن وجوده فى أوربا كان يقلق باستمرار "فؤاد" ثم "فاروق" إلا انهم ارضوه ماديا حتى كف عن المطالبة بالعرش عام ٣١ لنفسه ولكنه ظل يطالب به لابنه الامير عبد المنعم زوج الأميرة نسل شاه . وطبيعى أن يتصل الالمان بهذه الشخصية الهامة والخطيرة والكارهة للانجليز والحاملة ثارا لهم بالمطالبة بالعرش والتى تعيش فى وسط أوربا ربع قرن كامل بعد الخلع .

ظلت الاتصالات به قائمة بين سفارة المانيا فى باريس وبينه . وزار هو برلين حيث الرياسة العليا من يوم ٢٥ سبتمبر الى ٢٨ سبتمبر ٤١ . وقد سببت هذه الزيارة قلقا بالغا لدى القصر الملكى فى القاهرة .

وكنتيجة لقلق فاروق البالغ من هذه الاتصالات أمر ريبتروب بعدم اجراء اى اتصالات به ولكن قوى صديقة لعباس حلمى الغت هذا الخطر ولكن ايضا ظل عباس حلمى يلاقى صعوبات فى محادثاته مع الالمان . ويبدو أن فاروق كان يراقب اتصالات الالمان بعباس وكذلك كان عباس يراقب اتصالاتهم واحس الالمان انهم قد يفقدون الاثنين معا . فقرروا فى النهاية عدم ترشيح احد لعرش مصر عند دخول مصر .

٤ فبراير

صمم الملك على اخراج صليب سامى من الخارجية رغم أنه اقتنع به فى مناقشته عما جنت يداه من قطع العلاقة مع فيشى فى غيبة الملك . ولكنه صمم على اخراجه حتى يستقيل حسين سرى نفسه . وهو يريد إخراج حسين سرى حتى يعهد بالوزارة الى علي ماهر فعلا ولكن تحت اسم محمد محمود خليل . سيّر علي ماهر مظاهرات من الطلبة الذين كان يتصل بهم من عناصر الأزهر ومصر الفتاة تهتف: الى الأمام يا روميل. وكان الجو مهيئا فى أن يردد هذا الهتاف آلاف الناس خلف اى واحد يؤدى الهتاف لأن حسين سرى مفصول فلن يتعرض للمظاهرات ولأن الغضب يغلى بالشعب بسبب صعوبات التموين ولأن انتصارات الالمان فى ليبيا وهزائم الانجليز والامريكان فى الشرق الأقصى كفيلة بكتم انفاس الانجليز .

استقال حسين سرى فى ٢ فبراير . والسفير البريطانى زار الملك فى ٣ فبراير طالبا تكوين وزارة يرأسها مصطفى النحاس وهو يعلم تماما أن النحاس يرفض رياسة اى وزارة ائتلافية كمبدأ منذ سنوات والملك ايضا يعلم شرط النحاس هذا . تلكأ الملك فى الرد على السفير بحجة انه يجرى اتصالات . وعندما اجرى الاتصالات اوحى للاحرار والسعديين بالمطالبة بوزارة ائتلافية وهو يعلم أن النحاس يرفضها . كان الملك يتلكأ توقعا لانتصار المانى جديد يحدث ، ويخرجه من الأزمة بطلا .

والوفد نفسه كان الى هذه اللحظة يطالب بجعل القاهرة مدينة مفتوحة والحياد بين الانجليز والمحور ويوجه انتقادات عديدة للانجليز تتزايد يوما بعد يوم . ولم يكن فى موقفه اى تضاد ضد الألمان لو دخلوا . ولو أن الالمان دخلوا وتعاونوا مع الوفد بدلا من الملك لما كان عجبا وربما كان عباس حلمى يعاد الى العرش . وكانت هذه هى أرجح الاحتمالات

بعد ظهر ٤ فبراير انذر السفير البريطانى ملك مصر بان يتحمل النتائج إذا وصلت الساعة ٦ دون أن يتولى النحاس الحكم . لم يستجب الملك . حضر السفير بنفسه ومعه الجنرال ستون وفرقة مشاة و ٣ دبابات خفيفة . بعد ساعة اخطر الملك الاحزاب عن عزمه بتكليف النحاس بالحكم .

موقف المحور من الملك والوفد

١ – ايطاليا كانت تعتبر الوفد عدوا منذ عقد معاهدة ٣٦ . وانحازت فى التعليق على حادث ٤ فبراير مع الملك عن طريق وكالة أنبائها «ستيفانى» وكانت العلاقات العائلية بين قصر عابدين وروما أقوى من الأحزاب فى البلدين .

٢ – المانيا كانت تعتبر أنه من السابق لأوانه قبل دخول جيوشها مصر اتخاذ اى موقف فى النزاع بين الملك والوفد .

ولكن مذكرات ملشر فى برلين فى ٤٤/٢/٩ (٥ أيام بعد الحادث) تقول ان حكومة الوفد حكومة وطنية وحكومات الاقليات حكومات انجليزية حتى لو كانت خارج الحكم وحتى لو ادعت معاداتها للانجليز .

رفضت المانيا موقف ايطاليا الدعائى الصريح ضد الوفد . هذا رغم اتصال

الحكومة الايطالية بسفيرها ماكنزن (سفير المانيا فى روما) ورفضت نشر الوثائق التى قدمتها ايطاليا لألمانيا للنشر ضد الوفد .

كاد الموقف أن ينفجر بين ايطاليا والمانيا بسبب الوفد : الايطاليون يطالبون سفير المانيا فى روما ماكنزن والمندوب الخاص فون بسمارك بنشر الوثائق كاملة . وذلك لأن ايطاليا كانت حساسة جداً فى الشئون الافريقية وتعتبر أن افريقيا هى مجالها الحيوى أما مجال المانيا الحيوى فهو أوربا. ولقد كان فقدهم للحبشة ثم هزائمهم فى شمال افريقيا ذا تاثير شديد على الشعب الايطالى . كان موسولينى شخصياً يريد اعتبار الشرق ميداناً خاصاً لايطاليا دون المانيا لدرجة أنه عارض طويلا فى اشتراك الألمان فى حرب شمال افريقيا وكلما زاد دور المانيا وزادت انتصارات روميل كلما زادت شكوك موسولينى وغيرته . وزاد غيظه هذا موقف الالمان من الوفد والنحاس .

التخطيط المحورى لمستقبل مصر

ظل هتلر يعلن أن مصر وقنال السويس يجب ان يكونا من نصيب ايطاليا . بل انه قرر ان تكون روما هى مركز البروباجندا الموجهة لمصر والعرب جميعاً . ولكن هذه الاذاعة (مقرها بارى بجنوب ايطاليا) تجاهلت اى اعتراف باستقلال مصر فى حالة الغزو .

صدرت تعليمات من وايز ساكر فى برلين الى فون توراث فى قيادة روميل بانه فى حالة الغزو يجب إعطاء فاروق صورة ومركز الصدارة فى أول الأمر ثم بعد ذلك يعاد تشكيل الصورة . وأصدر هتلر أوامره الى ادارة «أوسوارتج أمت» باتخاذ احتياطات ضد خطف الانجليز لفاروق وحملهم له معهم عند انسحابهم .

ثم أرسل وايز ساكر (وكان سكرتير هتلر الخاص) تعليمات بان النحاس والوفد هم أعداء للسراى ولايطاليا فقط وليس لألمانيا . وانه رغم انه حزب وطنى إلا انه فى حالة الغزو سوف يأخذ فى اعتباره رأى الوفد – مدى القوة الألمانية الرادعة كما هو يأخذ الآن مدى القوة الرادعة البريطانية داخل بلاده . وان كل المطلوب الآن هو ضمانة أن يظل الوفد وكذلك الجيش المصرى سلبيين فى النزاع بين المانيا وايطاليا .

فى يوم ٢ يوليو ٤٢ صدر اعلان من المحور بالحاح من ايطاليا على المانيا يقول «فى هذا الوقت الذى تتقدم فيه قوات المحور المنتصرة نحو مصر يهم المحور أن يحترم ويؤكد استقلال مصر ، إن قوات المحور داخل مصر ليست قوات فى أرض معادية ولكنها قوات تهدف الى طرد الانجليز وتحرير الشرق من نفوذ انجلترا . ان سياستنا هى مصر للمصريين» . واضح أن هذا الأسلوب أسلوب ايطالى وليس المانيا. ويلاحظ انه خلا من نص الاستقلال الكامل والسيادة التامة لمصر وهو النصر الذى كانت تحرص عليه الدوائر المصرية والذى كانت قد وجهت المانيا مثيله للعراق أثناء ثورة الكيلانى – كما لم يحتو الاعلان شيئاً عن آمال العرب ولا عن وحدة مصر والسودان وهى من أساسيات السياسة المصرية .

ولما كان ريبنتروب فى توجيهاته للدعاية الألمانية يركز دائماً على ضرورة الاشارة الى الوحدة العربية والوعد بها من جانب المانيا فلنا الحق أن نعتبر الاعلان السابق الصادر فى ٢ يوليو هو من وضع ايطاليا أساساً . ومعنى هذا تنازل من الدعاية النازية الى الدعاية الايطالية .

هذه التنازلات توقفت حالا . إذ أن الالمان كانوا قد بدأوا اتصالات مباشرة مع مصر بعد أن كانت هذه الاتصالات قد توقفت بفشل تهريب عزيز المصرى على يد الضباط الأحرار . فلقد اسقط الالمان جاسوسين قرب الفيوم ومعهما جهاز لاسلكى قام بتشغيله أنور السادات .

وطوال شهر يوليو وأثناء تقدم الجيش الألمانى فى الصحراء حاولوا تجديد الاتصال بفاروق ذاته لنقل رسالة من هتلر وريبنتروب اليه محذرين إياه من مؤامرات انجلترا لخطفه معهم عند انسحابهم وداعين إياه الى الهرب من مصر الى القيادة الألمانية في كريت . وطالبوا باقامة وسيلة اتصال دائم مع الملك واقترحوا استعمال الاذاعات الخاصة بكل من البلدين فى هذه الاتصالات . طلبات الالمان هذه جميعاً كانت من وراء ظهر الطليان !!

هذه الاتصالات الالمانية مع فاروق أعلم بها واشترك فيها كل من الحاج أمين الحسينى ووكيل القمصان الخضراء (مصر الفتاة) الدكتور مصطفى الوكيل . كانت موجة القمصان الملونة هى طابع النشاط الشبابى المتعاطف مع النازية فى العالم كله . تفاصيل هذا الدور لمصطفى الوكيل هو أنه فى ٣٠ يوليو ٤٢ طار حاملا باسبور باسم كورت هوفمان صادر من ادارة «اوسوارتج إمت» ومعه العميل الألمانى شرينر ومعهما رئيس البعثة الدبلوماسية الألمانية فى طهران وهو الشخص الرئيسى فى موضوع اتصالات فاروق واسمه إتل . طاروا جميعاً من برلين الى صوفيا . ثم من صوفيا بالقطار الى اسطنبول . حيث وصلوها يوم ٢ يوليو . قابلهم زوج اخت المفتى واسمه اسحق درويش ونصحهم بمقابلة قنصل مصر أمين بك زكى . بعد هذه المقابلة مباشرة طار أمين زكى الى القاهرة عن طريق أطنة القاهرة وفى طائرة بريطانية !! حيث أنه كان يحمل توصية خاصة بريطانية تسمح له بركوب الطيران الحربى البريطانى وهو الطيران الوحيد الشغال . هل كانت هذه غفلة من الانجليز أم كان تغافلا لمراقبته وتغافلا مقصوداً ؟

وصل أمين زكى القاهرة يوم ٥ يوليو . وقابل فاروق . يوم ٩ يوليو كان أمين زكى فى اسطنبول يحمل رد الرسالة ومؤدى هذا الرد أن «فاروق تلقى الاشارة المرسلة اليه ووصلته فعلا» . ثم فى يوم ٢٣ يوليو طار لتل من طهران الى اسطنبول وقابل أمين زكى حيث نقل اليه هذا الأخير رسالة فاروق الشفوية وصلبها هو «فاروق يشكر هتلر على اعلان المحور بخصوص مستقبل مصر ولهذا فانه يرفض مغادرة مصر الى مقر روميل أو الى كريت . وانه فى اللحظة الحرجة بالنسبة للانجليز عند انسحابهم سوف يختفى فاروق بحيث لا يمكنهم اختطافه ولن يكون عندهم وقت كاف للبحث عنه بينما هم فى عجلة من أمرهم . وكل ما يطلبه من الالمان فقط أن يعطوه إنذاراً مباشراً صريحاً قبل هذه اللحظة الحرجة» (فاروق يقصد أن ينبئوه بموعد الضربة القاضية ضد الانجليز !) .

فى نفس هذا الشهر يوليو الساخن وفى يوم ٦ يوليو بالذات هرب ضابط طيارهو أحمد سعودى حسين من مصر الى قيادة روميل بتخطيط من فاروق . ولكن مدافع روميل أسقطته ميتاً . ومع ذلك ففى اليوم التالى مباشرة ٧ يوليو هرب صول الطيران محمد رضوان ونجح فى اجتياز المدفعية المضادة للطيران لدى كل من الانجليز والألمان . لاحظ أن هذه المدفعية كانت بدائية جداً على مستوى العالم كله لدرجة أن البكباشي عبد المنعم رياض المعار للانجليز أثناء الحرب كان هو أحسن مدفعجى ضد الطيران فى الجيش

الانجليزى كله .

حمل الالمان صول الطيران محمد رضوان من شمال افريقيا الى برلين يوم ٢٠ يوليو . ولكن وثائق «الولهمستراس» تقول ان سؤال رضوان كشف انه لا يحمل اية معلومات سياسية او حربية ذات قيمة .

ولكن رضوان قرر لهم انه عضو فى تنظيم سياسى سرى فى مصر يعتمد على خلايا كل خلية من ٥ افراد . وطالب فى تقريره الموجود فى ادارة «اورسوارتج إمت» نصاً الآتى «لابد من اعطاء العمال والفلاحين فى مصر وسيلة تعبير عن انفسهم . ووصف فاروق بانه تركى ولا يهمه مصر ولكن تهمه ثروته الخاصة فقط . ثم عارض الوفد وجميع الاحزاب القائمة ونادى ان يقوم حكم عسكرى» . وهناك تعليقات بخط محرر المحضر مع رضوان تبين انه لا يوافق على اراء رضوان لان خط المانيا السياسى هو استخدام فاروق والطبقة الحاكمة المصرية .

أعيد رضوان الى تركيا . وعمل مع الفيلق الالمانى كمترجم . بعد نجاح ثورة يوليو دلت بعض الدلائل على ان سعودى ورضوان كانا مبعوثين من الضباط الاحرار. وأن الضباط الأحرار كانوا على اتصال بالقيادة الالمانية فى ليبيا طوال عام ٤١ ولكن قطعت الاتصالات بعد فشل هروب عزيز المصرى .

الاتصال بالاذاعات

عندما عاد أمين بك زكى قنصل مصر من مصر الى اسطنبول قابل اتل وحمل اليه رسالة من فاروق . رسالة شفوية تقول ان فاروق أمر طياراً وصولا بالطيران ، بالهرب سراً الى روميل !؟ وأن معهما خرائط هامة ! وطلب فاروق فى حالة وصول سعودى أن تذيع اذاعة الرايخ الموجهة للعرب فى افتتاح الصباح سورة الاخلاص . واذا وصل رضوان تذيع سورة الفلق . ولكن من المهم الذى تؤكده الوثائق الالمانية ان الالمان لم تصلهم اى خرائط . وان الالمان ساورهم شك شديد حول سعودى ورضوان . وقد اذيعت سورة الفلق يوم ١٣ اغسطس وبعد عدة تاجيلات . ويبدو ان فاروق كان عنده مندوبون خلاف سعودى ورضوان . ومازال سراً غامضاً هل هو فعلا الذى أرسلهم أم كانت حيلة منه ليعرف من الالمان اسماء اى مصريين يكونون على اتصال بالالمان بعد ان فوجىء بهرب هذين الشخصين . هل كان يراقب الضباط الاحرار أو يراقب الأحزاب .

كان هناك تجهيز لاحتلال المحور وهنا رفض الالمان اعطاء اى تنازلات للطليان بل رفضت اعطاء روما اى تصورات عما تنويه. كانت المانيا قوية فى شمال افريقيا وكانت هى التى تحتمل عبء المجهود الحربى كله فى عملية الغزو المزمع .

كانت القيادة العليا معقودة لروميل . ولكن لا أحد يعرف حقيقة غريبة وهى أن روميل كان عليه رئيس ايطالى اسمه باستيكو . كان باستيكو مكتفياً بالادارة المالية فقط ! وكان الالمان واثقين بانهم بعد الغزو سوف يكونون متمتعين بحرية كاملة فى التصرف دون الطليان . وكان الالمان يزمعون أن يتركوا الادارة وشئون المال للطليان بعد غزو مصر ولكن تظل الشئون الحربية فى يدهم وحدهم . وكان تقدير الالمان أن تغذية الشعب المصرى والانفاق عليه تحت ظروف الحصار البحرى الذى تفرضه الحرب مسالة صعبة تترك لايطاليا لتوحل فيها .

وكان الطليان يدركون هذه الصعوبة . فلقد عقد موسولينى مع شيانو يوم ٢ يوليو اجتماعاً لدراسة هذه المشكلة . وكان موسولينى يستعجل الغزو يومياً بل كل ساعة وكان يتوقع دخوله شخصياً كانه يوليوس قيصر الرومانى القديم وفى صورة اكثر تفوقا وبريقاً .

قرر موسولينى وشيانو فى هذا الاجتماع أن يظل روميل قائداً عاماً بعد الغزو ولكن يظل خاضعاً لباستيكو هذا . وقررا أن تؤلف حكومة مدنية خاضعة لادارة الـ «دلجاتوبوليتكو» . وأن يراس هذه الأخيرة الكونت مازولينى سفير ايطاليا فى مصر ويكون معه ضابط اتصال المانى ليتفاهم مع روميل . أرسلت هذه المقررات الى هتلر . رفض هتلر كل هذا باعتباره سابقاً لاوانه . لكن ظلت ايطاليا تضغط الى أن وافق ريبتروب عليها جميعاً .

كان ترتيب الالمان ان يتولى روميل القيادة وأن يكون فون فوراث ضابط اتصال بالطليان ولكن رفض الالمان ذكر بند «فون نوراث» هذا حتى يظل روميل الممثل الوحيد . كان هذا راى هتلر . وكان يرى أن اية مشاكل بين الالمان والطليان تحل عن طريق واحد هو السيطرة الحربية . اما من الناحية السياسية فكان لا يعارض فى اعطاء ايطاليا دوراً بارزاً وربما الدور الأول ليس فى مصر وحدها ولكن فى كل البلاد العربية ايضاً .

كانت المفاوضات بين المانيا وايطاليا بخصوص توزيع الغنائم ليس فقط على المستوى الحكومى ولكن كاتفاقات محلية بين ضباط وجنود كلا الجيشين مع بعضهما البعض . كان راى الطليان أن غنائم مصر لهم وان غنائم الشرق الاوسط خارج مصر للألمان . وعندما عرض هذا على هتلر قال ان القاعدة العملية هى أن الغنيمة ملك من تقع فى يده ! اما روميل فقد رفض اى رقابة اقتصادية عليه من ايطاليا . ولكن ايطاليا احتجت بان هناك اتفاقية رسمية منذ شهور (١٤ مارس ٤٢) طبقت على الفرق الايطالية التى شاركت هتلر فى غزو روسيا وكانت السيطرة الاقتصادية عليه فى يد الالمان . وبالتالى طالبوا أن تكون السيطرة الاقتصادية على الالمان بصفتهم مشتركين فى الغزو مع ايطاليا تحت قيادة ايطالية (باستيكو) . المهم ان الطليان ذكروا الالمان بانهم لا يتقنون الادارة المدنية والمالية وذكروهم بمجاعة اليونان بعد الغزو وحذروا من تكرارها فى مصر .

فاروق ينقلب على الألمان

بدأ مونتجومري هجومه يوم ٤٢/١٠/٢٣ وكانت المعركة الفاصلة يوم ١١/١ . فقد روميل ٤٥٠ دبابة من ٦٠٠ وعشرة آلاف قتيل وخمسة عشر الف جريح وثلاثين الف اسير ويوم ١١/٨ تمت حركة الكماشة المسماة «تورش» التى سحقت روميل بعد ١٨ يوماً فقط من بدء هجوم مونتجمرى أى يوم ١١/١٩ هاجم الروس هتلر وسحقوه .

تقوضت آمال فاروق بل إنه ارتعش وانتابته حالة نفسية . أدرك أن هتلر لم ينهزم فى شمال افريقيا فقط ولكن فى روسيا وداخل أوربا . بدأ يمالىء الانجليز . قدم لهم قصر راس التين ليكون مستشفى . فتح كل قصوره لجرحاهم وجنودهم . رقص مع جنودهم . نقل اتصالاته الى تشرشل بل الى المخابرات البريطانية نفسها .

وهذا حديث آخر .

د. السيد فهمي الشناوي

محمد عبدالملك

في مجموعته القصصية الثالثة

بقلم: عبـــدالله خليفـــة



محمد عبد الملك

●● في العدد الماضي نشرت « الدوحة » الحلقة الأولى من هذه الدراسة حول الكاتب البحريني محمد عبد الملك من خلال مجموعته القصصية الثالثة «ثقوب في رئة المدينة» وفي الجزء السابق من الدراسة قدم الناقد نظرة عامة الى المجموعة وتناول بعض قصصها ، وهو في هذا الجزء يواصل مرحلته النقدية مع المجموعة مبتدئاً بقصة «الطائر الأبيض» ●●

● الطائر الأخضر ●

« مختار القادري » رمز واضح مباشر . انه ليس شخصية ، بل قناعاً فنياً يحمل دلالات الخير والضوء والربيع . هو يسكن ذات الحـــارة باسم اكثر اشراقاً « حارة الوفاء » ، ولكنه ـ ايضاً ـ ليس انساناً عادياً ، فحين يسقط اسمه في مجالس الحارة تتفجر الاسئلة . من اين جاء ؟ متى جاء ؟ ما هي وجهته ؟ ولا احد يمتلك اجابة محددة .

علاقته بام سعد علاقة ذات خصوصية ما . هي امراة بلا زوج ، تسكن مع ابنها سعد في نهاية الحارة عند شواطىء القمر ، وكان القادري ياتي لزيارتها في الليل .

وينفجر خبر في الحارة : سياتي القادري هذا اليوم ، فتزغرد ام سعد ، وتنشر الخبر ، وتفتح الفتيات شبابيكهن وقلوبهن ويعلقن الزهور ، ويعد الشباب مجلساً للشراب ، ويفتح سعد صندوقه وينتزع صورة مهداة اليه من القادري نفسه قبل سنوات . وامتنع البحارة القدامى عن دخول البحر وانتظروا قدومه .

ولكن القادري لم يات لاسباب مجهولة . فظلت الاكواب فارغة في مجلس الشباب ، وتجمدت ام سعد وجلست تفكر ، ورقد سعد عند عتبة الباب وذبل الياسمين في صدور العذارى ، ودخل البحارة القدامى البحر ، ولم يظهر الطائر الاخضر .

ومضت شهور ، وفي الليلة التاســـعة والتسعين ، اقبل طارق غريب وسلم ام سعد رسالة ومضى في الظلام . وفتحت الورقة فسقطت صورة القادري بعينه الذكية ووجهه الصبوح .

فتحت الشبابيك ، واضيئت المصابيح وخرج سرب الاطفال يغني ويدور في الزقاق ، وعادت البنات يتراشقن بالياسمين من النوافذ ، ودارت ام سعد بثوبها الابيض ، وتواصلت الاغنية فوق السطوح .

اقبل الطـائر الاخضر من الشـــمال ، شاهدوا وجهه تحت ضوء القمر ، شعلة عينه المتقدة ، وتوجه الجميع إلى طريق واحد .

مختار القادري يظل إذن لا شخصية . مجرد رمز ينبىء بعالم اخضر قادم ، كل اهل الحارة يتوقون الى قدومه ، وهو يغيب ويتاخر كثيراً ، غير انه حتماً قادم ، ليس مثل الاسطورة الغربية عن « الذي ياتي ولا ياتي » بل هو حنين الفنان الشعبي الى العالم الافضل القادم حتماً .

الادوات المنفذة للفكرة بسيطة تماماً ، عبارة عن توزيع ما لاغنية شعبية ، تعبر عن إحساس عميق ودفين بقدوم شيء رائـــع يوماً ما .

إن الكاتب لم يوسط النماذج للوصول إلى الظلال ، فبقيت الشخصيات مجرد ادوات للوصول إلى هذه اللوحة . ليس ثمة شخصية حية ، فيظل القادري فكرة بلا تجسيد .

إننا ندهش لكون القادري بهذا الســحر العجيب . فمن اين يمتلك هذا التاثير ؟ لم يستطع الكاتب ان يحيله الى شخصية ، ويقيم له صلة حدثية حقيقية بالحي ، ان قدرته على ان يشكل العالم بلون اخضر ليست لها حيثيات فنية تؤكدها ، فبقي المعنى العام بدون تشكيل مقام على عناصر القصة .

إن وجهه المتالق وشاربيه وعينيـــه البراقتين ملامح مادية لا تفيد معنى الحكاية ولا تضيف شيئاً . فقط علاقات اخرى ، هامة وذات صلة عميقة بالناس ، يمكن ان تعطي شيئاً .

وعلاقته باهل الحارة علاقة هامشـــية سطحية لا تضرب جذوراً عميقة بالارض . وهي لا تتعدى علاقة سعد به . فهذا الطفل يتصور قدوم القادري وهويدخل البيت ، يراه وهو يعانق امه ومن ثم يرفعه إلى اعلى ويقبله ويقذفه في الهواء مرات فيطير ، ويضحك بصوت جهوري ، وتتحرك اصابعه فوق شاربه في انتظام ورتابة .

لا تتعدى تصورات الشخصيات هـــذا المستوى المحدود من العلاقة . وذلك بسبب التصور السائد في هذا النوع من القصص ، حيث يتشكل النـــاس إلى مجموعتين ، مجموعة النخبة وهم افراد قلائل بمثابة رموز تجسد النور والطهـــارة والخير ، ومجموعة الناس العاديين الذين ينتظرون في واقعهم المؤلم مجيء هؤلاء المخلصين .

ان القادري لا يتشكل باعتباره إنساناً ، بل يظهر كشيء خارق ، وحينئذ تتنالى كل النتائج الأخرى .

لاشك ان مثل هذه القصة تمثل تقدماً عن قصص التصوير المباشر ، ففيها اراد الكاتب ان يكسر طريقته العادية الرتيبة ، فحول

الأغنية الشعبية الى قصة ، فحلق ، وهشم المنظور العادى ، وخلق حكاية تقترب من الأسطورة ، وفى ظل هذا المستوى ليس من السهل خلق شخصية فنية . إن هذا التكسير هو حلقة الى الامام بالنسبة الى القصص السابقة . ولكن الى اين ؟ وما هى قوانين هذا التقدم الفنى وما هى وجهته ؟

إن هذا التكسير شيء إيجابى ، فى ظل رتابة فنية معينة ، ولكن يجب ان يتجه اتجاهاً صحيحاً . فالبطل غدا مجرد عباءة فكرية وليس شخصية حية ، وفى الوقت الذى يجب على الفنان ان يكسر رتابته ، عليه ان يخلق شخصيات حقيقية .

هذا الترابط الوثيق بين العام والخاص ، بين الموضوعي والذاتي ، مفتقد فى شخصيته . ففى الوقت الذى يعبر فيه البطل عن معنى عام لابد ان تكون له ملامحه الشخصية . واذا كان رمزاً فلابد ان يضمر هذا الرمز داخل الشخصية .

بهذا يقترب البطل من الأرض والبشر . إن تكسير الرؤية التقليدية اصبح امراً ضرورياً فى أدب الكاتب ، ولكن ليس فى إضاعة الملامح الواقعية للانسان ، بل من اجلها .

● امكانية حل التناقض ●

لقد راينا كيف توزعت ريشة الفنان بين اسلوبين فى خلق الشخصية . الأول يعتمد على التقاط المواد الخام المباشرة من الحياة وطرحها بصورة لا تتضمن إعادة الخلق الفني ، وتضمينها ابعاداً جديدة ، ووضعها فى مسارات اكثر تطوراً وتوغلا فى فهم الحياة وإعادة خلقها على اسس اخرى .

ولاشك أن هذه الشخصيات العادية لم تؤخذ بصورة عفوية ، ان اهتمام الكاتب منصب على بسطاء الناس ، وهذا ما يشكل جسراً كبيراً بينه وبينهم ، ان ابداع الكاتب كان دائماً يطمح الى تجسيد معاناتهم وطموحاتهم ، واصفاً التاريخ الماضى والتغيرات الجديدة ، لكنه يكتفي بعرضها بمواصفاتها « الطبيعة » . نتيجة لتمرسه الطويل على هذا النوع من العرض التصويرى ، ولعدم حدوث تغيرات كبيرة ، وانعطافات فى رؤيته .

إن هذه الطريقة من التشكيل تعجز عن اكتشافات الصراعات الجوهرية فى المجتمع وتبقى فى حدود الثانوي والسطحي ، على الرغم من موافقتها لمستوى اكبر عدد من القراء الآن ، ولكن الفنان محمداً ذاته يبدو كانه يحاول تمزيق هذا الثوب الضيق عليه ، ويحاول ان يتغلغل اكثر فى الحياة وصراعاتها ، لهذا يبحث عن شخصيات اكثر غنى تحمل هموماً جديدة وافاقاً اكثر تقدماً . بالاضافة الى بقاء جسر التوصيل . إن الاتجاه الشكلى فى البحرين لا تهمه كثيراً هذه المسائل ، لكنها بالنسبة للكتاب الواقعيين قضايا هامة .

لهذا تاتي شخصيات مثل « عوض الريحان » و « مختار القادرى » كتجليات لمحاولة الخروج من مازق الشخصيات المباشرة المحدودة . لقد راينا منه الرموز تحمل ابعاداً جديدة وكبيرة ، لقد صارت تحمل دلالة التغيير والثورة ، فاذا كانت الشخصيات السابقة تعجز من الوصول إلى هذا المستوى ، فان هذه راحت تحمل هذه القيم الجديدة ، ولم تعد المقاييس الصغيرة تشكل صورتها ، بل كسرت الخطوط المحدودة والخانات الضيقة وانطلقت الى مستويات اكثر تعقيداً ولن تستطيع ردها إلى الواقع المباشر .

ولكن الوصول إلى هذا المستوى لم يتم بطريقة صحيحة ، ان الفنان انتقل بضربة سريعة من الخاص المحدود الى العام المجرد من الشخصية المباشرة الى الشخصية المجردة او اللاشخصية .

إن هذه الشخصية المجردة غدت مجرد قناع فني لفكرة عامة . ان تقديم شخصية عادية وحية تتضمن ابعاداً عميقة هو وحده التركيب الجدلي للتناقض الذى يشمل هذين النوعين من القصة .

إن الاتجاه الشكلى فى القصة بتركيزه على « المجرد » و « العام » وتثوير الشكل وحده يدفع فى طريق إعدام الشخصية الفنية الحقيقية ، ويؤدى إلى دمار الشكل ذاته لأن هذا لا يغتني إلا بعقد علاقة حية مع الواقع ، وابطال الحياة .

والتركيز على الخاص والمحدود يتضمن خنق الشخصية ايضاً ، لانه يتركها بلا ابعاد ولا يربطها بمجريات تطور المجتمع .

إن محمداً نفسه يحاول ان يتلمس مواقع الحل . ولقد كان ادبه محاولات لاكتشاف الواقع ، وقد شكل علامة مضيئة فى الكتابة القصصية والروائية فى البحرين عموماً ، وحاول ان يقدم بعض الحلول للتناقضات التى تعاني منها القصة القصيرة عندنا . ففى قصة « قوس قزح » فى مجموعة « موت صاحب العربة » قدم شخصية نموذجية ، يتالف فى كيانها الصراع الاجتماعى ، وتلتهب بلغة مضيئة مكثفة ، وتتشكل فيها الرموز وعلامات التاريخ . وتمثل هذه القصة علامة من علامات التطور فى قصتنا عموماً .

وقدم شخصيات نموذجية اخرى فى مجموعته « نحن نحب الشمس » بشكل اكثر تماسكاً وإيجازاً . ففى قصته « فى القرن العشرين » قدم لحظة قصيرة متفجرة ، وقابل بين شخصيتين ، وكشف اعماقهما بصورة فريدة .

واذا اتينا الى مجموعتنا هذه سنجد ان ثمة استمراراً لتلك المحاولات وان كان محدوداً جداً .

● الجبل ●

قصة « الجبل » تمثل احدى العلامات المضيئة فى هذه المجموعة ، مهران عامل البترول السابق والعجوز الذى يحلم ، ويرى نفسه فى أول شبابه ، انه يقود فرقة الاستكشاف فوق قمة جبل الدخان وينشر اعلاماً ، ويرفع مطرقة ، وهو يحلم فعلا ، فيتزاوج الماضى الموغل بعيداً والحاضر والمستقبل ، يحلم فياتى اسفل الجبل قطار اخضر طويل يصعد فيه احفاده العشرة ، ويشاهد ليلة عرسه ، ووسام النجمة الميت على صدره ، ورجال يصفقون ، وكانت ابتسامته تكبر حتى تغطى كل مساحة وجهه .

إن مهران متكور على نفسه ، جفناه دافئان ، وهو فى لحظته هذه يستكشف ، ليس الجبل الذى فجر منه النفط ، بل ايضاً التاريخ والحاضر . وكانت الأحذية تقترب ، واصوات تنطلق من الخارج ، ولكنها من الداخل ايضاً : « إن الطريق الى الجنة طويل .. » ويرى نفسه يدخل فى حفرة ، مربوطاً من وسطه بحبل ، وفى الاسفل قاع بلا نهاية ، وظلمة ، وفى يده راية ومطرقة ، وتوغل . وتلاشى فى الظلام ، وانقطع الحلم واقترب من حفيده « حسين » وراه يتقدم منه وشمل البوابة ، التى يتجمد عندها حارساً ، الهدوء ، وشاهد وجهه فى احتفال وحمل نجمة من فضة ، وانطلق اسمه عالياً ، وعاد مهران الى النوم والوعى ، واقتربت منه اقدام ، وكان ثمة شاب يضحك ، وتردد الصوت « ان الطريق الى الجنة بعيد » ، ورأى نفسه مجدداً يمضي فى درب الصحراء الطويلة ، الشاسعة ، ومرة اخرى يرى

محمد عبدالملك

في مجموعته القصصية الثالثة

« حسين » الطفل السابق دون نمو هام يغني العملية المتطورة المتشابكة ، وتاتى الضربة الأخيرة حاسمة ، فمرة أخرى نراه فى أعماق الجبل وكان الذين يقفون فى أعلى الجبل يقولون « هو الآن فى قبر دقه بيده .. » لكنه خرج من الجبل مصفر الوجه ، غرس الراية فى اعماق الجبل ، وانحنت له قبعات اجلالا وشيدت مدن ، وقمر ابيض ، ورأى كفه فارغة وظل عند البوابة عجوزاً يحلم ، يقول له الحفيد « اتبعنى » فلا يستطيع ، « سر » ولا يستطيع ، وتلك لوحة صغيرة مكتملة ، عناصر متباينة تتازر ، وتشكل شخصية حية ليس ثمة تجريد وقطع للانسان عن جذوره وتعليقه فى الهواء . ولا إعدام للخصوصيات البشرية الصغيرة ، مزيج جدلى ، تحركه لغة شفافة ، غنية بالايحاءات ، لا تتجمد عند التفصيلي بل تخطو به الى الهام .

المعطف الذى يلبسه ، والبوابة التى يحرسها ، وجو الشتاء الجميل وظلال الصحراء وصيحات الشباب ، ومصنع التكرير الهرم الذى يبدو كشبح فى عينيه ، وهو يتوغل فى الجبل ، رمزاً لجيل توغل واطلق الثروات من باطن الأرض ، وحسين الذى ياتيه فى الحلم رمزاً للغد ، ولمواصلة السير ، كل هذه الجزئيات المختلفة من صور ولغة وذكرى تكون شخصية حية ، يتضافر فيها تاريخ طبقة وشعب وإنسان .

وقد استطاع أن يخلق هذه الشخصية فى قصة مكثفة ، مازج فيها بين القضية المحلية والهموم الانسانية العامة ، فغدت شخصية البطل لنموذج واسع تجري فيه عملية الاستغلال . لم يبق شخصية محلية فقط ، بل إنسانية ، بسبب ذلك . وهذا التوليف ، الذى يبدو عادياً فى القصة العربية والعالمية عامة ، فانه يبقى مفتقداً أو شحيحاً فى القصة القصيرة البحرينية ، حيث يتركز توجه لالغاء الوجه المحلى لحساب أساليب فنية مجردة يؤدى استعمالها ضمن هذا التوجه الى تدمير الشخصية الفنية الحقيقية ، محلياً وانسانياً .

● اصحاب الكهف

فى قصة « اصحاب الكهف » تشكيل حدثى متطور وجميل ، نعثر فى بدايته على سكان عمارة « النهر الازرق » الذين لا نعرف من أين جاءوا ، ولكن نميز فيهم هذا العلو الاجتماعي ، فها هم قد تعلقوا بالشرفات وفتحوا النوافذ ، واطلقوا من شقوقها الملونة المضيئة الموسيقى الصافية ، وقد جذبت هذه الأضواء والموسيقى الشق الثانى من التكوين الاجتماعى الا وهم الفقراء . وكان يمكن أن تكون المناسبة وقتاً جميلا للجانبين حيث يبقى الذين يجلسون فى الاعلى مستمتعين فعلا ، ويظل الذين يقفون فى الأسفل مشاركين على « الريحة » فحسب . ولكن الصراع يتسلل الى الموقف على شكل نكتة سوداء تتغلغل فى العمارة . وهذا ما يفسد جو العائلة المنتظر .

إن ثمة شائعة تقول إن مجنوناً تسلل إلى العمارة ، وقد فر الحارس صوب المخزن ، وتجمد هناك . ويدب الذعر فى سكان العمارة ويتصل المجنون فعلا باحدهم ويامره ان يضحك فيضحك وان يبكى فيبكى وان يحطم السماعة وينام على بطنه فيفعل ويسود الصمت .

وإذا كان سكان العمارة مجرد قناع لطبقة ما ، أو خط مجرد لا يدل إلا على شعار عام ، فان الفقراء اكثر وضوحاً . و « الشيلان » رجل شعبى متسكع فى المقاهى يرمق العمارة بفضول ويتساءل مع صديقه « الربعي » عن المجنون المتسلل ، وفي الوقت الذى يبدى الربعي خوفاً يسخر الشيلان من الخوف والمجنون وسكان العمارة . وهو يحلم بحبيبته ويرى رموش عينيها السوداوين وهى تدعوه للتقدم اليها ، للاقتحام ، فيسخر من رواد المقهى الجبناء الذين اختفوا خلف الصناديق الفارغة ، ويتجه إلى العمارة بكل هدوء ، رغم تحذيرات الرواد المذعورة .

وكانت « العبارة » ـ ما أثقل الأسماء المستخدمة ! ـ تجلس مع ولدها كحارسة لعمارة النهر الأزرق أيضاً . لم تتسلل الى اى مكان ، ظلت تحاور ابنها منتزعة منه مشاعر الخوف والتوجس ، مضيفة الى حركة الشيلان ـ التى لا علاقة مباشرة بينها وبينه ـ بعداً آخر ، يتمثل فى إلقاء ضوء حول اصل الخوف ودلالته الاجتماعية . ولكن هذه المرة وابنها لا علاقة مباشرة لها بالحدث فتظل تعليقاً خارجياً عليه ، وهنا من الممكن ان تضاف تعليقات عديدة اخرى ، ولكن هذه التعليقات المرسومة والمجسمة لابد من تضفيرها مع الجزء الآخر الهام من الحدث ، حتى تعثر على مبررها الفنى وتكتسب ولادة شرعية .

و « الشيلان » نفسه تظل علاقته السريعة بالحبيبة بعيدة عن الحدث وسخونته ، ان طرحها ربما كان بهاجس إيجاد ملمح خاص للبطل وهذا الذى لم يتشكل بصورة فنية نابضة . والحوارات العديدة المنبثة فى القصة لم توظف من اجل إضاءة البطل ، فعدة سطور من الحوار كان من الممكن ان تكشف اشياء كثيرة بدلا من تكرار الكلمات مع صديقه بلا طائل . أى أن أجزاء عديدة من البنية لم تستغل لتطوير الشخصية وتنامى الحدث وتماسكه .

إن الصراع الدائر بين سكان العمارة وأهل الشارع لم يصور بشكل اكثر قوة لضياع تاثير العديد من الجزئيات التى كان من الممكن ان تستغل للتعميق ، ولكون البطل لم يصور بشكل يجعل منه شخصية ورمزاً فى آن واحد . فاقتحام العمارة كان من الممكن ان يفجر دلالات اقوى ، نفسية واجتماعية ، بدلا من أن يتبعثر ويضيع فى مسارب بعيدة .

ان اختفاء سكان العمارة بعد أن عادت الحياة من جديد إلى المقهى والرصيف يشكل قفزة غير مبررة ، ولا يشكل رؤية حقيقية للصراع لقد تحول هؤلاء إلى نماذج هشة فارغة بسبب التهويل الميلودرامى .

ان هذا ليس « حياداً » فنياً ، فمنذ البداية وقف الكاتب بوضوح مع اهل الرصيف .

● التناقض عميق فى المجموعة ، ولهذا نجد بعض الارهاصات الأولية التى تنبىء بالقدرة على حله فى القصتين الأخيرتين ، ولكن هذا التجاوز الحقيقى يتطلب وعياً كبيراً ومهارة وقدرة تكنيكية عالية .

إن هذه الارهاصات القليلة تعني ان الفنان استراح الى أسلوبه السائد ، فلم ير فى الواقع تحولات كبيرة تستدعي التحول والاكتشاف . اكتفى بما هو كائن ولم يتغلغل فى صيرورة هذا الواقع .

ان النماذج البشرية هى تجسيد لهذه الصيرورة ، هى اكتشاف الصراعات والاتجاهات الاجتماعية فى الناس ، واكتشاف فاعلية هؤلاء الناس فى هذه الصراعات .. إن استيعاب ذلك يتطلب نفاذاً عميقاً الى الحياة واستخدام رؤية علمية فى إدراك الطبيعة والمجتمع والانسان .

● نتائج أخيرة ●

(١) ان ملامح الشخصية الفنية متنوعة

في المجموعة . ففى الوجه السائد نرى ملامح شخصية محدودة ، ذات سمات مادية خاصة ، ولها موقع معين فى الحيـــاة الاجتماعية . ربما كانت شخصية مجنونة ، لا وعي لها ، تجلس فى ادنى السلم عند مرتبة الحيوانات ، أو ربما كانت انساناً تعذبه الوساوس والمخاوف وليس ثمة نوافذ اخرى مضيئة فى حياته ، أو رجل عجوز منعزل يجتر ذكرياته التى لا يقولها لأحد بل نسمعها من رواية الحي ، الذى عاش معه فى الغوص مرة ، أو رجل محترم عادي ينقلب فجأة إلى راقص فى حفل ويظهر أمام امراته كرجل « حقيقى » لا تسيطر عليه هى ، أو فراش فى ادنى السلم الاجتماعى يريد ان يسلط الأضواء على نفسه قليلا ويجعل هؤلاء الموظفين يحترقون بعض الوقت ريثما ينقل اليهم الخبر ، أو بحار نادراً ما ابتعد عن البحر لكن البحر ابتعد عنه وغدا الصيد مهنة لا تطال ، فاتجه الى المدينة بحثاً عن عمل .

هذا الوجه عبارة عن لقطة جزئية ، قطعة ما من الحياة العريضة ، استل من واقعه المعقد المتشابك وقدم الى المسرح فى لحظة سريعة . ملامحه ، وتاريخه ، وحارته ، قدم كل ذلك بصورة وثيقة اضيفت الى ارشيف غريب يقع بين الفن والتاريخ .

إن هذا الالتقاط السريع قد جمـــد الشخصية عند مستوى محدود من البناء الفنى والفكري . فبقيت شخصيات ضحلة ، وليست « بسيطة » فالشخصية البسيطة غير موجودة ، أحادية الجانب ، لا تخدم غرضاً فكرياً عميقاً . ان القارىء حينما يقلب هذا الأرشيف يجد أن هذا البطل هو هذا الشخص أو ذاك ، فالمسافة بين الواقع والقصة قصيرة جداً ، ان هذا القصر نتاج الطريقة السريعة فى الانتاج الأدبى ، بمعنى ان « الانسان الواقع » لابد له من فترة غنية وناضجة حتى يتحول الى « الانسان فى الفن » . اعادة تملك هذا الانسان وتغييره واضفاء ابعاد جديدة قد لا تكون محمولة معه بالضرورة ، هذا هى الطريقة التى تغير من عملية نسخ النماذج الحياتية .

يجمد الكاتب عند هموم صغيرة فى حياة البطل ، لها ارتباط بالحياة الاجتماعيـــة ، غير أنا نراها متأطرة بشخصه . ان البطل فى هذا القسم لم يعد كالعديد من ابطال مجموعتيه السابقتين يحمل روحاً متدفقة بحماس يدعو للنهوض والتغيير ، بل نراه فى جنون مطبق او فى ضحكات هستيرية او يعانى من وسوسة رهيبة أو يمتلك وعياً محدوداً تماماً .

ان هذه النماذج لم تعد تطرح زخم الواقع وحرارته وتطوراته المتدفقة دائماً . لأنها نماذج لاتختار بدقة لتجسد أعماق الحياة ، فهى هامشية محدودة ، لا تمتلك فى ذاتـها بؤراً غنية بالظلال والدلالات .

(٢) يحاول الكاتب ان يخرج من المحدود الى الواسع . من الخاص الضيق إلى العام الغني بالرؤى . ان قصة مثل « القمر وجهه لزرق » أو « الطائر الأخضر » تطرحان العديد من الملاحظات :

● أولا ، ثمة تميز هنا ومحاولة للخروج من صيغة مألوفة الى عالم محدود وثرى بالأصداء والأضواء ، مع البساطة المرهفة واللمسات الشاعرية والاقتراب من الحكاية الشعبية واستخدام الأغنية .

لقد اتسعت المسافة بين الفن والواقع ، ولم يعد الأبطال علامات ملخصة لأشخاص احياء أو أموات عاشوا هنا أو هناك ، بل صاروا رموزاً منتزعة من أشياء كثيرة قاسية وباهتة ومن آمال عميقة مزروعة فى صدور بحارة وصبايا ، فغدا هؤلاء الابطال ثمرة للتطلع الى عالم جديد ، مضيء ، أخضر .

هنا محاولة للخروج من محدودية الأبطال الذين أسر الكاتب نفسه بينهم ، استقى منهم مادته ولم يرتفع عنهم ، فكرياً ، محاولة لمسك ابطال أكثر خصوبة وتجسيداً للهموم الاجتماعية .

● ثانياً ، ولكن هذه المحاولة لم تكن مكتملة فنياً وفكرياً . فقد تحول البطل المحدود الى وجه بلا ملامح ، بطل بلا سمات ولا شخصية ، وانتقل الى دور القناع الفكرى . لم يخرج من اعماق البطل السابق بوجهه المحدود ، ليجعله أكثر اتساعاً ، بل تجاوزه إلى النقيض ، إلى إزالته .

وإذا كان الناس سابقاً هم مادة القصص فقد غدوا الآن موضوعاً للأبطال ومادة للتغير . هذه الرؤية فى رفعها للنموذج الرمز الى هذا المصاف تبرز طابعها الفردي . وان المازق الاجتماعى الذى تعانيه الحارة لابد له من منقذ فذ .

● ثالثاً ، هذا يشير الى خفوت لغة الصراع فى هذه المجموعة ، والتى رأيناها ساخنة فى مجموعتيه الســـابقتين . فالشخصيات تعيش أغلب لحظاتها سلبية ، حتى مرجان السعيد الذى واجه النوخذا في سفينة الغوص واشترك فى حرب ، جلس صامتاً كحجر . وتتفجر الصراعات النفسية الداخلية مدمرة قدرات الأبطـــال ، اذا استثنينا زهرة بطلة « أول الحب » لهذا يبحث القاص عن أمل فى هذا الليل الدامس فيجده فى رجل غريب يحمل النور للمقيدين فى دياجير الظلمة .

(٣) ويحاول الكاتب فى نماذج قليلة اخرى ان يخرج عن الصيغتين السابقتين ، ومن الملاحظ ان هذا الخروج نادر فى المجموعة . بسبب ان القصاص لم يحدد لنفسه اهدافاً جديدة اخصب واعمق .

إن قصة مثل « الجبل » قد تمثل طريقاً جديداً فى تشكيل الشخصية والحدث وقد تضاف الى محاولات اخرى جيدة لم تحدث فعلا انقلابياً فى عالمه الفنى . ظلت كاشارات مضيئة لم يتابعها الكاتب ، وانساق الى اسلوب سهل يرضي الكثير من القراء لكنه لا يرضي الفن وتطور الناس والحياة .

الجبل تقدم إنساناً ، وتاريخاً كاشفاً بلغة شفافة هى لغة الحلم والواقع المرير ، وتتزاوج الحياة الخاصة والعامة ، المحلية الشديدة الخصوصية والهموم الانسانيـة الكبيرة ، ليس ثمة تعسف فى بناء الحدث ، فهو ينساق ببساطة ، متخذاً حركات تذكر وأحلام الـعجوز مهران ، ضافراً بين جلسته الحالية الجامدة ، وتحجر مكانته الاجتماعية ، وبين الثروات التى فجرها والجبل الذى اقتحمه مطلقاً منه كنـــوزاً لا تحصى . المرارة تتحول الى أمل فى غد أروع ، ولكنه غد يعجز عنه العجوز ويدعه لحفيده حسين .

لماذا تشكل أمثال هذه القصة لحظة تخطٍّ ؟

إن العديد من الكتابات القصصية لدينا تضع هدفاً لها هو تحطيم الشخصـــية النموذجية . فثمة قطع لجذور هذه الشخصية وافقادها سماتها الخاصة الحميمة ، واعتبار هذا القطع شرطاً للتطور والكتابة الواقعية الجديدة وهذا يؤدى الى غياب ليس الشخصية الوطنية المحليـة بل الشخصية الانسانية أيضاً . لأن الأولى لا تظهر إلا من خلال الأولى . وأية شخصية مطلقة مجردة ، لا تستند أولا على النموذج المحلي الخاص فذلك يؤدى الى دورانها فى الفراغ ، وموتها فنياً وانسانياً .

وميزة محمد عبد الملك من بين مميزاته انه حاول السيطرة على هذا القانون الفنى ، ويبقى ان تتعمق هذه السيطرة وتنتشر .

عبد الله خليفة ـ البحرين

قراءة في المجموعة الشعرية

من أحلام اليقظة

للشاعر القطري علي ميرزا محمود

بقلم : سنان المسلماني



غلاف المجموعة الشعرية



علي ميرزا محمود

« من أحلام اليقظة » مجموعة شعرية جديدة نشرت للشاعر الفنان علي ميرزا محمود ، انتظرناها بشغف ولاقيناها بود .

وهذه المجموعة تعد المجموعة الثانية للشاعر بعد مجموعته الأولى « أماني في زمان الصمت » نشرت في ١٩٧٩ ، وهي تضم مجموعة من القصائد باللهجة العامية الخليجية .

ويعكف الشاعر الآن على تنسيق مجموعة قصائد جديدة ليصدرها في مجموعة ثالثة تحت عنوان : « الرحيل في عيون الذكريات » .

وعندما تعيش مع قصائد الشاعر علي ميرزا في مجموعته الجديدة ، ستشعر أن قلب الشاعر يقفز بين السطور ، فالجرح غائر ، والالم شديد يشيع في أعماقه حزن بحجم البحر .

ستحس أن القصائد تتواصل في رباط متين رباط الحب ، الذي يشملها وينفذ خلالها ظاهراً أمام عينيك دائماً ، مؤكداً لك أن الشاعر استطاع أن يقدم أحاسيسه الفياضة الثرية ، التي تعكس ذاته الضائعة الحائرة الحزينة .

وأول ما تلاحظه في المجموعة الثانية أن قصيدة « إني أنا الفتى » تقطر نرجسية بصورة تجعلنا نرى أنه كان على الشاعر أن ينحيها عن المجموعة اذ يبدأها علي ميرزا بقوله :

أنا صاحب العلياء فيها فهللوا
وغنوا غداة البين لما تحاملوا

وهي قصيدة لها ظروف خاصة قاسية ، قيمة ، نظمت في تجربة معاناة خاضها الشاعر ، إلا أن وجودها دخيل على قصائد المجموعة ، ولرنة الفخر والحماسة الزائدة أثر في احساسنا بعدم تلاؤمها مع باقي قصائد المجموعة ، لذا كنت أتمنى أن تحتل القصيدة الثانية « عشتار والوجه الغائب » مقدمة المجموعة ، لأنها تمثل نوعية مختلفة تظهر قدرة الفنان الشعرية وحساسيته المفرطة وحزنه المتوثب دائماً ، الساكن في أعماق نفسه .

يقول :

سنابك خيل الحسان
تمر أمامي
وتهوي الأعنة بين يدي
وبعض الوجوه على راحتي
يقولون خذنا
وودع زمانك في مقلتينا
ودع حزن عينيك بين يدينا
وسلم زمام الركاب إلينا
وخذنا ..
تدثر بنا في ليالي الشتاء اليتيمة
فانا على شدو حزنك من غابرات
العصور أتينا

يرى متابع القصيدة هذا الحزن القابع في عيني الشاعر الذي يلون دائماً سطوره ، فالوجوه تدعوه فقد أتت من العصور السحيقة الغابرة تحث الخطى على شدو حزنه ، ذاك الحزن المتوثب أبد الدهر ثم ينساب الحب كالمطر ، ليغسل كل الجراح .

وتبكي السماء .. على حزنك السرمدي الأثر
فينهمر الحب ..
من شدو حور العيون المطر .. ويثمر بستانك
الحزن فوق الشجر .. سياتي المطر
سيغسل قلب الليالي الحزينة
ويسكن في مقلتيك القمر
ويأتي المطر

تدعوه الوجوه في تلك القصيدة ، وتعده أن تضمه كل الجفون ، ويسافر أنى يشاء في كل العيون ، وسوف تعطر أجسادها في ليالي الشتاء اليتيمة بعطر أغانيه .. « تلك الأغاني الحزينة » .

يعذبه الرحيل ، فعيناه ترحلان في كل الأمكنة تبحث عن كوكب بعيد ، تعذبه الوحدة ، يتهاوى يتساقط ، يموت ويزرع بين الصخور حروفاً تنادي إذا ما أتى الليل محبوبته عشتار تلك التي في رؤوس الجبال تمارس في نشوة الحب قرع الطبول .

وحين تقرأ القصائد الأخرى في مجموعة الشاعر علي ميرزا تتراءى أمام عينيك مفرداته المتكررة دائماً والتي تعكس ذاته مثل « ألوب » « أبكي » يبكي » « بكى » « أجرى » « أموت » ، وصيغه وصوره التي تعبر عن روحه المتألم ، ذاك الروح التائه المتعب « وأنا اليتيم » « قلبي المكلوم » « مازلت أبحث بين المعاني » « وتفجرى يا نفس » « يا فقراء العالم .. لو كان بوسعي كنت زرعت لكم قلبي سنبلة .. قنبلة في وجه الطغيان . سداً في وجه الطوفان » .

وتجرحك أسئلته الحائرة ، بعد أن أضناه البحث « متى سوف تنهار كل البرازخ .. حتى تفيض جميع البحار » ثم يصرخ مطالباً « هدوا البرازخ .. كي يغسل البحر وجه حبيبي » .

وقارىء المجموعة سوف يلاحظ أن شعر الفنان يعكس بعض النرجسية أحياناً ويعبرها ويتجاوزها أحياناً أخرى ، وهي قد تقبل من الفنان ..

ونحن لا نقف طويلا عند ذلك ، إذ أننا لا نستطيع أن نصادر احساس الشاعر وحقه في التعبير عن بعض خلجات ذاته ، كما لا نستطيع الافراط في رصد أناه الثمينة .

وهو لم يصل بحال من الأحوال إلى طغيان الذاتية أو النرجسية ، بشكل بارز مرضي .

إذ أن طغيانها يخنق انطلاق الشاعر إلى آفاق أرحب وأخصب .

الحق أن لهذا الفنان الشاعر عدة قصائد مؤثرة ، بالغة الروعة تضعه في مقدمة الشعراء الخليجيين الشباب ونحن مع آخر كلمة لنا ، نشكر الزميل علي ميرزا على هذا الاصدار متمنين له التوفيق في مجموعته الشعرية الثالثة « الرحيل في عيون الذكريات » التي ستقدم لنا الشاعر – بدون شك – مع تجربة جديدة أصقلتها الحياة والخبرة .

الـــــــــدّم ..

قصة بقلم : فـؤاد قـنـديل



عندما وضعت قدمى على أول درجة من درجات السلم الحجرى ، استوقفنى للحظة منظر دم .. نقط من الدم ، لكنى لم أهتم فكل شىء ممكن حدوثه ، والاهتمام يكون بقدر الانفعال .. والانفعال يكون بقـــــدر الخصوصية .

لكنى مع درجة أخرى وجدت نقطاً أخرى من دم .. ثم درجة ثالثة ورابعة .. كلمـا صعدت وجدت الدم يسبقنى . توجست بدأت الأسئلة تدق رأسى .. ما هذا الدم ؟ وهل تراه دم دجاجة أو انسان .. أم دم قط أم دم .. أم مجرد لون .. سائل أحمر .. وإذا كان دماً بشرياً فهل يخصنا ؟

ثقل دق الأسئلة وطرق الأفكار على رأسى .. هل يخصنى ؟ .. دق قلبى .. زوجتى وابنتى نهى ودينا .. فى هذه الحالات يسرع العقل فى طريق التشاؤم ، حتى يتخيل مثلا أن مخلوقاً من السماء جـــاء خصيصاً ليذبح ابنه ، وقد يتصور الانسان أن رصاصة خاطئة أصابت زوجته .. زوجته هو بالذات من دون كل الزوجات ربما نكون نحن ضمن هؤلاء المجانين .. لم تعد التصرفات الخرقاء فى هذا العصر مقصورة على الهمجى دون المتعلم أو الريفى دون الحضرى .. لا .. لقد غدت الأنهار بلا جسور .

ولكن أنا بالذات دق قلبى بعنف .. وأنا بالذات لم أفكر فى المجانين ، ولم تشغلنى رصاصة طائشة ولكن ..

شلغتنى رصاصة حقيقية .. رصاصة تترقبنى طويلا لتنطلق إلى صدرى فتصيب وتدمى ، وتنهى قضية .

فجأة تصورته أمامى .. ارتسم فى رأسى وقلبى وجهه الشرس وشاربه الضخم ونظراته القاتلة .. فجأة أحاطنى من كل جانب ، لفتنى نظراته كثعبان .. قيدتنى . شنقتنى وقفت على السلم مجمداً .. ثم درت حول نفسى مذعوراً .. هل جاء ؟ . هل عرف مكاننا . ؟

لا يصعب عليه شىء ، إنه داهية .. يأتى من أسيوط إلى رشيد بحثاً عنـــا ليصب رصاصاته فينا ويرتاح ، لا تسأل كيف عرف .

يستطيع أن يبلغنا ـ وله عيون ـ حتى لو ابتلعتنا الأرض أو اختبأنا فى بطن الحوت .. يستطيع أن ينفذ من ثقب الابرة .

ما هذا الدم .. دمهم ! . هل يمكن أن يكون قد .. ؟ .. لا أظن .

دق قلبى بعنف .

قفزت أتابع الدم .. الدم يقفز معى إلى أن بلغ شقتى وانتهى هناك .. نفذ تحت عقب الباب .. توقفت أقلب الأمر .

لم أطرق الباب . بلغنى صراخ ابنتى . فتحت بسرعة واندفعت فى اتجاه الصوت .. ألفيت دينا الصغيرة غارقة فى دموعها ، لكن لا أثر للدماء على ملابسها .

ـ أين ماما ؟

لم ترد ولكنها كفت عن البكاء .. زادت حيرتى .. أوشك عقلى أن يطير شظايا .. عدت إلى الدم . سرت فى أعقابه ، تصورته خطاً دموياً إلى مالا نهاية .. نقط حمراء ممتدة إلى نهاية العمر .. لها أسنان تنهش .. انتهى طابور الدم عند المطبخ دون بحيرة ودون منطقة تجمع واسعة كما كنت أتوقع وكالمفروض .. انتهى فى صمت وبلا نتيجة محددة . كدت أجن .

فجأة بعد التزام الصمت والحـــذر والسكون أخذت أقفز فى الشقة كالمذبوح ، أدفع الأبواب وأرتمى تحت السرير والمقاعد أفتح الدولاب وأحدق .. لم يعد لى رأس أفكر به . أسرعت أهبط الدرجات . إنعطفت إلى البواب . دفعت بابه . نهض من فراشه وتثاءب .

ـ أين الأولاد ؟

ـ أولادك !

ـ نعم .. أين ذهبوا ؟

ـ وكيف أعرف .

صعدت السلم فى قفزتين إلى الشقة المقابلة .. طرقت الباب بعنف .

ـ أين الأولاد ؟

ـ أليسوا بالشقة .

قفزت السلم هابطاً .. فوجئت بزوجتى تجتاز باب العمارة ، تحمل ابنتى نهى ويدها مربوطة بالشاش . توقفت . جلست . تنهدت قالت : أمسكت الصغيرة بالسكين وحاولت الكبرى ان ..

ليلى الحريري

حوار مع طبيبة عالمية

قلب الطفل..

لماذا يكون أحيانا مسرحا لنزوات الطبيعة ؟

● ١ ٪ من عدد المواليد بقلوبهم عيوب خلقية ولكن الجسم يتغلب عليها خلال مراحل النمو .

● علاقة حميمة بين التهاب اللوزتين المتكرر وبين اصابة قلب الطفل .

القلب .. ذلك الخافق الصغير والذى يبدو فى براءة الطفل الوليد .. هل يمكن أن يكون حقيبة كبيرة لمزيد من المتاعب والآلام ؟ .. وهل يمكن أن يكون فى بعض حالاته مسرحاً لنزوات الطبيعة كالعيوب الخلقية التى يولد بها بعض الأطفال ؟

إن كل آلة فى بعض أجزائها ومواضعها عرضة للتفكك والتصدع نتيجة الاستعمال والاجهاد .. والجسد الانسانى هو أكثر هذه الآلات تعقيداً دون استثناء . وأحد اجزائه الذى يتكرر تصدعه ويشيع عطبه ، هو غالباً ذلك العضو الصغير الذى يشبه ثمرة الكمثرى فى شكله إلى حد بعيد ، ويحتل لـ موقعاً فى الجهة اليسرى من التجويف الصدرى بين الرئتين .

ولكن .. إذا صحت القاعدة السابقة ، لماذا يولد أطفال بقلوب مضيفة لبعض العيوب الخلقية وهي حالات غير نادرة ؟ .. النسبة تمثل ١٪ من عدد المواليد ومع ذلك ما من أحد يعلم بالتأكيد الأسباب حتى الآن ..فهل يدعو ذلك إلى التشاؤم ؟

الطب يقول لا .. لأن نسبة كبيرة أيضاً من هذه العيوب يتغلب عليها جسم الوليد خلال مراحل نموه إلى مرحلة البلوغ .. أما المتبقى منها ففى أغلب الحالات يعالج دوائياً أو جراحياً وبنجاح مطرد مع التقدم الطبى .

فما هى أكثر عيوب القلب الخلقية شيوعاً .. وما هى الأنواع الأخرى المكتسبة والتى قد تصيب الأطفال ذوى القلب السليم ؟ ..

ما هو نصيب العوامل الوراثية أو البيئية فى نسبة إصابة بعض الأطفال بمرض فى القلب ، وهل يمكن تفادى الأسباب التى تؤدى إلى ذلك . ؟

هل يمكن للطفل المصاب أن يمارس مفردات طفولته بشكل سوي كسائر الأطفال ؟ أم انه يخضع لنظام طبى وحياتى صارم يحرمه منها .. ؟

أسئلة كثيرة كلها تدور حول قلب الطفل ومعاناته تجيب عليها اخصائية عالمية فى هذا المجال .



الاخصائية الاستشارية د. جين سمرفيل

الدكتورة چين سمرڤيل اخصائية استشارية فى أمراض القلب الخلقية عند الأطفال والمراهقين ، وعضو فى المستشفى القومى لأمراض القلب بلندن وهو مستشفى يختص بالتدريب فوق الجامعى . وقد استطاعت الدكتورة چين من خلال مساهماتها الطبية فى هذا المجال أن تثبت حضوراً لفت الانظار إليها على المستوى الدولى . أسرتها جراحة القلب فى بعض مراحل حياتها العملية الأولى لأنها تتناول الحالات الشاذة،ثم اكتشفت أنها لن تقوى على الوقوف كل تلك الساعات التى تتطلبها العمليات الجراحية .. والأهم من ذلك أنها تبينت أن قدراتها الذهنية أفضل بكثير من قدراتها اليدوية . ومن هنا .. اتجهت مرة أخرى إلى الدراسة والتخصص فى موضوع فرعى دقيق هو تشخيص ومعالجة أمراض القلب عند الأطفال منذ ولادتهم وحتى يصلون إلى مرحلة البلوغ . هذا التخصص مثير جداً من وجهة نظر الدكتورة جين لأنه أضفى عليها تميزاً فى حياتها العملية .

وهى كأم لأربعة أبناء تشعر بالأسى تجاه أى أم يعانى طفلها ـ إن كان الأول على وجه الخصوص ـ من مرض خطير فى القلب ، ويزداد الأسى عندما تجد أن الظروف لا تسمح بعلاج قلبه بصورة كاملة فقد تجرى له عملية لانقاذ حياته .. ولكن البقاء حياً ليس كافياً بحد ذاته .

كانت الطبيبة العالمية د . چين سمرڤيل فى زيارة لمستشفى « حمد العام » فى الشهر الماضى .. وفى الدوحة كان هذا الحوار معها .

تقول د . چين سمرڤيل ..

أمراض القلب عند الأطفال نوعان .. اما أن تكون خلقية أى أن يولد الطفل ومعه هذا العيب الخلقى الذى تكون خلال مرحلة تشكل القلب الجنينية داخل الرحم . أو أن تكون مكتسبة أى أصابته خلال مرحلة الطفولة .

وأكثر أنواع العيوب الخلقية فى قلب الطفل شيوعاً وأشدها تاثيراً عليه وان كانت لا تعيق نموه ، هو وجود ثقب صغير بين الجدار الفاصل لأى من غرف ضخ الدم فى القلب . ومع ذلك هناك أنواع أخرى من العيوب الخلقية مثل ضيق الأقنية والصمامات ، أو أن يكون اتصال احدها بالقلب غير صحيح فى موضعه سواء فى دخوله إليه أو خروجه منه .

وقد يولد الطفل أحياناً دون أن يكون هناك حاجز فاصل فى جزء من أجزاء قلبه وبالتالى بدلا من أن يضم أربع غرف كما هو تكوينه الطبيعى (الأذينان والبطينان) نجد به ثلاث غرف أو غرفتين فقط .. أو قد يكون به تشوهات خلقية مجتمعه فى آن واحد .

وحالات أمراض القلب الخلقية عند الأطفال معروفة فى العالم أجمع حيث أنها تمثل نسبة ١٪ على الأقل من عدد المواليد وليس لها علاقة بالمنطقة الجغرافية أو بأى من العوامل الأخرى . وهذا عكس أمراض القلب المكتسبة التى تصيب الأطفال عادة فى سن الدراسة .

والصورة ليست قاتمة كما تبدو هكذا تؤكد الدكتورة چين .. فليس معنى أن يتأثر طفل واحد من بين مائة طفل مولود

قلب الطفل..



ثقب فى القلب .. اكثر حالات التشوه الخلقي شيوعا

بمرض فى القلب أن الأمر خطير .. فكثيراً ما يقفل الثقب الموجود فى قلب الطفل من تلقاء نفسه عندما يكبر ودون مساعدة طبية . أو قد يظل موجوداً بقلبه ولكنه لا يعيق نموه ولا يحول دون ممارسته لحياته الطبيعية ، هذا اذا لم يحدث أى التهاب للأغشية المبطنة للقلب لأنها تشكل بعض المخاطر .

أما حالة ضيق الصمام الرئيسي الذى يسمح بخروج الدم من القلب ، فهو ضعيف الأثر فى مرحلة الطفولة ، ولكن بمرور الوقت والتقدم فى العمر يمكن أن يترسب على جدرانه مادة الكالسيوم فيصبح أكثر ضيقاً .. وهنا يتدخل مشرط الجراح .

الأسباب مازالت مجهولة !

كم من حقائق نعرفها بالنتائج ولكن قلما نعرف الأسباب الحقيقية التى تؤدى إلى تلك النتائج .. وهذا ينطبق على الأسباب التى تؤدى إلى العيوب الخلقية فى القلب التى يولد بها بعض الأطفال .

الدكتورة چين سمرڤيل تقول .. نحن لا نعرف سوى القليل من هذه الأسباب الا أن بعضها تشكله عوامل البيئة المحيطة مثل إصابة المرأة الحامل فى فترة مبكرة من حملها ببعض الأمراض كالحصبة الألمانية أو الجديرى ، أو التهاب الغدة النكفية ، أو بعض الالتهابات الحادة الناجمة عن عدوى فيروسية لبعض أنواع الانفلونزا الحادة وهى ليست شائعة لحسن الحظ . كما وأن النسبة ترتفع بين الأطفال المولودين لأمهات مصابات بداء السكرى .

ومن الأسباب الأخرى التى تؤدى إلى اصابة قلب الطفل بعيوب خلقية ، تعاطى المرأة الحامل لبعض الأدوية بكثرة خاصة المهدئات النفسية ، وبعض الهرمونات النسائية أو تناول الكالسيوم أو حقن الفيتامينات لغير ضرورة . وفى جميع الأحوال على الحامل الا تتناول أى نوع من الأدوية الا اذا تقررت لها طبياً ، كما عليها الامتناع نهائياً عن تناول المشروبات الكحولية أثناء الحمل . وهناك الأعراض المتزامنه الأخرى التى قد تؤدى هى الأخرى إلى اصابة قلب الطفل بعيوب خلقية حيث تكون الكروموزومات غير طبيعية كما فى حالات البله والضعف العقلى (المنغولية) .

ويلعب عامل الوراثة دوراً ثانوياً فى الاصابة بأمراض القلب الخلقية وهو يقترن عادة بعوامل بيئية أخرى خاصة تلك التى تصاحب التزاوج داخل الأسرة بين بنات وأبناء العمومة . فان تكرار مثل هذا الزواج قد يزيد نسبة الاصابة بمرض القلب

الخلقى إلى ٧ أو ٨ ٪ .

الأمراض القلبية المكتسبة

وتضيف الدكتورة چين: هناك نوع آخر من أمراض القلب يصيب بعض الأطفال ذوى القلب السليم فى سن الدراسة يسمى الأمراض القلبية المكتسبة . وقد يعاودهم خلال فترة المراهقة وحتى أوائل سن البلوغ .

أهم الأمراض القلبية المكتسبة وأكثرها خطراً وشيوعاً فى نفس الوقت خاصة بين دول العالم الثالث ، هى الحمى الروماتيزمية (الروماتيزم القلبى) حيث تبين أن هناك علاقة حميمة بين التهاب اللوزتين المتكرر وبين إصابة القلب وخاصة الصمامات .

من الأمراض القلبية المكتسبة عند الأطفال أيضاً إصابة العضلة القلبية بالتهاب ناتج عن بعض الفيروسات . وهذا الأخير يمكن التغلب عليه نهائياً باتباع العلاج السليم . ولكن اهماله يجعله عرضة للمضاعفات ويسبب اعتلالا دائماً فى العضلة القلبية . وتنتشر أمراض القلب المكتسبة بين دول العالم الثالث على وجه الخصوص حيث ينتشر الفقر ، عدم توفر الشروط الصحية فى السكن ، الزحام ، كثرة عدد المواليد ، سوء التغذية . النقص فى التعليم ، عدم وجود الرعاية الصحية الكافية .. إلى آخر هذه المفردات التى ترتبط عادة بالبيئة والتى يمكن أيضاً العمل على تحسينها . ولكن .. هذا لا يعنى أن جميع الأطفال عرضة للاصابة بعدوى أحد أمراض القلب المكتسبة لأى من العوامل السابقة .. هكذا تؤكد الدكتورة چين .. فالذى يمكن انتقاله هو الجرثومة التى تسبب التهاب اللوزتين أو الحمى القرمزية وهى معدية .. أما مسألة استجابة المرء لتلك الجرثومة فيعتمد على المناعة الشخصية للانسان نفسه .

وأمراض القلب المكتسبة عند الأطفال ليست مشكلة مثل أمراض سوء التغذية ، والدفتيريا والأمراض المعدية واسعة الانتشار كالملاريا ، وبالتالى فان التغلب عليها يتوقف على مدى فهمنا للمشكلة ذاتها .

أما الوقاية وخاصة فى حالة الحمى الروماتيزمية فتكون بمعالجة التهابات اللوزات والبلعوم . لأن نسبة اصابة القلب تزداد أضعافاً بتكرار هذه الالتهابات .

أعراض يمكن ملاحظتها

هل يتعرض قلب الطفل فى بعض حالاته للسكتة القلبية كما يتعرض لها الكبار . ؟

تقول الدكتورة چين .. إن السكته القلبية أو مرض القلب التاجى لا يحدث للمواليد والأطفال الا فى ظروف استثنائية للغاية ولأسباب تختلف عما يصاب به البالغون وبالتالى هى ليست مشكلة بالنسبة للأطفال بنفس المعنى عند الكبار . ومع ذلك ، يمكن أن تحدث السكته فى حالات أمراض معينة بالقلب ولأسباب غير طبيعية مختلفة كما هو الحال فى مرض القلب الأزرق الذى يسبب تقلصات شديدة أو ربما يصاب الطفل باضطرابات فى انتظام ايقاع قلبه والتى تجعله مريضاً بشكل مفاجىء .. ولكنها فى جميع الظروف حالات نادرة جداً .

ولتفادى العواقب الوخيمة التى قد تنجم عن اصابة ولو بسيطة فى قلب الطفل هناك بعض الأعراض يمكن للأم ملاحظتها فتسارع بعرض طفلها على الطبيب المختص .

تقول د . چين سمرڤيل انه فى حالات التشوه الخلقى يتأثر قلب الطفل بطرق عدة .. مثلا فى حالة وجود ثقب به ، يختلط الدم الأحمر المشبع بالأكسجين من خلال هذا الثقب مع الدم القاتم الوريدى وبالتالى تزداد كمية الدم الذاهبة إلى الرئتين فيؤدى ذلك إلى امتلائهما مما يسبب ضيقاً حاداً فى التنفس . فاذا لم يستطع الطفل التنفس بشكل جيد فان ذلك يعيقه عن تناول غذائه . لذا فان أول ما ستلاحظه الأم أن طفلها يتغذى ببطء شديد مع سرعة فى التنفس وأن وزنه لا يزيد .

مثل هؤلاء الأطفال الذين تزيد كمية الدم برئاتهم عن الحجم العادى ، عادة يكونون عرضة لكثير من العدوى مثل التهاب الرئة الحمى ، سرعة التنفس ، الكحة .. الخ .

وفى بعض أمراض القلب عند الأطفال تكون الزرقة هى العارض الأول والبارز الذى تلاحظه الأم . وقد تكون هذه الزرقة خفيفة لا تظهر الا بعد جهد البكاء أو الرضاعة ، وقد تكون شديدة يمكن للأهل تمييزها حتى أثناء راحة الطفل أو نومه . وهى تصيب الطفل أحياناً بالأغماء وتقعده عن الجرى والحركة . وقد تنتابه تقلصات وضغوط فى قلبه فتشعره بألم حقيقى مثل الكبار ولكنها حالات نادرة .

فى جميع الأحوال ، وجب على الأم عرض طفلها على الطبيب المختص فى أقرب وقت ممكن . ولحسن الحظ فان أغلب هذه الأمراض أصبح من الممكن تشخيصها حتى خلال الأيام الأولى من حياة الطفل ووضع خطة لمعالجتها سواء كانت دوائية أو جراحية .

الجسم يتغلب على معظم المتاعب

ولقد كانت أمراض القلب قبل سنوات قليلة مرادفة للعجز بسبب معتقدات خاطئة تسود أذهان الناس ـ أما الآن فان د . چين تقول .. ان من الحماقة القول بأن الطفل المصاب بمرض فى قلبه سواء كان خلقياً أو مكتسباً لا يجوز له أن يمارس حياته العادية . ان القلب عبارة عن عضلة كسائر العضلات لابد من استعمالها حتى لا تصير ناعمة ومترهلة . ولكن المشكلة فى الأمهات اللاتى يغالين فى حماية أطفالهم المرضى فيحيلون حياتهم إلى جحيم . والغريب فى الأمر أن الطفل المريض يكون عادة أكثر تعقلا وأكثر قدرة على التأقلم مع حالته الصحية أثناء ممارسة الحياة أكثر مما يتصوره الأهل .

فى النهاية أقول ان كثيراً من أمراض القلب عند الأطفال لا تحتاج إلى علاج على الاطلاق حيث يتغلب الجسم عليها مع النمو وحتى مرحلة البلوغ حتى وان ظل القلب غير طبيعى . وبالطبع يمكن لأصحابها أن يعيشوا حياة عادية سليمة .

ولكن .. هناك حالات معينة خاصة تلك التى يتم علاجها بعملية جراحية فى مرحلة مبكرة من حياة الطفل حيث يزداد احتمال تعرض نسلهم للتشوه الخلقى . وتزداد هذه النسبة إلى عشرة أضعاف من الحالات التى تكون فيها الأم نفسها ذات قلب مصاب بمرض خلقى ومن النوع الخطير ولكن احتمال ذلك أقل فى حالة الأب المصاب .

على كل حال .. من كانت بهن علل فى القلب بحاجة إلى نصح طبى سليم فيما يختص بتناول أقراص منع الحمل ، والزواج ، قيادة السيارات ، العمل ، والتامين على الحياة .

ولحسن الحظ فان إصابة أحد الأطفال فى عائلة ما بمرض فى القلب لا يحتم حدوث مثيل له عند باقى الأطفال الذين سيولدون فى المستقبل .

ليلى الحريرى



هل يمكن ان تتضافر الجهود العربية لتصبح سيناء غابة كثيفة من النخيل تمشيا مع برامج الأمن الغذائي العربي ؟؟ بادئين بقلعة الجندي فى سيناء ...

أطلال قلعة الجندي

بقلم : درويش مصطفى الفار

كان لزاما علي فى ايام قليلة معدودة ، ان استعيد مع جيولوجيي مركز تعدين شمال سيناء ، ذكريات اعوام طوال بين جبال سيناء واوديتها ، وان اتفقد معهم مواقع عديدة كانت ، ولا تزال ، مثار جدل اكاديمي ، ومواطن اخرى تكمن فيها رواسب ذات نفع اقتصادي ممكن ، وان نتحرى بصمات الاحتلال التى تركها الاسرائيليون لدى الأرض ومن عليها على مدى خمسة عشر من الاعوام الثقال الطوال ...

ولقد حملتنا فى هذه الجولة سيارات روسية ، واخرى امريكية ، إذ لا توجد حتى الآن سيارات (عربية) لحماً ودماً ، تستطيع اجتياز دروب سيناء وشعابها ... ناهيك عن الطرق المعبدة فى كل المدن العربية دون استثناء ...

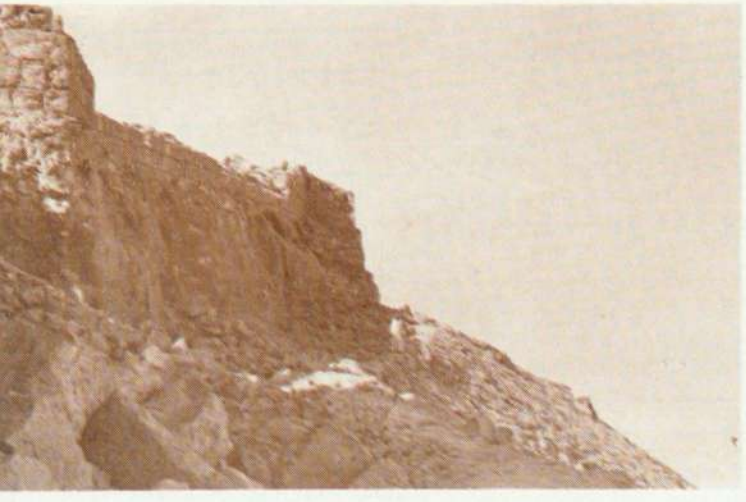
انطلقنا من العريش (رينوكولورا الفراعنة والرومان) صوب بئر الحسنة مخلفين وراءنا سهل السر وريـان عنيزة وجبال الحلال ولبنى والابرقين والمغارة ويلق والمنشرح ، ميممين صوب (جبيل حسن) الذي ترجع اساطير البدو تسميته إلى ان غلاماً من البدو خطب ابنة عمه فاشترطت الا تقبل به زوجاً إلا إذا اثبت فروسيته باختطاف ابنة امير الحاج ، وكان اسمها (حسن) بكسر الحاء وتسكين السين ... جهز الفتى حصانه وسلاحه واختبا فى اكمة من اشجار الرتم الكثيفة قرب ذلك الموقع ، واستطاع ان يفك رسن الجمل الذي يحمل هودج حسن ، فلما استيقظت ، وقد انتحى بها جانباً ، لم تبد انزعاجاً او هلعاً ، بل رحبت به ، واشارت عليه ان يختبىء معها بعيداً عن الطريق ، وطلبت إليه ان يصعد ذلك الجبل الصغير المسمى باسمها اليوم ، ليراقب الطريق ويطمئن إلى ان احداً من القافلة لم يعد يبحث عنها ، ففعل ، ولما عاد وجدها قد ركبت حصانه وامتشقت بندقيته وسيفه ، وامرته بكل رباطة جاش ان يركب البعير ويسير امامها على قدميه ، حتى اوصلها صاغراً إلى القافلة عند بئر المرة ، ثم اذنت له بالانصراف بعد ان بصقت عليه ، فعاد خائباً ، وسمى التل بعد ذلك باسم جبيل حسن ، الذي تركنا قبالته طريق (نقب ام إثلة) متجهين إلى الجنوب قاطعين اودية ابي ثمير والغدري صوب ما يسمى على الخرائط (راس الجندي) ، حيث توجد بقايا قلعة حصينة فى اعلى الجبل ، تقول اللوحة المكتوبة على بابها إنه قد امر ببنائها (صلاح الدنيا والدين) فى جمادي الآخرة سنة ٥٨٣ هـ اى بعد معركة حطين بثلاثة اشهر ، فى ارجح الاقوال ...

يطلق البدو على هذه القلعة اسماء (قلعة الباشا) او (معصى الجندي) اي المكان الذي يتصورون ان احد القواد قد خرج على طاعة السلطان ، واعتصم به وعصى ، ويسمونها احياناً (قلعة الجندي) ... ولكن احداً منهم ، يقيناً ، لا يعرف انتماءها فى التاريخ الى مجدد عزة هذه الأمة السلطان صلاح الدين الايوبي ...





اطـلال قلعة صلاح الدين قرب عين صـدر ، هل يعمـل العـرب لانقاذها وإحيائها كرمـز لفتـرة شـامخة فى تاريخهـــم لا ينبـغي ان ينطفـىء نورهـــا ؟





صعدنا إلى القلعة الخالدة على نفس الدرب التى نعرفها منذ قبل حرب ١٩٦٧ ، وهنالك ، تذكرت كل شيء يحدث بين المحيط والخليج ، واخذت اترنم بقول العماد الكاتب بعد نصر حطين وطبرية :

حططت على حطين قدر ملوكهم
ولم تبق من اجناس كفرهم جنسا
بطون ذئاب الأرض صارت قبورهم
ولم ترض أرض أن تكون لهم رمسا
وقد طاب ريانا على طبرية
فيا طيبها ريا ويا حسنها مرسى

وساءلت نفسي ، كم ترى من المسئولين ، بل والمؤرخين ، واهل العلم ، من يعرف ان لصلاح الدين الايوبي ، رحمه الله ، قلعة بناها سنة حطين ، فى هذا الركن من سيناء وان هذه القلعة إن لم تدركها يد العناية والاهتمام ، سوف تصبح فى فترة قصيرة من الزمان مجرد كلمة على الخريطة ... وتساءلت عن السر فى إهمالنا لآثارنا الاسلامية بالذات جملة وتفصيلا ... الا تستحق بقايا قلعة صلاح الدين الايوبي ، التي قد تكون (قلعة صدر) التي اشار إليها بعض المؤرخين ، من الاهتمام والعناية بالترميم وإحياء المعالم ما تستحقه آثار الفراعنة والبابليين والآشوريين والانباط والرومان ؟؟

وهنا يطيب لنا ان نقترح ، على الراي العام العربي ، بل والاسلامي ، الاكتتاب في مشروع تعميري يقضي :

● بترميم قلعة الجندي بسيناء ، وجعلها معلماً سياحياً اساسياً وإصلاح الطريق إليها حتى اعلى الجبل .

● تاليف بحث علمي شامل عن تاريخها ومخططها واهميتها في التاريخ العربي والاسلامي ، إذ انه على حد علمي ، لم يتصد للكتابة عنها حتى اليوم باسلوب علمي سوى المرحوم الدكتور حسن صادق باشا فى بضع ورقات نشرها المجمع العلمي المصري بالقاهرة فى اواسط العشرينات .

● زراعة غابة من اشجار النخيل المستجلب من كل الأقطار العربية المشهورة بالنخيل ، الجزائر وتونس والسودان والعراق والأحساء وعمان ، بحيث تصبح المنطقة بين عين صدر وعين تيسار الملح وراس الجندي مغطاة بالنخيل المثمر تماما.

ولعل في مثل هذا المشروع ، ضوءاً ، ولو خافتاً ، على طريق التعاون المثمر معنوياً ومادياً بين الأقطار العربية ، لأن إحياء آثار صلاح الدين الأيوبي بالذات ، في اي مكان، واجب مقدس فى هذه الحقبة المكفهرة من تاريخ العرب والمسلمين .



هل تعلم

عبد العزيز السيد المصري

عجائب العالم السبع .. هل مازالت موجودة؟

لقد كان من الصعب على شعوب العالم القديم أن تتصور أن الآثار الكبرى التى سموها عجائب العالم السبع قد تفنى إلا واحدة منها فقط ، لأن جميع هذه العجائب اختفت ولم يبق منها غير أثر واحد وهو هرم خوفو فى الجيزة بجوار القاهرة الذى بنى منذ حوالى ٥٠٠٠ سنة ليكون قبراً لفرعون .

العجيبة الثانية .. كانت أسوار بابل العظيمة «حيث يوجد العراق الآن» ، وقد بناها الملك نبوخاتنصر من الطوب بارتفاع ٣٣٥ قدماً حوالى سنة ٦٠٠ قبل الميلاد ولم يبق منها الآن غيراكوام من الأنقاض .

العجيبة الثالثة .. تمثال زيوس فى أوليمبيا ببلاد اليونان والذى صنعه المثال الاغريقى فيدياس ، وكان ارتفاعه حوالى ٤٠٠ قدم باحزمة من الذهب ولحم من العاج وعيون من الجوهر ، ولم يبق أثر لهذا التمثال .

والعجيبة الرابعة .. هى معبد الآله ديانا فى إميقوس التى هى الآن تركيا وكان يحمل السقف عواميد من الحجر ارتفاع كل منها ٦٠ قدماً ، وكان المعبد يحتوى على كثير من الأعمال الفنية اليونانية الثمينة ، وقد أحرق المعبد فى أثناء الغزو الغوطى سنة ٢٦٢ بعد الميلاد .

والعجيبة الخامسة .. كانت المعبد المقام فى مدينة هاليكادناسوس فيما يسمى بتركيا الآن ، وكان قد بنى للملك «ماو سولوس» الذى مات سنة ٣٥٣ ق .م ، كان بناء رائع الجمال وتكلف انشاؤه كثيراً من المال ولذلك فاننا الآن نطلق على كل بناء قد اتقن تزيينه «ماوسوليم» أى المزار الفخم .

والعجيبة السادسة .. كانت كلوساس روديس . وكان تمثالا من البرونز لهليوس ارتفاعه حوالى ١٠٥ اقدام ويقف على جزيرة روديس وقد حطمه زلزال حدث سنة ٢٢٤ ق . م .

العجيبة السابعة .. كانت آخر الأعاجيب وهى «فنار فاروس» الذى بدأ حوالى سنة ٢٨٣ ق . م . على جزيرة فاروس أمام شواطىء مصر (المعروف باسم فنار الاسكندرية) ويعتقد أنه كان على ارتفاع ٦٠٠ قدم فوق الأساس الذى اقيم عليه ، وكانت فيه نار مشتعلة فى القمة تهدى السفن الى الميناء (الاسكندرية) ، وظل المنار يخدم حوالى ١٥٠٠ سنة قبل أن يحطمه زلزال .

لماذا كان الذهب معدنا ثمينا؟

منذ أن عرف الانسان وهو يعتبر الذهب شيئاً ثميناً وربما يكون أول معدن عرفه الانسان .

والذي جذب الانسان البدائى للذهب هو أنه كان يوجد فى حالة نقية .. ومعنى ذلك أنه كان يوجد فى قطع صغيرة تسمى «الركاز» غير مختلط بغيره من المعادن أو الصخور ، ولأنه كان يتميز بلونه الأصفر الناصع ومظهره اللامع ، فان الانسان الأول كان يحب أن يقتنيه وأن يصنع منه زينته .

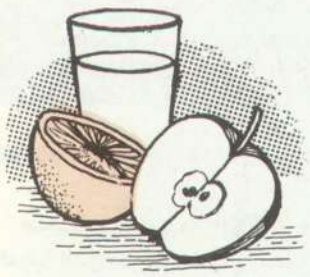
وقد ارتفعت قيمة الذهب عندما تحقق الناس أنه أسهل المعادن التى يمكن شغلها ، فركيزة الذهب يسهل طرقها حتى تصير رقيقة لينة بالقدر الذى يمكن ثنيها بدون أن تكسر ... وهذا يعنى أن الانسان الأول استطاع أن يشكل الذهب على أى صورة أحبها .. ففى وقت ما كان يصنع منه أطواقاً لثنى الشعر وربطه ، ومن هذه الفكرة ظهرت فكرة تيجان وأكاليل الذهب .

والكمية التى كان يمكن الحصول عليها من الذهب بسهولة كانت كمية محدودة صغيرة . ولذلك فان الناس الذين لم يكونوا يستطيعون الحصول على ذهبهم من الأرض كانوا يقايضون عليه ببعض الأشياء التى يملكونها ... وهذا ما يوضح كيف أصبح الذهب واسطة التبادل .

ولقد لاحظ الانسان أن المواد التى يقتنيها تفنى ما عدا الذهب ، ولذلك صار الذهب هو الوسيلة للاحتفاظ بالقيمة المدخرة للمستقبل ، ومقياس الثمن والقيمة . وبعد قرون مرت صنعت النقود من الذهب كطريقة مريحة لتحديد وزن وجمال المعدن وقيمته وأخيراً صار الصيارفة يحفظون الذهب فى خزائنهم للمحافظة عليه ويعطون صكاً مكتوباً بانه يدفع عند الطلب .. من هذه الفكرة بدأت الحكومات تصدر العملات أو النقود التى هى ببساطة صك لدفع مبلغ معين من الذهب عند الطلب .

وبهذه المناسبة ربما يهمك أن تعلم أن حوالى نصف الذهب المستخرج من مناجم الذهب فى العالم اليوم تملكه الولايات المتحدة الأمريكية .

من أين تأتي البكتيريا ؟



البكتيريا كائنات حية (عضوية) وهى صغيرة جداً لا نراها إلا بالمجهر «الميكروسكوب» الذى يكبرها عدة مئات من المرات ، ولهذا نسميها الأجسام المجهرية .

وقديماً قبل أن يرى الناس البكتيريا كانوا يعرفون آثار وجودها ، فاللبن يحمض ، والنبات والحيوان الميت يتعفن .

ونحن اليوم نعرف أن البكتيريا حولنا من كل جانب : في الهواء ، والطعام ، والجلد ، وحتى داخل الجسم . وتتكاثر البكتيريا بالانقسام ، أي أن كلا منها تنقسم الى اثنين . فليس بين البكتيريا نكور وإناث

والبكتيريا لها خلية واحدة تشبه بخلية النبات منها بخلية الحيوان ، ولها غطاء خارجي يشبه الجلد لا يحميها من الماء ، والداخل مليء بمادة تسمى البرتوبلازم وهي ـ عادة ـ ليس لها مركز مفرد أو نواة .

والغشاء الخارجي للبكتيريا مهم جداً لأن أية مادة كيميائية تستخدم للقضاء على البكتيريا لابد لها أن تنفذ من هذا الغشاء ... وحول الجميع مادة مخاطية لزجة تستطيع أن تغير الشكل وهي غالباً ما تكون ذيلا دقيقاً يشبه الخيط يسمى « السوط » وتستطيع البكتيريا أن تتحرك بالرغم من أنها ليس لها أقدام .. فالبعض يتحرك بتحريك هذا السوط كحركة الموج ، والبعض يبدو أنه يتحرك بتقصير الخلية وتطويلها بنفس الطريقة التى تتحرك بها الدودة .

وتسبب البكتيريا الأمراض التى نسميها « العدوى » . ولكن هناك أنواع من البكتيريا يمكن أن تكون معاونة ونافعة جداً للنوع الانساني .

أوراق خضراء

الكلمة الحية لا تموت بل تزدهر وتزداد نضجا مع الأيام
وهذه مختارات ثقافية حية من الصحف العربية القديمة

● طه حسين وتلميذه .. ●● اعترافات مؤمن ●●● براڤو .. وكلمات أخرى
●●● عالم يعض كلبا ●●●● جائزة ألف جنيه لتيسير الكتابة باللغة العربية

طه حسين وتلميذه ..



طه حسين



سيد درويش

ويالطول شقائى بالدكتور طه ! الناقد الجبار الذى لم يستطع ان ينقدنى انا ! كنت انقش وانا فى العباسية الثانوية على اركان كراساتى وكتبى اربعة اسماء ... نقشتها على كل كراسة وكل كتاب هى : « مصر . سعد . طه حسين . سيد درويش » . وكان اساتذة اللغة العربية فى العباسية الثانوية ينهوننى عن الدكتور طه ، فكنت اثور واعرض نفسى لسخطهم وعقابهم ما لم تنقذنى شفاعة من احد الاساتذة الثلاثة المستنيرين الذين كانوا يحبون معى الدكتور طه وهم : محمود مرعى ، ومصطفى السقا ، واحمد الشايب . وسمانى زملائى فى الثانوية باسمه من فرط ما كنت اقلده فى تفكيره واسلوبه . واحسب نفسى إلى اليوم مطبوعا بطابعه ، ولما كنت فى كلية الآداب كنت اضع على عينى منظارا اسود إمعانا فى « الطحسنة » وفى معهد التربية كان زملائى وبعض اساتذتى يجلسوننى إليهم ويطلبون منى ان احدثهم اى حديث وانا الدكتور طه ... وعندما كان الأستاذ الهيباوى مشرفا على اول عهدى بالكتابة كان يقول لي : إنى اخاف عليك ان تكون نسخة ممسوخة من الدكتور طه . وعاب علي الأستاذ الزيات يوما اننى افقد توازنى احيانا فيما اكتب فاضمحل واذوب ويتبلور من بقاياى بعد ذلك طيف من الدكتور طه يكتب هو ويقول ما يريد .

والدكتور طه الذى غزانى هذا الغزو لا أدرى كيف لم يشعر بى . وكيف لم يعطنى من نفسه ولو عشر ما احتل من نفسى .. كلما اقبلت عليه صدنى ، وكل ما قيل له عنى فيه صدقه ... وإلا فاى شيء كان يبغضه فيّ ... لقد كان من اثر ذلك انى تابعته بالذى تعلمته منه ... الصد بهجر ، والنكران بخدش .

واين انا من استاذى الذى إذا كره امرأ حرض الناس عليه حتى اذا راهم اجمعوا على كراهيته معه ، عاد هو فكره ان يكون معهم فى إجماعهم فراح يعلن حبه لهذا الامر ويحرض الناس على حبه حتى يعودوا إلى حبه معه ، فيعود هو فيكرهه ويحرضهم على كراهيته ... وهكذا .

عزيز أحمد فهمى
١٩٤٠

اعترافات مؤمن



بقلم : الدكتور محمد مندور
١٩٤٥م

لا يستطيع مثلى ان يتنكر لجلال الفكر البشرى ، وهو منبع شقائنا وعزائنا على السواء ، ولكنني احسب ان هناك انواعاً من ذلك الفكر ، فالمرء قد يفكر بعقله وقد يفكر بخياله وقد يفكر بقلبه . فالتفكير بالعقل هو ما ينفر منه طبعي وذلك لأنه مالم يحلق الفكر إلى عالم الصور الجميلة بخيال قوى او يرسب إلى اعماق القلب بحرارة حية لم تهتز له نفس ولا اطمان إيمان ، وإن كنت لسوء الحظ مضطراً كغيرى من البشر ان اكسر فى بعض الاحايين جناح الخيال وان اطفىء حرارة القلب حين لا يكون بد من ان نتناول الأمور ببرودة العقل اللصيق بالأرض .

منذ ازمة الايمان التى صادفتنى فى اليفاعة كما احسبها صادفت غيري وانا دائم التفكير فى حقيقة ذلك الايمان . ولقد مرت بي عقب تلك الأزمة مباشرة اعوام كنت اناقش فيها كل من القى عن المشاكل التى يثيرها العقل عن وجود الله وكيف كان ذلك الوجود وعن علاقته بهذا العالم وما فيه من خير وشر . ولا شك اننى كنت ابحث عندئذ على غير وعى منى عن يقين اطمئن اليه ، ولكننى اعترف فى بساطة اننى ما قرات ولا سمعت ما يوجب ذلك اليقين ، حتى اصابنى ما يشبه الملل فلم اعد اطيق الحديث فى هذه الامور واصبحت كلما سالنى عنها سائل او تحدث بها متحدث رميته بالتفاهة وذلك بوعي منى او غير وعي ، ولكنها تفاهة لا يمكن ان اعفيه منها مهما بلغ سؤاله او حديثه من عمق او اصالة . ولقد حاولت غير مرة ان اتبين السر فى موقفى هذا فوجدته ، او خيل إلى انى قد وجدته ، فى امرين : اولهما ان العقل نفسه نشاطه الاكبر موجه الى تقويض ذاته ، فهو لا يزال يبحث عن حدود قدرته ويتناول بالشك ما يصل إليه من آراء ونظريات يعاود فيها البحث فيقوضها حتى اصبح نقده لنفسه خليقا بان يهدم ثقتى فيه . وثانيهما اننى كنت احس دائما فى غموض ان تطاول العقل إلى مالا يستطيعه دليل ضعف فيه لا قوة ، ولهذا كم كانت فرحتى يوم سمعت عميداً لكلية الطب بباريس يقول : «إن من امارات الضعف العقلى ان نبحث بعقولنا عما لا نستطيع ان ننفذ إليه ، والعقل القوى هو الذى يعرف حدود قدرته » . لقد خيل إلى عندئذ ان هذه الالفاظ قد اضاءت مظلماً فى نفسى فرايت بوضوح ما كنت احسه غامضاً .

ومنذ ذلك الحين امنت بتفاهة من يناقشنى فى الايمان بعقله فهذا رجل ضعيف العقل مبدد لنشاطه هدراً .

انا إذن لا احب الحديث عن الايمان ولا اؤمن بالدعوة إليه ، ولكننى مع ذلك مؤمن إيمانا راسخاً ، وليست لى فى الحياة قوة غير هذا الايمان ، فقد تهب اعاصيرها ومن الممكن ان تتنكر لى يوماً عناصرها ذاتها ، ولكن ذلك لا اظنه ينال منى شيئاً ، وذلك لا اعتزازاً منى بعروض حياة او مواهب نفس ، ولكن لأننى مؤمن باله عادل اطمانت إليه نفسى بحيث لا اذكر اننى قد اتجهت إليه يوماً فلم اجد تاييده ، وعند ما ادعوه يسكت فى نفسى طنين الفكر فلا احس غير الصمت الساكن ولا افكر حتى فى وسائل القوة التى ابغيها ، وإنما اساق بعد ذلك فى غير وعي إلى تلك الوسائل كالآلة المسيرة وهى تعرض لخاطرى فى لمحات خاطفة فاسير إليها دون ان اتبين حتى مواقع اقدامى ، وإنما اكتفى بما استشعر من ثقة من اننى مادمت قد تركت السكون إلى الحركة فاننى فى سواء السبيل . ومهما تكن بعد ذلك من صعوبات ، فلا يمكن ان يساورنى شك فى انها ستذلل ولو فى اللحظة الاخيرة وذلك هو الايمان الهادى .

من اين لى بهذا الايمان وقد لقيت ضروباً من الناس وقرات الوانا من الكتب ودرست انواعاً من اللغات والثقافات ، بل وخبرت الحياة هزلها وجدها فى كافة الأجواء وتحت مختلف السموات . استطيع اليوم بعد ان نضجت ملكاتى ان اقول اننى لم يقنعنى احد به ، ولا اكتشفته فى بطون كتب ، ولا تلقيته من افواه بشر ، بل ولا غرسته بمواصلة القيام بشعائره كما تغرس فى النفس مختلف العادات بدوام مزاولتها وإنما هو إحساس قديم مكنت له فى نفسى حوادث صغيرة كانت بينى وبين ابى .

ولا أرى ضيراً من أن اقص طرفاً منها على القراء فتلك تجارب بشرية قد تكون أجدى فى إلقاء بعض الضوء على مشكلة خطيرة هى مشكلة الايمان من كثير من موسوعات علوم التوحيد والكلام ، ولها على الأقل ميزة الصدق النابض بالحياة ، وهي صادرة عن نفس فيها من القوة مالايصرفها عن أن ترد كبار الأمور إلى صغائر الأشياء عندما تؤمن أن تلك الحوادث الصغيرة هى الأسباب الحقيقية التى تتضاءل إلى جوارها كبرياء العقل ومغالطات الاحساس .

عندما أخذت أدرك علمت أن والدى قد بنى باحد حقوله « خلوة » لا منفذ لها غير الباب وأنه قد هجر زوجته وابناءه أربعين يوماً ليقيم فى تلك « الخلوة » يعبد الله فيها آناء الليل وأطراف النهار لا يرى أحداً ولا يراه أحد ، وإنما يحمل له الطعام من خصاص الباب . ولقد أثار هذا الخبر خيالى فكنت الاحق ابى بالسؤال عنه ولكنه رجل كتوم لسره فلم أحظ منه بجواب غير أن دافعه كان عبادة الله وكفى . ثم علمت أن الشباب كان قد ساقه فى مهاويه فلم يجد عصمة خيراً من معاهدة أحد علماء الدين على التوبة إلى الله . وكان هذا العالم نقشبندى المذهب وكان رجلا خيراً ، فلم يعد تأثيره على والدى حد توجيهه نحو تجنب الاثم ، وعبادة الله ، والاحسان إلى الناس وقراءة كتب الدين.ولكم من مرة حاولت أن أعرف شيئاً عن هذه الطريقة فكان أبى يرفض الادلاء ، مكتفياً بأن يخبرنى بأن تلك أسرار لا يجوز أن تباح ، ومن غريب الأمر اننى علمت منذ ثلاثة أشهر فقط أن لفظة نقشبند معناها النقش على القلب . واستنتجت من ذلك أن سر هذه العبادة هو أن يستشعر الفرد دائماً أن اسم الله منقوش على قلبه . ولقد لاقيت والدى منذ أيام فأخبرته فرحاً مسروراً أننى قد عرفت معنى اللفظة دون بحث عنه ، ولكن بتوفيق من الله ساقه إلى سوقاً ، فدهش الرجل وقال : « هو هذا وهو سر العبادة » وإذن فقد خلا أبى لعبادة الله أربعين يوماً ، وتحرك خيالى لتلك الخلوة ، ولكننى لم يُكْشَف لى عن سرها ، واقتنعت بأنه لا يجوز لى أن أتطاول إلى معرفة هذا السّر ، ولقد أمن أبى سنين طويلة بأنه قد نقش اسم الله على قلبه واتخذ من هذا النقش سبيلا إلى حمده منعماً وسالباً ، وسمعت بذلك ، ولكنى أيضاً لم أكتشف سر هذا الحمد ، وأمنت أنه لا يجوز لى أن أتطاول إلى كشفه ، وهكذا تهيأت نفسي إلى الايمان بالمجهول والاطمئنان إليه والثقة به ، وأكبر ظنى أن الخير ما أراد الله . فلو أن أبى بصرنى بما أردت لخلت نفسى من الأسرار ولأصابها العقم . واتفق أن أبى لم يستطع أن يتم حجه فى بعض المرات إذ أصيب بنقرس شديد فى السويس وأنا عندئذ فى السادسة من عمرى ، والزمه المرض الفراش عامين كاملين قاسى فيهما من الألم الوانا حتى لا أزال حتى اليوم كلما ذكرت انينه اقشعر جلدى . ولست أدرى لأى سبب ارتبط هذا المرض فى نفسى بالايمان حتى لأحسبه ثمن ما أفاض الله على والدى منه ، ولا زلت منذ ذلك أؤمن بانه لابد أن يبتلى الله المؤمن ليختبر إيمانه وأن المرء لابد ناج ما سلم الايمان فى قلبه .

وعندما اختارتنى الجامعة لبعثتها حدث حادثان صغيران كان لهما فى نفسى أبلغ الأثر : أولهما اننى قبل سفرى رتبت كتبى فى صندوق كبير وبغير وعي منى وضعت « المصحف » على قمة الكتب ، ورأى والدى ذلك عرضاً فسر سروراً لم أقصد إليه ، ولربما جاء بتوفيق من الله . وحدث إخوتى عما رأى قائلا « إن إخاكم فلان سيكون الله دائماً معه وسيوفق فى كل ما يعمل » فسألوه « ولم ذلك » فاجاب « لأننى لاحظت أنه وضع كتاب الله فوق كل كتاب » ثم إننى فى يوم السفر فوجئت بهدية من والدى أوصاني أن احتفظ بها مدة غيبتى وأن أعود بها إليه ، وكانت تلك الهدية عبارة عن منديل للشيخ العالم النقشبندى الذى عاهده والدى على الهدى ولقد أخذت المنديل واحتفظت به تسعة الأعوام التى مكثتها باوروبا وعدت وهو لا يزال إلى اليوم بين ملابسى . ولا أستطيع أن ازعم أننى قد علقت به إيماناً خاصاً أو قوة معينة بل ولا فكرت فى ذلك ، ولكنه نوع من الاطمئنان السلبي المريح . وقد اختلطت فى نفسى قيمة الهدية بمحبتى لمهديها وإيماني به ، وكان لهذين الحادثين فضل دائم فى ردى إلى الايمان كلما تجهمت لى الحياة .

ولقد اتخذ الايمان فى نفسى وجهة الاحسان إلى الغير ، حتى لأحسب اننى عاجز عجزاً أصيلا عن بغض أحد ، فقد يقسو قلمى وقد يلذع لسانى ، ولكننى ما عدت إلى نفسى إلا أحسست بفيض من التسامح لا أستطيع دفعه . وأكبر ظنى أن هذا الاتجاه كان أيضاً لاشعاع من والدى ، وليسمح لى القراء أن أقص حادثاً عائلياً كان له فى هذا الاتجاه أكبر الأثر .

كان لوالدى تسعة إخوة وكان يحبهم جميعاً حباً قلبياً صادقاً حتى لقد كان يذهلنى عندما يموت أحدهم أن أراه وهو الشيخ الكتوم لسره يبكي بدمع حار ، وكان أصغر إخوته رجلا كريماً متلافاً ، وكان والدى يهتز فى دخيلة نفسه لكرمه وإن أحزنه إتلافه لماله ولقد هدد هذا الاتلاف ثروته حتى أوشكت أن تضيع ، وكان والدى يحرص على أن يستنقذ من تلك الثروة ما يستطيع ، وحدث ذات يوم أن الح الدائنون بالمطالبة وكان الوالد يستطيع عندئذ أن يسكتهم ببعض ماله الخاص ولقد فعل ، وكنت عندئذ فى السابعة عشرة من عمرى وكانت والدتى ككافة الأمهات تحرص على أن يستبقى الوالد أمواله لأبنائه ، وكان أخى الأكبر يناصرها فى الرأى فانتحى بى والدى فى الليل ناحية وأسر لى بنيته طالباً إلى أن أخفي الأمر عن والدى وأخى . ولقد رأيت فى هذه الحركة ثقة بى برغم حداثة سنى أثرت فى نفسى أبلغ الأثر ، فتحمست منذ ذلك اليوم لعمل الخير وأمنت أنه جزء من الايمان حتى استقر بى الرأى إلى أن عون الملهوف وإسداء المعروف إلى الناس لابد أن يخلفه الله بالخير على صاحبه ، ولازلت حتى اليوم أعتقد أن بركة الله قد حلت بمال والدى منذ ذلك الحين . وذلك لأنه مال لم يطهره بالزكاة فحسب ، بل زكاه بالاحسان .

هذه هى عناصر الايمان فى نفسى ، اطمئنان إلى المجهول ، وعدم تطاول بالعقل إلى مالا يستطيعه ، وربط للأخلاق بالايمان ، وتسامح مع الناس ، وعمل للمعروف حيث نستطيعه . وأما منابع ذلك الايمان فهى كما ترى لم تكن محاجة عقلية ولا إثارة عاطفية ولكنها حوادث صغيرة كانت أبلغ فى تمرسه بالنفس من كبار الموسوعات وطوال الخطب .

براقش .. وكلمات أخرى

عباس محمود العقاد

« من مقال للعقاد بعنوان لوازم الحديث نشره في مايو ١٩٤٧ »



عباس العقاد

خطرت لي لوازم الكلام عند اكثر المتحدثين ، فسالت نفسي : ايها ياترى خير وافضل . «لا» هذه التى تقال في كل جواب ؟ او «نعم» ومرادفاتها التى تعود بعض الناس ان يعقبوا بها على النقيضين فى مجلس واحد ؟ .

ـ حبذا لو خلت مصر من الاحزاب .

ـ صحيح .

ـ ولكن الاحزاب ضرورية فى الامم الديمقراطية.

صحيح والله !

إلا أن الديمقراطية قد تستغنى عنها فى بعض اوقات التطور والانتقال .

ـ معك حق . فهذا صحيح .

فكم من المتحدثين يستمع إلى امثال هذا التعقيب في كل يوم وبين كل طائفة من الناس ؟ وكم تسوءهم هذه الموافقات وهم ينتظرون الشجاعة الادبية من ذوي الراى فلا يرون بينهم وبين الجهلاء الإمعات من خلاف ؟ .

إن كانت هناك « نعم » شر من «لا» فهذه النعم شر من جميع اللاءات وجميع ادوات النفي على الاطلاق .

ومن اللوازم ماهو اعجب من الموافقة والانكار على هذا المنوال ؛ لانها لازمة تلقي على المستمع تهمة لا ذنب له فيها ولا مناص له من دفعها .

تلك هي لازمة « على رأيك » عند بعض الناس .

يحدثك عن رجل لا تعرفه ولعلك لم تذكره قط فى حياتك ، فاذا به يقول : «على رأيك إنه رجل لئيم » .. ويمضي فى تحميل رأيك المظلوم تبعات هجائة وإنحائه وانت لم تر شيئا مما اتهمك برؤيته ، ولم يفكر هو بعقله فى إسناد التهمة إليك ، وإنما جرت التهمة «البريئة» على لسانه من حيث لا يريد .

وحضرت مجلساً فيه واحد من أصحاب هذه اللازمة وهم غير قليلين . فصرخ أحد السامعين الذين اتجه اليهم الحديث مستغيثاً :

يا شيخ حرام عليك ! متى وصفت الرجل بهذه الصفات ؟ وهل هو رأيك أو رأيى الذى تحكيه وترويه ؟

وضحك صاحبنا وكان ظريفاً حسن التخلص . فراح يقول : هو التواضع يا فلان . هو التواضع . وهل يليق بادب الحديث أن أقول : هذا رأيى ! هذا رأيى ! فى كل ما أرويه وأحكيه ؟

ومن اللوازم ما يبعث الضحك ولا يبعث الفزع كهذه اللازمة التى يلازمها الاتهام ، بل قد يضحك الحزين إذا غلبت عنده روح الفكاهة على روح الجد والصرامة .

من هذه اللوازم لازمة كانت لاحد القضاة المشهورين يرددها وهو ذاهل عما يسمع وذاهل عما يعنيه . وهى لازمة «برافو برافو» التى يتخلص بها من التفكير فيما يقول .

ولقى شاباً كان يعرف اباه فساله : اين انت الآن ؟ قال : موظف فى هذا الديوان ...

قال : برافو برافو . وأين أبوك ؟

قال : تعيش .. مات منذ شهور .

فلم يلبث أن حيا اباه تحية الاستحسان . لأنه مات ! لكن اللازمة البغيضة حقاً تلك اللازمة التى تضطرك الى الجواب على كل فقرة من فقرات الحديث كانك فى محضر تحقيق .

ـ اخذت بالك ؟ «فاهمنى ؟» .

ولابد من الجواب ، ولابد من انتظاره جواباً ملفوظاً لا يغنى عنه الايماء ولا السكوت .

ومن هؤلاء من يبدى لك الراى ثم يسالك :

هل أنا غلطان ؟

فتقول مثلا : معاذ الله . بل انت على صواب .

فلا يكتفى بذلك ويعود سائلا : إن كنت غلطان قل لي . هل أنا غلطـــان بالله ؟

ـ لا لست بغلطان .

ـ لا لا ، إن كنت غلطان فقل لى ولا تخف الحقيقة عنى . انى رجل صريح ، أليس هذا الواجب ؟

ويكررها : أليس هذا الواجب ؟ أليس هذا الواجب ؟ حتى تفض المشكلة بقسم غليظ .. فيصدق انك آمنت بانه ليس «بغلطان» .

وقد تكون اللازمة التى من هذا القبيل عقلية تاتى من نقص الوعى

والادراك ولا يقف بها الامر عند حب التكرار والاعادة مع فهم الحديث المعاد

تسال أحدهم : هل لقيت فلانا ؟

فاذا هو قد أعد كلمة الاستفهام فى منتصف السؤال وبادرك مستفهما : نعم

ـ هل لقيت فلانا ؟

ـ فلانا ؟

ـ أى نعم فلان !

ـ ماله ؟ أو ما باله ؟ أو علام تسال عنه .

ولايعنى أنك تسأله عن لقائه إلا بعد السؤال الثالث أو الرابع على هذا المنوال . وهى عادة غالبة على الطبقة الجاهلة فى بلاد الريف على الخصوص مرجعها بطء الحركة الذهنية وإهمال الكلام واعتباره لغواً لا يرتبط بالتفكير ولا يجعل معناه إلا مع التوكيد والترديد .

وبعض هذه اللوازم لازم فى الحديث المفيد ، لأنه يعينك على تتبع الحديث والوقوف على مراحله وغاياته . كلازمة «نهايته» فى موضعها الصحيح ، أو لازمة «علىكل حال» أو «لاتؤاخذنى» إذا كانت تهيىء الذهن حقاً لسماع شىء يحتاج الى الاستئذان أو طلب السماح ، فهذه اللوازم فى المحادثات اشبه بعناوين الفصول والابواب فى الكتب والمخطوطات . ولكنها قد تتواتر وتتكرر حتى تفقد معناها ولا تتعدى أن تكون حشواً بغير دلالة ... ومن قبيل ذلك فنان قدير فى فنه تلازمه كلمة «ثانياً» حين يقيم الأدلة على صحة فكرة او مذهب من المذاهب الفنية فاذا «بثانياً» هى أولا وثانياً وثالثاً ورابعاً الى آخر العشرة أو تزيد !

وكفى بمراقبة هذه اللوازم أنك تستمد منها سبباً للاصغاء الى الاحاديث سواء منها ما استحق الاصغاء وما استحق الاعراض ... لانك تسمع على الأقل «لوازم» تصلح للتفكهة وتصلح للدلالة على الفوارق بين «الشخصيات» والفوارق بين أساليب الألسنة وحركات العقول .

جائزة ألف جنيه لتيسير الكتابة باللغة العربية

يعلن مجمع فؤاد الاول للغة العربية انه قد خصص جائزة مقدارها الف جنيه تمنح لأحسن اقتراح فى تيسير الكتابة العربية على الا يكون لأعضاء المؤتمر الحق فى دخول المسابقة ، وقد تحدد آخر اكتوبر سنة ١٩٤٦ موعداً لقبول المقترحات ، وترسل باسم المجمع بعنوانه شارع قصر العيني رقم ١١٠ بالقاهرة . وسيطبع المجمع كل ما قيل حول تيسير الكتابة فى مؤتمره الذي انعقد سنة ١٩٤٤ ، ويتخذ الوسائل لنشره .

ملحوظة :

هذه المسابقة أعدها مجمع اللغة العربية « وكان اسمه قبل الثورة مجمع فؤاد الأول » وكان إعلان المسابقة فى ديسمبر سنة ١٩٤٥ ، ومن الواضح أن المسابقة « قد مر عليها حتى الآن سبع وعشرون سنة » لم يكن لها نتيجة ، ولم يواصل المجمع جهوده المطلوبة والضرورية فى سبيل تيسير كتابة اللغة العربية منذ ذلك الحين حتى الآن ... فهل يتذكر المجمع هذه المسابقة ؟! .

عالم يعض كلبا

كان أنحى من أخذ عن أبى على ، وأرواهم لشعر شاعر ، حتى قال له أبو على يوماً : «ما بقى شىء تحتاج إليه ، ولو سرت من الشرق إلى الغرب لم تجد أعرف منك بالنحو » .

وكان أحسن ما كتب ، وأجدره بالتقدير ، شرح كتاب سيبويه ، إلا أنه غسله ، وذلك أن طالباً نازعه فى مسألة فقام مغضباً ، وأخذ هذا الشرح ، وجعله فى إناء ، وصب عليه الماء ، وجعل يلطم به الحيطان ، ويقول ـ تعريضاً بالطالب ـ « لا ـ والله ـ لا أجعل أولاد البقالين نحاة » .

وكان مبتلى بقتل الكلاب ، وكسر سوقها « أى أرجلها » .

وكان يحضر درسه من الأكابر وعلية القوم من يقدرون فضله ، ويغضون عن سقطاته ، فاستتم الدرس ذات يوم ، وقال فجود ، فلما هم القوم بالانصراف استاناهم ، وسألهم أن يمضوا معه على خيولهم ففعلوا ، وهو سائر على قدميه يأبى أن يركب ، فلما بلغوا ما شاء وقف عند إحدى الخرائب ، وأطل من بعض الكوى ، ونظر الجماعة فاذا أستاذهم يواثب كلباً ، والكلب يواثبه تارة ويهرب منه أخرى حتى أعياه ، فعاونوه ، وأمسكوا الكلب فجعل يعض الكلب عضاً شديداً ، والكلب يعوى ويتململ ، فما تركه حتى اشتفى .

ثم نظر إلى الجماعة وقال : هذا عضنى بالأمس ، فأردت أن أخالف فيه قول الأول :

شاتمنى كلب بنى مسمع
فصنت عنه النفس والعرضا
ولم أجبه لاحتقارى له
من ذا يعض الكلب إن عضا ؟
هأنذا أعض الكلب إن عض !

ذلك هو علي بن عيسى الربعى المتوفى سنة ٤٣٠ هـ .

كامل السيد شاهين
١٩٤٥

العلم هو المستقبل

تقديم : لبنى الريدي

● مدينة بلا نقود ●

تجرى حالياً تجربة فريدة فى ثلاث من المدن الفرنسية لالغاء استخدام النقود أو الشيكات في المعاملات التجارية .. واستبدالها بما يطلقون عليه « بطاقة الدفع الالكترونية » .

وهي عبارة عن مستطيل صغير من البلاستيك ينقسم الى قسمين :

القسم الأول عبارة عن ذاكرة ثابتة لها بيانات الهوية الشخصية .

أما القسم الثاني فهو ذاكرة متغيرة مسجل فيها رقم يمثل الحد الأقصى للانفاق خلال الشهر .

ويتعامل حامل هذه البطاقة مع محال تجارية لديها خزانة تحصيل إلكترونية من نوع خاص بحيث يضع بطاقته فى فتحتها بعد الشراء فتخصم قيمة المشتريات من الرصيد .

ولا تتعامل هذه الخزانة مع البطاقة إلا بعد أن يضرب على لوحتها الرقم الكودي الخاص بصاحبها . فاذا اراد شخص آخر استخدام البطاقة ولكنه يجهل هذا الرقم الكودي فان البطاقة تتلف نفسها ذاتياً بعد ثلاث محاولات متتالية . حيث أن هذا الكود الشخصي غير مسجل على البطاقة ومن ثم فعلى صاحبها وحده حفظه عن ظهر قلب .

ومع بداية كل شهر يعدل العداد الموجود داخل البطاقة الرصيد أتوماتيكياً . وفي مساء كل يوم تقوم المحال التجارية بتحصيل قيمة مبيعاتها بتوصيل الخزانة الالكترونية بالكمبيوتر المركزي لمجمع المصارف فى المدينة .



الخزانة الالكترونية عند إدخال البطاقة

● آلة تكتب وتسجل ●



إنها أول آلة لمعالجة النصوص يمكن حملها في حقيبة أوراق عادية .. فحجمها أصغر قليلا من حجم عدد من مجلة « الدوحة » .. وهي يابانية الصنع . وتضم هذه الآلة الجديدة بالاضافة الى لوحة مفاتيح عادية مثل اية آلة كاتبة ، شاشة تتسع لأربعة سطور بحيث يضم كل سطر ٢٠ حرفاً ، وطابعة صغيرة حجم السطر فيها ٢٤ حرفاً . كما أنها مزودة بشريط مغناطيس صغير يتسع لتخزين مايوازي مائة ورقة ولا يتعدى وزن هذا الجهاز ككل ١,٦ كيلوجرام . وهو بالتالي يتيح لصاحبه العمل فى أي مكان يريد .. لأنه مزود ببطارية تمده بالطاقة اللازمة لتشغيله لمدة خمسين ساعة متواصلة .

وعند العودة الى المكتب يمكن توصيل الجهاز بشاشة التليفزيون أو أية شاشة أخرى لعرض ما تم كتابته ولكن بخط مكبر. كما يمكن توصيله بالهاتف لارسال ما سجل على شريطه من رسائل .

● السيراميك وعلاج الأورام السرطانية ●

إن تأثير الحرارة على الأورام السرطانية معروف منذ عدة سنوات . بل ان نقوش قدماء المصريين على المعابد تؤكد استخدامهم للحرارة فى علاج بعض الأمراض .

ولكن بالرغم من فاعلية مثل هذا العلاج الذي يعتمد على رفع درجة حرارة الخلايا المصابة بحيث يؤدي ذلك فى كثير من الأحيان الى تلاشي الورم أو على أقل تقدير الى تناقص حجمه وانكماشه .. فانه يواجه مشكلة جوهرية نظراً لأنه يستحيل حصر التأثير الحراري على مد ورم وحدها . وبالتالي فان التأثير الحراري يمتد الى الخلايا السليمة المجاورة .

ولقد دفع ذلك فريقاً من الباحثين الأمريكيين إلى إيجاد حل لهذه المشكلة عن طريق إدخال جزيئات من السيراميك متناهية الصغر الى منطقة الأورام ، ثم تعريض هذه الجزيئات لمجال مغناطيسي بحيث تحدث ارتفاعاً فى درجة حرارة الورم دون غيره .

وعلى عكس الطرق الفنية الأخرى المستخدمة للعلاج بالحرارة والتى تعتمد على الموجات القصيرة أو الموجات فوق الصوتية فان هذا المجال المغناطيسي يسمح بتسخين الورم الى درجة حرارة محددة مسبقاً بينما تظل الخلايا المجاورة عند درجة حرارة الجسم العادية .

يجرى حالياً إعداد الأجهزة اللازمة لتوليد المجال المغناطيسي المطلوب . ولقد اثبتت التجارب التى اجريت على الفئران أن هذه الطريقة تؤدي إلى شفاء ٥٠٪ من الأورام .

● الفيزيوفون ●

يشهد العام القادم دخول التليفون المرئي الى مدينة « بيارتز » الفرنسية . والفضل فى ذلك يرجع إلى شبكة كابلات الألياف الضوئية وإلى أشعة الليزر .

إذ تعمل هذه الألياف الزجاجية التى لايزيد سمكها عن بضعة ميكرونات (الميكرون يساوي واحد على ألف من المليمتر) على نقل الاشارات الضوئية لشعاع الليزر . ومن ثم فهي تتمتع بطاقة إرسال خيالية سواء من حيث الكم أو النوعية .

وتستطيع هذه الألياف نقل الصوت والصورة ، والمعطيات الاعلامية . كما انها ثنائية الاتجاه بحيث تسمح باجراء حوار بين طرفين . بالاضافه الى كل ذلك فان الارسال خلال هذه الألياف لا يتاثر باي تشويش .

ويظهر فى الصورة جهاز « الفيزيوفون » أو التليفزيون المرئي الفرنسي . وهو مجرد بداية يتوقع الخبراء أن يتطور شكله وحجمه ليصبح أصغر ، وتنمو امكانياته ليستقبل المكالمات الدولية .



الفيزيوفون الفرنسى

● الجناح الحلقي ●

تتنوع الابتكارات فى مجال هندسة الطيران بهدف تحسين أداء الطائرات وتوفير استهلاك الوقود .

وتركز هذه الابتكارات على شكل وتصميم الأجنحة بشكل خاص . فبعد الأجنحة المثقبة والأجنحة المتحركة مثل الطيور تقدم صناعة الطائرات الأمريكية الجناح الحلقي ، الذي يبدو فى الصورة وهو يحيط بالطائرة فى شكل حلقة .

ويرتفع الجناح الحلقي المصنوع من قطعة واحدة أعلى الطائرة بمسافة كافية محيطاً بالنصف الثاني منها ، وذلك لتسهيل عمليات الهبوط والاقلاع ولزيادة التحكم فى الطائرة أثناء الطيران .

وبينما تلتحم الحلقة بهيكل الطائرة من أسفل ، فان دفة متحركة تصل بين الجناح الحلقي والطائرة من أعلى .

ويؤكد مهندسو الطيران الأمريكيون الذين صمموا هذا الجناح المبتكر ، أن هذا التصميم يخفف من وزن الطائرة ويقلل من عوامل المقاومة وهو مايؤدي إلى خفض استهلاك الوقود .

الطائرة ذات الجنـــاح الحلقى



ولكن دون أن يكون ذلك على حساب امكانيات الشحن على الطائرة .

ولقد أجريت التجارب المعملية على ماكيت لهذه الطائرة وكانت النتائج مرضية للغاية .

● معدة صغيرة للتخسيس ●

ابتكر جراح كندي طريقة جديدة لعلاج السمنة المفرطة تعتبر حلا سحرياً لمن لا يستطيعون التحكم فى أنفسهم واتباع نظام غذائي محدد .

وتعتمد هذه الطريقة على إجراء جراحة بسيطة تؤدي الى الحد من الشهية تلقائياً دون اللجوء الى عقاقير أو أدوية . إذ يتم تقسيم المعدة الى قسمين غير متساويين بواسطة مشابك معدنية بحيث لا يزيد حجم الجزء العلوي الذي يتخذ شكل كيس صغير عن حجم كرة التنس . ويتصل هذا الكيس بالجزء السفلي عن طريق فتحة ضيقة .

وبالتالي فعند تناول أقل كمية من الغذاء تمتلىء المعدة الجديدة الصغيرة سريعاً ويشعر من يعاني من السمنة بأنه متخم على الدوام . في حين يمر الغذاء ببطء خلال الفتحة المتروكة بين جزئي المعدة . ومن ثم لا يشعر الشخص بالرغبة فى تناول المزيد من الطعام وهو مايؤدي الى تنظيم شهيته بشكل ذاتي .

ولقد أدت تجربة هذه الجراحة مع إحدى السيدات إلى إنقاص وزنها لأكثر من النصف . إذ كان وزنها قبل الجراحة ١٥٧ كيلوجـرام ، ووصل بعدها الى ٦٤ كيلوجرام فقط .

بين الماضي والحاضر..

حكايات من السينما المصرية بمناسبة عيدها الأول..

بقلم: رءوف توفيق

احتفل السينمائيون فى مصر ، بالعيد الأول للسينما المصرية فى الأسبوع الأخير من شهر أكتوبر الماضى ..

نظمت الاحتفال ، ودعت إليه ، نقابة المهن السينمائية التى يرأسها الكاتب الفنان سعد الدين وهبة .

وأختارت النقابة أن تكون مناسبة هذا الاحتفال ، هو ذكرى انشاء « استوديو مصر » ، قلعة السينما المصرية ، التى اقامها الاقتصادى الوطنى « طلعت حرب » .. وقد تم افتتاح هذا الاستوديو فى يوم ١٢ اكتوبر ١٩٣٥ .. ومن هنا كان اختيار هذا التاريخ ، كعيد سنوى للسينما المصرية ، يتم فيه تكريم رواد السينما ، وتوزيع الجوائز على أحسن فروع الفن السينمائى من خلال الأفلام التى عرضت فى الموسم الأسبق .. والجوائز مادية وأدبية .. وتبدأ من خمسة الاف جنيه لأحسن فيلم ..-إلى أحسن اخراج .. وأحسن تمثيل .. الى أن تصل لجوائز الماكياج والصوت ، والمؤثرات الخاصة .

وفى احتفال هذا العام ، وهو أول احتفال بهذه المناسبة ، أعيد بناء ديكور فيلم « العزيمة » داخل استوديو مصر .. واخرج العرض المخرج الفنان كمال الشيخ .. وشارك فى الاحتفال ما تبقى من جيل الرواد الأوائل الذين قامت على اكتافهم صناعة السينما المصرية ..



فاطمة رشدى وحسين صدقى فى فيلم العزيمة للمخرج كمال سليم الذى قال عنه المؤرخ الفرنسى «جورج سادول» انه يستحق أن يقارن بانجح الأفلام الفرنسية الكبيرة التى ظهرت قبل الحرب العالمية الأخيرة



سعاد حسنى .. النجمة التى يكفى اسمها لبيع الفيلم قبل تصويره .. تواجه مؤشرات جديدة فى السوق السينمائى وتحاول البحث عن طريق وسط هذه المؤشرات



عادل امام .. النجم الذى يتنافس عليه صناع الافلام .. فرفع أجره الى ٣٥ الف جنيه فى الفيلم الواحد ..

العصر الذهبى

ولا يختلف اثنان من المؤرخين أو النقاد على دور (استوديو مصر) فى السينما المصرية .

مثلا المؤرخ السينمائى الأستاذ أحمد كامل مرسى فى كتابه الهام (معجم الفن السينمائى) .. يتوقف عند الفترة من عام ١٩٣٦ الى ١٩٤٠ .. ليصفها بأنها مرحلة العصر الذهبى للسينما فى مصر .. ويقول محللا رأيه « ان الفضل فى هذا يرجع الى « استوديو مصر » ، الذى جهز بأحدث المعدات الآلية والكفاءات الفنية ، وسار العمل فيه الى الأمام نتيجة التعاون الصادق بين الخبراء المصريين والأجانب ، من أجل تقديم الأفلام المصرية ، ذات القيمة الفنية والموضوعية ، وقد حذت حذوه الشركات والاستوديوهات الأخرى .. وزاد الاقبال على مشاهدة الأفلام المصرية عاما بعد عام ، سواء فى مصر أو العالم العربى » .

والناقد السينمائى المرحوم الأستاذ سعد الدين توفيق فى كتابه « قصة السينما فى مصر » .. يقول عن فترة « استوديو مصر » إنها أهم مرحلة من مراحل تطور الفيلم المصرى .. « كان هذا الاستوديو بمثابة مدرسة جديدة فى السينما المصرية .. وهى مدرسة نقلت الفيلم المصرى خطوات واسعة الى الأمام .. اذ أنه كان أول استوديو للسينما مجهزا تجهيزا كاملا » .

الأوراق القديمة

واذا تصفحنا بسرعة الأوراق القديمة للسينما المصرية .. لابد أن نتوقف بالتأمل والاعجاب لمنطق رجل الاقتصاد الأول فى مصر بتلك الفترة « طلعت حرب » ، الذى انشأ أول بنك وطنى فى مصر « بنك مصر » وامتد نشاط البنك وخدماته فى كافة فروع الاقتصاد الوطنى من صناعة وزراعة .. وبتفكير متقدم جدا ، وبوعى كامل للتطور الحضارى ، قرر طلعت حرب أن يمتد نشاط البنك ليشمل رعاية الفن سواء مسرح أو سينما .. ففى مارس ١٩٢٧ ، افتتح بنك مصر رسمياً شركته الجديدة « شركة مصر للتمثيل والسينما » .. بعد أن ظلت هذه الشركة تعمل تحت التجربة لمدة عامين داخل أربعة غرف فوق سطح مبنى مطبعة مصر بشارع نوبار (الدواوين حالياً) .. وكانت هذه الغرف تحتوى على معمل لتحميض الأفلام .. وكان أهم ما تنتجه هذه الشركة فى بدايتها .. مجموعة من الأفلام القصيرة والاخبارية والدعائية .

فى تلك الأيام .. عاد « محمد كريم » من ايطاليا والمانيا بعد رحلة خاصة لدراسة أصول الفن السينمائى .. بعد أن ظهر كممثل فى فيلم « شرف البدوى » عام ١٩١٧ .. وكان أول مصرى يقف أمام الكاميرا كممثل .. ولكنه قرر أن يتجه للاخراج .. وعندما عاد من رحلته الدراسية أنضم الى شركة مصر للتمثيل والسينما .. ليصبح فيما بعد من رواد السينما المصرية الأوائل



لم كلثوم واحمد علام فى فيلم « وداد » أول انتاج لاستديو مصر .. حقق الفيلم نجاحا كبيرا .. وذاع صيته من الهند إلى أمريكا الجنوبية

.. والذى استحق لقب « شيخ المخرجين » .

فى هذه الفترة أيضاً .. انضم الى شركة مصر للتمثيل والسينما المصور « محمد بيومى » الذى قام بأول تجربة مصرية فى التصوير فى فيلم « الباشكاتب » عام ١٩٢٣ .. ويعتبره بعض مؤرخى السينما المصرية بانه أول مصرى فكر فى صنع فيلم مصرى .. فقد أهتم بتأسيس استوديو صغير بالاسكندرية ، كانت كل معداته من تصنيعه الخاص ما عدا الكاميرا .. وقدم فيلم « الباشكاتب » وجريدة « آمون » السينمائية .. ولكنه لم يستمر فى الاخراج واكتفى بأن يكون مصوراً .

أول بعثة

فى وسط كل هذه الظروف المليئة بتجارب النجاح والفشل .. والارهاصات المتعددة لقيام صناعة السينما فى مصر .. والتى شهدت أول فيلم مصرى (١٦ نوفمبر ١٩٢٧) .. وهو فيلم (ليلى) لعزيزة أمير .. ثم فيلم « زينب » لمحمد كريم (عام ٢٨) .. ومحاولات يوسف وهبى فى الاستوديو السينمائى الخاص به (رمسيس) والذى انشأه فى بداية الثلاثينات مخطيا كل عقبات صعوبة استيراد أدوات الاضاءة والات تسجيل الصوت .. ورغم كل هذه العقبات اخرج أول افلامه (الدفاع) عام ٣٥ .. وايضاً محاولات آسيا وبهيجة حافظ فى شركاتهما السينمائية .

فى هذه الظروف .. قرر « طلعت حرب » ان يضمن لشركته السينمائية بداية مستقرة تقوم على الدراسة والعلم .. ولهذا أوفد أول بعثة دراسية لدراسة السينما فى الخارج عام ٣٣ .. وكانت البعثة تتكون من احمد بدرخان وموريس كساب لدراسة الاخراج فى باريس .. ومحمد عبد العظيم وحسن مراد لدراسة التصوير فى برلين ..

مقالات ترشحه للبعثة

كيف كانت تمضى الحياة الفنية فى ذلك الوقت . ؟

من المثير ان نقرأ بضع فقرات من مقال كان قد كتبه الفنان الراحل المخرج أحمد بدرخان فى مجلة السينما التى كان يرأس تحريرها ، والتى كانت تصدرها مؤسسة السينما المصرية ..

تاريخ المقال نوفمبر ٧٦ .. ومناسبة المقال الاحتفال بمرور ٤٠ سنة على السينما المصرية ..

كتب أحمد بدرخان فى ذلك المقال يقول :



احمد كامل مرسى

احمد بدرخان



« دفعتنى هوايتى للسينما ، أن التحق بمدرسة للمراسلة بباريس لدراسة (فن السينما) .. وبدأت أترجم دروسى للعربية وانشرها تباعا فى مجلة (الصباح) لمدة ثلاثة أعوام .. وكنت فى ذلك الوقت ايضا أتردد على مسرح رمسيس لا كمتفرج .. بل كهاو أشاهد البروفات وكيف كان أستاذنا الكبير « عزيز عيد » يكون البراعم الفنية الجديدة بعبقريته الفذة .. ولعل هذه الفترة كان لها أكبر الأثر فى تكوينى الفنى .. واننى لأعترف هنا ان ما جنيته من مسرح رمسيس لا يقل بحال عما جنيته من بعثتى الفنية التى أوفدنى فيها بنك مصر الى الخارج لدراسة فن السينما مع ثلاثة من الزملاء هم الأستاذ موريس كساب ، وقد درس معى الاخراج فى فرنسا .. والاستاذين محمد عبد العظيم وحسن مراد لدراسة التصوير بالمانيا .. وقد تم اختيارى فى هذه البعثة بينما كنت أدرس القانون بكلية الحقوق .. فقد قرأ المغفور له طلعت حرب مجموعة مقالاتى فى مجلة الصباح .. فاستدعانى لكتابة تقرير عن انشاء استوديو للأفلام الناطقة .. وكان الزميل نيازى مصطفى يدرس الاخراج فى جامعة ميونيخ بالمانيا ، فاستعنت به فى اختيار المعدات اللازمة لهذا الاستوديو ووقع الاختيار على تقريرى للتنفيذ .. وكانت مكافأتى ارسالى فى بعثة لدراسة الاخراج على حساب البنك ..

« وأثناء بعثتى أرسل الى الاستاذ أحمد رامى قصة (وداد) لأقوم بعمل سيناريو لها .. وفى سنة ٣٤ بدأ استوديو



فريد شوقى .. مازال متربعا على القمة .. يعرف كيف يخاطب جمهوره



محمود ياسين .. بعد فترة من الانتشار بدأ يراجع نفسه ليحتفظ بمكانته الفنية



عادل أدهم .. أحد النجوم الذين ارتبط بهم الجمهور فى أدوار ابن البلد

مصر انتاجها وقامت ببطولتها كوكب الشرق أم كلثوم .. ويعتبر هذا الفيلم نقطة التحول فى تاريخ السينما المصرية » !

أخلاق الفنان

(ملحوظة) أجدنى مضطراً للتوقف عن نقل سطور بعض ما جاء فى هذا المقال .. لأشيد بهذه الروح العالية التى تجاوز فيها أحمد بدرخان الصدمة الأولى ، والقاسية ، التى واجهها بعد عودته من بعثته الدراسية ليفاجأ بعد ان كان مرشحاً لاخراج فيلم وداد .. انه استبعد من اخراج الفيلم ليقوم الخبير الألمانى « فريتز كرامب » بهذه المهمة على أن يساعده جمال مدكور .

وقد اختلفت التفسيرات حول هذا التصرف .. وقيل من ضمن ما قيل .. ان احمد سالم والذى كان يدير استوديو مصر قنع المسئولين عن الاستوديو بخطورة اسناد هذا الفيلم الى مخرج ناشىء مثل أحمد بدرخان .. ونجح أحمد سالم فى حملته بعد أن كان أحمد بدرخان قد استعد تماماً لاخراج الفيلم وانتهى من كتابة السيناريو وتقطيع المشاهد لتصويرها ..

وتفسر هذه التعديلات ان وراء حملة أحمد سالم ضد أحمد بدرخان .. أسباباً نسائية كانت تربط أحمد سالم بالخبير الالمانى « كرامب » .

ولكن أحمد بدرخان عندما يعود بذاكرته للوراء ليحكى ما حدث .. يسقط هذه المسائل من حسابه .. ويتعامل مع الأمور بكثير من الترفع والسمو ..

إنها اخلاق الفنان الحقيقى .. والذى لا يجد أى غضاضة فى الاعتراف بالنجاح الكبير لفيلم « وداد » .. هذا النجاح داخل مصر وخارجها حيث عرض فى مهرجان فينيسيا السينمائى عام ٣٦ .. وعرض لمدة اسبوعين فى لندن .. وعرض أيضاً فى الهند وامريكا الجنوبية .

ان الاعتراف بالنجاح ليس مسألة شخصية . ولكنه أمانة التاريخ التى يجب أن تقال بموضوعية .

الود المفقود

ونعود إلى مقال أحمد بدرخان .. نسترجع معه الذكريات وروح العمل الفنى فى ذلك الوقت .. كتب يقول :

« فى نفس العام أصدرت أول كتاب عن فن السينما باللغة العربية باسم (السينما) .. وعاد نيازى مصطفى من بعثته وانضم الى استوديو مصر ، كما تعرفت بصديقى الراحل الاستاذ كمال سليم ضمن شلة من الأدباء كنا نجتمع فى ندوة الأستاذ عباس محمود العقاد التى كانت تعقد بمنزله بمصر الجديدة عصر كل يوم جمعة ، وكانت تضم الاساتذة أحمد خورشيد (المصور السينمائى) والزميل أحمد كامل مرسى والفنان صلاح طاهر (الرسام المعروف) والموسيقى حسن الشجاعى ، والأديب سيد قدرى ، والشاعر السودانى معاوية نور ، وكنا نخرج من هذه الندوة الى مرسم صلاح طاهر الذى أقامه على سطح العمارة التى كان يسكنها بمصر الجديدة ، وهنالك كنا نتناقش فى كافة الفنون وكل منا يقص على زملائه ما قرأ .. وفى هذه الندوة سمعنا لأول مرة قصة فيلم (العزيمة) .

« ثم انضم الأستاذ كمال سليم بعد ذلك الى استوديو مصر ، ككاتب سيناريو .. ولعل أجمل الأيام هى تلك الأيام التى قضيتها مع كمال سليم ونيازى فى غرفة واحدة ، وكانت تضم مكاتبنا الثلاثة باستوديو مصر .. ولقد كان التعاون بيننا نحن الثلاثة صادقاً .. فكنا ننقد افلامنا بقسوة وهى مازالت بعد كلمات على الورق .. ولعل المستوى الفنى الذى كانت تمتاز به افلام استوديو مصر فى ذلك العهد يعود الى هذه الجلسات التى كان يسودها الود والنقد البناء .. الشىء الذى تفتقر اليه السينما المصرية فى هذه الأيام » !

تعليق مراقب يقظ

ونتوقف عند هذه العبارة من شريط الذكريات .. ونغمض أعيننا على صورة الزمن الجميل .. وكأننا نريد أن نستبقى الحلم ، قبل أن يجبرنا الحاضر على مواجهة زمن التسابق الرهيب المجنون من



فريد شوقى وتحية كاريوكا فى فيلم « السفا مات » آخر ما أخرجه صلاح أبو سيف فى مصر (عام ٧٧) ثم اختفى من السينما المصرية

اجل الربح .. الذى أصبح سمة واضحة فى أغلب تعاملات الوسط السينمائى فى مصر الآن .

فهناك رغبة جامحة لدى معظم صناع السينما المصرية فى تقديم أفلام تجارية سريعة ، تحقق أكبر عائد مادى فى أقصر وقت . !

وهذا الصراع أدى بالضرورة الى سحق علاقات الحب ، والود ، والاحساس بالمشاركة ، فى أسلوب التعامل اليومى بين صناع السينما وفنانيها ..

وكما يردد دائما المؤرخ السينمائى أحمد كامل مرسى فى نبرة حزن وأسف : « لقد فقدت الأسرة السينمائية الروابط التى تجمعها .. وتفرق كل انسان فى طريق .. وضاع الحب الذى كان يجمع الفنانين .. وجاء الجشع والصراع من أجل جمع الأموال .. حل الطمع محل الطموح ، وانعكس هذا كله على الفن .. فلم يعد هناك مستوى ولا حماس ولا غيرة للتجويد والابتكار .. » !!

وهذه المرارة التى يتحدث بها الآن الأستاذ أحمد كامل مرسى .. هى وجهة نظر مراقب يقظ عاش مراحل صناعة السينما المصرية .. وشارك فيها كمخرج وكناقد ، وكصديق شخصى لاغلب رواد السينما الأوائل .. الى آخر جيل من المخرجين الشبان الذين يلجأون إليه يسألونه الرأى والمشورة فيما يواجهون من مشاكل العمل .. وهو حتى هذه اللحظة مازال الحكم الأمين على المستوى الفنى للأفلام .. ولهذا تسعى إليه الجمعيات السينمائية فى مصر ، وأيضا أجهزة وزارة الثقافة ، ليرأس لجان التحكيم فى مسابقات الأفلام .. فهو لا يعرف المجاملة .. ولا تشويه أية شائبة من المصالح الخاصة أو الغيرة الفنية .. فقد اعتزل العمل السينمائى كمخرج منذ عام ١٩٥٥ .. واكتفى بالبحث والقراءة والمتابعة عن بعد ..

النجاح بمقياس الايرادات

واذا حاولنا أن نحدد العوامل التى تؤثر فى صناعة السينما المصرية الآن ..

لوجدنا أنفسنا أمام حقيقة هامة .. وهى أن الفيلم المصرى اصبح يغطى تكلفته من السوق المحلى بعد أن كان إلى زمن قريب يعتمد على السوق الخارجى بنسبة تصل الى ٦٠ فى المائة من ايراد الفيلم ! .

وأصبحت قوائم ايرادات الأفلام تشهد أرقاما قياسية فبعض الأفلام تحقق فى الاسبوع الأول من عرضها فى دار سينما واحدة بالقاهرة .. ايرادا يتراوح ما بين ١٨ الف إلى ٢٢ ألف جنيه !!

وقد يهبط الايراد فى الأسبوع التالى بمقدار الفين أو ثلاثة آلاف جنيه .. ولكن مع أستمرار عرض الفيلم على مدى عشرين أو ثلاثين أسبوعا وأحيانا أكثر ـ هذا فى دار عرض واحدة بالقاهرة بخلاف عروض الأقاليم ـ وبخلاف طبع الفيلم على شرائط فيديو وتوزيعها على نطاق واسع وبأرقام ايرادات تبدأ من ثلاثين ألف جنيه ! .

وبعملية حسابية بسيطة نكتشف أن الفيلم يغطى تكلفته من السوق المحلية فى خلال شهور قليلة ثم يصبح أى عائد بعد ذلك هو ربح صاف يدخل جيب صناع الفيلم .

وإذا أضفنا إلى هذا الحساب ، قيمة بيع نسخ الفيلم إلى الأسواق العربية لوجدنا ان صناعة الأفلام أصبحت مسألة رابحة تماما !

جمهور السينما

وهذا بالطبع ينطبق على بعض الأفلام .. وليس كلها ..

ومن هنا ظهر تعبير « الأفلام الجماهيرية » وهى الأفلام الموجهة أساسا إلى جمهور السينما الدائمين وأغلبهم من العمال الحرفيين والفئة الوسيطة فى أعمال التجارة والنقل والخدمات والذين يشكلون ما أتفق على تسميته فى مصر بأصطلاح « الطبقة الجديدة » .. هذه الطبقة التى استفادت من النمط الاستهلاكى وأرتفعت دخولها بمعدلات كبيرة سمحت لهم بارتياد دور السينما والمسرح وشراء شرائط الكاسيت ..

وهذه الطبقة شكلت بذوقها الخاص مستوى الفن الذى يسعى إليها .. سواء أكان هذا الفن ، فيلما أو مسرحية أو أغنية ..

واستغل تجار الفن فى مصر ، هذه الظاهرة الاجتماعية .. وأغرقوا السوق بكل ما يرضى ذوق هذه الطبقة .. وتسابقوا فى الانحدار به ..

فاذا كان امبراطور الغناء الشعبى فى مصر اسمه أحمد عدوية يحقق الأرقام الخيالية فى شرائط الكاسيت التى يغنى فيها « السح الدح امبو » .. « واحنا اللى دهنا الهوا دوكو » و « حبة فوق وحبة تحت » ..

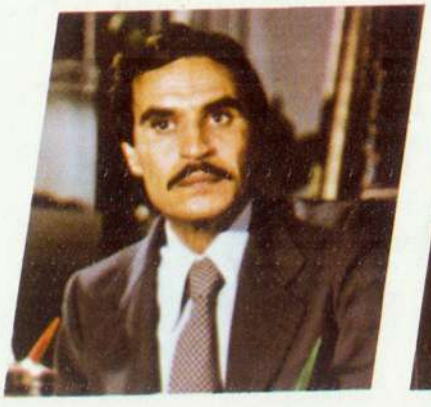
فلماذا لا تكون الأفلام السينمائية على نفس المستوى .. وأيضا بنفس الطراز من هذه العناوين « مرسى فوق .. مرسى تحت » .. « مخيمر دايما جاهز » .. حسن بيه الغلبان » .. « مرسى فوق الشجرة » ؟ ! الخ . ! !



أحمد زكى .. الموهبة الجديدة التى انطلقت كالصاروخ .. وارتبط اسمه بالأفلام الجيدة



نور الشريف .. نجم القمة فى التمثيل والذى أصبح ينافس نفسه فى كل فيلم



عزت العلايلى .. قرر أن يخوض تجربة الانتاج حتى يقدم نوعية الأفلام التى يرضاها لنفسه ولجمهوره

وأدرك صناع هذه السينما أن جمهورهم الذى يمكن أن يدفع عشرين ألف جنيه فى الأسبوع الواحد .. هو فى أغلبه جمهور يخرج من عمله مرهقاً يرغب فى التسلية والضحك .. وعلى حد تعبير أحد أفراد هذا الجمهور المواظب على السينما .. « مش معقول الواحد يدخل سينما علشان يفكر ويعيط ويحل رموز .. احنا عايزين نضحك ونتبسط » !! .. من هذا المنطق حشد صناع هذه السينما فى أفلامهم نجوم الكوميديا .. ونجوم الغناء الشعبى .. داخل توليفة من الضحك والمغامرات .

وتسابق صناع هذه السينما على نجوم مسرحية « مدرسة المشاغبين » عادل امام وسعيد صالح ويونس شلبى .. وأصبحت تفصل الأفلام على مقاسهم ليضحكوا الجمهور كل حسب مقدرته ..

وانضم الى هؤلاء النجوم .. سمير غانم واسعاد يونس ليصبحا من صانعى الضحك فى الأفلام .

ولا مانع بالطبع من وجود أحمد عدوية وفاطمة عيد وبعض الأغانى الشعبية لاستكمال الوجبة المسلية ..

وهكذا أصبح الاتجاه الى اعتبار السينما وسيلة تسلية تخاطب الأجساد المرهقة .. ولا تقترب من العقول !

الصعود والاختفاء

وكان من نتيجة هذا الاتجاه .. حدوث اختلال واضح بين نجوم التمثيل والاخراج .. فقد رفع نجم الكوميديا عادل امام أجره الى ٣٥ ألف جنيه عن الفيلم الواحد .. بينما توارت فاتن حمامة ونادية لطفى .. وتعثرت سعاد حسنى .. فى نفس الوقت الذى اطلقت فيه نادية الجندى على نفسها لقب « فنانة الجماهير » بعد النجاح التجارى الساحق لفيلمها « الباطنية » .. وتجنى الآن نفس النجاح بفيلم « وكالة البلح » .

وأصبح المخرج الشاب « محمد عبد العزيز » هو المخرج المضمون لمثل هذه الأفلام السريعة .. بعد أن كان يبشر بالخير فى فيلمه « انتبهوا أيها السادة » .

وشهدت قائمة المخرجين أكبر صدمة بانحدار المخرج « بركات » الى قبول اخراج افلام مثل « حسن بيه الغلبان » و « العسكرى شبراوى » .. وهو المخرج الذى أبدع فى يوم من الأيام « دعاء الكروان » .

وواجه « حسن الامام » الفشل فى أفلامه الأخيرة .. وهو الذى كان يعلن دائماً فى مواجهة النقاد أنه أكثر مخرج يفهم الجمهور .

واختفى « صلاح أبو سيف » من الساحة المصرية .. كما اختفى « عاطف سالم » داخل نفسه !

ماذا يقول المتفائلون ؟

ولكن رغم ضجيج ظاهرة الأفلام الجماهيرية .. يبقى للسينما المصرية بعض حراسها الذين مازالوا يؤمنون بدور السينما فى ايقاظ المشاعر واضاءة العقل .

ويبقى للسينما المصرية هذا الرصيد المتجدد دائماً من الفنانين فى التمثيل والاخراج .. ومن الفنيين فى التصوير والمونتاج والديكور والموسيقى الفنية وخصوبتها مهما تناثرت الشوائب هنا وهناك ..

ويقول المتفائلون .. يكفى السينما المصرية أن تقدم خمسة أفلام جيدة على المستوى الفنى والفكرى من مجموع انتاج يصل الى خمسة واربعين فيلماً كل عام .. فهى نسبة متعارف عليها عالمياً .. فالسينما الامريكية رغم امكانياتها وانتشارها ونفوذها .. والسينما الايطالية رغم صراع فنانيها للتغلب على مشاكل العمل .. لا تصل نسبة الأفلام الجيدة فى انتاجها الى عشرة فى المائة من مجموع ما يقدمانه من أفلام كل عام .. هذا اذا ادركنا أيضاً أزمة السينما الفرنسية والسينما الانجليزية والتى تهددها الأزمات بالتوقف

يقول المتفائلون .. لا تنزعجوا مما يحدث فى السينما المصرية الآن فالمشاكل فى كل مكان .. والأزمات عالمية .. والظواهر غير الصحية تطبق على الأنفاس من كل جانب ..

ونحن لا يسعنا الا أن نتعلق بحبال الأمل .. وأن نكون متفائلين .

وكل عام والسينما المصرية بخير .. وأفضل مما هى عليه الآن .

« رءوف توفيق »



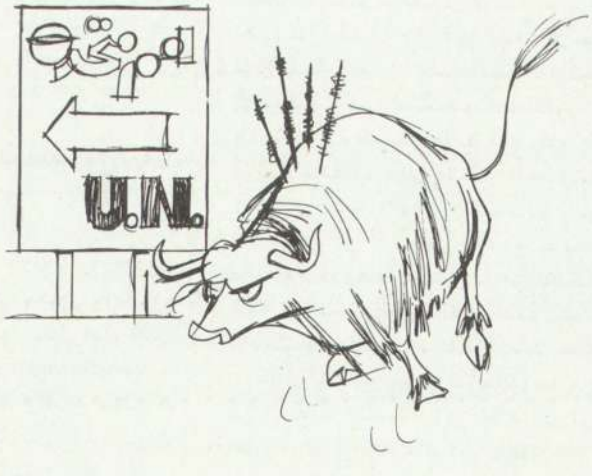
ضحكات الشهر

صلاح البيك

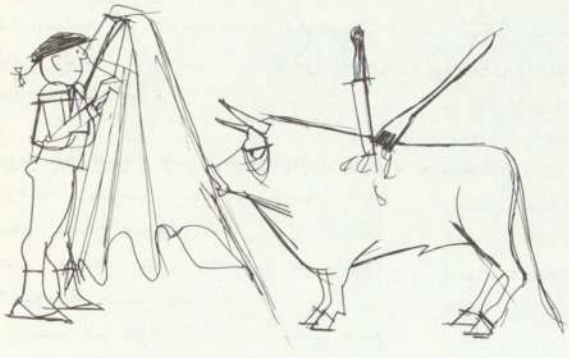
أندلس SPAIN طبسطك اخرى



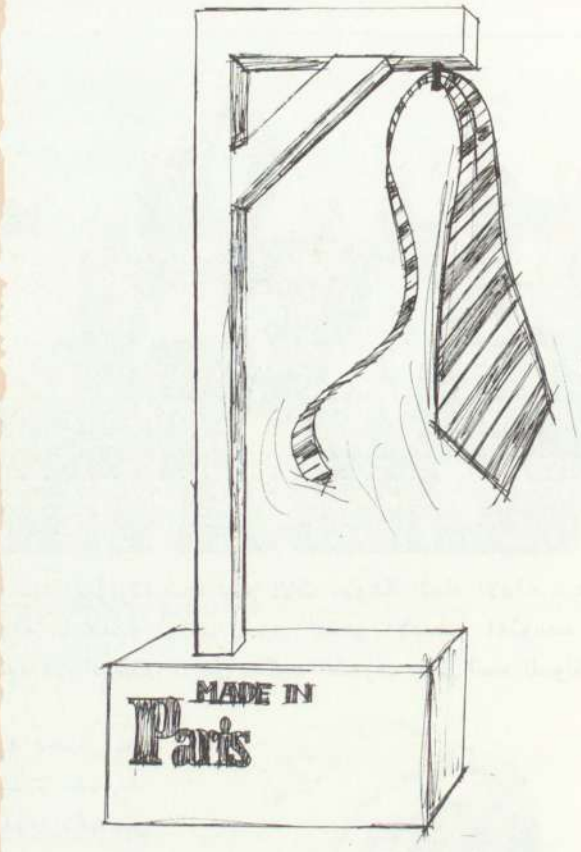
ـ .. بدون كلام .. !!



ـ .. بدون كلام .. !!!



ـ .. بدون كلام .. !!



« المشانـق » .. !!



ـ .. رقبتي .. سدادة .. !!



طارق بن زياد ـ زيارتها بـ ٤٠٠ .. وفتح الاندلس بكام .. ؟ !



تور ـ تشتري .. OXTAIL !!



دوحة القراء

حاول أن تعرف



فرقة شعبية بملابسها المتوارثة تستخدم آلات منوعة أثناء الأداء .. هذه الفرقة من جنوب دولة اسلامية تواجه شرق البحر الأبيض المتوسط من الجنوب والبحر الأسود فى الشمال .. هل يمكنك التعرف على اسم الدولة ؟



كانت جارية واعتقها محيي بن خالد البرمكي ، تتلمذت على يد كبار أعلام الغناء بالعصر العباسي أمثال ابراهيم الموصلي ، وابنه اسحاق ، وابن جامع .. لم تكتف بالغناء بل سعت الى التاليف والتصنيف فجمعت خلاصة أغاني مدرسة فنية كبيرة .. من هي ؟

مسابقة الدوحة

يرجى من الأصدقاء الذين يكتبون إلى « دوحة القراء » أن يذكروا على غلاف الرسالة عبارة « دوحة القراء » كما يرجى أن يكتبوا أسماءهم وعناوينهم بوضوح حتى يمكن ارسال المكافآت .

حل مسابقة حاول أن تعرف وأسماء الفائزين للعدد ٨٢



الصورة رقم (١) : الفارابي

- خالد أحمد جابر - قطر
- جابر محمد علي - مصر



الصورة رقم (٢) : مايكل أنجلو

- سمية أحمد القطان - الكويت
- خالد القصوري - تونس

قالوا في الزواج



ـ الزواج نهاية المأساة !
« أحمد أمين »

ـ الزواج أجمل تذكار للحب . !
« هيلين رولاند »

ـ المناقشات الزوجية كالمشرط فى يد الجراح . !
« أندريه موروا »

ـ الزواج غزو واخضاع .
ـ يدفعنا جهلنا بالمشاعر الانسانية الى تشجيع الزواج بوصفه العقار الوحيد المهديء .
« جين أوستن »

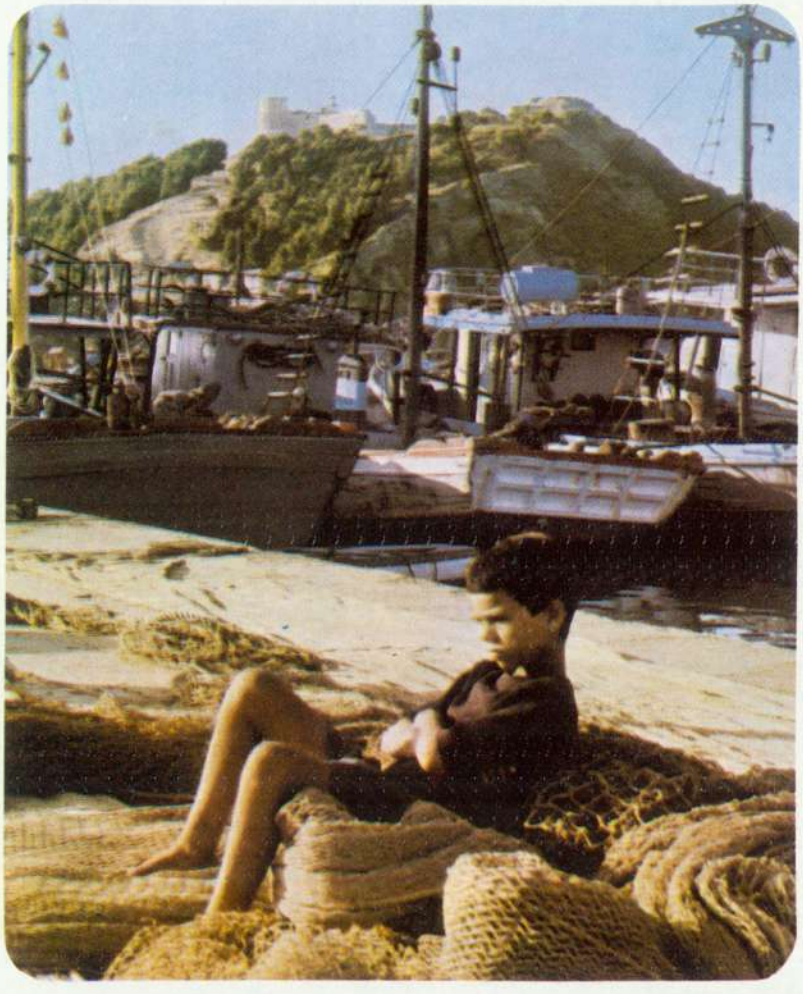
ـ الزوجة العاقلة هي التى تبتسم فى هدوء وتقول لزوجها إن دورها لم يكن اكثر من مجرد زوجة لرجل ناضج شق طريقه بجهده وعرقه . !
« جيمس باري »

ـ أسعد زوجة ليست تلك التى اقترنت بافضل زوج ، بل تلك التى صنعت من الرجل الذي وجدته أفضل زوج .
« الزا ماكسويل »

ـ قبل الزواج تعرف المراة كل الأجوبة ، وبعد الزواج تحفظ المراة كل الأسئلة ! .
« برنارد شو »

سعاد بحراوي
المغرب

لقطة الشهر



بعد رحلة الرزق في البحر
صياد صغير من تونس

البرديّات الطبّية

هي أحد مصادر معرفتنا بالطب والصيدلة عند قدماء المصريين ، وهي تحتوي على معلومات محددة تمثل وصفات الأمراض المختلفة مثل امراض الظهر والامه ، وأمراض القلب والأمراض الباطنية ، كما تحتوي على تقسيم للامراض حسب خطورتها كما تبين العـــلاج .

وهي مكتوبة على عرائض مصنوعة من ورق البردي الذي يصل طوله احياناً الى اكثر من خمسمائة متر . ومن اشهر هذه البرديات الطبية بردية برلين التى عثر عليها بجوار هرم سقارة ، ويبلغ طولها ٥١٦ متـر وتحتوى على ١٧٠ وصفة . وبردية « هيرست » وتحتوي على ٢٦٠ وصفة . وبردية « أدوين سميث » وطولها ٤,٦٨ م ، وترجع أسماء هذه البرديات الى مكتشفيها او للمكان الذي وجدت فيه .. !

د. حسام الدين محمود
الاسكندرية

دوحة القراء



مسابقة الدوحة

مَن؟

ملاح عربي يرجع إليه الفضل في تعريف الأوروبيين بطريق رأس الرجاء الصالح والملاحة في المحيط الهندي . اسمه من ثلاث كلمات فى عشرة حروف :

٨ ـ ٦ ـ ٤ ـ ٧ ـ ١ ـ ٩

امتزاج أو اتحاد تام

٥ ـ ٢ ـ ٣ ـ ١٠ بشكر وامتنان .

أين؟

قطر عربي عريق نشأ به ذلك الملاح الشهير . اسمه من أربعة أحرف :

٢ ـ ٤ حرف جر

١ ـ ٣ ـ ٢ طفا

ما؟

صفة أحلك من الظلام وأعفن من القبر وأضيع من التيه فى الصحراء لو تفشت فى أمة فقل عليها العفاء . تتكون من خمسة أحرف :

١ ـ ٣ ـ ٥ نعم

٤ ـ ٢ للاستفهام

الإجابة الصحيحة

١ ـ امن تذكر جيران بذي سلم .. أكمل البيت وانسبه إلى قائله .

٢ ـ امير الشعراء احمد بك شوقي يرجع نسبه الى أصل :
عربي ـ فارسي ـ جركسي ـ هندي

٣ ـ مؤلف الكتاب الرياضي العظيم المسمى بالقانون المسعودي هو :
ابو الريحان البيروني ـ ابو الأسود الدؤلي ـ ابو العباس التيفاشي .

٤ ـ تقع جزيرة صنافر فى مدخل خليج :
سلوى ـ العقبة ـ المكسيك ـ هدسون .

٥ ـ « ولد الامام الشافعي رضي الله عنه فى الفسطاط بمصر ودفن فى غزة بفلسطين »
هل هذه العبارة صحيحة علميا ؟؟

٦ ـ الغدة المتصلة بالكبد هي :
الصفراء ـ الكظرية ـ النخامية

٧ ـ هزم صلاح الدين الايوبي الصليبيين فى معركة حطين فى سنة ١١٨٧ ـ ١٢١٩ ـ ١٣٠١م

٨ ـ الصحراء التى نشا بها التتار القدامى هي صحراء :
سيناء ـ منغوليا ـ كالاهاري

٩ ـ نبات الجرجير يتبع المجموعات النباتية فى الأسرة :
الباذنجية ـ الصليبية ـ الزنبقية

١٠ ـ تقع مخيمات (صبرا وشاتيلا) فى منطقة :
بيروت الغربية ـ صيدا ـ صور ـ الدامور .

حل مسابقة العدد ٨٢

من : الاهرام
اين : بيرل هاربر
ما : الوحدة

الاجابة الصحيحة

١ ـ ١٩٦٩
٢ ـ ١٩٢٣
٣ ـ ميلانو
٤ ـ ١٧٧٠
٥ ـ خمس مرات
٦ ـ الخليل بن احمد
٧ ـ بدأت سنة ١٨٦١ وانتهت سنة ١٨٦٥ .
٨ ـ فى حالة سكون
٩ ـ ساعيش رغم الداء والاعداء ... كالنسر فوق القمة الشماء
ابو القاسم الشابي
١٠ ـ مايكل هارت

أسماء الفائزين فى مسابقة

١ ـ اصل وصورة : الحل : شمس ـ مركب ـ كتاب ـ قلم ـ شمعة ـ طبق (صحن) .
الفائز : كريمة النجار / قطر
منقذ عطوة البيول / ليبيا .

٢ ـ دوري الكاريكاتير : الحل : اللاعب رقم (٩)
الفائز: سيروان عبد الرحمن العراق .
باهر خورسند / قطر .

٣ ـ لعبة الظلال : الحل رقم (٣)
الفائز : ازنزار الحسين / المغرب
محمد عبد الواحد رمضان / ج.م.ع

٤ ـ المثل يقول : الحل : « ابن الوز عوام »
الفائز عبد الرسول على القلاف / البحرين
أحمد لطفي عبد المطلب / ابو ظبي

أسماء الفائزين

فاز بالجائزة الأولى وقدرها ٣٠٠ ريال قطري واشتراك لمدة نصف سنة القارىء :
– ماهر يوسف منصور – دمشق .سوريا

فاز بالجائزة الثانية وقدرها ٢٠٠ ريال قطري واشتراك لمدة نصف سنة القارىء :
– حمادة عبد العظيم عثمان – الاسكندرية – مصر .

فاز بالجائزة الثالثة وقدرها ١٠٠ ريال قطري واشتراك لمدة نصف سنة القارىء :
– حسين عبد الله حردان – المحرق– البحرين .

الفائزون باشتراك لمدة سنة

١ – محمد معن مروان مراد – الكويت
٢ – أحمد قدري الريدى – السعودية
٣ – مصدق محمد نصر – ج .م .ع
٤ – نواف يوسف الشبعان – البحرين
٥ – محمد منذر حسين – الامارات
٦ – أفنان فخري عبد السلام – الأردن
٧ – توفيق بوسمة – تونس
٨ – راغب مصطفى عبد الهادي – ج .م .ع
٩ – أحمد محمد واصف التونسي – سوريا
١٠ – أحمد يحيى الأكوع – اليمن الشمالي

استراحة الدوحة العدد ٨٢

٥ – لأقوياء الملاحظة : العيون – سلك التليفون – أرقام لتليفون – الشعر – أصابع اليد – الماء خارج الحوض – الماء الساقط من الدش
الفائز : لطفي دمق / تونس
سامي عبد الله عبد الغفور/ اليمن الشمالي

٦ – يخلق من الشبه اربعين الصورة رقم (٦)
الفائز : فراس زهير الجيرودي / سوريا
عيسي سليمان العامري – سلطنة عمان .

٧ – هات أجمل تعليق : ومن الحب ماقتل
الفائز : خالد أحمد جابر / قطر
التعليق : حاسس بمصيبة جايالي .. يالطيف
الفائز : وفيق أحمد بطيخ عزوز/ ج .م .ع

العنكبوت لايقتل الإنسان

لا يوجد مكان فوق الكرة الأرضية خال من العنكبوت ، من سواحل البحار حتى قمم الجبال ، في الغابات والمروج وفى المستنقعات والصحاري ، حتى في المغاور وأعماق الكهوف .

إن وجود نوع سام ، من العناكب ، جعل الناس تخشاه ، والحقيقة ان جميع العناكب غير سامة ماعدا نوعين منها ، لها غدة سامة ، ولكن هذا لا يعني أنها تؤذي بالضرورة الانسان . إن الغدة السامة لدى العنكبوت موضوعة تحت مراقبته وهو يستعملها بطرق خاصة .

فمثلا العناكب التى تغزل شباكا لتصطاد بها فرائسها لا تستخدم سمها ، أما تلك التى تختفي داخل الزهور وتمسك الحشرات بارجلها فهي التى تستخدم سمومها لقتل ضحاياها .

وعلى أية حال إن جميع العناكب ، عند الدفاع عن ذواتها ، تعمد الى استخدام سمومها . فهي عندما تقع في المازق الحرجة التى لا مهرب لها عندئذ تلجا الى استخدام سمومها ، وهي تفعل ذلك كاخر سهم فى جعبتها .

والعناكب التى تعتبر خطراً على الانسان قليلة جداً ، من العناكب الخطرة المدعو – الأرمل الأسود – ويبلغ طول جسمه ١,٥ سم تقريبا ولونه اسود براق وعلى بطنه بقع حمراء .

إن عضة العنكبوت قد تسبب ألماً وحتى مرضاً ، وبعض العناكب التى تصنف عضتها بانها سامة تعيش فى استراليا ، منها العنكبوت الضخم المدعو بالقاتل .

وفي الحقيقة ان العناكب لم تتسبب فى موت إنسان بعد بالرغم من ان عضتها مؤلمة جداً وقد تسبب انتفاخاً كبيراً يصحبه ألم شديد ، إلا ان الألم لا يلبث ان يزول ويعود الجسم الى حالته الطبيعية خلال بضعة أيام . وخطر جميع العناكب لا يتعدى خطر الدبور الاحمر .

والشيء البارز عند العناكب هو قوتها الفائقة على نسج شباكها ، والخيوط الدقيقة التى تنسجها العناكب هي نتاج عصارة سائلة ، تجمد لدى ملامستها الهواء مباشرة ، بواسطة غدة تقع فى تجويف عند مؤخرتها الدقيقة عندما تضغطه العناكب لتصنع شباكها كما وان هنالك العديد من انواع الخيوط إذ ان لكل نوع من انواع العناكب خيوطاً خاصة به .!

محمد ياسر منصور
سوريا

كلمات عاشت

● إن سر الاحساس بالشقاء والألم ، هو أن يتوفر لديك الوقت لكي تتساءل فيه : أسعيد أنت بحياتك أم تعيس .. ؟

« برنارد شو »

● إن أعظم دواء شاف للقلق ولا شك هو الايمان .

« وليم جيمس »

● إن الذي يسجد لجميع الآلهة لا يؤمن بأحدها .

« ايليا اهر بنورج »

● الاعتذارات المتكررة لا يمكن أن توصد الباب فى وجه خطأ جديد .

« شكسبير »

سمر سليمان
حلب

الجمعية القطرية للفنون التشكيلية

استراحة الدوحة



مجموعة مسابقات بالرسوم بريشة :

رووف

دوري الكاريكاتير



اقتحم أحد اللاعبين أرض الملعب كالصاروخ .. وسجل هدفاً قوياً في مرمى الخصم .. هل تستطيع أن تعرف رقم فانلة صاحب الهدف .. بدون الاستعانة بالقلم الرصاص أو أصبعك ؟ .. إذا استطعت فجائزتك هي .. شهادة منا بأنك قوى التركيز والملاحظة .. وذلك بالاضافة لحصولك على (٦٠ ريالا) .

المثل يقول



هذه الصورة الساخرة .. تعبر عن مثل شعبي ... حاول معرفته لتحصل على جائزة (٦٠ ريالا) .

خيال من ؟



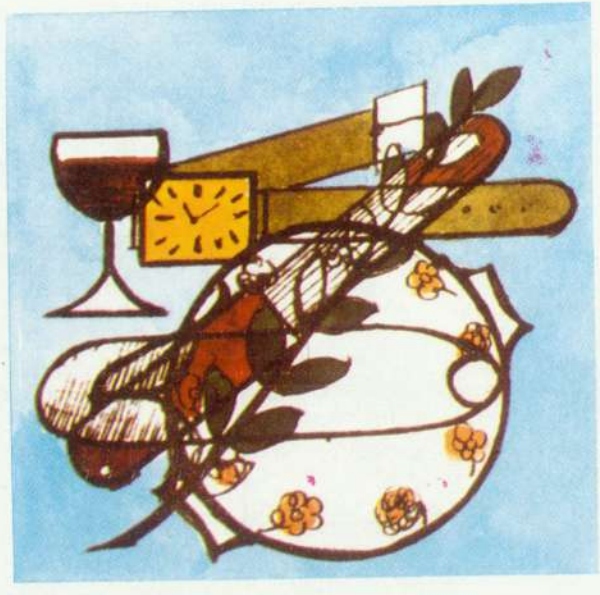
هل تستطيع التعرف على صاحب هذا الخيال .. مع العلم بانه لفنان كوميدي احتل القمه في السنوات الأخيرة ؟ .. الجائزة (٦٠ ريالا)

لعبة الظلال



هل تستطيع أن تساعد هذا اللاعب فى معرفة ظله الحقيقي ؟
الجائزة (٦٠ ريالا)

لأقوياء الملاحظة فقط!



امامك رسوم لستة أشياء متداخلة .. هل تستطيع التعرف عليها إذا عرفت الحل ارسله إلينا ولك جائزة (٦٠ ريالا) .

يخلق من الشبه أربعين



الصور الأربع المنشورة لأربع لوحات مقلدة للوحة الجيوكندا للفنان العالمي ليوناردو دافنشي من بين هذه اللوحات الأربع واحدة فقط تشبهها تماماً ، وفى الباقي اختلافات بسيطة .. هل يمكنك التعرف عليها .. ؟ الجائزة (٦٠ ريالا)

هات أجمل تعليق



حاول أن تجد تعليقاً خفيف الظل على هذا الرسم الكاريكاتيري .. فقد يسعدك الحظ وتفوز بالجائزة (٦٠ ريالا).



من أدب المرأة في قطر

رحلة.. في عقل أم

بقلم: د. زهرة المالكي

وتمضي الأيام بنا في سيرها الأبدي المتواصل الذي لا يمل .

كل يوم يمر ، يعجل في إطلالة الحدث العظيم في حياتي . وأظل ارتقب مسيرة الأيام بمشاعر مختلطة متناقضة .. فيها القلق والخوف . وفيها الفرح والسرور . فيها الرغبة وفيها الرهبة . واحياناً اتمنى أن تظل في مكانها لا تتحرك ولا تتبدل . وبين امتزاج مشاعري المتناقضة ، تتوالد الأماني والأحلام في نفسي . احدث نفسي بأن القادم الجديد الذي سيزورنا لأول مرة سيكون طفلا . واقضي الساعات الطوال أبحث له عن اسم جميل تألفه الأذن وتسعد به الشفاه حين تنطلق بحروفه .. ثم اتخيل وجهه وقسماته ورنة ضحكته إذا ضحك ، وصدى بكائه إذا بكى ... وأراه يكبر ويترعرع أمامي ليصبح شاباً ينهي دراسته ويخوض مجال العمل ، ثم يأتيني ذات يوم ليقول لي في حياء وإطراق : أماه .. أريد أن اتزوج . وتشتعل البسمة في صدري ، وانظر إلى وجهي في المرآة ، فأراه فعلا كان هذا واقعاً ، لا مجرد خيال أم لم تر ابنها فعلا !!

لكني أعود وأحدث نفسي من جديد : من يدريني أن القادم سيكون طفلا ؟ ربما يكون طفلة . هذا أفضل لو تحقق فعلا . فتربيتها تصبح أسهل وأيسر . إذن لابد من اختيار اسم لها .. ماذا تراني أسميها ؟ كل الأسماء التي ترد على ذهني الآن أسماء مألوفة معتادة ، تكررت آلاف المرات . وأنا أريد لطفلتي اسماً جديداً مبتكراً . سأؤجل البحث عن اسم صغيري حتى أن آخر ، وعلي أن أفكر في أشياء أخرى قد تكون أهم .

ياطفلتي العزيزة التي لم تولد بعد .. سأخيط أثوابك بنفسي وازينهابالشرائط الحريرية الملونة . وسأختار لك الكثير الكثير من الدمى واللعب الجميلة حتى تسعدي وأنت تقضين معظم أوقاتك معها ، تناجينها وتخترعين لها اسماً ووجوداً وحركة لا يحس بها سواك . وحين تكبرين قليلا ستذهبين إلى المدرسة . ولن أكتفي بتعليمك المدرسي ، بل سأعلمك كيف تصبحين سيدة بيت ممتازة في المستقبل عندما تتزوجين وتتركينني أنا وأباك وحيدين . نرنو إليك وإلى زياراتك التي نسر لها أيما سرور .

وتتحرك الأيام في سيرها بينما أحيا أنا في عالم خاص أفرشه أحلاماً وأمنيات . وتأتي اللحظة الموعودة التي انتظرتها طوال تسعة شهور كاملة بأعصاب مشدودة . ويطل المولود على الدنيا بلا بكاء ولا صوت كبقية المواليد حين يأتون عالمنا للمرة الأولى . وأقول في نفسي وجسدي نهب للآلام التي لا ترحم : إن مولودي يبدو عليه الهدوء والتعقل منذ لحظة ميلاده . وفي عناء ومشقة شديدين أفتح عيني ، وأحرك لساني لأسأل : هل المولود طفل أو طفلة ؟ ولا يأتيني الجواب .. بل أرى يداً تمتد نحوي لتربت في حنان على وجهي ، وأفهم من لمسة تلك اليد الحنون أن مولودي العزيز قد جاء الى الدنيا ميتاً بلا حياة !



تيم

إرو عَطشَكَ مَع

زيّ شعبيّ
من البحرين

